



الدَّلَالَةُ الْمُعْجَمِيَّةُ لِلصِّيْغَةِ الْاِسْمِيَّةِ عِنْدَ السَّمِينِ الْحَلَبِيِّ فِي
تَفْسِيرِهِ الدُّرَّ الْمَصُونِ

2023

أطروحة دكتوراه

قسم العلوم الإسلامية الأساسية

Muna Emran Faraj BADR

المشرف

Doç. Dr. Aladdin GÜLTEKİN

الدَّلَالَةُ الْمُعْجَمِيَّةُ لِلصِّيْغَةِ الْاِسْمِيَّةِ عِنْدَ السَّمِينِ الْحَلَبِيِّ فِي
تَفْسِيْرِهِ الدُّرَّ الْمَصُونِ

Muna Emran Faraj BADR

المشرف

Doç. Dr. Aladdin GÜLTEKİN

بَحْثُ أُعَدِّ لَنِيْلِ دَرَجَةِ الدِّكْتُوْرَاهِ فِي قِسْمِ الْعُلُوْمِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْأَسَاسِيَّةِ بِمَعْهَدِ
الدِّرَاسَاتِ الْعَلِيَا بِجَامِعَةِ كَارَابُوْك فِي تُرْكِيَا

كارابوك

كانون الأول/2023

المحتويات

1	المحتويات
6	صفحة الحكم على الأطروحة (باللغة التركية)
7	صفحة الحكم على الأطروحة
8	DOĞRULUK BEYANI
9	تعهد المصادقية
10	المقدمة
12	الملخص
13	ÖZET
14	ABSTRACT
15	ARŞİV KAYIT BİLGİLERİ
16	معلومات سجل الأرشيف
17	ARCHIVE RECORD INFORMATION
18	الاختصارات
19	أهداف البحث
19	أسباب اختيار الموضوع
20	مشكلة البحث
20	أهمية البحث
21	منهج البحث
22	حدود البحث ونطاقه
22	الدراسات السابقة
25	التمهيد
25	المطلب الأول: تعريف مصطلحات البحث (الدلالة - الدلالة المعجمية - الصيغة - السياق).
25	أولاً: الدلالة
28	ثانياً: الدلالة المعجمية:
28	ثالثاً: الصيغة:
32	رابعاً: السياق:

أ- تقديم	32
ج- السياق عند البلاغيين:	34
د- السياق عند الأصوليين:	35
المطلب الثاني: السمين الحلبي وتفسيره الدر المصون	36
أولاً: التعريف بالسمين الحلبي:	37
ثانياً: حياته العلمية:	37
ثالثاً: مناصبه العلمية:	37
رابعاً: شيوخه:	38
خامساً: تلاميذه:	40
سادساً: آثاره العلمية:	40
سابعاً: وفاته:	41
المطلب الثالث: التعريف بتفسيره الدر المصون في علوم الكتاب المكنون:	41
أولاً: وصف الكتاب:	41
ثانياً: سبب التأليف:	41
ثالثاً: منهجه:	42
رابعاً: أهم المصادر التي اعتمد عليها السمين الحلبي في تفسيره:	43
خامساً: القيمة العلمية لتفسير الدر المصون:	44
الفصل الأول: الدلالة المعجمية للصيغة الاسمية عند السمين الحلبي	45
المبحث الأول: صيغ المصدر في القرآن الكريم	45
الصيغة الأولى: فَعَلَ:	45
الصيغة الثاني: فُعِلَ:	76
الصيغة الثالثة: فَعْلَان:	86
الصيغة الرابعة: فِعَال:	93
الصيغة الخامسة: تَفْعَلْ بفتح التاء:	97
الصيغة السادسة: فُعْلة:	102
الصيغة السابعة: فَعِل بكسر الفاء وفتح العين:	105
المبحث الثاني: المصدر الميمي	107
الصيغة الأولى: مَفْعَل:	107

113	الصِّيْغَةُ الثَّانِيَّةُ: مَفْعِلٌ :
118	المبحث الثالث: مصدر المَرَّةِ
126	المبحث الثالث: المصدر الصناعي
138	الفصل الثَّانِي: الدلالة المعجمية لصيغ المشتقات في تفسير الدُّر المصون
138	المبحث الأول
138	المطلب الأوَّل: دلالة اسم الفاعل من الفعل الثَّلَاثِي:
146	المطلب الثَّانِي: دلالة اسم الفاعل من الفعل فوق الثَّلَاثِي:
153	المبحث الثاني: دلالة صيغ اسم المفعول من الفعل الثَّلَاثِي
164	المبحث الثالث: دلالة صيغ المبالغة.
167	الصِّيْغَةُ الْأُولَى: فَعِيلٌ :
181	الصِّيْغَةُ الثَّانِيَّةُ: فَعَّالٌ :
187	الصِّيْغَةُ الثَّلَاثِيَّةُ: فَعُوْلٌ :
192	الصِّيْغَةُ الرَّابِعَةُ: فَيَعُوْلٌ :
195	الصِّيْغَةُ الْخَامِسَةُ: فَعِيلٌ :
198	الصِّيْغَةُ السَّادِسَةُ: مَفْعِيلٌ :
199	الصِّيْغَةُ السَّابِعَةُ: صِيْغَةُ مَفْعَالٍ :
201	الصِّيْغَةُ الثَّامِنَةُ: صِيْغَةُ فَعْلَانٍ :
202	المبحث الرابع: دلالة الصفة المشبهة
203	الصِّيْغَةُ الْأُولَى: صِيْغَةُ فَعِيلٍ :
219	الصِّيْغَةُ الثَّانِيَّةُ: صِيْغَةُ فَعِلٍ :
223	الصِّيْغَةُ الثَّلَاثِيَّةُ: صِيْغَةُ فَعَلٍ :
224	الصِّيْغَةُ الرَّابِعَةُ: صِيْغَةُ فَعَلٍ :
226	الصِّيْغَةُ الْخَامِسَةُ: صِيْغَةُ فُعَلٍ :
227	الصِّيْغَةُ السَّادِسَةُ: صِيْغَةُ فَعَلٍ :
230	الصِّيْغَةُ السَّابِعَةُ: صِيْغَةُ فُعَلٍ :
232	الصِّيْغَةُ الثَّامِنَةُ: صِيْغَةُ أَفْعَلٍ :
234	الصِّيْغَةُ التَّاسِعَةُ: صِيْغَةُ فَيَعِلٍ :
240	الصِّيْغَةُ الْعَاشِرَةُ: صِيْغَةُ فَعَالٍ :

243	الصِّيغَةُ الحَادِيَّةُ عَشْرَةٌ: صِيغَةُ فُعْلَى:
245	الصِّيغَةُ الثَّانِيَّةُ عَشْرَةٌ: فَعْلَاءُ:
246	الصِّيغَةُ الثَّالِثَةُ عَشْرَةٌ: فَعْلَانُ:
250	الصِّيغَةُ الرَّابِعَةُ عَشْرَةٌ: صِيغَةُ فَعُولُ:
255	المَبْحَثُ الخَامِسُ: أَفْعَلُ التَّفْضِيلِ
257	أَوَّلًا: أَفْعَلُ التَّفْضِيلِ المَجْرَدَةُ مِنْ "ال" و"الإضافة"
264	ثَانِيًا: المَحْلَى بِأَلْ:
266	ثَالِثًا: المِضَافُ إِلَى المَعْرِفَةِ:
269	رَابِعًا: المِضَافُ إِلَى النِّكْرَةِ:
274	خَامِسًا: المَذْكُورُ فِيهِ "مِنْ" الجَارَةُ لِلْمَفْعُولِ:
279	الفَصْلُ الثَّالِثُ: الدَّلَالَةُ المَعْجُمِيَّةُ لَصِيغِ (الإفراد - التثنية - الجمع)
279	المَبْحَثُ الأولُ: الدَّلَالَةُ المَعْجُمِيَّةُ لَصِيغِ الإِفْرَادِ
279	أَوَّلًا: دَلَالَةُ صِيغِ الإِفْرَادِ:
279	الصِّيغَةُ الأولى: فَعَلَ:
281	الصِّيغَةُ الثَّانِي: فَعَلَ:
287	الصِّيغَةُ الثَّالِثَةُ: فَعَلَ:
289	الصِّيغَةُ الرَّابِعَةُ: فَعُولُ:
291	الصِّيغَةُ الخَامِسَةُ: فَعِيلُ:
294	المَبْحَثُ الثَّانِي: الدَّلَالَةُ المَعْجُمِيَّةُ لَصِيغِ التَّثْنِيَةِ
294	صِيغِ المَثْنَى فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ:
294	الصِّيغَةُ الأولى: فَعَلَ:
297	الصِّيغَةُ الثَّانِي: فَعَلَةً:
301	المَبْحَثُ الثَّالِثُ: الدَّلَالَةُ المَعْجُمِيَّةُ لَصِيغِ المَجْمَعِ
301	دَلَالَةُ صِيغِ المَجْمَعِ:
301	أَوَّلًا: دَلَالَةُ صِيغِ جَمْعِ الصَّحِيحِ أَوْ السَّلَامَةِ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ:
301	الصِّيغَةُ الأولى: فَاعِلُ:
303	الصِّيغَةُ الثَّانِيَّةُ: مُفْعَلُ:
305	الصِّيغَةُ الثَّالِثَةُ: فَعَلَةٌ:

309		ثانيًا: جمع التكسير
309		ثانيًا: دلالة صيغ جمع التكسير في القرآن الكريم:
309		1 صيغ جمع القلة:
309		الصيغة الأولى: أَفْعَل:
312		الصيغة الثانية: أَفْعَلَة:
313		الصيغة الثالثة: أَفْعَال:
314		2 صيغ جمع الكثرة:
314		الصيغة الأولى: فُعِل:
315		الصيغة الثانية: فُعِل:
317		الصيغة الثالثة: فُعُول:
320		الصيغة الرابعة: فِعْلَان:
321		الصيغة الخامسة: فَعَالِل:
323		الصيغة السادسة: مَفَاعِلَة:
325		الصيغة السابعة: فَعَائِل:
327		الخاتمة
329		المصادر والمراجع
357		السيرة الذاتية

صفحة الحكم على الأطروحة (باللغة التركية)

Muna Emran Faraj BADR tarafından hazırlanan “SEMİN EI-HALEBÎ, NİN ED-DURRU, I-MESÛN ADLI TEFSİRİNDE İSİMLERİN ANLAMLARI” başlıklı bu tezin Doktora Tezi olarak uygun olduğunu onaylarım.

Doç. Dr. Aladdin GÜLTEKİN

.....

Tez Danışmanı, Temel İslam Bilimleri.

Bu çalışma, jürimiz tarafından Oy Birliği ile Temel İslam Bilimlerinde Doktora tezi olarak kabul edilmiştir. 26/12/2023.

Ünvanı, Adı SOYADI (Kurumu)

İmzası

Başkan: Doç. Dr. Aladdin GÜLTEKİN (KBÜ)

.....

Üye: Dr. Öğr. Üyesi Ahmed Taha Wahba RADWAN (KBÜ)

.....

Üye: Dr. Öğr. Üyesi Mustafa YILDIZ (KBÜ)

.....

Üye: Prof.Dr. Abdulhadi TİMURTAŞ (YYÜ)

.....

Üye: Doç.Dr. Rıfat AKBAŞ (YYÜ)

.....

KBÜ Lisansüstü Eğitim Enstitüsü Yönetim Kurulu, bu tez ile, Doktora Tezi derecesini onamıştır.

Doç. Dr. Zeynep ÖZCAN

.....

Lisansüstü Eğitim Enstitüsü Müdür

صفحة الحكم على الأطروحة

أصادق على أن هذه الأطروحة التي أُعدت من قبل الطالبة منى عمران فرج بدر بعنوان "الدلالة المُعْجَمِيَّة للصِّيْغَة الاسْمِيَّة عند السَّمِينِ الحَلْبِيِّ في تفسيره الدُّرِّ المَصُون" في برنامج العلوم الإسلامية الأساسية هي مناسبة كأطروحة دكتوراه.

Doç. Dr. Aladdin GÜLTEKİN

.....

المشرف على الأطروحة، العلوم الإسلامية الأساسية

قبول

تم الحكم على أطروحة الدكتوراه هذه بالقبول من قبل لجنة المناقشة بالإجماع، بتاريخ

2023/12/26

أعضاء لجنة المناقشة

التوقيع

رئيس اللجنة : Doç. Dr. Aladdin GÜLTEKİN (KBÜ)

.....

عضواً : Dr. Öğr. Üyesi Ahmed Taha Wahba RADWAN (KBÜ)

.....

عضواً : Dr. Öğr. Üyesi Mustafa YILDIZ (KBÜ)

.....

عضواً : Prof.Dr. Abdulhadi TİMURTAŞ (YYÜ)

.....

عضواً : Doç.Dr. Rıfat AKBAŞ (YYÜ)

.....

تم منح الطالبة بهذه الأطروحة درجة الدكتوراه في قسم العلوم الإسلامية الأساسية من قبل مجلس إدارة معهد الدراسات العليا في جامعة كارابوك.

Doç. Dr. Zeynep ÖZCAN

.....

مدير معهد الدراسات العليا

DOĞRULUK BEYANI

Doktora tezi olarak sunduğum bu çalışmayı bilimsel ahlak ve geleneklere aykırı herhangi bir yola tevessül etmeden yazdığımı, araştırmamı yaparken hangi tür alıntıların intihal kusuru sayılacağını bildiğimi, intihal kusuru sayılabilecek herhangi bir bölüme araştırmamda yer vermediğimi, yararlandığım eserlerin kaynakçada gösterilenlerden oluştuğunu ve bu eserlere metin içerisinde uygun şekilde atıf yapıldığını beyan ederim.

Enstitü tarafından belli bir zamana bağlı olmaksızın, tezimle ilgili yaptığım bu beyana aykırı bir durumun saptanması durumunda, ortaya çıkacak ahlaki ve hukuki tüm sonuçlara katlanmayı kabul ederim.

Adi Soyadi: Muna Emran Faraj BADR

İmza:

تعهد المصادقية

أقر بأنني التزمت بقوانين جامعة كارابوك، وأنظمتها، وتعليماتها، وقراراتها السارية المفعول المتعلقة بإعداد

أبحاث الماجستير والدكتوراه أثناء كتابتي هذه الأطروحة التي بعنوان:

"الدلالة المُعْجَمِيَّة للصِّيْغَة الاسميَّة عند السَّمينِ الحلبيِّ في تفسيره الدُّرِّ المَصُون"

وذلك بما ينسجم مع الأمانة العلمية المتعارف عليها في كتابة الأبحاث العلمية، كما أنني أعلن بأن

أطروحتي هذه غير منقولة، أو مستلة من أطروحات أو كتب أو أبحاث أو أية منشورات علمية تم نشرها

أو تخزينها في أية وسيلة إعلامية باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد.

اسم الطالب: منى عمران فرج بدر

التوقيع:

المقدمة

يعدُّ علم الدلالة من العلوم الأساسية في الدراسات اللغوية، وقد اهتم به العلماء قديماً وحديثاً اهتماماً كبيراً؛ لارتباطه بفهم الكلام، حيث يهتم هذا العلم بدراسة ظاهرة اتّساع المعنى وخاصةً في القرآن الكريم، فدلالات الألفاظ والتراكيب القرآنية تتنوّع بتعدّد المستويات اللغوية المختلفة في نظام اللغة، حيث تتوزع في مستويات دلالية متعددة، مثل النظام الصوتي، والنظام المعجمي، والنظام الصرفي، والنظام النحوي. وفي هذا البحث الموسوم بـ "الدلالة المعجمية للصيغة الاسمية عند السمين الحلبي في تفسيره الدر المصون" سوف نطرح ظاهرة اتّساع المعنى في القرآن الكريم من خلال تناولنا المشترك اللفظي للدلالة المعجمية. ولعلّ من أبرز السّمات الدلالية لألفاظ القرآن الكريم وتراكيبه هي اتّساع دلالة تلك الألفاظ والتراكيب.

إنّ اتّساع المعنى الدلالي للّفظ الواحد مرّدّه إلى تعدد معانيها، حيث تنقسم الألفاظ إلى ضربين: الضرب الأول: ما تتعدّد دلالاته من غير تعارض يظهر للناظر، حيث يصح الجمع بين تلك المعاني في معنى كليّ يجمعها أو يتركّب من مفرداتها، وهو ما نسميه بالتعدد الشكلي غير الحقيقي لمعاني اللفظ الواحد. أمّا الضرب الثاني: فهو ما تتعدّد دلالاته تعدّداً حقيقياً، بحيث لا يمكن الجمع بين معانيه في وجه واحد، وهذا الضرب على نوعين:

• نوع يكون للفظ عدّة وجوه مقبولة للمعنى في السياق، باعتبار كلّ واحد منها لا باعتبار الجمع

بينهما.

• ونوع يكون فيه تعارض بين معانيه، لذا يلزم الترجيح بينها.

من هنا نصلّ إلى أنّ صور أو ضروب الاتساع في المعنى تنقسم إلى ما يأتي:

1- اتّساع الدلالة المعجمية وهذا ما يتعلّق بدراستنا.

2- اتّساع الدلالة الصرفية.

3- اتّساع الدلالة النحوية.

وقد قمت في هذا البحث المتواضع بدراسة شاملة مبسّطة للصيغة الاسمية في القرآن الكريم من حيث دلالة المعنى المعجمي للصيغة الصرفية، ولأنّ القرآن الكريم قد حظي بالعديد من الدراسات التي تناولت نصوصه وألفاظه، وقد تعاقب على مرّ العصور العديد من الباحثين الذين وجدوا فيه مادة لغوية صرفية ثرة للدراسة، ولأنّه معجزة سيدنا محمد ﷺ الخالدة بألفاظه ومعانيه، وببلاغة ألفاظه وعباراته وسحر بيانه، فقد قررت البحث في أسرار هذه الصيغ في القرآن الكريم، يشدّني الحماس إليها، وخوض غمارها، وقد حاولت في هذا البحث أن أبين المعاني الدلالية والمعجمية للصيغ الصرفية وربطها بسياق الآية القرآنيّة، ووجدت المتعة في ذلك رغم ما أحاط بالبحث من صعوباتٍ جَمّة.

الملخص

مجال البحث هو تأثير الصيغ الاسمية في اختيار الدلالة المعجمية الملائمة للسياق، ويدخل في حقل الدراسات التطبيقية التي تُعنى بالدُّرس المعجمي، وهدف البحث إلى بيان أثر الدلالة المعجمية لكلٍّ من صيغ المصدر والمشتقات وصيغ الأفراد والتثنية والجمع في بيان دلالة اللفظ القرآني عند السمين الحلبي من خلال كتابه "الدُّر المصون"، والوقوف على آراء السمين الحلبي قياساً إلى آراء المفسرين، في توضيح أثر دلالة الصيغ الاسمية في بيان معاني الآيات القرآنية الكريمة.

اتبع البحث المنهج الوصفي التحليلي، حيث يعرض البحث مجموعة من الأمثلة الخاصة بالمفردات القرآنية، كما يعرض النَّصَّ القرآني الذي جاءت فيه، ويشفع ذلك بأحاديث نبوية، وشواهد شعرية، وأمثلة من كلام العرب استدلل بها السمين الحلبي على ما ذهب إليه، ووقف على مجموع الأمثلة والآيات والشواهد المختلفة، وحلّلها من خلال رأي السمين الحلبي، وخلص إلى العديد من النتائج، من أهمها:

1- أن الدلالة المعجمية المركزية لا تنهض وحدها ببيان الدلالة، وإنما يعضدها دلالة الصيغ والمشتقات، إضافة إلى السياق بطبيعة الحال.

2- دقة منهج السمين الحلبي في تفسيره، واهتمامه بتحليل مكونات الصيغ والمشتقات وصولاً للدلالة.

3- للسياق أثر كبير وواضح في تحديد اختيار معني من المعاني دون غيره.

الكلمات المفتاحية: الدلالة، المعجم، السمين، الدُّر المصون، المشتقات الاسمية.

ÖZET

Araştırma alanı, isim formlarının bağlam için uygun anlam seçimine olan etkisidir ve bu, leksikografik çalışmayla ilgilenen uygulamalı çalışmalar alanına girer. Araştırmanın amacı, Es-Semîn el-Halabi'nin "El-Durru'l-Mesun" adlı eseri aracılığıyla Kur'an kavramının leksik anlamındaki etkisini açıklamak, kelime kökü, türetilmiş şekiller, tekil, çoğul ve ikil formların anlamındaki etkiyi belirtmek ve Es-Semîn el-Halabi'nin görüşlerini müfessirlerin görüşleriyle karşılaştırmaktır. Ayrıca, isim formlarının Kur'ân ayetlerinin anlamlarını açıklamada Seyyid el-Halabi'nin görüşlerindeki etkisini açıklamak.

Araştırma, tanımlayıcı analitik bir yöntemi takip etmektedir. Araştırma, Kur'an kelimeleriyle ilgili özel örnekleri sunmaktadır. Ayrıca, bu kelimelerin geçtiği Kur'ân metni sunulmuş, bu konuda peygamber hadisleri, şiiysel kanıtlar ve Arap sözünden örneklerle desteklenmiş ve bu örneklerin, ayetlerin ve çeşitli kanıtların genelini ve Seyyid el-Halabi'nin görüşlerini incelemiştir.

Araştırma birçok sonuca ulaşmıştır, en önemlileri şunlardır:

- 1- Leksik anlamın merkezi etkisi, tek başına anlamı belirtme konusunda yetersiz kalmaz, ancak şekil ve türetilmiş formların etkisi ile bağlamın doğasıyla desteklenir.
- 2- Seyyid el-Halabi'nin tefsir metodolojisinin doğruluğu, şekil ve türetilmiş formların analizine odaklanma ve anlamın açıklanması için ilgilenme konusundadır.
- 3- Bağlamın, anlamların seçiminde diğerlerine göre bir anlamı belirleme üzerinde büyük ve açık bir etkisi vardır.

Anahtar kelimeler: Anlam, Leksikon, Es-Semîn el-Halebî, El-Durru'l-Mesun,İsim türetilmiş formaları.

ABSTRACT

The Impact of Nominal Forms on the Selection of Appropriate Lexical Semantics in Context, within the domain of applied lexicographical studies. The research aims to elucidate the impact of lexical semantics in source and derivative forms, singular, dual, and plural forms, in elucidating the lexical nuances of Quranic expressions by As-Samīn Al-Halabī in his work "Ad-Durr Al-Musun." It entails an examination of As-Samīn Al-Halabī's perspectives about other commentators, thereby elucidating the influence of nominal forms in expounding the meanings of Quranic verses.

The research adheres to a descriptive-analytical methodology, presenting instances of Quranic vocabulary, citing relevant Quranic verses, supplemented with Prophetic traditions, poetic evidence, and examples from Arabic discourse that As-Samīn Al-Halabī employs to substantiate his conclusions. The research analyzes these instances through the lens of As-Samīn Al-Halabī's viewpoint.

The study draws several conclusions, including:

1. Central lexical semantics, in isolation, do not singularly articulate meaning but are bolstered by the semantics of forms and derivatives, in conjunction with contextual considerations.
2. As-Samīn Al-Halabī's methodology in his commentary exhibits precision, demonstrating a focused analysis of the components of forms and derivatives to unravel their semantics.
3. Context emerges as a pivotal and conspicuous factor in delineating the preferred meaning among diverse interpretations.

Keywords: Semantics, Lexicon, As-Samīn Al-Halabī, Ad-Durr Al-Musun, Nominal Derivatives.

ARŞİV KAYIT BİLGİLERİ

Tezin Adı	Semin El-Halebî, nin Ed- Durru, I-Mesûn Adlı Tefsirinde İsimlerin Anlamları
Tezin Yazarı	Muna Emran Faraj BADR
Tezin Danışmanı	Doç. Dr. Aladdin GÜLTEKİN
Tezin Derecesi	Doktora
Tezin Tarihi	26.12.2023
Tezin Alanı	Temel İslam Bilimleri
Tezin Yeri	KBU/LEE
Tezin Sayfa Sayısı	358
Anahtar Kelimeler	Es-Semîn el-Halebî, El-Durru'l-Mesun, Anlam, Leksikon, İsim türetilmiş formları.

معلومات سجل الأرشيف

اسم الرسالة	الدَّلالةُ الْمُعْجَمِيَّةُ لِلصِّبْغَةِ الاسْمِيَّةِ عِنْدَ السَّمِينِ الْحَلَبِيِّ فِي تَفْسِيرِهِ الدُّرِّ الْمَصُونِ
مؤلف الأطروحة	منى عمران فرج بدر
المشرف	الأستاذ المشارك د. علاء الدين جولتكين
درجة الأطروحة	دكتوراه
تاريخ الرسالة	26.12.2023
مجال الرسالة	العلوم الإسلامية الأساسية
مكان الرسالة	جامعة كارابوك معهد الدراسات العليا
صفحات الأطروحة	358
كلمات مفتاحية	السَّمِينِ الْحَلَبِيِّ، الدُّرُّ الْمَصُونِ، الدَّلالةُ، المعجم، المشتقات الاسْمِيَّة.

ARCHIVE RECORD INFORMATION

Title of the Thesis	The Meanings of the Names in Semin Al-Halabi's Tafsir Called Ed-Durru'l-Masun
Author of the Thesis	Muna Emran Faraj BADR
Supervisor of the Thesis	Assoc. Prof. Dr. Aladdin GÜLTEKİN
Status of the Thesis	Ph.D.
Date of the Thesis	26.12.2023
Field of the Thesis	Basic Islamic Sciences
Place of the Thesis	UNIKA/IGP
Total Page Number	358
Keywords	As-Samīn Al-Halabī, Ad-Durr Al-Musun, Semantics, Lexicon, Nominal Derivatives

الاختصارات

الاختصار	المعنى
م	ميلادي
هـ	هجري
تح	تحقيق
ت	تاريخ الوفاة
ص	رقم الصفحة
ط	الطبعة

أهداف البحث

تختلف الصيغ الصرفية في لغة القرآن في صيغها وأنواعها لذلك يترتب على هذا الاختلاف خلاف كبير في توجيه تلك الصيغ من حيث صياغتها الصرفية وطبيعة أبنيتها ودلالاتها، وهذا الاختلاف والتنوع التركيبي لكل صيغة لابد أن ينتج عنه اختلاف في الدلالة والوظيفة، وهذا الاختلاف لا يُقبل على أنه مسوّغ للاشتراك اللفظي أو الترادف المعنوي أو اللغوي، أو ضرب من التعدد اللهجي، وعليه فقد اختلف اللغويون والصرفيون والمفسرون في دلالات الصيغ الصرفية، وراح كل فريق يؤول ويفسر وفق منهجه واجتهاده.

ومن الأسباب قد عرّضت في هذا البحث المعنى الدلالي المعجمي للصيغة الاسمية في القرآن الكريم من خلال تفسير الدر المصون، وذلك لعدة أسباب وهي:

- 1- إظهار أثر السياق في التغيّر الدلالي في القرآن الكريم.
- 2- بيان أهمية الدلالة المعجمية في فهم النصّ القرآنيّ الكريم.
- 3- بيان موقف بعض المفسّرين في تفاسيرهم عامة من التغيّر الدلاليّ، وموقف السمين الحلبي في تفسيره "الدر المصون" خاصة، والذي يعدّ مؤلّفه من أهمّ المفسّرين الذين اعتنوا بالدلالة في تفسيره.

أسباب اختيار الموضوع

من الأسباب التي دفعتني إلى اختيار هذا البحث قلة الدراسات التطبيقية في الدلالة المعجمية، وخاصة في تفسير الدر المصون، إضافة إلى الرغبة في البحث والنظر العميق في مجال الدراسات القرآنية، باعتبار الدلالة القرآنية من الموضوعات المهمة في التفسير، وتحتاج إلى بذل جهد وتعمّق من الباحث.

مشكلة البحث

تتمثل مشكلة البحث في الإجابة على عددٍ من التساؤلات، أبرزها:

1- هل للدلالة المعجمية أثر واضح في تحديد معنى دلالة صيغ المصدر عند المفسرين، وخاصة عند

السمين الحلبي؟

2- هل وافق السمين الحلبي المفسرين الرأي أو خالفهم في توضيح أثر الدلالة المعجمية في معنى

صيغ المشتقات؟

3- هل للدلالة المعجمية علاقة بالسياق في تحديد دلالة الصيغة الصرفية؟

أهمية البحث

إنَّ كون اللغة العربية لغة اشتقاقية هو الذي جعلها تتمتع بالحيوية، والسعة، والمرونة، حيث ساعد الاشتقاق على تكثير الصيغ والأبنية، وقد حفل تفسير السمين الحلبي (الدَّر المَصون) بكثير من الصيغ الاشتقاقية التي تحتمل أوجهًا دلالية. من هنا جاءت الدراسة لتبيِّن الدلالات الاشتقاقية التي تهدف إلى تكثير المعاني، فاختلاف الدلالة سببه اختلاف الأبنية؛ والفعل يحمل معنى يختلف عن مصدره واسم فاعله واسم مفعوله، واسم الزمان والمكان منه كذلك. وحسب الفعل نفسه يتغير معناه بتغير مبناه. فالشَّر مصدرٌ بمعنى السوء، والشَّرارة: ما يتطاير من النار، وكذلك الكفر والكفور والكفران مصادر للفعل "كَفَرَ"، ولكن الكفران أكثرها استعمالاً في الدلالة على جحود النعمة.

إنَّ اختلاف معاني هذه المفردات بين المصدرية والاسمية والسياق يسهم في تحديد الدلالة المقصودة.

وتظهر أهمية البحث في أنه:

1- يبيِّن أهمية الدلالة المعجمية في تحديد المعنى.

2- يبيّن مدى اهتمام المفسرين بالدلالة المعجمية في تفاسيرهم.

3- يقدّم تعريفًا بعلم الدلالة.

4- يبيّن أثر السياق في تحديد الدلالة المعجمية من خلال آيات القرآن الكريم.

منهج البحث

لقد اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، من خلال عرض بعض المفاهيم المتعلقة بعلم الدلالة نظريًا، ثمّ عرض النماذج التطبيقية من القرآن الكريم والبحث عنها في تفسير الدُر المصون.

فقد اتّبع في هذه الدراسة الخطوات الآتية:

1-الاهتمام بذكر الأدلة القرآنية في متن الدراسة وتوثيقها في مظاهّها.

2-ذكر الأدلة الشعرية إلى جانب القرآنية؛ لأنها جاءت عن لسان العرب مع نسبتها إلى قائلها

ما أمكن.

3-توثيق النصوص المنقولة من مصادرها الواردة في المتن بالهامش.

4-وضع الكلام المنقول عن أصحابه بدون أي تصرف فيه بين علامتي تنصيص ""أمّا في حالة

التصرف بالنص يترك بدون تنصيص مع ذكر لفظة ينظر في الهامش، أمّا إذا قُطِع الكلام المنقول أشير إلى

ذلك بنقاط (...).

حدود البحث ونطاقه

تقتصر حدود البحث على كتاب "الدَّر المصون" للسَّمين الحلبي، وعلى الدلالة الاسميَّة للألفاظ الواردة في الكتاب، مع تقديم تعريفات موجزة للألفاظ من معاجم اللغة الرئيسة، ودلالة الآية من خلال كتب التفسير وبعض الدواوين الشعرية، وكتب السنَّة.

الدراسات السابقة

هناك عدة دراسات جاءت لتفصيل علم الدلالة وأنواعها سواء في القرآن الكريم أم في غيره من العلوم، وبمحدود ما اطلعت عليه فإنَّ معظم الدراسات لم تختصَّ ببيان الدلالة المعجمية للصيغة الاسمية في تفسير الدَّر المصون تطبيقاً على القرآن الكريم، فجاءت هذه الدراسة لتوضح ذلك.

غير أنَّ ثمة بعض الأبحاث والدراسات تداخلت بشكل مباشر أو غير مباشر مع البحث، ووجدت أنَّه من المناسب أن أذكرها ههنا، منها على سبيل المثال:

1- السمين الحلبي وآراؤه النحويَّة في كتابه الدَّر المصنُون (1421هـ)، للباحث: هيثم طه ياسين حسين، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب - الجامعة المستنصرية، وقد اختصت هذه الدراسة بآراء السمين الحلبي النحوية وذكر اختياراته وتعليقاته النحوية.

2- ومن الدراسات والكتب التي قد تتقاطع مع موضوع بحثنا كتاب الدكتور فاضل السامرائي: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني (1427هـ، 2006م)، وقد درس فيه استعمال القرآن بعض الكلمات، لكنَّه كان يدرسها من باب الذكر والحذف، كما في كلمتي (استطاعوا، اسطاعوا)، (تنزَّل، لتنزَّل)، (توقَّاهم، تتوقَّاهم)، أو الإبدال كما في (يتضرَّعون، يضترَّعون)، (المصدِّقين، المتصدِّقين). وهذا شيء مختلف كثيراً عما نحن عليه الذي يهتم بدراسة الصيغ الاسميَّة ضمن السياق القرآني.

3- العدول في صيغ المشتقات في القرآن الكريم: دراسة دلالية، رسالة ماجستير للباحث جلال عبد الله محمد سيف الحمادي، في جامعة تعز اليمنية، سنة 2007م، وقد درس فيها الصيغ الصرفية، لكنه اقتصر على المشتقات دون غيرها من الصيغ الاسمية، أضف إلى ذلك أنّ بحثه قد ركّز على مسألة العدول في استعمال المشتقات في القرآن الكريم.

4- الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، دراسة نظرية تطبيقية، للدكتور عبد الحميد هنداي، (1429هـ، 2008م). غير أنّ البحث في هذا الكتاب لم يقتصر على القرآن وحده، وإن كان عنوانه يوحي بذلك، بل شملت دراسته الأشعار العربية أيضاً. وقد يكون من أهمّ فصول الكتاب فصله الموسوم بـ "أسس التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة" الذي تحدّث فيه عن مصطلحات مهمّة مثل: الاختيار والعدول والتكرار، واهتم الباحث فيه كثيراً بمسألة العدول في صيغة المشتقات، في حين أنّ بحثنا هذا يهتم باستعمال الصيغ الصرفية الاسمية ودلالاتها المعجمية.

5- دراسة الظواهر اللغوية والنحوية في القراءات الواردة في كتاب الدُرّ المصنُون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي (2015م)، للباحث صالح ذيب صالح الجبوري، وهي أطروحة دكتوراه صادرة عن كلية اللغة العربية الجامعة الإسلامية، وقد درس الباحث القراءات فقط، وذكر مباحث للصرف بإيجاز، فوجدت أنه من الضروري أخذ المادة الصرفية الأخرى بالحسبان؛ لأنّ القراءات في الدُرّ المصنُون هي جزء من كلّ، فالكتاب يحتوي على الكثير من الجوانب الصرفية من أوزان أو أبنية لها دلالات ومعاني.

6- السياق القرآني وأثره في المعنى عند السمين الحلبي في تفسير الدر المصون، للباحثة رزيقة بن داداي، وهي رسالة ماجستير نوقشت سنة 2020م، وتحدثت عن فاعلية السياق القرآني في تحديد المعنى عند السمين الحلبي في تفسيره الدر المصون، والسياق القرآني وعناية العلماء والمفسرين به، إضافة إلى أثره في المعنى نماذج تطبيقية من آيات الذكر الحكيم عند السمين الحلبي في تفسيره.

7- الجهد المعجمي للسمين الحلبي في كتابه "عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ"⁽¹⁾، وهو

رسالة ماجستير، للباحثة: شمس هناء فتحي عبد العاطي سليمان، وصادرة عن كلية التربية قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، وتهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن الجهود المعجمية للسمين الحلبي في مجال تفسير ألفاظ غريب القرآن تفسيراً لغوياً، وبيان موقع الكتاب بين كتب الغريب التي سبقته. ما يعني أنّ هذه الدراسة ليست على تلاقٍ مباشر مع بحثنا.

ولا بدّ أن نشير إلى وجود دراسات باللّغة التركية اهتمّت بالسمين الحلبي، منها:

- 1- Es-Semîn el Halebî'nin Umdetu'l Huffaz kitabında anlam daraltma konusu – semantik çalışma. YÜKSEK LİSANS
- 2- Semîn el-Halebî'nin ed-Durru'l-Masûn adlı tefsirinde kıraâtlara yaklaşımı. DOKTORA
- 3- Es-Semîn el-Halebî'nin ed-Durru'l-Masûn adlı eserinin Ulûmu'l-Kur'ân ve tefsir usûlü açısından incelenmesi. YÜKSEK LİSANS
- 4- Es-Semîn el-Halebî'nin ed-Durru'l-Masûn adlı eserinde merfûât ile ilgili tartışmalar, Mehmet Nafi ARSLAN, Doktora Tezi, 2016.
- 5- es-Semîn el-Halebî'nin Hayatı ve İlmî Şahsiyeti* Mehmet Nafi Arslan** FSM İlmî Araştırmalar İnsan ve Toplum Bilimleri Dergisi, 9 (2017) Bahar.

1 لم أعثّر -بحدود ما بحثت- على تاريخ نشر هذا العمل، لذلك آثرتُ وضعه في آخر الدِّراسات العربية ذات الصِّلَة ببحثي.

التمهيد

المطلب الأول: تعريف مصطلحات البحث (الدلالة - الدلالة المعجمية - الصيغة - السياق).

أولاً: الدلالة

أ - لغة:

أورد ابن فارس أنَّ "الدَّالَّ واللام أصلان: أحدهما إبانة الشيء بأمانةٍ تتعلَّمها، والآخر اضطرابٌ في الشيء"¹، وفي لسان العرب: دلَّه على الشيء يدلُّه دلًّا ودلالة، فاندلَّ: سدَّده إليه، ودلَّته فاندلَّ، والدليل: الدَّالُّ. والجمع أدلة وأدلاء، والاسم: الدِّلالة والدَّلالة، بالكسر والفتح، والدليلي: ما يستدل به. قال سيبويه: والدليلي: علمه بالدلالة ورسومه فيها. وفي حديث علي - رضي الله عنه - في صفة الصحابة رضي الله عنهم، قال: "ويخرجون من عنده أدلة"² جمع دليل؛ أي: بما قد عملوا فيدلون عليه النَّاس، أي يخرجون من عنده فقهاء. والدلالة: ما جعلته للدليل أو الدَّلَال³، والدلالة: الأمانة، وهي بين الدَّلالة والدِّلالة⁴.

وبناء على هذا التَّصور المعجمي يترتب توفر عناصر الهدى والإرشاد والتسديد؛ أي: توفر مُرشد ومُرشد ووسيلة إرشاد وأمر مرشد إليه، وحين يتحقق الإرشاد تحصل الدلالة⁵. وتعبير آخر تعني الدَّلالة الإشارة إلى شيءٍ ما بطريقة ما.

ب - علم الدَّلالة اصطلاحًا:

-
- 1 أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تح: أنس محمد الشامي، (القاهرة: دار الحديث، 1429هـ، 2008م)، 211/2.
 - 2 مجد الدين ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، تح: رضوان مأمون، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1432هـ، 2011م)، حرف الدال، باب الدال مع اللام، ص 315.
 - 3 ينظر ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، (القاهرة: دار المعارف، د.ت)، مادة "دل"، 1413/2.
 - 4 ينظر أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، كتاب الدال مادة "دل"، 1413/2.
 - 5 ينظر عبد الجليل منقور، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، (دمشق: اتحاد كتاب العرب، 2001م)، ص 26.

الدلالة علم قائم بذاته، ويَراد به بيان معنى الكلمة، ودلالة الجملة أو التعبير عنها، وقد تجاوز به العلماء من الجملة إلى معنى النص شرحاً وتفسيراً، أمّا ما يصف العلاقات المتشابهة بين التعبير والمحتوى فهو ما يعرف بعلم الدلالة النصي أو علم دلالة النص، وقد توسّع مجال اهتمام علم الدلالة، فشمل دراسة أصغر وحدة دلالية حاملة المعنى ودراسه دلالة الجمل النصوص¹.

هذا يوضح أنّ علم الدلالة - إلى جانب كونه مستوى من مستويات التحليل اللساني الحديث - يُعدُّ قمة الدراسات اللغوية؛ لأنّ الهدف من الدراسات اللغوية هو الوقوف على المعنى في جميع المستويات اللغوية من الأصوات إلى الصرف إلى التركيب، إضافة إلى ملاسبات المقام الاجتماعية والثقافية، وذلك من خلال ما ينتجه المتكلم من كلام.

ولا يخفى على كل من لديه دراية بعلم الدلالة ملاحظة مدى التأثير والتأثير بين البنية الصرفية بكل فروعها ووظائفها، وما يعترّيها من تغيّرات، والسياقات التي ترتسم فيها الإيحاءات الدلالية المختلفة، الناتجة عن مادتها وهيئتها. ومن هنا نصل إلى العلاقة الوثقى بين الصرف وعلم الدلالة. يقول أحد الباحثين: "وصيغة الكلمة أو وزنها عنصر من العناصر الأساسية التي تحدد معناها، ولولا ذلك لالتبست معاني الألفاظ المشتقة من مادة واحدة، فالصيغة هي التي تقيّم الفروق بين هذه الألفاظ: "كاتب ومكتوب - وكتابة" وبين "شريك - واشتراك - وشركة"، وهي التي تخصص المعنى وتحدده، كتحديد معنى الفاعلية فيما كان على وزن "فاعل" من الثلاثي أو "مُفعل" من "أفعل" أو "مفتعل" من "افتعل" ... إلخ، ومن المفعولية في أوزان اسم المفعول أو معنى الطلب في "استفعل" كاستغفر واسترحم ..."². ويتابع الباحث قوله: "وهذه الصيغ والأوزان بالنسبة

1 ينظر محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة "دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية"، (القاهرة: دار النشر للجامعات، ط 1، 2005م)، ص 63.

2 د. زيدة بن عزوز، دراسة المشتقات العربية وآثارها البلاغية في المعلقات العشرة الجاهلية، (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1989م)، ص 35.

للمفاهيم العامة المعبر عنها في العربية بالمواد، هي بمثابة قوالب تُصاغ فيها الألفاظ وتحدد بها المعاني الكلية والمفاهيم العامة، فإذا وضعنا مادة "ق ط ع" في قالب من قوالب الأبنية وصُغتها على مقدارها، فإن جعلتها على بناء "مِفْعَل" قلنا: "مِقْطَع" فقد أخرجنا منها لفظاً على آلة القطع وإن قلنا: "مُقْطَع" على وزن "مَفْعَل" فقد دلت على مكان القطع، وإن قلنا: "مُقاطعة" على وزن "مُفاعلة" فقد دلت على قطع الصلة بين اثنين أو جماعتين¹.

وهذا ما يطلق عليه في الدرس اللغوي الحديث مصطلح "الدلالة الصرفية"، وتسمى أيضاً: "الوظائف الصرفية للكلمة"، وهي المعاني المستفادة من الصيغ والأوزان المجردة².

وقد فطن علماءنا القدامى إلى الدور الذي تلعبه الصيغة في تحديد الدلالة، فقد فرّق ابن جني بين "مَفْعَل ومَفْعَل"، فجعل المفتوحة دالة على المصدر والثبات، والمكسورة على اسم الآلة غير الثابت، فقال: "قولهم للسلم مرقاة، وللدرجة مرقاة، فنفس اللفظ يدل على الحدث الذي هو الرقي، وكسر الميم ينقل ويعتمل عليه به، كالمطرقة، والمئزر، والمنجل، وفتح الميم مرقاة تدل على أنه مستقر في موضعه كالمنارة والمثابة"³.

من هذا المنطلق جاءت الدراسة لتكشف من الناحية التطبيقية العلاقة الوثيقة بين الدلالة السياقية والدلالة المعجمية وشكل الصيغة الصرفية، وخاصةً الاسمية منها، وأثرها في الدلالة القرآنية.

1 المرجع نفسه.

2 ينظر د. حلمي خليل، الكلمة "دراسة لغوية معجمية"، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1998م)، ص 29.

3 ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي التّجار، (بيروت: عالم الكتب، ط 1، 1983م)، 100/3 - 101.

ثانيًا: الدلالة المعجمية:

يُقصدُ بها المعنى الذي يستقلُّ به اللفظ في المعاجم أو أثناء التَّخاطب، وهو غير الدلالة الصرفية، فلفظة "غفور" مثلاً تدلُّ على الغفران كمعنى معجميٍّ، أما الدلالة الصرفية فتعطيها معنىً إضافيًا، وهو الكثرة والمبالغة¹.

وهي المعنى الذي تسجله المعاجم للمفردة اللغوية مراعى فيه حروفها، وصيغتها سواء كانت تلك المفردة في صورة لفظ مستقلٍّ بمعنى، مثل "النطاق"، وهو كل ما يَشُدُّ به المرء وسطه، أم كانت في صورة لفظ يختلف معناه بحسب ما يقتضيه سياق إسناده، مثل قولهم: "قصف البعير"، فتكون بمعنى صَرَفَ أنيابه؛ أي: صوت يخرج من الأنياب عندما تحتك ببعض، ومنها قصف العود: أي كسره، أمَّا إذا كان في صورة تركيب؛ أي: أكثر من كلمة واحدة فله معنى خاص يمكن أن يسمَّى عبارات سبيكة أو متلازمة، مثل نسيجٌ وحده، وقويُّ الشكيمة، فهذه الصور تدخل تفسيراتها ضمن المعنى المعجمي². ولمصطلح الدلالة المعجمية تسميات أخرى، مثل الدلالة اللغوية، والدلالة الاجتماعية³.

من خلال ما تقدَّم يرى الباحث أنَّ للمعاجم أهمية كبيرة في بيان الدلالة المعجمية للكلمات، وتسجيلها بشكل واضح ودقيق، بما في ذلك أثر السياق، والتراكيب متعددة الكلمات في تلك المعاني.

ثالثًا: الصيغة:

أ- لغة:

1 ينظر مجدي وهبة؛ وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، (بيروت: مكتبة لبنان، ط2، 1984م)، 169، وجاسم محمد عبد العبود، مصطلحات الدلالة العربية في ضوء علم اللغة الحديث، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1428 هـ، 2007م)، 115.

2 ينظر محمد حسن حسن جبل، المعنى اللغوي دراسة عربية مؤصلة نظريًا وتطبيقيًا، (القاهرة: مكتبة الأدب، ط1، 1426 هـ، 2005م)، ص 170-171.

3 ينظر جاسم محمد عبد العبود، مصطلحات الدلالة العربية، 115.

جاء في مقاييس اللغة: "الصاد والواو والغين أصل صحيح، وهي تهئية الشيء على مثال مستقيم. من ذلك قولهم: "صاغ الحلي يصوغه صوغًا. وهما صوغان، إذا كان كل واحد منهما على هيئة الآخر"¹. وذكر صاحب لسان العرب: "فلان حسن الصيغة؛ أي: حسن الخلقه والقَدِّ، وصاغه صيغة حسنة؛ أي: خلقه"²...، وصيغة الأمر كذا؛ أي: هيئته التي بُني عليها"³.

فالصيغة في اللغة العربية لها دور كبير في تهئية الأشياء بشكل محدد ومنسق، والذي يؤكد ذلك استخدام الصيغة في "صاغ الحلي" إشارة إلى تزيين الحلي بشكل جميل، وكذلك في "صوغان" دلالة على تماثل الصيغتين، كما تستخدم في تقييم صفات الأشياء، مثل "فلان حسن الصيغة" دلالة على الخلق الجيد والشكل الجميل. من هنا تظهر القاعدة الصرفية التي تستخدم الأحرف في اللغة العربية كوسيلة للتعبير عن تعبير أو إشارة إلى شيء ما، فقد عبّرت هذه الأحرف عن قدرتها لإعطاء معاني إضافية للكلمة، وقدرتها على التعبير لإعطاء اللفظة الواحدة دلالات متعددة.

ب- اصطلاحًا:

يرتبط مفهوم "الصيغة" بمفاهيم أخرى، وهي البنية، والوزن، غير أنّ أثر هذا الارتباط متفاوت بعض الشيء. بمعنى أنّ نسبة الترادف بين الصيغة والبنية أقوى من نسبة الترادف بين الصيغة والوزن. ومن شواهد ترادف مفهومي الصيغة والبنية مجيئهما بمعنى واحد ما ورد عن ابن جني: "قد دلت الدلالة على وجوب مخالفة صيغة الماضي لصيغة المضارع؛ إذ الغرض من صيغ هذه المثل إنّما هو لإفادة الأزمنة فجعل لكل زمان

1 أحمد ابن فارس، مقاييس اللغة، 3/321.

2 ابن منظور، لسان العرب، مادة "صوغ"، 4/2526.

3 المصدر السابق، مادة "صيغ"، 4/2537.

مثال مخالف لصاحبه¹. فالصيغة في رأي ابن جني يراد بها البناء أو الشكل؛ لأنه يُفَرَّقُ من خلاله بين الماضي والمضارع، فتعبيره بالصيغة إشارة إلى أنَّ الصيغة والبنية شيء واحد.

كما أكَّده الرضي أنَّ "المراد من بناء الكلمة ووزنها وصيغتها هيئتها التي يمكن أن يشاركها فيها غيرها"²، حيث جمع بين البناء والصيغة والوزن، وجعلها متساوية في الدلالة على هيئة الكلمة. وأشار التهانوي إلى ترادف هذه المصطلحات فعنده: "الهيئة الحاصلة للفظ باعتبار ترتيب الحروف وحركاتها وسكناتها ... ويسمى بالصيغة والوزن أيضًا. وقد يقال الصيغة والبناء والوزن مجموع المادة والهيئة أيضًا"³.

وفَرَّقَ اللبدي بين مفهومي الصيغة والبناء، حيث قال: "الصيغة هي الشكل والبناء، وغالبًا ما تستعمل في المقيسات من الأحكام"⁴، وفي موضع آخر عرَّفَ البناء بأنه "عدَّة الحروف مع الهيئة التي تكون عليها"⁵.

وقد فَرَّقَ بعض العلماء بين الصيغة والبنية، ومنهم الكفوي فقد ذكر في تعريف الصيغة أنَّها "الهيئة العارضة للفظ باعتبار الحركات والسكنات، وتقديم بعض الحروف على بعض، وهي صورة الكلمة والحروف مادتها"⁶. وعرَّفَ البنية أنَّها "الحروف مع الحركات والسكنات المخصوصة"⁷.

1 المصدر السابق (صبيغ).

2 الرضي الإستراباذي، شرح شافية ابن الحاجب، مع شرح شواهد العالم الجليل لعبد القادر البغدادي، تحقيق الأساتذة: محمد نور الحسن، محمد الزفراف، محمد محي الدين عبد الحميد، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1395هـ، 1975م)، 2/1.

3 محمد بن علي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح: علي دحروج، (بيروت: مكتبة لبنان، ط1، د.ت)، 345/1.

4 محمد سمير نجيب، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1405هـ، 1985م)، 128.

5 المصدر السابق، 128.

6 أبو البقاء الكفوي، الكليات، تح: عدنان درويش، ومحمد المصري، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1423هـ، 2002م)، 560.

7 المصدر السابق، 560.

من هنا نصل إلى أنَّ البنية هي ذات اللفظ وتركيبه ومادته وأصوله، أمَّا الصيغة فهي الحاصلة من ترتيب الحروف والحركات والسكنات.

وحدّد تمام حسان في تعريف ماهية الصيغة في عدّة نقاط¹:

- 1- الصيغة جزء من التحليل الصرفي.
- 2- الصيغة تلخيص شكلي لجمهرة من العلامات لا حصر لها تُردُّ على ألسنة المتكلمين باللغة الفصحى².
- 3- الصيغة قابلة للتحوّل والتّطور³.
- 4- أنَّ الصيغة ترتبط بالاشتقاق وهي وسيلة التوليد والارتجال⁴.
- 5- تدل الصيغة على معنى وظيفي⁵.
- 6- للصيغة قرينة لفظية إلى جانب القرائن الأخرى كالرتبة والمطابقة والربط والأداة النغمة، وهذا يعني أنَّها تسهم في الكشف عن المعنى داخل النَّص⁶. إذا الصيغة بناء مرتبط بالاشتقاق والمعنى الوظيفي، أمَّا البنية، فهي ذات اللفظ وتركيبه ومادته وأصوله، وهي مأخوذة من البناء الثابت⁷. أمَّا الوزن فهو، وإنّ استُعملَ مرادفًا للصيغة والبناء، آخذٌ في السير نحو الاستقرار نحو ما يعرف بالميزان الصرفي في كتب الصرفيين،

1 ينظر تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، (بيروت: عالم الكتب، ط6، 2009)، 144.

2 المصدر السابق، 144.

3 المصدر السابق، 151.

4 المصدر السابق، 151.

5 ينظر تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، 161.

6 المصدر السابق، 205.

7 ينظر علي عاصم شحادة، المعاني الوظيفية لصيغة الكلمة في التركيب "دراسة في الدلالة"، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج 35، العدد 3، 2008، 548.

وهو وصف للصورة النهائية للمادة اللغوية، حيث يعرف من خلاله عدد حروف الكلمة، وترتيبها، وما فيها من أصول وزوائد، وحركات وسكنات.

رابعًا: السياق:

أ- تقديم

أدرك علماء العربية أهمية السياق في تحليل النصوص، سواء كانت نصوصًا قرآنية أم لغوية أم شعرية أم نثرية، وقد استدلل علماء القرآن والأصوليون بنظرية السياق في فهم دلالة النصوص القرآنية¹. كذلك اهتم اللغويون العرب القدامى بالدرس الدلالي، وأصبح سمة تميز بحثهم اللغوي من غيره، فتوصلوا إلى نتائج علمية قيمة تندمج مع كثير مما توصل إليه الدرس اللغوي عند اللغويين المعاصرين في جوانب متعددة، كالتعميم التخصيص والترادف، والعلاقة بين اللفظ والمعنى، ودور السياق في تحديد دلالة هذه الألفاظ.

كما اهتم اللغويون العرب القدامى بدراسة المعنى على المستوى المعجمي وهو ما يهمننا في هذه الدراسة، والمستوى التركيبي ضمن علاقتهما بالقرائن السياقية.

ب- السياق لغة:

1 Ayat ALSALIH, **DİL DIŞI BAĞLAMIN GRAMATİK TARTIŞMA ÜZERİNDEKİ ETKİSİ ZEMAHŞERÎ, RÂZÎ VE EBÛ HAYYÂN ÜZERİNE BİR İNCELEME**, (DOKTORA TEZİ, DANIŞMAN: Prof. Dr. Ramazan KAZAN, SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ, TEMEL İSLAM BİLİMLERİ SÜLEYMAN DEMİREL ÜNİVERSİTESİ, 2022), S. 68.

السياق في اللغة من الجذر اللغوي "س. و. ق"، وهي مصدر "ساق - يسوق سوقًا - وسياقًا" وهو ما يدل على دلالة الحدث والتتابع¹. وقد ذكر التهانوي: "السياق في اللغة: الإيراد"²، وذكر الدكتور تمام حسان مؤكدًا وعن من السياق، هما "سياق النص" و "سياق الموقف"³.

ويعتبر مصطلح "السياق" من المصطلحات العصبية على التحديد الدقيق على الرغم من أنه يمثل أهم نظريات علم الدلالة "Semantic"⁴،

فالسياق هو الذي يحدّد دلالة الكلمة، وقد أشار العلماء قديمًا إلى أهمية السياق أو المقام، وذلك بقولهم: "لكلّ مقام مقال"، فالكلمة لا قيمة لها خارج السياق⁵. ويعرّف السياق بأنّه "المحيط اللغوي الذي تقع فيه الوحدة اللغوية، سواء أكانت كلمة أو جملة في إطار من العناصر اللغوية أو غير اللغوية"⁶. ما يعني أنّ السياق يهتم بالكلمة والجملة معًا، ويذهب إلى التّركيب اللغوي الذي يتكوّن من مجموعة من العناصر اللغوية الهدف.

كما أنّ للسياق دورًا كبيرًا في التفريق بين معاني "المشترك اللفظي"، فعن طريق السياق يمكننا تحديد دلالة الكلمة⁷.

-
- 1 ينظر ابن منظور، لسان العرب، مادة "سوق"، 2351/3.
 - 2 محمد بن علي التهانوي، كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم، 4/1.
 - 3 ينظر تمام حسان، قرينة السياق، (القاهرة: كلية دار العلوم "مطبعة عبيد للكتاب"، 1413هـ، 1993م)، ص 375.
 - 4 ينظر محمد يوسف حبّص، البحث الدلالي عند الأصوليين، (بيروت: مكتبة عالم الكتب، ط1، 1411هـ، 1991م)، ص 28.
 - 5 ينظر محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة "مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي"، (القاهرة: دار غريب، ط1، 1973م)، 33-36.
 - 6 فريد عوض حيدر، سياق الحال في الدرس الدلالي "تحليل وتطبيق"، (مصر: مكتبة النهضة المصرية، 1998م)، ص 29.
 - 7 ينظر غريد عوض حيدر، سياق الحال في الدرس الدلالي "تحليل وتطبيق"، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ط1، د.ت)، 30-35.

والذي يهمننا في هذا البحث تأثير السياق في دلالة الصيغة سواء كانت صرفية، أم معجمية، أم نحوية، أم بلاغية. وبعض الأبنية متفقة في الوزن، لكنها مختلفة في معناها المراد، فلا يحددها إلا السياق، فأسماء الزمان والمكان تأتي على وزن "مَفْعَل" بفتح العين، نحو: "مَذْهَبٌ - مَشْرَبٌ - مَخْرَجٌ - مَقْتَلٌ - مَكْتَبٌ" وفي موضع آخر تأتي بكسر العين على وزن "مَفْعِلٌ" فلا يمكننا أن نميز بينهما إلا بالسياق¹.

ونحن نعلم أنَّ هذه النظرية أصبحت واضحة عند اللغويين الغربيين في المدرسة اللغوية الاجتماعية، التي أسسها "فيرث" في بريطانيا، والمشهورة بمقولة "المعنى وظيفة السياق"؛ فقد قدمت لنا هذه المدرسة فكرة السياق بالمفهوم الذي تحدّد على يده، وأصبح نظرية دلالية متكاملة الجوانب²، وأخذ علماء الغرب يطورون من هذه النظرية حتى جاء اللغويون العرب المحدثون، وبدؤوا بالاهتمام بدراسة السياق بتأثير واضح من نظرية "فيرث" السياقية، ومن أخذ عنه العلم وتأثّر بنظريته السياقية تَمَّام حَسَّان، وكمال بشر، ومحمود السعران، وغيرهم، وكان ذلك واضحاً في مؤلفاتهم العلمية³.

ج- السياق عند البلاغيين:

درس البلاغيون السياق فكرة "مقتضى الحال" والعلاقة بين المقال والمقام، وقد ربط عبد القاهر الجرجاني فصاحة الكلمة بسياقها اللغوي والتركيب الذي ذكرت فيه، وأنَّ فصاحة الكلمة تأتي من السياق الذي ينظم الألفاظ لا من الألفاظ ذاتها، وأنَّ اللفظة لا قيمة لها في انفرادها ... وإنما في حال مجيئها في

1 ينظر درديد محمد أبو السعود، دلالة السياق وآثرها في الأساليب العربية، (أسيوط: مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط، العدد 7، سنة 1407هـ، 1987م)، 509-507.

2 ينظر نجاد الموسى، نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، (عمان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1981م)، 86-87.

3 ينظر د. تَمَّام حَسَّان، عن أستاذه "فيرث" مناهج البحث في اللغة، وشرحه لمصطلح "سياق الموقف" عند "فيرث" أو ما أسماه "الماجريات"، 251، ود. محمود السعران، علم اللغة "مقدمة للقارئ العربي"، (بيروت: دار النهضة العربية، د.ت)، 40.

السياق، حيث نلتمس ذلك في قوله: "وهل نلتمس أحدًا يقول: هذه اللفظة فصيحة، إلّا وهو يعتبر مكانها من النظم وحسن ملائمة معناها لمعاني جاراتها وفضل مؤانستها لأخواتها"¹.

فباختلاف المقام تختلف الحال، وتختلف صياغة الجملة بين التقديم والتأخير، فدلالة السياق تكتمل مع الصياغة ومراعاة المقام.

د- السياق عند الأصوليين:

يعد هذا الجانب الأهم في هذه الدراسة، وأكثرها ارتباطاً بها، وسيرتكز الحديث فيها على نظرة الأصوليين إلى السياق، فقد اعتمد علماء القرآن والتفسير في دراسة النص القرآني، وفهم دلالاته على السياق من جانبه، سياق النص وسياق الموقف، ونظروا إلى الآية القرآنية أو إلى مجموعة من الآيات على أنها جزء من نص متكامل وهو القرآن الكريم².

فقد رجعوا في فهم الآية القرآنية إلى القراءات القرآنية، كما اهتموا بعلم الوقف والابتداء والوصل والفصل، وهي من عناصر السياق اللغوي، واهتموا أيضاً بأسباب النزول، وهو ما يسمى بسياق الموقف³.

هذه النظرة كليّة من جهة النصّ القرآني، وهم يشتركون - إلى حدّ ما - مع ما ذهب إليه الجرجاني في نظرية النّظم، وارتباط النصّ بعضه ببعض في نسق متكامل.

هـ- السياق عند علماء الفقه:

1 عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: د. محمد رضوان الدّاية، ود. فايز الدّاية، (دمشق: مكتبة سعد الدين، ط2، 1407هـ، 1987م)، 115.

2 ينظر آيات إسماعيل الصالح، التأثير والتأثير بين التأويل النحوي والمعنى في تفسير البحر المحيط لأبي حيّان، (سورية: رسالة ماجستير، جامعة حلب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، 2014م)، ص 70، وفتحي علم الدين ثابت، أثر السياق في مبنى التركيب ودلالاته، "دراسة نصية من القرآن الكريم"، (حلب: دار الفرقان، 1994م)، ص 79 - 80.

3 ينظر فتحي علم الدين ثابت، أثر السياق في مبنى التركيب ودلالاته، ص 86.

اعتمد علماء الفقه على السياق في بيان معاني النصوص الشرعية، فقد كانوا يرون أنَّ العودة إلى قرائن السياق من أهم الوسائل لتحديد المعنى، وركزوا على القرائن اللفظية. والقرائن المقامية، حيث اهتموا بالأثر الذي تؤدي إليه هذه القرائن في تحديد دلالة النص¹، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿فَسَاوُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنِّي شِئْتُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، وهذا الأمر يقتضي الإطلاق والتخيير؛ أي: كيف شئتم، وعلى الوضع الذي تحبونه قاعدة أو مضطجعة أو على الجنب بشرط أن يكون المأثى واحد، فزال هذا الإشكال بالتأمل في سياق الآية الكريمة². ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ يَمْرَيْمُ أَنَّى لَكَ هَذَا﴾ [آل عمران: ٣٧]؛ أي: كيف صار لك هذا، وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ [مريم: ٨]. وقد ذكر حافظ الدين النسفي أنَّ السياق المقالي في هذه الآية الكريمة له دور كبير في الكشف عن دلالة اللفظة "أَنَّى" التي أعطت للنص غموضاً دلاليّاً، وهذا السياق المقالي هو كلمة "الحَرْث"³.

المطلب الثاني: السمين الحلبي وتفسيره الدُّر المصون

يعتبر علم تفسير القرآن الكريم من العلوم التي اجتهد فيها علماء الأمة في مختلف أقطارها، ومن بين هؤلاء العلامة أبو العباس السمين الحلبي في تفسيره الدُّر المصون في علوم الكتاب المكنون. وسأعرض في هذا المبحث ترجمة السمين الحلبي من أجل التعرف على الحياة العلمية والشخصية التي عاشها، ثم نذهب سائطرق إلى تفسيره الدُّر المصون للبحث في المنهج الذي صار عليه في عرض مادته التفسيرية، والقيمة العلمية لهذا التفسير.

1 ينظر محمد يوسف حبلى، البحث الدلالي عند الأصوليين، ص 12.

2 ينظر أبو البركات النسفي، كشف الأسرار، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1406هـ، 1986م)، 1/217 - 218.

3 ينظر محمد يوسف حبلى، البحث الدلالي عند الأصوليين، 54 - 58.

أولاً: التعريف بالسمين الحلبي:

- اسمه ونسبه:

هو أحمد بن يوسف بن محمد بن مسعود أبو العباس الحلبي بن عبد الدائم بن محمد الحلبي شهاب الدين المقرئ، المعروف بالسمين النحوي نزيل القاهرة وكبير إمامها¹.

- لقبه وكنيته:

يلقب بالسمين الحلبي، ويكنى بأبي العباس².

- مولده ومذهبه:

ولد السمين الحلبي في مدينة حلب، وينسب إليها، شافعي المذهب³.

ثانياً: حياته العلمية:

نشأ السمين الحلبي في حلب، وأخذ العلم من شيوخها إلا أنه لم يستقر فيها، فقد بدأ حياته العلمية في مصر وعاش بها فترة من الزمن، وفي هذه الفترة صار فيها ذا واجهة، وذاع اسمه في الوسط العلمي⁴.

ثالثاً: مناصبه العلمية:

تولّى السمين الحلبي عدداً من المناصب، وأسند إليه الكثير من الأعمال، أبرزها:

1 ينظر شمس الدين الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ط1، د.ت)، 152/1؛ وابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنه في أعيان المائة الثامنة، (الهند: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، ط2، 1392 هـ، 1972م)، 402/1 - 403، جلال الدين السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، (مصر: دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط1، 1387هـ، 1967م)، 537/1.

2 ينظر محمد بن علي الداوودي، طبقات المفسرين، راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، 101/1.

3 ينظر عبد الرحيم الإسنوي، طبقات الشافعية، (بغداد: رئاسة ديوان الأوقاف، 1390هـ، 1970م)، 289/1.

4 ينظر السمين الحلبي، الدرر المصون، تح: د. أحمد محمد الخراط، (دمشق: دار القلم، د.ت)، مقدّمة التحقيق، 8/1.

1- درّس القراءات والنحو بالجامع الطولونيّ، والإعادة بالشافعي بمصر.

2- ناب في الحكم بالقاهرة.

3- ولي إدارة الأوقاف.

قال الإسنوي في طبقات الشافعية: "كان فقيهاً بارعاً في النّحو، والتفسير، وعلم القراءات، يتكلم في الأصول، خيرًا، دينًا"¹.

رابعاً: شيوخه:

أخذ العلم عن مجموعة كبيرة من شيوخ وعلماء الأمة الإسلامية، أبرزهم:

1- التقي الصائغ: (636 – 725 هـ)

هو شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الخالق المصري شيخ القراء في عصره، قرأ على الكمال الضير، والكمال إبراهيم بن فارس، وقدمت إليه الطلبة من أقطار الأرض لانفراده بالقراءة دراية ورواية، وكان فقيهاً شافعيًا مُشاركًا في فنون أخرى²، وأخذ عنه السمين الحلبي القراءات ووليّ تدريسها³.

2- يونس الدبوسي: (635 – 727 هـ)

هو يونس بن إبراهيم بن عبد القوي بن قاسم بن داود الكناني العسقلاني، ثمّ المصري أبو النون الدبوسي، ويقال الدبابيسي ولد سنة 635 هـ، وأسمع على أبي الحسن ابن المقير يسيرًا، فكان آخر من

1 ينظر عبد الرحيم الإسنوي، طبقات الشافعية، 288/1.

2 ينظر جلال الدين السيوطي، حُسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، 508/1.

3 ينظر ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنه في أعيان المائة الثامنة، 402/1.

تحدث عنه بالسمع والإجازة، مات سنة تسع وعشرين وسبعمائة في جمادى الأولى، وقد جاوز التسعين من عمره¹، وسمع عنه السمين الحلبي الحديث².

3- أبو حيان الأندلسي: (654 - 745 هـ)

هو الإمام أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي الغرناطي الشافعي عالم الديار المصرية، وصاحب التصانيف البديعة، نحوي عصره ولغوئيه ومفسرته، ومحدثه، ومقرئه، ومؤرخه، وأديبه، له اليد الطولى في التفسير والحديث، وتراجم الناس، ومعرفة طبقاتهم خصوصاً المغاربة منهم، فقد أقرأ الناس قديماً وحديثاً، وألحق الصغار بالكبار، وصارت تلامذته أئمة وشيوخاً³، وقرأ عليه السمين الحلبي النحو، فبرع فيه ولازمه إلى أن فاق أقرانه⁴.

4- العشّاب: (644 - 729 هـ)

هو أحمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن يوسف الفقيه الأديب المحدث أبو العباس المرادي القرطبي المشهور بالعشّاب، روى القراءات من التيسير عن عبد الله بن يوسف بن عبد الأعلى الشبارقي صاحب الحصار، ألف تفسيراً صغيراً، وكتاباً في المعاني والبيان⁵ قرأ عليه السمين الحلبي الحروف بالإسكندرية⁶.

1 ينظر أبو الطيب المكي، ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، تح: كمال يوسف الحوت، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1410 هـ 1990م)، 335/2، وابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، 259/6

2 ينظر صلاح الدين الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، تح: د. علي أبو زيد؛ ود. نبيل أبو عشمه؛ د. محمد موعده؛ ود. محمود سالم محمد؛ وقدم له مازن عبد القادر المبارك، (بيروت: دار الفكر المعاصر، ودمشق: دار الفكر، ط1، 1418 هـ، 1998م)، 441/1.

3 ينظر شمس الدين الذهبي، المعجم المختص بالمحدثين، تح: محمد الحبيب الهيلة، (الطائف: مكتبة الصديق، ط1، 1408 هـ، 1988م)، 267، وابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: محمود الأرناؤوط، (دمشق: دار ابن كثير، ط1، 1406 هـ، 1986م)، 251/8، وجلال الدين السيوطي، حُسن المحاضرة، 534/1.

4 ينظر ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، 403/1، وشمس الدين الداوودي، طبقات المفسرين، 102/1.

5 ينظر صلاح الدين الصفدي، الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط، وتركبي مصطفى، (بيروت: دار إحياء التراث، ط1، 1420 هـ، 2000م)، 209/7، وشمس الدين الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، 100/1.

6 ينظر المصدر نفسه، 100/1.

خامسًا: تلاميذه:

لم يتلقَّ العلم على يد السمين الحلبي إلا القليل؛ فلم تذكر له كتب التراجم شيئًا عن تلاميذه، إلا ما ذكره صاحب الدرر الكامنه في معرض الحديث عن ابن قدامة المقدسي، قائلًا: "أنه سُمِعَ من عبد الدائم"¹.

سادسًا: آثاره العلمية:

خلف السمين الحلبي مصنفات عديدة ومتنوعة في شتى العلوم، منها:

1- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون؛ يقع في أحد عشر مجلدًا. وهو موضوع الدراسة.

2- تفسير القرآن.

3- شرح تسهيل الفوائد لابن مالك في النحو.

4- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ في غريب القرآن².

5- العقد النضيد في شرح القصيد.

6- القول الوجيز في أحكام الكتاب العزيز.

7- شرح الشاطبية في القراءات. قال ابن الجزري عنه: لم يسبق إلى مثله³.

1 ينظر السمين الحلبي، مقدمة تحقيق الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، 9/1، وابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنه في أعيان المائة الثامنة، 620/1.

2 ينظر صلاح الدين الصفدي، أعيان العصر وأعوام النصر، 441/1؛ والأسنوي، طبقات الشافعية، 19/3، وابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، 152/1.

3 ينظر إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، (إستانبول: وكالة المعارف الجليلية، 1951م)، 111/1، وابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، 152/1.

سابعاً: وفاته:

توفي السمين الحلبي في جمادى الآخرة، وقيل في شعبان سنة ست وخمسين وسبعمائة بالقاهرة¹.

المطلب الثالث: التعريف بتفسيره الدر المصون في علوم الكتاب المكنون:

أولاً: وصف الكتاب:

اختلفت كتب التراجم والفهارس في تسميته، فبعضهم يسمونه "الدر المصون"، وآخرون يسمونه: "إعراب القرآن"، وفريق ثالث يسميه: "الدر المصون في علوم الكتاب المكنون"، وعدّه صاحب "كشف الظنون" ضمن التفاسير المتعلقة بإعراب القرآن²، وأدق هذه التسميات ما ذكرها السمين الحلبي نفسه في مقدمة تفسيره، حيث قال: "... وسميته بـ "الدر المصون في علوم الكتاب المكنون"³. وقد اتفقت كتب التراجم على أنّ المؤلف فرغ من تأليفه في أواسط رجب، سنة أربع وثلاثين وسبعمائة⁴.

ثانياً: سبب التأليف:

ذكر السمين الحلبي - رحمه الله عليه - في مقدمة تفسيره أنّه لا بدّ من وضع مصنف في التفسير يجمع بين العلوم الخمسة المتمثلة في علم الإعراب، وعلم التصريف، وعلم المعاني والبيان⁵. وبين أنّ هذه العلوم مهمة لفهم وتدبر معاني القرآن؛ فهي مرتبطة بعضها مع بعض، وقد عدّها من فئة وجهين لعملية

1 ينظر ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، 1/152، والأسنوي، طبقات الشافعية، 3/19، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، 8/307.

2 ينظر ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، 1/152؛ جلال الدين السيوطي، طبقات المفسرين، تحقيق: علي محمد عمر، (القاهرة: مكتبة وهبة، ط1، 1396 هـ)، 1/101؛ وحاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1941م)، 1/81.

3 السمين الحلبي، الدر المصون، المقدّمة، 1/46.

4 ينظر حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، 1/81.

5 ينظر السمين الحلبي، الدر المصون، المقدّمة، 1/46.

واحدة، فقد ذكر على هذا المنوال في كتابه: "من عرف كون هذا فاعلاً أو مفعولاً أو مبتدأ، ولم يعرف كيفية تصنيفه ولا اشتقاقه، ولا موقعه من النظم لم يحلُّ بطائل ... " ¹.

ثالثاً: منهجه:

اعتنى السمين الحلبي في تفسيره بجميع العلوم اللغوية، وما يتعلّق بها من مسائل وقضايا لغوية، كما اهتمّ بالقراءات القرآنية وإعرابها للكشف عن الدرر الكامنه في كتاب الله العزيز ².

من يطلع على تفسير السمين الحلبي يجده يذكر بعض الألفاظ أو لفظة من الآية فيقول مثلاً: ﴿طه﴾ ³، ثمّ يمضي مع هذه اللفظة من جانب اللغة والاشتقاق والمعنى، وما تحمله من دلالات في الآية وخارجها، ويدعم عرضه بالشواهد، ثمّ يعرض قراءتها على نحو مجمل، ثمّ يناقش كل قراءة وما اختار من تخرجات فيها، ثمّ يعربها ويبين أقوال العلماء وآراءهم فيها ⁴.

اعتنى السمين الحلبي في تفسيره باللغة، حيث بيّن معنى اللفظة وما يقاربها من دلالات، ومعانٍ، واستشهد على ذلك بما ورد في كلام العرب من شعرٍ وآراء لعدد من العلماء والمفسرين لينتقل بعد ذلك إلى عرض ما تتضمنه اللفظة من تصنيفات واشتقاقات ⁵.

1 ينظر الحلبي، الدر المصون، 45/1 - 46.

2 المصدر نفسه 46/1.

3 طه: 1.

4 ينظر السمين الحلبي، الدر المصون، 20/1.

5 ينظر السمين الحلبي، الدر المصون، 63/1 - 67 - 75 - 120 - 127 - 603.

ولم يهمل السمين الحلبي النحو؛ إذ شغل حيزًا واسعًا في تفسيره تجلّى من خلال إعرابه مفردات الآية والوصول بها إلى المعنى الصحيح، ويتضح بها المقصود¹، وكما اهتم السمين الحلبي باللغة والنحو في تفسيره، فقد اهتم أيضًا بعلم البلاغة والبيان².

أمّا موقفه من القراءات، فقد بيّن السمين الحلبي في تفسيره طريقة عرضه للقراءات المشهورة منها والشاذة؛ حيث قال: "إني تعرضت للقراءات المشهورة والشاذة، وما ذكر الناس في توجيهها، ولم أترك وجهًا غريبًا من الإعراب، وإن كان واهيًا، ومقصودي من ذلك التنبيه على ضعفه حتى لا يغترّ به من اطّلع عليه"³. إذاً هو بسرد جميع أوجه القراءات الواردة وينسبها إلى أصحابها في بعض الأحيان سواء المتواترة أو الشاذة منها، لينتقل بعد ذلك إلى توجيه القراءة، ومناقشة أقوال المعربين والمفسرين فيها معلقًا على كل وجه منها؛ إمّا اعتراضًا أو تأييدًا أو الخروج برأي خاص.

رابعًا: أهم المصادر التي اعتمد عليها السمين الحلبي في تفسيره:

انقسمت المصادر التي اعتمد عليها السمين الحلبي في تفسيره إلى مصادر أساسية اعتمد عليها كثيرًا في استشاداته، ومصادر ثانوية كان يأخذ عنها أحيانًا.

أ- المصادر الأساسية:

1- كتاب البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي (ت 745هـ).

2- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (ت 542هـ).

1 ينظر السمين الحلبي، الدرر المصون، 120/1.

2 المصدر نفسه 75/1.

3 المصدر نفسه 46/1.

3-الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري (ت 538هـ).

4-كتاب إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس (ت 338هـ) ومعاني القرآن للفراء (ت 207هـ).

• المصادر الثانوية:

1- تفسير مفاتيح الغيب للرازي (ت 606هـ).

2- جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (ت 310هـ).

خامساً: القيمة العلمية لتفسير الدر المصون:

يعتبر كتاب الدر المصون من التفاسير المهمة التي ألفت في عصر السّمين الحلبي رحمة الله عليه، فقد ذكر صاحب كتاب كشف الظنون أنّ تفسير السمين الحلبي يظلّ - مع اشتماله على غيره - أجلاً ما صنف في (علم إعراب القرآن) لجمعه العلوم الخمسة: الإعراب - والتصريف - واللغة - والمعاني والبيان¹. وقد ذكر السيوطي (ت 911هـ) في كتابه الإتقان في مصنفات إعراب القرآن، بينها "الدر المصون" قائلاً: "والسمين وهو أجملها"².

يشكّل الدر المصون موسوعة علمية ضخمة جمعت الكثير من آراء السابقين، فقد اهتم في مصنفه بالجانب اللغوي بشكل كبير أو غالب، فقد ذكر مؤلفه الآراء المختلفة في الإعراب، إضافة إلى شرح المفردات اللغوية، وأوجه القراءات القرآنية، كما أنّه ذكر العديد من الإشارات البلاغية، وتناول في تفسيره العديد من الشواهد العربية.

1 ينظر خليفة الحاجي، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، 81/1.

2 ينظر جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ، 1974م)، 309.

ومن أهم الآراء التي ذكرها في تفسيره آراء شيخه صاحب كتاب البحر المحيط، وآراء الكشاف، وآراء أبي البقاء في كتابه التبيان في إعراب القرآن، وغيرهم كثير، فقد أخذ من كل بستان زهرة ليكون تفسيره جامعاً مانعاً في مجال علم الإعراب خاصة، والتفسير اللغوي عامة، ومما يبرز مكانة الدر المصون تأثير مجموعة من المفسرين، والنحاة واللغويين به، ومن بينهم: شهاب الدين الحفاجي (ت 1069هـ).

هذه الأهمية تظهر مكانة الكتاب بين أقرانه من الكتب، وتؤكد الحاجة المعرفية إلى دراسته، والتعريف إلى مضمونه، ومحتواه.

الفصل الأول: الدلالة المعجمية للصيغة الاسمية عند السمين الحلبي

المبحث الأول: صيغ المصدر في القرآن الكريم

المصدر هو "اسم الحدث الجاري على الفعل"¹، ويدل المصدر على الحدث مجرداً من الزمان والمكان والشخص². ومن أهم صيغه في القرآن الكريم:

الصيغة الأولى: فَعَلَ:

تضمّن القرآن عدداً غير قليل من المصادر التي جاءت على هذا الون، ومنها (سَوَّء - صَوَّم - كَرِهَ - وَعَدَ - نَفَسَ - قَتَلَ - كَرَبَ - نَحَرَ - مَوَتَ - فَضَلَ.....)

أ - سَوَّء:

تحمل هذه اللفظة أوجهاً متعدّدة من المعاني والدلالات، وتحدّد دلالتها بحسب السياق الذي تجيء فيه، كما أنّ ثمة فرقاً واضحاً بين المعاني التي تكون لها. وقد ذكر فسر السمين الحلبي أنّ هذه اللفظة

1 جمال الدين ابن هشام، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تحقيق: عبد الغني الدقر، (سورية: الشركة المتحدة، د.ت)، 419.

2 ينظر خالد بن عبد الله الأزهرى، شرح التصريح على التوضيح، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، 3/2.

جاءت في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿فَأْتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَمْرِئٌ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا ٢٧﴾^١ يَتَأَخَّتْ هَلُورُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءًا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ٢٨﴾ [مَرْيَم: ٢٧ - ٢٨] على سَنَةِ أَوْجِهٍ مِنَ الْمَعَانِي "الزنا، الهلاك، الخزي، العورة، القبيح المذموم، الفاسد، المرض". وهي عنده بالفتح مصدر. يقال: سَوَّته سوءًا ومساءة وسوائية ومسائية، وهو الفساد والرداءة، وبالضم الهزيمة والبلاء والضرر^١، والذي يدل على ذلك سياق الآية فقد وردت في الآية الكريمة قرينتان ترجحان هذا المعنى الدلالي، وهما:

1- القرائن اللفظية: (فريًّا - بغيًّا - أخت هارون)²، فقد ذكر السمين الحلبي أن كلمة "فري" على وزن "فعليل" من الفرية، ويرادُّ به الزنا؛ لأنَّ ولد الزنا كالمفترى المختلق؛ لأنَّ الزانية تدَّعي إلحاقه بمن ليس أباه³، أمَّا البَغِيَّةُ: فهو وصف للزانية⁴، وأخت هارون كذلك تدل على معنى الزنا؛ لأنَّهم نسبوها إلى هارون، وهو رجل فاجر من قوم سوء زناة⁵، ونَسَبُهُمْ مريم عليها السلام إليه يعنون به أنَّها شبيهة لهذا الرجل بالفعل السيِّئ.

1 ينظر السمين الحلبي، الدر المنصون، 106/6.

2 اختلف الناس في شخص هارون؟ فقيل: "كان رجلًا صالحًا في بني إسرائيل شبهت به في عفتها وصلاحتها وليس المراد منه الأخوة في النسب. وقيل: بل كان في زمنها رجل فاجر اسمه هارون فنسبها إليه على جهة التعبير والتوبيخ. فقد عُرِضَ هذا الإشكال على النبي ﷺ وأجاب عنه بهذا الجواب، فقد أخرج الإمام مسلم عن المغيرة بن شعبه قال: لما قَدِمْتُ نَجْرَانَ سَأَلُونِي، فَقَالُوا: إِنَّكُمْ تَقْرَأُونَ "يَا أُخْتُ هَارُونَ"، وَمُوسَى قَبْلَ عِيسَى بِكَذَا وَكَذَا فَلَمَّا قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: "إِنَّهُمْ كَانُوا يَسْمَوْنَ أَبْنِيائَهُمُ الصَّالِحِينَ قَبْلَهُمْ". ينظر محمد علي طه الدر، تفسير القرآن الكريم وإعراجه، دمشق: دار ابن كثير، ط1، 1430هـ، 2009م، 585/5، وعبد المحسن بن زيد المطيري، دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر، (القاهرة: رسالة دكتوراه، كلية دار العلوم)، قسم الشريعة الإسلامية، (بيروت: دار البشائر الإسلامية، ط1 1427هـ، 2006م)، 359 - 360.

3 محمد المختار الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (بيروت: دار الفكر، 1415هـ، 1995م)، 413/3.

4 ينظر الحسين ابن الفراء، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تح: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1420هـ)، 194/3؛ وأبو البركات النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، حققه وخرَّج أحاديثه: يوسف علي بدوي، راجعه وقَدَّم له: محيي الدين ديب مستو، (بيروت: دار الكلم الطيب، ط1، 1419هـ، 1998م)، 35/3، وسراج الدين الحنبلي، الباب في علوم الكتاب، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1419هـ، 1998م)، 54/12.

5 ينظر جلال الدين السيوطي، الدر المنثور، (بيروت: دار الفكر، د.ت)، 508/5، ومحمد الأمين بن محمد المختار بن الجكني الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، 413.

فمجموعة هذه القرائن اللَّفْظِيَّةُ هي التي سَوَّغَتْ للمصنِّف حمل اللَّفْظِ "سوء" على هذا المعنى "الزَّنا"، والذي يظهر للباحث أنَّ هذه القرائن سَوَّغَتْ له ذلك مجتمعةً لا مفردة، بمعنى أنَّ قرينة من هذه القرائن ليست كافية لأن يحكم على معنى سوء بـ "الزنا"، بل اجتماع الفري إلى البغي إلى أخت هارون.

2- قرينة المعنى: معنى السَّوء هو نعت لكل شيء رديء، ويقال: "سَاءَ يسوء لازم ومجاوز، وساء الشيء قبح"¹، إذ إنَّ المعنى اللغوي للسَّوء يدل على العمل القبيح، والزنا من أقبح الأعمال.

فالفري عند السمين الحلبي مأخوذ من فريت الجلد إذا قطعته وهو كل ما هو خارق للعادة، والمراد به هنا أنَّها جاءت بولدها عن طريق غير شرعي، واستدلَّ السمين الحلبي على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 156]، فالبهتان الباطل من القول أو العمل، وهو الزنا والدليل على ذلك أن مرادهم بعد ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ﴾ [مريم: 28]. فكل امرٍ فائق من عجب أو عمل فهو فري، وقد استدل على ذلك بقوله ﷺ: (فلم أرَ عبقرئاً من النَّاسِ يفري فريه)²، أي يعمل عمله، والذي يدل على هذا المعنى أيضاً قوله تعالى في سياق كتابه العزيز في قوم لوط: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سَيِّئًا بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ [هود: 77] فسياق الآية في قوله تعالى: ﴿سَيِّئًا بِهِمْ﴾ دال على الرداءة والفساد؛ أي: حصل لي سوء بسبب مجيئهم، لأنه خاف عليهم من قومه بسبب ما يفعلونه من رداءة وفساد، والدليل على ذلك سياق الآية الكريمة، فقد جاءت لفظة ﴿بهمْ﴾ متعلق به؛ أي: بسببهم، بسبب فحش أعمالهم، وفساد أخلاقهم، ونجد هذا المعنى عند القرطبي حيث قال: "يقال: ساء يسوء فهو لازم، وساءه يسوءه فهو متعلِّد أيضاً، وإن شئتَ ضممتَ السين، لأنَّ أصلها الضَّمُّ، والأصل

1 الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تح: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، د.ت)، مادة "سوء"، 327/6.

2 محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تح: د. مصطفى ديب البغا، (بيروت: دار ابن كثير، دمشق: دار اليمامة، ط 5، 1414هـ، 1993م)، 1329/3.

سوءٌ بهم من السوء، قلبت حركة الواو على السين فانقلبت ياء، وإن خففت الهمزة ألقيت حركتها على الياء فقلت: "سي بهم" مخففاً، ولغة شاذة بالتشديد¹.

وقال تعالى: ﴿ضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ أي ضاق بمجيئهم قلبه، لِمَا رَأَى لَهُمْ مِنْ جَمَالٍ، وقال: ﴿وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ أي يوم شديد كثير الشر²، وقد جاء من كلام العرب لتأكيد هذه الدلالة قولهم: "بات فلان بكينة سوء"؛ أي: بحالة من الرذالة والفساد والهلاك، وقولهم: "بات فلان بحوبة سوء" فالحوباء، هي النفس المرتبكة للفساد والهلاك، وهي الموصوفة بقوله تعالى: ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِيَّ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ [يوسف: ٥٣] ومن الشعر ما يؤكد دلالة هذه المعنى عند السمين الحلبي قول الشاعر: [من الطويل]

وَكُنْتُ كَذِبِ السُّوءِ لَمَّا رَأَى دَمًا بِصَاحِبِهِ يَوْمًا أَحَالَ عَلَى الدَّمِ³
وقد ذكر السمين الحلبي في تفسير دلالة هذه الآية أَنَّ كلمة "سوء" جاءت في هذه الآية دالة على الفساد بما فيه الزنا والفُحْش، فمن فتح السين معناه الفساد والرذالة والذم، وهو مصدر يطلق على ما يذكر، وقد أجمع القراء على الفتح في قراءة قوله تعالى: ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السُّوءِ﴾ [الفتح: ٦] وقوله تعالى: ﴿يَتَأَخَذَ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءًا وَمَا كَانَتْ أُمْلُكَ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٨]

1 أبو عبد الله القرطبي، تفسير القرطبي، 74/9.

2 السمين الحلبي، الدر المصون، 360/6.

3 أبو الفتح البستي، ديوان أبي الفتح البستي، تح: دريَّة الخطيب، ولطفي الصَّغَّال، (دمشق: مجمع اللغة العربية، 1410هـ، 1989م)، ص 296. وينسب إلى الفرزدق.

هذه القراءات تعضد رأي السمين وتقوّيه، كما أن ظاهر النصّ والسياق الذي ورد فيه لا يشير إلّا إلى المعنى الذي أوردّه المؤلّف، وهو إرادة الدّم والفساد بكلّ أنواعه، ولكن لا يوحي بشكلٍ أو بآخر إلى الرّنا، وإن كان من أعلى درجات الفساد، ولا سيّما في الآية الأولى.

ولا يليق ذكرُ العذاب بهذين الموضعين، فالمضموم: العذاب، والمفتوح ذمٌّ لدائرة فنقول: رجلٌ سوءٌ في نقيض رجل عدل، لأنّ من دارت عليه يذمُّها، فهي من باب إضافة الموصوف إلى صفته، فوصفت في الأصل بالمصدر مبالغةً، ثمّ أضيفت إلى صفتها¹.

ف"السُّوء" بالضمّ، هو كل ما يطرأ على الإنسان من مصائب في أمور الدنيا والآخرة كالمرض والضرر والعذاب، ففي قوله تعالى: ﴿بَيِّضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ [طه: 20]، وقوله تعالى: ﴿وَأَضْمُمُ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيِّضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ؕ آيَةً أُخْرَى﴾ [طه: ٢٢]، وقوله تعالى: ﴿أَسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيِّضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ [القَصص: ٣٢] أفادت لفظة "سوء" دلالةً معني المرض والضرر، كناية عن البرص لما فيه من ضرر لصاحبه².

لهذا قُبِلَ بالحسن والدليل على ذلك سياق الآية، كما استدل السمين الحلبي في دلالته على رأي أبو حيان في تفسيره لقوله تعالى: ﴿تَخْرُجُ بَيِّضَاءَ﴾ أي شفافة مضيئة لا عيوب فيها كأثاف شمّس، والسُّوء هنا ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ القبح والرداءة في كل شيء، فكُنِيَ بها عن البرص، باعتباره أبغض شيء إلى العرب، وكانوا ينفرون منه فجاءت لفظة ﴿من غير سوء﴾ متعلق ببيضاء، أي كأنّه أراد القول: ابْيَضَّتْ من غير

1 ينظر المصدر السابق، 106/7-107.

2 ينظر المصدر السابق، 27/8.

سوء، فهي موضع نعت لبيضاء، وهي من باب الاحتراز، كما ذكر أهل البيان هو أن يؤتى بشيء يرفع توهماً، فلو اقتصر على قوله: ﴿بيضاء﴾ لأوهم أنه من برص أو بقر¹.

وذكر في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُّ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمُ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٩٨]، قرأها ابن كثير، والباقون بفتح السين، وكلاهما عليهم دائرة الهلاك والعذاب، والسوء: الرداءة، وقد استند السمين الحلبي في رأيه على قول سيبويه: مررت برجل سوء، ليس من سوءته، وإنما بمعنى: مررت برجل فساد².

فالسوء في هذه الآية عند السمين الحلبي يدل على الهلاك والدمار والفساد³، وقد استدل على ذلك بسبب نزول هذه الآية، حيث نزلت في أعراب أسد وغطفان وقيم، فقد كانوا يتخذون ما يؤخذ منهم من الصدقات، وهي عبارة عن جزية أو ما يقربها رياء، والذي يدل على ذلك قوله تعالى في سياق الآية: ﴿يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا﴾، فالمغرم هو الخسران، وهو إلزام ما لا يلزم، وهو الهلاك لأنه سيئة، ومنه الغريم للزومه وإلحاحه⁴، والذي يؤكد ذلك المعنى السياق القرآني في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥] وأيضاً قوله تعالى: ﴿وَيَتَرَبَّصُّ بِكُمُ الدَّوَائِرَ﴾ [التوبة: 98]، فالتربص: الانتظار، والدوائر: هي المصائب التي لا نهاية ولا مخلص منها تحيط بصاحبها كما تحيط الدوائر، وهي مصدر، ويجوز أن تكون صفة، والأقرب للمعنى كونها صفة، وهي دوران المصائب،

1 ينظر أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، تح: صدقي محمد جميل، (بيروت: دار الفكر، ط 1، 1420هـ)، 325/7.

2 ينظر أبو الفتح البستي، ديوان أبي الفتح البستي، 3256/5.

3 ينظر السمين الحلبي، الدر المصون، 106/6.

4 ينظر السمين الحلبي، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تح: محمد باسل عيون السود، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1996م)، 364/1.

وانقلاب النعم، فهي من باب إضافة الموصوف إلى صفته¹. وقد استدلّ على هذا المعنى بقول الشاعر:

[من الطويل]

تَرَبُّصٌ بِهَا رَيْبُ الْمُنُونِ لَعَلَّهَا تُطَلَّقَ يَوْمًا أَوْ يَمُوتُ حَلِيلُهَا²

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَدَجِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [إبراهيم: 6].

يراد بسوء العذاب في كل المواضع السابقة أشدُّه وأفظعه³، مع ملاحظة الاختلاف في صورة نظمها، ولكنها حافظت على معناها الدلالي، وهو سوء العذاب بجميع أنواعه، فقد عبّر عنه بالقتل مرّة وبالذبح مرّة أخرى، والحرق والجلد والأعمال الشاقة والخنق والإغراق، والذي يؤكد نوع هذا العذاب لتحديد مدى السوء فيه سياق الآية، قال تعالى: ﴿إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ﴾ جاءت "إذ" هنا معطوفة على "اذكروا نعمتي"، وفي هذا السياق تذكير ببعض النعم التي أنعمها عليهم الله وحفظهم، بحفظ أبنائهم من بطش فرعون؛ ذلك أنّ نجاة الآباء سبب في نجاة من كان الله يخاطبهم فالناجي من خرج من ضيق حال إلى سعيته وهو التوحيد، واختلف القول في تفسير آل فرعون هل هم قومه الذين كانوا يتصفون بسوء المعاملة وقسوة القلب، أو نجاهم من دينه، والذي أراه الأقرب للمعنى تفسيرهم إل فرعون قومه وأتباعه حيث كان يتّصف في ذلك الزمان كل عاتٍ فرعون، والعتاه الفراعنة، وقد تفرعن أي صار ذو دهاء ومكر لما كانوا يتصفون به من قسوة، فقد روي أنّ فرعون جعل بني إسرائيل خدماً وخولا مصنفون في أعمالهم، فصنف

1 ينظر السمين الحلبي، الدر المنصون، 105/6 – 106.

2 البيت للشاعر فراس الأزدي. الرّاغب الأصبهاني، محاضرات الأدباء، (بيروت: مكتبة الحياة، د.ت)، 210/2.

3 [البقرة: 49]، و[الأعراف: 141]

يننون وصنف يحرثون وصنف يزرعون ... وكان قومه جندا وملوكا ومن لم يكن في هذه الأعمال فرضت عليه الجزية، ذلك "سوء العذاب"، والدليل على ذلك سياق الآية في قوله تعالى: ﴿وَيَذَّبَحُونَ﴾ هذه اللفظة جاءت معبرة لما قبلها لأنَّ الذبح في هذه الآية جاء متكرر، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿يسومونكم﴾ أي يديمون تعذيبكم، والسوم الدوام، ومنه: سائمة الغنم لداومتها على الرعي فهي في موضع نصب على الحال، أي سائمين لكم، فالذبح نوع من دوام العذاب، واستدل على ذلك بقول عمرو بن كلثوم: [من الوافر]

إِذَا مَا الْمَلِكُ سَامَ النَّاسَ حَسَنًا أَبَيْنَا أَنْ نُقَرَّ الدُّلَّ فِينَا ¹

وجاءت لفظة ﴿وَيَذَّبَحُونَ﴾ في هذا السياق بالواو دليلاً على أنَّ العذاب إنما يكون بالذبح وغيره، وبالتشديد على الكثير، وفيه دلالة على جميع أنواع العذاب بالذبح، فالذبح يعني الشَّقَّ، والذبح: تشقُّق في الأصابع². ومن ذلك قول الشاعر: [من الرجز]

كَأَنَّ بَيْنَ فَكِّهَا وَالْفَكِّ فَأَرَةً مِسْكٍ ذُبِحَتْ فِي سَكِّ ³

وقد استند السمين الحلبي في تفسيره عبارة "فسوء العذاب" على رأي أبي حيان في تفسيره لهذه اللفظة "أشده وأصعبه إستناداً على سياق الآية، فجملة "يسومونكم" دلت فيها السوم على معنى التكليف أو الإبلاء، فيكون "سوء العذاب" مفعولاً ثانياً لسام، أي يكلفونكم سوء العذاب، وذلك إمَّا بالإرسال أو الإدامة أو التصريف في الأعمال الشاقة، وهذا دليل على أنَّ الأعمال الشاقة لكثرة مزاولتها تترك علامة في

1 عمرو بن كلثوم، ديوانه، تح: إميل يعقوب، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط 2، 1416هـ، 1996م)، ص 90. وهو من أبيات المعلّقة.

2 ينظر السمين الحلبي، الدرر المصون، 345/1.

3 عبد القادر البغدادى، خزنة الأدب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط 4، 1418هـ، 1997م)، 468/7. وينسب إلى رؤية بن العجاج.

جلودهم وملابسهم والذي يؤكد ذلك السياق، فالوضع الذي حذفت فيه الواو جاء تفسيرا لصفات العذاب أما الوضع الذي ذُكر فيه الواو في سورة إبراهيم هذا دليل على أن مسهم عذاب غير الذبح¹، وقد اتفق المفسرون والصرفيون² مع السمين الحلبي على دلالة لفظة "سوء" في هذه الآيات الكريمة.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرًا سَوَاءً أَلَمَ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٤٠].

دلّت لفظة "سوء" على معنى الخزي والهلاك، فقد جاءتهم في صورة حجارة هالكة نزلت عليهم من السماء على شكل مطر متتابع فهلكوا³، ولكن ما علاقة هذا الخزي والهلاك بالمطر؟ فكما نعرف بأنّها ماء سواءً كان مغيثاً أم غير مغيث. لم يبيّن هنا نوع هذا المطر، فيما أشار في موضع آخر من القرآن الكريم إلى أنّه مطر حجارة على قدر قامة الإنسان، وقد أهلكهم الله بما كفوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنصُودٍ﴾ [هود: ٨٢]، فالسجيل هو الطين، والذي يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿لَنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾ [الدّاريات: ٣٣]، وهذا يبين أنّ المطر هو مطرُ سوء لا رحمة فيه لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ

1 ينظر أبو حيان، البحر المحيط، 312/1 – 313 – 324.

2 ينظر الخليل بن أحمد الفراهيدي، الجمل في النحو، تح: د. فخر الدين قباوة، ط5، 1416 – 1995م)، 200، وعمرو بن عثمان سيويه، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط3، 1408هـ، 1988م)، 427/1، وأبو بكر الفراء، معاني القرآن، تح: أحمد يوسف النجاشي ومحمد علي النجار، وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، (القاهرة: دار المصرية للتأليف والترجمة، ط1، د.ت)، 450/1، وأبو عبيدة معمر ابن المنذر، مجاز القرآن، تح: محمد فؤاد سركين، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط1، 1381هـ)، 122/1 – 217 – 293 – 324؛ ومحمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، تح: أحمد محمد شاكر، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ، 2000م)، 186/18 – 188، ومحمد بن القاسم الأنباري، الزاهر في معاني كلمات الناس، تح: د. حاتم صالح الضامن، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1412هـ، 1992م)، 365/1، وأحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، (دمشق: دار الفكر، 1499هـ، 1979م)، 113/22، وأبو محمد مكي القيرواني، الهداية إلى بلوغ النهاية، تح: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا، والبحث العلمي جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة، (الشارقة: كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ط1، 1429هـ، 2008م)، 6941/11، وأبو الحسن علي بن محمد الماوردي، تفسير الماوردي، تح: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، 367/3 – 368؛ وأبو البركات النسفي، تفسير النسفي، 335/3، وابن منظور، لسان العرب، مادة "سوء"، 2138/3، وأبو البقاء الكفوي، الكليات، 503.

3 يظر السمين الحلبي، الدر المصون في علوم، 484/8.

الَّتِي أَمْطَرْتُ مَطَرَ السَّوْءِ ﴿الْفُرْقَان: ٤٠﴾، وقوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: ١٧٣] فسياق الآية الكريمة يؤكد دلالة هذه اللفظة؛ فأتوا بمعنى "مروا" وقد جاءت متعدية بعلى، والقوم هم قريش، وورد لفظ قرية مفردًا؛ لأنها كانت أكثر من قرية، وكانت سدوم أكبرها وأعظمها، وكانت مدائن لوط على طريقهم عند ممرهم إلى الشام ورجوعهم منها، لذلك يستفهم "أفلم يكونوا يرونها" بأسلوب التوبيخ والتقريع، ثُمَّ إِنَّ الذي حلَّ بأولئك القوم من الدمار والهلاك كافٍ للاعتبار، لكنهم لم يفعلوا ولم ينظروا ولم يعتبروا، وهذه العناصر السياقية تشير إلى أنَّ لفظة "سوء" تدلُّ على دمار وهلاك هذه القرية¹، لذا عليهم أن يتفكروا، ويؤمنوا. وقد وضع الرجاء موضع التوقع، لأنه إنما يتوقع العاقبة من يؤمن فمن ثم لم ينظروا ولم يذكر².

هذه الدلالات المتنوعة تشير إلى أهمية السياق في أن تأخذ الكلمة "سوء" معنىً محددًا دون غيره من المعاني، كما تشير إلى أهمية الدرس الدلالي في النص القرآني عمومًا. وترى الباحثة أنَّ مفردة "السوء" يمكن تحديد معناها بناءً على مقياس الفائدة والضرر، ومدى تأثيره في الآخرين، فكل فعل يسبب ضررًا ويجعل الأمور أسوأ مما هي عليه يعتبر سيئًا، وهذا ينطبق على تصرفات الأفراد وسلوكهم.

أ- صوم:

ذكر السمين الحلبي أنَّ الصوم والصيام مصدران وفعلهما "صام"، وجذرهما "صَوَمَ"، وصَوُمَ على وزن "فَعَلَ" والعرب تسمي كل ممسِكٍ صائمًا، ومعناها ترك الطعام والشراب والنكاح والكلام. يقال: قوم صوام، وصيام، وصوم، وصيم، كما يقال: رجل صوم، وامرأة صوم ورجلان صوم ورجال صوم، فلا يثنى ولا يجمع؛ لأنه نعت بالمصدر، والتقدير: ذا صوم، وذات صوم، وذو صوم. ومنه صامتِ الرِّيح: أمسكت عن

1 ينظر السمين الحلبي، الدرالمصون، 109/8.

2 جار الله الزمخشري، تفسير الكشاف، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط3، 1407هـ)، 281/3.

الهبوب، وصامتِ الشَّمْسُ: استوت في كبد السماء، وصام النهار: اعتدل وقام، واستدلَّ على هذه المعاني بقول امرئ القيس: [من الطَّويل]

فَدَعُ ذَا وَسَلٍ الهمَّ عَنْكَ بِحَسْرَةٍ ذَمُّوْا إِذَا صَامَ النَّهَارُ وَهَجَرَا¹

والمعنى كما ذكر القرطبي: "أي: أبطأت الشمس عن الانتقال والسير فصارت بالإبطاء

كالمسكة"². والصائم من الخيل الساكن الذي لا يطعم. كما في قول النابغة: [من الكامل]

خَيْلٌ صِيَامٌ وَخَيْلٌ غَيْرُ صَائِمَةٍ تَحْتَ الْعَجَاجِ وَأُخْرَى تَعْلُكُ اللَّجْمَا³

وصام الفرس: وقف، ومصامه: موقفه. ومن ذلك قول امرئ القيس: [من الكامل]

كَأَنَّ الثَّرِيَّا عَلَّقَتْ فِي مَصَامِهَا بِأَمْرٍ كَثَّانٍ إِلَى صُمِّ جَنْدَلٍ⁴

ويقال: صام الرجل، بمعنى تظلل بالصوم، والصوم هنا شجر على شكل شخص الإنسان، وليس

له ورق، ولا تنتشر أفنانه، وصام الفرس عن آريته: أي لم يعتلق، وصامت الريح إذ ركدت، وصامت الشمس:

استوت في منتصف النهار⁵، وتسمى الدابة التي لا تنتقل من مكان إلى آخر: صائمة؛ أي: لا تدور،

واستدل على ذلك بقول الراجز:

1 الدَّمُول: نوع من السير السريع. هجرا: وقت الهاجرة، وهي شدة الحر. والبيت هو من شعر امرئ القيس.

امْرُؤُ الْقَيْسِ، ديوان امرئ القيس، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، (بيروت: دار المعرفة، ط 2، 1425هـ، 2004م)، ص 95.

2 تفسير القرطبي، 273/3.

3 وفي رواية أخرى: خَيْلٌ صِيَامٌ وَخَيْلٌ غَيْرُ صَائِمَةٍ تحت العجاج وخيل تعلق اللجما.

القاضي التَّنُوخِي، القوافي، تح: عوني عبد الرؤوف، (القاهرة، مكتبة الخانجي، ط 2، 1978م)، 60. نسبه القاضي إلى النابغة وليس في ديوانه.

4 أبو بكر الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليّات، تح: عبد السلام هارون، (القاهرة: دار المعارف، ط 5، د.ت)، ص 79.

5 ينظر السمين الحلبي، الدُرُّ المَصُون، 276/2.

والبكرات شرهن الصائمة⁽¹⁾

وصام النهار: اشتد حرُّه وقت الظهيرة، وقد تاخذ اللفظة دلالة خاصّة من جهة أنّها ركنٌ من أركان الإسلام، فتعني الإمساك عن أشياء مخصوصة، ووقت مخصوص، وعلى هذا أوّل السمين الحلبي معنى الصوم في هذه الآية إلى معنيين²، وهما:

1- الصوم الشرعي المعروف، أي الامتناع عن الطعام والشراب وبقية المفطرات؛ أخذًا من قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

2- الصوم عن الكلام، أخذًا من قوله تعالى: ﴿فَكُلْ وَاشْرَبْ وَاعْتَصِمْ بِمَا تَرَىٰ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ [مريم: ٢٦] فالمعنى المراد من الصوم هنا هو "الانقطاع عن الكلام"، ويدلُّ على ذلك مجموع القرائن الواردة في سياق الآية ففي قوله تعالى: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ وقوله تعالى ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾؛ فالقرائن اللفظية في هذه الآية تدل على عدم الكلام فقد أمرها في اللاحق من الآية أن "تأكل وتشرب" بدليل قوله تعالى: ﴿وَهَزَيْتُ إِلَيْكَ يَجْدُعَ التُّخْلَةَ تَسْقِطَ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا﴾ [مريم: ٢٥] فلو كان المراد بالصيام، الصيام المعروف ما أمرها بالأكل والشرب؛ إذ الجمع بين طلب الأكل والشرب والصوم عنهما مستحيل؛ فهو جمع بين المتناقضات في آن.

وقد استند السمين الحلبي على رأي الطبري في قوله تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [مريم: ٢٩]، ففي هذه الآية تضريح واضح بأن الكلام يخلُّ بنذرهما من قبل، وهو الصوم عن

1 يعقوب، إميل بديع، المعجم المفصّل في شواهد العربية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1417هـ، 1996م)، 36/12.

2 ينظر السمين الحلبي، الدرّ المصون، 267/2

الكلام¹. وهذا يختلف بعض الشيء عما أُثِرَ عن بعض الصحابة من أنَّ تفسير الصيام هو الصَّمت² عن الكلام، فقد ذكر القرطبي³ أنَّ بني إسرائيل إذا أراد أحدهم أن يجتهد صام عن الكلام كما يصوم عن الطعام فلا يتكلم حتى يمسي، فهذه القرائن تدل على أنَّ الصيام كان عن الكلام.

هذا يعني أنَّ السَّمين الحلبي ومَن أخذ عنهم يقيِّدون المعنى وفقاً للسياق الذي ترد فيه اللفظة، وأنَّه إذا أُريد أن يعبر عن الصَّوم المعنوي استعمل لذلك لفظ "الصَّوم"، وإذا أُريد التعبير عن الصَّوم الحسي الذي هو العبادة المعروفة أُستعمل لذلك لفظ "الصَّيام"، بخلاف ما ذهب إليه القرطبي من إطلاق معنى الصَّوم. وقد ذكر السمين الحلبي أنَّ معنى الإمساك عن المفطرات مع النية من طلوع الفجر حتى غروب الشمس يكون بلفظ "الصيام" لا بلفظ "الصوم"، وذلك في معظم الآيات التي تحدَّثت عن هذا المعنى، ولم يرد لفظ الصوم إلا مرة واحدة في سورة مريم التي سبق ذكرها؛ فقد كان يعني به الصمت، وهو الإمساك عن الكلام⁴، واستدلَّ على ذلك بالسياق القرآني ففي قوله تعالى: ﴿فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسْكَ فَقَدْ اِقْتَصَرَ

معنى الصيام في هذه الآية على من كان مريضاً، وأفطر في رمضان، فالصيام هنا الإمساك عن المفطرات أو

1 ينظر المصدر السابق، 407/3.

2 ينظر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، 517/15.

3 ينظر القرطبي، تفسير القرطبي، 439/13.

4 ينظر السمين الحلبي، الدر المنصون، 265/2 – 266.

إخراج صدقة أو نسك مما تيسر له¹، ومنه في الحديث الشريف: "من رابط يومًا وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر وقيامه لا يفطر ولا ينفقل عن صلاته إلا الحاجة"².

فالصوم والصيام مفهومان مختلفان في القرآن الكريم؛ فـ "الصيام" بالياء يقصد به في القرآن الكريم الامتناع عن الطعام والشراب وباقي المفطرات قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣]؛ أي: إنَّ الصيام يخصُّ المعدة بالدرجة الأولى، وهو الفريضة التي يؤدُّهَا المسلمون في شهر رمضان. أمَّا "الصَّوْمُ" بالواو فيخصُّ اللسان وقول الحق سواء في رمضان أم غيره، والدليل على ذلك أنَّ مريم عليها السلام كانت تأكل وتشرب مع ذلك كانت ناذره للرحمن صَوْمًا، ولوقالت "صِيَامًا" لكانت غير صادقة لأنَّهَا تَأْكُل وتشرب، ومريم عليها السلام لا تكذب أبدًا³.

ما سبق يبيِّن أنَّ كتب التفسير تتفاوت حول مفهوم الصوم بين العلماء والمفسرين المختلفين، فهي تعتمد على السياق، والمذهب الديني في توضيح النقاط العامة الواردة في تفسير القرآن الكريم لدلالة هذه اللفظة.

ج - كُرْهُ:

1 حدثنا محمد بن المُنْثَنَّى، ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن عبد الرحمن بن الأصبهاني عن عبد الله بن مَعْقِل قال: "فعدت إلى كعب وهو في المسجد فسألته عن هذه الآية: ﴿فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسْكَ﴾ فقال كعب نزلت فيَّ كان بي أذى من رأسي، فَحَمَلْتُ إلى رسول الله ﷺ والقمل يتناثر على وجهي فقال: "ما كنت أرى أنَّ الجُهْدَ بَلَغَ مِنْكَ ما أرى، أُنْجِدُ شاةً، فقلت: لا. فنزلت هذه الآية. قال: فنزلت فيَّ خاصة وهي لكم عامة. ينظر فخر الدين الرازي، تفسير الرازي، تح: أسعد محمد الطيب، (السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز، 1419هـ)، 338/1، وابن جرير الطبري، تفسير الطبري، 383/3، وجلال الدين السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، (بيروت: دار الفكر، 1432هـ، 2011م)، 514/1.

2 عبد الله بن يوسف الزيلعي، تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف، تح: سلطان فهد الطيبيشي، (الرياض: دار ابن خزيمة، الأولى، 1441هـ)، 266/1.

3 ينظر السمين الحلبي، الدر المصون، 592/7.

الْكُره خلاف المحبّة، وهو من المعاني التي تحمل دلالة سلبية من حيث الظاهر، كُكره الرجل غيره بدافع الكُره، ودلالة إيجابية إذا وردت في سياقٍ معيّن، كُكره الكذب والتّفاق؛ فالْكُره هنا محبوب، والكراهة لغةٌ خلاف الرضا والمحبة؛ فكل مكروه غير محبوب. ووجه الدّم والمدح في المصطلح يتعلّق بأفعال الأشخاص من جهة التّكليف الشرعي.

وذكر السمين الحلبي في هذا المصطلح لغتين: الكُره والكُره، فبأيّ لغةٍ وقع جائز¹، وقد وافق المفسرون والقراء² السمين الحلبي الرأي، وخالفهم القراء؛ فقد ذكره بالضم، وأراد به ما أكرهت نفسك عليه، والكره بالفتح ما أكرهك غيرك عليه، واستدلّ على ذلك بقول العرب: جئتُكَ كُرهًا وأدخلتني كُرهًا، وقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]، يرادُ به كراهية المؤمنين القتال، وعلة الكُره غلظة القتال ومشقّته. ومما قالته العرب: قُمتُ على كُرهٍ؛ أي: على مشقّة، وأقامني فلان على كُره؛ أي: أكرهني عليه. والذي يدل على صحة ما ذهب إليه القراء، قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾، فلم يقرأها أحد بالضمّ³. ومنه ما ورد عن عبادة بن الصّامت رضي الله عنه قال: (بَايَعَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمُنْشَطِ وَالْمَكْرِهِ)⁴. والمعنى: أخذنا البيعة له فيما نحبّ وفيما نكره.

1 ينظر السمين الحلبي، الدرّ المصون،

2 ينظر ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، تح: د. عبد العال سالم مكرم، (بيروت: دار الشروق، ط 4، 1401هـ)، ط 4، 1401هـ، 122، وعبد الرحمن بن محمد أبو زرعة ابن زنجلة، حجة القراءات، تح: سعيد الأفغاني، (بيروت: دار الرسالة، د.ت)، 195، وابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز، تح: عبد السّلام عبد الشّافي محمد، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، 1422هـ)، 289/1، وفخر الدين الرازي، التفسير الكبير، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط 3، 1420 هـ)، 10/10.

3 ينظر ابن منظور، لسان العرب، 534/13.

4 البخاري، صحيح البخاري، برقم 7199 و 7200.

فالكراهة، عند السمين الحلبي يأخذ عددًا من المعاني؛ كالإجبار، والمشقة، والكراهية بعينها إرادة ألاَّ يَفْعَلَ¹، وقد فسّر دلالتها في القرآن على أربعة أوجه:

1- الإكراه: الإجبار، كقوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْتُمْ تَحْصُنَا﴾ [النور: ٣٣]؛ أي: لا تجبروهن على ممارسة الفاحشة، وقد وافق المفسرون السمين الحلبي في تفسير هذه الآية. يؤيد ما ذهبوا إليه سياق الآية، وسبب نزولها، حيث نزلت في أمة كان يملكها عبدالله بن أبي سلول، وكان يكرهها على الزنا وكانت تأبى ذلك، فجاءت الآية لتوضح أنَّ الإكراه لا في هذي الحالة ليس سببًا في استحقاق العقاب من الله، بل يترتب على الإكراه المغفرة من الله تعالى؛ ذلك أنَّه ﴿مَنْ يُكْرِهْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِمْ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٣٣]؛ أي الله غفور لمنَّ لما أكرهه عليه²، وأنَّ الإكراه في أيِّ شيء لا يسبب العقاب؛ استنادًا إلى قوله ﷺ: (رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطُأُ وَالنِّسْيَانُ، وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ)³.

2- الكره: المشقة في قوله تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ [الأحقاف: ١٥]؛ أي: قاست في حمله ووضعه المشقة، والتعب واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ

1 ينظر عبد الله الدامغاني، الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز، تح: عربي عبد الحميد علي، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، 179/2.

2 ينظر أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض؛ والدكتور أحمد محمد طيرة، والدكتور أحمد عبد الغني الجمل؛ والدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ، 1994م)، 366/1، وفخر الدين الرازي، التفسير الكبير، 330/2، والقرطبي، تفسير القرطبي، 280/3 - 281.

3 محمد بن عبد الله الزركشي، اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1409هـ)، ص 63.

إِحْسَانًا﴾ أي طالعتهما ورعايتهما جزاءً لما واجهوها من مشقة وتعب، سواء في الحمل والولادة أو التربية والرعاية¹.

3- الكراهية بعينها، قوله تعالى: ﴿فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾

[النِّسَاء: ١٩].

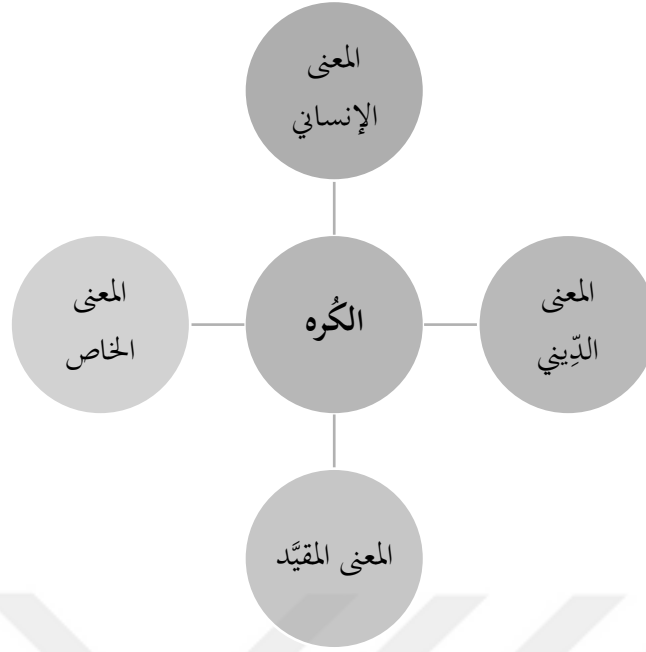
4- الكراهية إرادة ألا يفعل الفعل² في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾

[الْقَوَّة: ٤٦]، أي إرادة المنافقين ألا يخرجوا إلى غزوة تبوك.

خلاصة القول: إنَّ مصطلح "الكره" بالضم أو الفتح يقتصر -إلى حدٍّ ما- على الجانب الدِّيني، ويرمز إلى نقيض الحبِّ، الذي هو مستوًى من حالة القلب الإنساني الذي يتملّكه شعورٌ تجاه شخصٍ ما، أو شيءٍ ما، أو جهةٍ ما. وقد يتعدّى المفهوم الدِّيني إلى المفهوم الإنساني، أو الخاصِّ بالشَّخص، أو المعنى المقيّد المرتبط بحالة معيّنة، أو بفعلٍ معيّن، ويكون فعلُ الكره ملزِمٌ في حالةٍ دون أخرى، بحسب طبيعة الحالة. ويمكن أن نبين ذلك من خلال الخطاطة الآتية:

1 ينظر السمين الحلبي، الدر المنصون، 512/9.

2 ينظر المصدر السابق، 65/6 - 66 - 77.



د - وَعْدٌ:

الوعدُّ هو كلام يلتزمُّ به الشَّخصُ، ويصدر عنه بوعيه وإرادته، وتترتَّب عليه أحكام معيَّنة. وجاء في كتاب "العين" للخليل بن أحمد الفراهيدي¹ الوعد والعِدَّة يأتیان مصدرًا واسمًا، فأَمَّا العِدَّة فتجمع على عدات والوعود لا تجمع، والموعد: موضع التواعد، وهو الميعاد، والموعد: اسم زمان، والمواعدة اسم للعدة والميعاد لا يكون إلَّا وقتًا أو موضعًا، والوعيد من التهديد، أوعدته ضربًا، ونحوه، ويكون وعدته أيضًا من الشرِّ، وذكر ابن فارس في مقاييس اللغة أنَّ "الواو والعين والبدال" كلمة صحيحة تدلُّ على ترجية، وتكون الأرض واعدة إذا رجونا خيرها من الغيث والأعشاب، ويدخل في المعنى أيضًا: وعد فلان صاحبه بالأمر، إذا قال له إنَّه سيجريه له أو سينيله إيَّاه². وقالت العرب: "خلاف الوعد من أخلاق الوغد"³.

1 الفراهيدي، العين، 4871/6.

2 ينظر ينظر ابن فارس، مقاييس اللغة، 125/6. ومحمد حسن حسن جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، (القاهرة: مكتبة الآداب، ط 1، 2010م)، ص 1421.

3 جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (بيروت: دار الساقى، ط 4، 1422 هـ، 2001م)، ص 397.

وبالنظر إلى الاستعمال السياقي للكلمة "وعد" فقد فسّر السمين الحلي في عدّة أوجه، هي:

أ- الخير والشر.

ب- العهد.

ج- الميقات.

ويغلبُ في نظره معنى الخير على الكلمة، انطلاقاً من أنّ إنجاز الوعد عند العرب قديماً فيه خير كثير، وفي إخلافه شرٌّ. وفي قوله تعالى: ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ الثَّانِسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [الفتح: ٢٠] دلّ الوعد على الخير، كما ذهب إلى ذلك السمين الحلي، مستدلاً بقرينة لفظيّة، هي قوله تعالى: ﴿مَغَانِمَ كَثِيرَةً﴾، فكلُّ غنيمة خير، فكيف بالمغانم من جهة؟! وكيف إذا كانت هذه المغانم كثيرة؟! فالخير فيها يستمرُّ إلى يوم القيامة، ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾ وهي غنيمة خير، ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ﴾؛ أي: القادرين على قتالكم، وهم أهل خير وحلفاءهم من بني أسد وغطفان حين جاؤوا لنصرة يهود خير، ﴿وَلِتَكُونَ﴾ هذه الغنيمة، ﴿آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ ودليل على خبر الله الصادق، وجزائه للمؤمنين. فالوعد حمل معنى الخير هنا واتّسق مع سياق الآية، وقد كان صلح الحديبية فتحاً ومغنماً، والدليل على ذلك قوله ﷺ: (والذي نفسي بيده إنّه لفتح)، فكان وعد خير لما فيه من مغانم كثيرة ومنها انتشار الدعوة الإسلامية في آفاق الأرض¹.

وجمع الوعد معنى الخير والشر في آيٍ معاً في قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥٥]، فالوعد هنا بالخير والشر، وهو وعد بالقيامة، والدليل على ذلك سياق الآية. قال تعالى: ﴿إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾؛ أي: وعد الله حقّ، وله

1 ينظر السمين الحلي، الدر المنصون، 671/9. والحديث في سنن البيهقي، 235/6.

ملك السموات والأرض، فلا مانع يمنعه من إنفاذ ما وعده، فمن فعل خيرًا جزِي خيرًا، ومن فعل شرًّا جزِي بمثله¹.

وهذا يعني أن دلالة الوعد في الآية السابقة دلالة مقيدة ترتبط بطبيعة الفعل الإنساني على هذه الأرض؛ فالجزاء من جنس العمل، ومن يفعل خيرًا لن يعدم جزاء مثله، كما أن دلالة الوعد في هذه الآية دلالة قطعية الحصول؛ أي: وعد الله حاصل لعباده المحسنين منهم والمسيئين.

وذكر السمين الحلبي: "الميعاد" على أنه ظرف إما للزمان أو المكان أو لكليهما معًا، واستدل على ما ذهب إليه برأي شيخه أبي حيان²، أخذًا من قوله تعالى: ﴿قُلْ لَكُمْ مِيعَادٌ يَوْمٍ لَا تَسْتَجِزُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَفْتِمُونَ﴾ [سبأ: 30]؛ أي: لكم ميعاد مؤجل معدود محرر لا يزداد ولا ينقص، فإذا جاء لا يؤخر ساعة ولا يقدم محدود بتفاصيله، وأيد ذلك بقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ [نوح: 4]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدودٍ﴾ [هود: ١٠٤]، وقال: الموعد: العهد، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أُوزَارًا مِّنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا﴾ [طه: ٨٧]؛ أي: لم تخلف العهد الذي بيننا، لكننا حملنا طاقةً فوق طاقتنا، وقدرة تزيد على قدرتنا بسبب ما عانيناه من فرعون، وقوله تعالى: ﴿وَالْيَوْمَ الْمَوْعُودِ﴾ [البُرُوج: ٢] إشارة إلى يوم القيامة. واستند على ذلك بسياق القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الوَاقِعَة: ٥٠]

وذكر الوعد: الميقات، وهو اسم دال على والأجل، وأصله اسم آلة للوقت، وتوسعوا فيه توسعًا آخر فأطلقوه على المكان، ومنه مواقيت الحج، واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ

1 ينظر المصدر السابق، 353/1 – 354.

2 ينظر أبو حيان، البحر المحيط، 321/1.

وَالْحَجَّ ﴿البَقَرَةُ: ١٨٩﴾ ؛ أي: ما جُعِلَ له وقتٌ يفعل فيه، وله حدود وأزمنة، ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ [النِّسَاء: ١٠٣]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْبَتَتْ﴾ [الْمُرْسَلَات: ١١]، لها وقت واحد لفصل القضاء بين الأمة، وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا﴾ [الأَعْرَاف: ١٤٣] الوقت والمكان الذي حددناه له.¹

وذكر اللغويون²، أنَّ الوعد والوعيد، والميعاد بمعنى واحد، في حين فَرَّقَ المحققين، كابن الأثير والجزري بين اللفظين، بأنهم جعلوا لفظ "الوعد" إذا تكرر ذكره في مكان لم يذكر فيه لفظ "الوعيد" فهنا الوعد قد يستعمل في الخير والشر يقال: "وعده خيرًا ووعدته شرًا"³ ولكن إذا دُكِر اللفظان معًا في موضع واحد: فَإِنَّ لفظ "الوعد" يكون مختصًا بالخير، و"الوعيد" يكون مختصًا بالشر⁴.

فالوعد والوعيد مفهومان مهمَّان في القرآن الكريم، حيث يستخدمان لتوجيه النفوس وتعزيز الأخلاق الدينية، والتوجيه الإلهي، فالوعد يعني وعد الله بالمكافأة والجنة للمؤمنين والمحسنين، بينما الوعيد يشير إلى تهديد الله بالعقوبة والنار للكفار والملحدين، وكلٌّ من يتعد عن جادة الصَّواب، ويبتغي غير الإسلام دينًا.

هـ - نَفْس:

النَّفْس لغةٌ تعني الحقيقة والذات، واصطلاحًا: تطلق على عدَّة معان منها الروح، والعناد، وتطلق على العظمة وعلى الغيب كقوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عِمْرَان: ٢٨] وتطلق

1 ينظر السمين الحلبي، الدر المنصون، 551/7.

2 أبو عبيدة معمر بن المثنى، مجاز القرآن، ص 149، ينظر أبو هلال العسكري، معجم الفروق اللغوية، تح: الشيخ بيت الله بيات، (بيروت: مؤسسة النشر الإسلامي، ط 1، 1412 هـ)، ص 575.

3 ينظر ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص 206.

4 ينظر المصدر السابق، ص 206.

على الإنسان ويراد بها الروح والجسد، وتطلق على الدم، وقد ذكرت في القرآن الكريم في 72 موضعاً، مفردة ومضافة، ومعروفة، ونكرة، كما وردت موصوفة بأوصاف محدّدة لها مراتب ودرجات؛ فهي الأثارة بالسوء، واللّؤامة، وكذلك المطمئنّة، وهي من عجائب صنع الله¹؛ إذ أقسم بها فقال: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ [الشّمس: ٧].

[٧].

وأشار السمين الحلبي إلى أنّ لفظة "نفس" في القرآن الكريم جاءت في صور متعدّدة ومعانٍ مختلفة؛ فهي: "الإنسان المولود - بعضكم يقتل بعضاً - أهل دينكم - الأمّ - الغيب". ومن شواهد ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ [المائدة: ٤٥] حيث يراؤ بها الإنسان، وما يمتلكه في جسده بما فيها الروح، فهما مترادفان وتفريقهما من الجسد يعني الموت²، ووافق في هذا الرأي شيخه أبو حيان في تفسيره النفس بالروح، حيث استدللّ على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذّاريات: ٤٩] فالأزواج: الأبدان، والخلق: التركيب، أخذاً من قوله تعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يس: ٣٦] فالأزواج والزوجين لا تنفك من تركيب واحد في الأصل وهو آدم عليه السلام³، وقد أكّد السمين الحلبي على دلالة لفظة "النفس" بالإنسان قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَتَقُورَ رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النّساء: ١].

1 ينظر عويسيان التميمي، موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة، (مصر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، د.ت)، ص 655.

2 ينظر المصدر السابق، 337/110.

3 ينظر أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 495/3.

في الآية السَّابِقَة فَسَّرَ السَّامِنُ الحَلْبِي "النفس" بسيدنا آدم عليه السلام، معتمداً في رأيه هذا على القرينة اللَّفْظِيَّة ﴿وَاحِدَةً﴾ التي دَلَّتْ على خالق البشر، وتاء التَّأْنِيثِ تعود على لفظة "نفس"؛ إذ يجوز فيها التذكير والتَّأْنِيثُ، وقوله تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ﴾ فالخلق هو الاختراع بطريق التفرُّيع، والرجوع إلى أصل واحد، لكنَّه هنا خالف ما ذهب إليه شيخه أبو حيان من أنَّ الخلق دليل على التوحيد، والنفس دليل على النبوة¹. وأراد بـ ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ حواء التي خُلِقَتْ من نفس آدم عليه السلام؛ أي: من ضلعه، وتأويل الآية هو أَيُّ قَدْ خَلَقْتُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَهِيَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ خَلَقْتُ لَكُمْ حَوَاءَ مِنْ ضُلْعِهِ، آخِذاً ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ ﷺ: "إِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلْعٍ أَعْوَجَ فَإِنْ ذَهَبَتْ تَقِيمُهَا كَسَرْتُهَا، وَكَسَرْتُهَا طَلَّاقُهَا"²، ثُمَّ إِنَّهُ عَطَفَ ﴿خَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ عَلَى اسْمِ الْفَاعِلِ ﴿وَاحِدَةً﴾. وَالتَّقْدِيرُ: مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ؛ أَي: انْفَرَدْتُ، وَاسْتَنْدَ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِ الْعَرَبِ: وَحَدٌ يَحْدُ وَحَدًا، وَوَحْدَهُ؛ أَي: انْفَرَدَ³.

وَمِنْ أَقْوَالِ الْعَرَبِ الَّتِي اسْتَنْدَ عَلَيْهَا السَّامِنُ الْحَلْبِي: يَقُولُونَ خَرَجَتْ نَفْسُهُ⁴ إِذَا فَارَقَتْهُ الرُّوحُ، وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٧﴾ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴿٨﴾﴾ [الْقَجَرِ: ٢٧ - ٢٨]، فِي الْحَدِيثِ: (لَا تَسْبُوا الرِّيحَ فَإِنَّهَا مِنْ نَفْسِ الرَّحْمَنِ عَزَّوَجَلَّ)، وَقَدْ اسْتَنْدَ السَّامِنُ الْحَلْبِي فِي تَفْسِيرِهِ عَلَى رَأْيِ ابْنِ عَطِيَّةٍ فِي تَفْسِيرِهِ، النَّفْسُ بِمَعْنَى الْإِنْسَانِ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ [البَقَرَةِ: ٤٨] جَاءَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي رَدِّ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ الَّذِينَ قَالُوا: "نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ، وَأَبْنَاؤُ أَنْبِيَائِهِ، وَسَيُشْفَعُ لَنَا آبَاؤُنَا، فَأَعْلَمَهُمُ اللَّهُ أَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا"⁵، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ

1 ينظر المصدر السابق، 494/3.

2 محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، الحديث برقم 3331.

3 ينظر السمين الحلبي، الدر المنصون، 220/2.

4 محمد بن أحمد بن الأزهرى الهروي، أبو منصور، تهذيب اللغة، تح: محمد عوض مرعب، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، مادة: "نفس"، 3630/4.

5 ينظر ابن عطية، الخمر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 283/1.

وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِّن رَّبِّهِمْ الْهُدَىٰ ﴿٢٣﴾ [النَّجْم: ٢٣]، دلت لفظة "الأنفس" على معنى القلوب،
والدليل على ذلك سياق الآية.

وحقِّي بجيء المعنى أكثر وضوحًا ونفهم المراد بالأنفس بحسب سياقها آثرت أن أضع جدولًا أعرضُ

فيه الآية وأبين موضعها في القرآن، ودلالاتها السياقية، وفق رؤية بعض المفسرين:

الآية	موضعها	دلالاتها السياقية	تعليق
﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾	[يُوسُف: ٥٣]	القلب	تشير مفردة النفس هنا إلى القلب
﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾	[التَّوْبَةِ: ١٢٨]	من جنسكم	
﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾	[الْمَائِدَةِ: ٤٥]	الإنسان ¹	المراد هنا ليس الإنسان من حيث هو إنسانٌ حيٌّ ذو روح، بل الإنسان حين يفقد تلك الروح ظلمًا، فهو دعوة إلى تحقيق العدل ونيل الحق.
﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾	[الْمَائِدَةِ: ٣٢]	إنسانًا بغير إنسان	
﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾	[البَقَرَةِ: ٨٥]	يقتل بعضكم بعضًا	
﴿يَتَوَقَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾	[الرُّمْرِ: ٤٢]	يقبض الأرواح ²	

1 ينظر البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 31/2 – 32.

2 ينظر البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 116/2.

		[التور: ٦١]	﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾
	أهل دينكم	[النساء: ٢٩]	﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾
	قتل النفس ¹	[النساء: ٦٦]	﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾
	أي عقوبته ²	[آل عمران: ٣٠]	﴿وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾
	أمهاتهم	[التور: ١٢]	﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ ﴿١٢﴾﴾
	أي الغيب ³	[المائدة: ١١٦]	﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾

وقد اتفق علماء التفسير مع السمين الحلبي الرأي في تفسير هذه اللفظة⁴ فقد ذكر الأزهري: أن

النفس تعني الإنسان، واستدل على ذلك بقول الرسول ﷺ: "نفس المؤمن مُعَلَّقَةٌ بِدَيْنِهِ حَتَّى يُقْضَى عَنْهُ"⁵؛

أي: نفس الإنسان لها ثلاث مواضع أحدها بدنه، وذكر الهروي: نفس: المولود، واستدل على ذلك بحديث

عن طريق سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: "من السنة ألا يَرِثُ الْمَنْقُوسُ حَتَّى يَسْتَهْلَ صَارِحًا"⁶،

1 ينظر الطبري، تفسير الطبري، 163/4.

2 ينظر المرجع السابق، 1/292.

3 المرجع السابق، 2/81.

4 ينظر أبو منصور الأزهري، الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، تح: محمد جبر الألفي، (الكويت: المطبعة العصرية، ط1/1399هـ، 1979م)، ص152.

5 محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، سنن الترمذي، تح: أحمد بن محمد (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت)، رقم 1079.

6 محمد ناصر الدين الألباني، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، (بيروت: المكتب الإسلامي، ط1، 1399 هـ)، 6/148. وهو في سنن أبي داود، 4/545.

والنفس تعني الدَّم السَّائل. ومن الحديث عن ابن سيرين: (أَنَّهُ نَحَىٰ عَنِ الرُّقِيِّ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ: النَّمْلَةُ¹ وَالْحُمَةُ وَالنَّفْسُ)، وَالنَّفْسُ: الْفَرْجُ: واستدل على ذلك بالحديث عن رسول الله ﷺ: (مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا)². وذكر ابن منظور: نَفَسَ الشَّيْءُ: ذَاتَهُ، وَالنَّفْسُ: الْجُرْعَةُ، وَالنَّفْسُ: خُرُوجُ الرِّيحِ مِنَ الْأَنْفِ وَالْفَمِ، ومن الحديث عن الرسول ﷺ: (كَانَ يَتَنَفَّسُ فِي الْإِنَاءِ ثَلَاثًا) أي في الشرب³.

إنَّ لفظة، "نفس" متعلقة بالقلب تارةً، وبالعقل تارةً أخرى، وبالإِنسان تارةً ثالثة، فقد قالوا: الإِنسان شيء مغاير للبدن، ثُمَّ اختلفوا فمنهم من قال: المتعلق الأول هو القلب وبوساطته تتعلق النفس كسائر الأعضاء، كالدماع والكبد، ومنهم من قال: القلب متعلق النفس الحيوانية، والدماع متعلق النفس النَّاطِقَةُ، والكبد متعلِّق النفس الطَّبِيعِيَّةُ⁴، والنفس: ذات الشيء، وحقيقته، ثُمَّ قِيلَ للقلب: نفس؛ لأنَّ النَّفْسَ به، واستدلوا على ذلك بقولهم: المرء بأصغريه؛ قلبه ولسانه. وقيل للقلب: نفس، لأنَّ النفس به، والدَّم نفس لأنَّ قوام الروح بالدم⁵.

في حين فَرَّقَ بعض العلماء⁶ بين الروح والنفس فقالوا: "الروح هي التي به الحياة، والنفس هي التي بها العقل، فإذا نام النَّائم قبض الله نفسه، ولم يقبض روحه، والروح لا تقبض إِلَّا عند الموت؛ ففي

1 النملة: قروح تخرج في الجنب.

2 ينظر أحمد بن محمد الهروي، الغريبين في القرآن والحديث، تح: أحمد فريد المزيدي، قدَّم له وراجعته: أ. د. فتحي حجازي، (السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز، ط1، 1419هـ، 1999م)، 1871/6. وهو في صحيح مسلم، 2074/4.

3 محمد بن عيسى التِّرمِذِي، سنن التِّرمِذِي، تح: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، (مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط2، 1395هـ/1975م)، 302/4.

4 ينظر سراج الدين الحبلي، اللباب في علوم الكتاب، 393/8.

5 ينظر شرف الدين الطيبي، حاشية الطيبي على الكشاف، تح: إياد محمد الفوج، (دبي: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم)، ط1، 1434هـ، 2013م)، 170/2.

6 ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، (الهند: مطبعة دائرة المعارف النظامية، ط1، 1326م)، 261/1.

الإنسان روح ونفسٌ بينهما حاجز، وآية ذلك قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢].

وثمة من ذهب إلى أنَّ المراد بالنفس هي الإنسان بما فيه، أمَّا الروح، فهم خلق يشبهون الناس وليسوا بناس، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرِّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [التين: ٣٨] فالروح خلق لا تراهم الملائكة، كما لا ترون أنتم الملائكة، والنفس الروح إذا فارق البدن لم تكن بعده حياه¹. وفي هذا نظر؛ فالروح في هذه الآية جبريل عليه السلام، وقد كر ذلك في موضع آخر إشارة إلى جبريل. قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥].

وقد جعل العرب القدامى "النفس" في قسمين: نفس تأمره بالشيء وأخرى تنهاه عنه، وذلك عند عمل أي شيء مكروه، فالتى تأمره نفسٌ والتي تنهاه نفس أخرى، أخذًا من قوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَحْسَرْتُنِي عَلَى مَا قَرَّبْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ﴾ [الزمر: ٥٦]، وذكر من القدامى الأنباري والزجاج "النفس" هي التي بها العقل، فإذا نام الإنسان قبض الله نفسه، ولم يقبض روحه، ولا يقبض الروح إلَّا عند الموت، وذكر الجوهري النفس بأنها تعني الجسد.

والحديث عن النفس يطول، وقد آثر البحث أن يقف عند هذا الحد بعدًا عن التّطويل الذي قد يقود إلى التّكرار أحيانًا، وقصد ألا يقع في الخطل. ولذلك يرى الباحث أنَّ مفهوم دلالة النفس في القرآن

1 ينظر أبو بكر الأنباري، الزاهر في معاني كلمات النَّاس، تح: حاتم صالح الضامن، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1421 هـ، 1992م)، 375/2.

الكريم تتطلب دراسة متعمقة للنصوص والمفاهيم القرآنية، حيث يتم تناولها من جوانب متعددة، فهي تشمل الجوانب الروحية والنفسية، ولذلك كان للسياق دور كبير في توضيح دلالتها.

و- قَتْل:

أصل مادة "قتل" تدل على الإذلال والإماتة، والمعنيان متقاربان¹، وذكر الراغب الأصفهاني أن أصل القتل إزالة الروح عن الجسد كالموت، فإذا اعتبر بفعل الفاعل يقال: قتل، وإذا اعتبر بفوت الحياة يقال: موت²، وذكر السيوطي في تعريفه اصطلاحاً: "فعل في محل يتعقبه زهوق في روح المقتول³."

أمّا في القرآن فقد وردت - كما يرى السمين الحلبي - في ثمانية أوجه دلالية، وهي:

"القتال - القتل بعينه - اللعن - العذاب - العلم - دفن الأحياء - القصاص - الذبح"

فقد ذكر أصل القتل، إزالة الروح كالموت⁴، ومنها قولهم: "قتلت الخمر بالماء" أي مزجها لكسر صورتها الحقيقية تشبيهاً بقتل الحي، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ﴾ [البقرة: 191]. هنا جاء القتل بالفعل والمفاعلة⁵، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ﴾ [الإسراء: 31]، ذكر السمين الحلبي في تفسيره لهذه الآية القتل هنا وأد البنات، وذلك بالعزل في الوطء، كقول الرسول ﷺ عنه: "الوَأْدُ الْخَفِيُّ"⁶، ولذلك اختلف في جوازه في الحرّة إلا بإذنها، وقد خالفه المفسرون الرأي، فهناك من قال، القتل في هذه الآية: هو العلم، وذلك بمنعهم من التعلم،

1 1- ينظر ابن فارس، مقاييس اللغة، 56/5.

2 الراغب الأصفهاني، المفردات، ص 393.

3 جلال الدين السيوطي، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، تح: محمد إبراهيم عبادة، (القاهرة: مكتبة الآداب، ط1، 1424 هـ، 2004م)، ص 85

4 ينظر السمين الحلبي، الدرر المصون، 271/3.

5 ينظر المصدر السابق، 273/3.

6 مسلم، صحيح مسلم، 1067/2.

والإلتواء بالحرف الملهية خشية الفقر، فالجاهل كالميت وإن كان حيًّا، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى:

﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

وقد خالف الراغب الأصفهاني السمين الحلبي في الرأي فذكر أن القتل إذا اعتبر بفعل المتولي يقال

قتل، وإذا اعتبر بفوات الحياة فيقال له موت، واستند على ذلك بقوله تعالى: ﴿فَأَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [البقرة:

٥٤] فقد أُمِرَ من لم يعص أن يقتل من عصى¹. وفي قوله تعالى: ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَرٌ﴾^{١٩} ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَرٌ

[المُدَّثِّر: ١٩ - ٢٠] دُكِرَ القتل بمعنى اللعن وهو دعاء عليه² على سبيل التعجب والإنكار والتوبيخ، واستدل

على ذلك بقوله تعالى في سياق الآية: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾؛ أي: كيف فكر هذا التفكير التفكير العجيب

البالغ النهاية في السوء والقبح³. وهذا يبرز القيمة الجمالية للدلالة، ويبيِّن مدى ارتباط المعنى بالواقع النفسي

للفاعل.

وذكر في قوله تعالى: ﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا تَقْتِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦١] فالقتل بمعنى شدة

العذاب، أينما وجدوا، لا يحصل لهم أمن، ولا يقرُّ لهم قرار، يخشون القتل أو الحبس أو العقاب بسبب

نفاقهم ونشرهم الفساد في الأرض، والقرينة اللفظية التي ساعدة على تبني هذا المعنى دون غيره هو قوله

تعالى: ﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوا﴾؛ أي: ينزل عليهم العذاب أين ما وجدوا وأدركوا هذا الحكم عليهم من جهة الأمر

به⁴.

1 ينظر الراغب الأصفهاني، تفسير الراغب الأصفهاني، تج: د. محمد عبد العزيز بسيوني، (طنطا: كلية الآداب جامعة طنطا، ط1، 1420هـ، 1999م)، 3/1399.

2 نزلت هذه الآية في الوليد بن المغيرة جاء إلى الرسول ﷺ، فقرأ عليه القرآن، فرقَّ له.

3 ينظر السمين الحلبي، الدر المنصون، 10/743.

4 المرجع السابق، 9/143.

يرى الباحث أنَّ دلالة القتل في القرآن الكريم وردت بأشكالٍ متعددة، حيث يمكننا التَّطرق حول هذا الموضوع بتتبع آيات القرآن التي تحثنا على احترام الحياة، وتحديد لنا ضوابط وشروط إباحة القتل.

ز - قذف:

يشير القذف إلى رمي الشَّيء، وإلقائه بطريقةٍ ما، ويأخذ بعدين؛ الأولى معنويَّة، والآخر حسي، ويكون ذلك وفق سياق الكلمة، أو سياق الجملة، ويتَّضح معنى اللَّفظة من خلال القرائن التي ترد معها، وتشكِّلاً بمجموعها جملةً أو فقرة، أو نصًّا قائماً بذاته.

قصر السمين الحلبي معنى القذف على الرمي من مكان بعيد، واستدلَّ على ذلك بقولهم: "قذف - قذوف - قذيف"، وجميعها بمعنى البعيد، واستُعير بها للشتم والسبِّ والرجم. وقد فسَّر السمين الحلبي "القذف" في القرآن الكريم على أربعة أوجه دلالية، هي: (الطرح - القول بالظن - الأمر والبيان - الرجم)، واستند في تفسيرها على رأي شيخه أبي حيان في هذه المسألة¹، فالقذف في قوله تعالى: ﴿أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَهُ﴾ [طه: ٣٩] يشير إلى الطرح أو الرمي واستدل على ذلك بقوله تعالى في سياق الآية: ﴿فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ﴾. وذكر في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [سَبَأ: ٥٣] إفادة القذف معنى الرجم هنا استعارة لرجمهم بالظنون الكاذبة والأخبار الفاسدة التي كانوا يقولونها في حقه عليه السلام².

ح - كيد:

1 ينظر أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 12/8.

2 ينظر المصدر السابق، 285/3.

تشير هذه الكلمة إلى تدبير أمرٍ ما في الخفاء، ليصل الفاعل (الكائد) من خلالها إلى هدفه في أقل زمن، وأقل تكلفة، وتكون نسبة التحقيق الفعلي للهدف مرتفعة، وقد فسّر السمين الحلبي في تفسيره لفظة "كيد" على ستة أوجه دلالية وهي: (العذاب - القتل - المكر - الحيلة - الصنع - الحرق بالنار - الخنق). فالكيد يعني الاحتيال والمكر، قال تعالى: ﴿قَالَ يَبْنَئِي لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ [يُوسُف: ٥]، ومنه سميت الحرب كيداء كما سُميت خدعة، وقال تعالى: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٣]. ذكر دلالة لفظة "كيد" على العذاب والدليل على ذلك سياق الآية قال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٢] فقد نزلت هذه الآية في المستهزئين من قريش، فقد قتلهم الله بعد أن أمهلهم مدة، وقوله تعالى: ﴿كَيْدِي مَتِينٌ﴾ أي عذابي قوي وشديد، بعد ما أمهلتكم مدة طويلة، فكيدته متين¹ غليظ شديد²، والكيد يشير إلى المضرة.

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ [يُوسُف: ٥٢] فالله قد يهدي من لم يقصد ضرراً، وكيد يوسف بخلاف كيد امرأة العزيز به، وقوله تعالى: ﴿وَتَأْتِيهِمْ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَمَكُم بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْبِرِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٧]؛ أي: لأريدنَّ بهم سوءاً. ومن دلالات الكيد: الحيل، وقد استند على ذلك أن ابن عباس مرَّ بجوار نسوة وقد كِدْنَ، فأمر أن ينَحْنَ عن الطريق. والكيد يعني الحرب، واستدل على ذلك بحديث عمر: "فرجع رسول الله ﷺ ولم يلق كيداً"³؛ أي: حرباً، ومنها أيضاً الضلال.

وقد أخذ برأي شيخه أبي حيان في قوله تعالى: ﴿كِدْنَا لِيُوسُف﴾ أي علمناه إياه، وأوحينا به إليه⁴.

1 المتن: هو اللحم الغليظ.

2 ينظر السمين الحلبي، الدر المنصون، 442/3.

3 مجموعة من الباحثين، الموسوعة التاريخية، إشراف الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف، موقع الدرر السنية على الإنترنت 53/1، dorar.net.

4 ينظر أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 306/6.

الصَّيْغَةُ الثَّانِي: فُعَال:

تأتي هذه الصيغة مصدرًا لكل فعل لازم على وزن "فعل" وتدل هذه الصيغة على نداءٍ أو صوت أو دعاء، وما تحطّم من شيء وتكسّر¹. ومن أمثلتها في القرآن الكريم:

أ - مُكَاء:

ذكر السّمين الحلبي أنّ هذه اللفظة في القرآن الكريم تدلُّ على الصوت، كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٥]. فقد ذكر: الميم والكاف والألف أصل صحيح يدلُّ على معانٍ ثلاثة، هي: "الصوت، الخشونة، نوع من العسل"²، وقد دلت في هذه الآية الكريمة على "الصوت"، وهي دلالة راجحة بقرينة المعنى والسياق، فمعنى "المكاء" بالضم "الصَّفِير" مَكَا - يَمْكُو: صَفَّرَ في يده، وتجمع على مُكَاء وفضلاً على دلالة الصوت، دلالة الاستهزاء، فاجتماع لفظي المُكَاء والتَّصْدِيَةِ الذي يدلُّ على التصفيق³ أعطيا شكل المشركين وهم يؤذون مناسك عبادتهم بطريقة اسخرية والاستهزاء، والمكاء: صفير الطير، وهو الصوت الخالي من الحروف يقال: "مكا الطير يمكوا مكاء، ومكوا" أي صَفَّرَ، والمعنى أنّهم لم يكن لهم صلاة عند البيت إلا هذا؛ أي: جعلوها بدل الصلاة؛ فقد كانوا يأتون البيت، والقرآن يتلى، فيصفرون بأيديهم، ويلبغون، واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَالْغَوَا فِيهِ﴾ [فصلت: 26] يقصدون بذلك الغلبة، وقد غلبوا، وانقلبوا صاغرين⁴.

1 ينظر أبو بكر ابن السراج، **الأصول في النحو**، تح: عبد الحسين الفتلي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، د.ت)، 89/3، وجمال الدين الجبائي، **شرح الشافية**، تح: عبد المنعم أحمد هريدي، (مكة المكرمة: جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ط1، 1402هـ، 1982م)، 155/1.

2 أحمد بن زكريا، ابن فارس، **مقاييس اللغة**، 344/5.

3 ينظر فخر الدين الرازي، **التفسير الكبير**، 128/15، والبيضاوي، **تفسير البيضاوي**، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1418هـ)، 106/3.

4 ينظر السمين الحلبي، **الدّر المصون** 106/4.

و"المكاء": مصدر مكا، يَمَكُو؛ أي: صَقَّر بين أصابعه أو بين كَفَيْهِ، واستدل على ذلك بقول الأصمعي: "قلت لمسجع بن نيهان: ما تمكو فريصته؟ فشَبَكَ بين أصابعه، وجعلها على فيه، ونفخ فيها: يريد قول عنترة: [من الكامل]

وَحَلِيلَ غَانِيَةٍ تَرَكْتُ مُجَدَّلًا تَمَكُو فَرِيصَتُهُ كَشِدْقِ الْأَعْلَمِ¹

وذكر في ذلك: مكت الفريصة: أي صَوَّت بالدم، والمكاء: صغير على لحن طائر أبيض يكون بالحجاز كما سبق ذكره، واستدل على ذلك بقول الشاعر: [من البسيط]

إِذَا قَوَّقَ الْمُكَّاءَ فِي غَيْرِ رَوْضَةٍ فَوَيْلٌ لِأَهْلِ الشَّاءِ وَالْحُمُرَاتِ²

و"المكاء" على وزن فُعَال بناءً للمبالغة، يقال: مكا يَمَكُو مَكْوًا، ومكاء: أي صَقَّر، والمكاء بالضَّم كالبكاء، والصراخ. ولم يَشُدَّ من أسماء الأصوات بالكسر إلا الغناء، والنواء³.

وربط عددٌ من العلماء المكاء بالتصدية، وهناك من ذهب إلى أنهما شيء واحد، والمصدر من الصوت فقد جعل السمين الحلبي التصدية على معنيين، أحدهما من الصدى وهو ما يسمع من رجوع الصوت في الأمكنة الخالية الصلبة يقال منه صدى يصدي تصدية، والمراد بها هنا ما يسمع من صوت التصفيق بإحدى اليدين على الأخرى، وقيل مأخوذ من التصدد، وهو الضجيج والصياح، والتصفيق، واستدله على

1 ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليّات، ص 340.

2 أبو علي القالي، الأمالي، عنى بوضعها: محمد عبد الجواز الأصمعي، (القاهرة: دار الكتب المصريّة، ط2، 1344هـ، 1926م)، 32/2.

3 ينظر الحلبي، الدرّ المصون، 600/5.

ذلك بقوله تعالى: ﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ بالكسر؛ أي: يضحون ويلغطون وهو ماتقصده هذه الآية، أمّا القول الثاني فالصد المنع، والذي يؤيد ذلك قراءة "يُصْدُون" بالضم أي يمنعون¹.

وقد اتفق علماء التفسير واللغة والحديث على دلالة معناها²، فقد ذكر أبوجعفر قائلًا: "المكاء" النفخ، وأشار بكفه قبل فيه، والتصدية: التصفيق، وذكر في موضع آخر: "المكاء" التصفير، و"التصدية" التصفيق، فالمكاء عنده تصفير على نحو طير أبيض يقال له "المكاء"، ويكون بأرض الحجاز³، والتصدية: التصفيق، وقد ذكر في موضع آخر: "المكاء" التصفيق بالأيدي، والتصدية: صياح كانوا يعارضون به القرآن⁴.



1 ينظر السمين الحلبي، الدر المنصون، 602/5 – 605.

2 ينظر أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، 344/5، والراغب الاصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح: صفوان عدنان الداودي، (بيروت: دار القلم، دمشق: الدار الشامية، ط1، د.ت)، 1412 هـ، ص471، وفخر الدين الرازي، التفسير الكبير، 128/22، والبيضاوي، تفسير البيضاوي، 106/3، وأبو السعود، تفسير أبي السعود، (بيروت: دار إحياء التراث العلمي، د.ت)، 24/4، وجلال الدين السيوطي، الدر المنثور، 61/4، وأحمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق، الكشف والبيان في تفسير القرآن، تح: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1422 هـ، 2002م)، 353/4، وعلاء الدين الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، تح: محمد علي شاهين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1 1415 هـ)، 310/2، والراغب الاصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص773، وأبو بشر البندنجي التقي في اللغة، تح: د. خليل إبراهيم العطية، (الجمهورية العراقية: وزارة الأوقاف إحياء التراث الإسلامي ط14 (بغداد: مطبعة العاني، 1976م)، ص52؛ وأبو إسحاق الطرابلسي، كناية المحتفظ، ونهاية المتلفظ في اللغة العربية، تح: السائح علي حسين، (طرابلس الجماهيرية الليبية: دار إقرأ، د.ت)، ص140؛ وإسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، تح: أحمد عبد الغفور عطا، (بيروت: دار العلم للملايين، ط4، 1407 هـ، 1987م)، 2495/6، وابن منظور، لسان العرب، 454/14، ومحمد صديق خان القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن تح: خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، (بيروت: المكتبة العصرية، 1412 هـ، 1992م)، 170/5.

3 المكاء "بضم الميم وتشديد الكاف" وجمعه "مكاكي": طائر يشبه القنبرة، إلّا أنّ في جناحيه بلقا سُمّي بذلك لأنه يجمع يديه، ثم يُصَوَّر فيهما صفيراً حسناً.

4 ينظر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، 526/3.

وذكر الرازي أنَّ قريش تطوف بالكعبة عراة تصفر، وتصفق¹، فكانا يتخذون هذا الأمر عبادة فقد أقاموها مقام الصلاة وهي ليست بصلاة، كما يقول القائل: "زرت فلاناً، فجعل الجفاء صليتي" أي أقام الجفاء مقام الصلة الصلاة² واستدل على ذلك بقول الفرزدق: [من المديد]

فَلَمَّا خَشِيتُ أَنَّ يَكُونُ عَطَاؤُهُ أَذَاهُمْ سُودًا وَمُحْدَرَجَةً سَمَرًا³

أراد بالأذاهم القيود، وبالمحدرجة السيّاط، ووضعها موضع العطاء⁴. وذكر البغوي أنَّ المراد بـ"المكء" الصغير؛ فقد كانت قريش تطوف بالبيت وهم عراة يصفرون ويصفقون ويستهنؤون بمحمد ﷺ وأتباعه، فقد كانوا يُدْخِلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَيُصَفِّرُونَ؛ فالمكء جعل الأصابع في الشّدق، والتّصدية: التّصفير، ومنه الصّدى الذي يسمعه المصوّت في الجبل، والذي يؤكّد هذه الدّلالة قول أبي سلمة بن عبد الرحمن في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ فجمع كفيه، ثمّ نفخ فيهما صغيراً⁵. وقد اتّفق الماوردي⁶ والسمعاني⁷ في معناها الدلالي فذكرا أنَّ حقيقة "المكء" أن يجعل الرجل أصابعه في شديقه، والتّصدية: الصغير، فجعلاهما شيئاً واحداً.

1 ابن أبي حاتم الرازي، تفسير القرآن العظيم، 1696/5.

2 ينظر مأمون حموش، التفسير المأمون على منهج التنزيل، تدقيق: أحمد راتب حموش، (المؤلف، ط1، 1428هـ، 2007م)، 366/3.

3 الفرزدق، ديوان الفرزدق، شرحه: علي فاعور، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1407هـ، 1987م)، ص161.

4 ينظر أبو بكر الرازي، أمّوذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل تح: د. عبد الرحمن المطرودي، (الرياض: دار الكتب المملكة السعودية، ط1، 1413هـ، 1992م)، ص158.

5 ينظر عبد الله الزيد، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 354/3 – 355.

6 ينظر علي بن محمد الماوردي، تفسير الماوردي، تح: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، 315/2.

7 ينظر منصور السمعاني، الاصطلاح في الخلاف بين الإمامين الشافعي، وأبي حنيفة، تح: د. نايف بن نافع العمري، (القاهرة: دار المنار، ط1، 1413هـ، 1992م)، 263/2.

ومن الروايات التي ذكرها السمعاني أنَّ أربعة من بني عبد الدار كانوا إذا صلى النبي ﷺ في المسجد الحرام وقف اثنان عن يمينه، واثنان عن يساره، فيصوّر اللذان عن يمينه، ويصقّق اللذان عن يساره حتى يخلطوا عليه القراءة¹. وذكر إبراهيم الحربي: المكاء: الصغير، وهو صوت طائر أبيض دقيق طويل الرجلين، والعنق أبيض الساقين صغير المنقار يكون في كل زمان، وله صفيّر حسن، يقال: غرّد المكاء، ونعب وغنى، صاح وصوّت، والمكاء يقوي، ويصبي، وينقض. ومنه قول ابن أحرر: [من السريع]

كَأَنَّمَا الْمَكَاءُ فِي يَدَيْهَا سُرَادِقٌ قَدْ أَوْفَدَتْهُ الْأَصُورُ²

هنا وصف بلادًا خالية، والشيء القليل يتبين فيها كثيرًا، فإذا نظرت إلى المكاء على صغره ظننته سرادقًا³. وقد اختلف ابن دريد عن غيره من علماء الغريب والمعاجم، حيث جعل المكو، والمكاء بمعنى واحد، وهو جحر الضبّ أو الحية. ومنه قول الشاعر: [من المتقارب]

وَكَمْ دُونَ بَيْتِكَ مِنْ صَفْصَفٍ وَمِنْ حَنْشٍ جَاحِرٍ فِي مَكَا⁴

وجاء في تفسير عبد الله بن عباس أن المكاء هو القنبرة، والتّصدية: صوت العصافير، وهو التصفيق وذلك أنَّ الرسول ﷺ كان إذا قام إلى الصلاة كان يصلي قائمًا بين الحجر⁵ وبين الركن اليماني⁶، فيجيء

1 ينظر المصدر السابق، 263/2.

2 الرّاغب الأصبهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، (بيروت: دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط1، 1420هـ)، 638/2.

3 أبو البركات الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص95.

4 يُنسب إلى الأعشى، وهو في شرح كتاب سيبويه، 387/2. ونقله من غير أن ينسبه إلى قائل أبو بكر ابن دريد، جمهرة اللغة، تح: رمزي منير بعلبكي، (بيروت: دار العلم للملايين، ط1، 1987م)، 1084/2.

5 الحجر: حجر الكعبة، وهو مصطبة محاطة بخائط إلى ما دون الصدر، منه ما تركته قریش من الكعبة، واقتصرت في بنیان الكعبة على بابین مع ركني الكعبة العراقي والشامي. ينظر ابن شمائل القطيعي، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، (بيروت: دار الجيل، ط1، 1412هـ)، 381/1.

6 الركن اليماني: أحد أركان الكعبة، وهو من جهة اليمين، والذي فيه الحجر الركن البصري.

رجلان من بني سهم يقوم أحدهما عن يمينه، والآخر عن يساره، فيصيح أحدهما كما تصيح المكاء، يصفق بيديه كتصديده العصفير ليفسد عليه صلاته. وكانت العرب تعرف ذلك، ومنه قول الشاعر:

تَقُومُ إِلَى الصَّلَاةِ إِذَا دَعَيْنَا وَهَمَّكُمُ التَّصْدِي وَالْمُكَاءُ¹

وذكر أبو موسى أنَّ المكاء لحن طائر معروف بالحجاز، كما سبق ذكره يقال له: "المكاء"، وجمعه "المكاكي"، وقد كانوا يؤدُّون عبادتهم وهم يصفرون بلحن صوت هذا الطير².

يرى الباحث أن هذا المصطلح تمَّ استخدامه في القرآن لإظهار أنَّ من شروط الصلاة الهدوء والخشوع، وقد استعمل كجزء من تعاليم الإسلام بشأن تقدير الصلاة والاجتماع مع الله بخشوع وهدوء وتذلُّل.

ب - حُطَام:

الحُطَام هو كل ما تكسَّر من شيء وصار قطعاً متناثرة، أي بقايا الشيء بعد تحطُّمه، وهو ما يبس من النبات، ومنه هشيم التبن، ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَهِيْجُ فَتَرْلَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا﴾ [الرَّحْمَ: ٢١]، وقد ذُكرت في مواضع أخرى من القرن الكريم، وتشير أغلبها إلى الدمار وبقايا الأشياء، كما تشير إلى الهلاك أو العذاب؛ ففي سورة القمر الآية الـ "31"، تدلُّ كلمة "الحطام" على العذاب الذي أصاب قوم هود، وفي سورة الصافات الآية الـ "14" جاءت كلمة "الحُطَام" في سياق عذاب قوم شعيب، وكيف غدوا أعجازاً نخلٍ متساقطة، وغيرها كثير.

1 ينظر عبد الله بن عباس، غريب القرآن "مسائل نافع بن الأزرق"، ص 239. لم أعثر على قائل له أو شاعر نُسب إليه.

2 ينظر محمد بن عمر الأصبهاني، المجموع المغيث في غريب القرآن والحديث، تح: عبد الكريم العزباوي، (مكة المكرمة: جامعة أم القرى. مركز البحث العلمي، وإحياء التراث الإسلامي ط 1، 1408هـ)، 223/3.

ذكر السمين الحلبي أنَّ أصل الحطم تكسير الشيء وتفتيته، مستأنساً برأي شيخه أبي حيان، فقد ذكر في تفسيره: "الجنة خير مما يجمع هؤلاء من حطام الدنيا"¹، حيث شبه متاع الدنيا بالحطام؛ أي: الشيء المهشم الذي لا قيمة له. وفي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا﴾ [الرُّم: ٢١]؛ أي: كسيراً. وقال: الحُطْمَةُ: اسم من أسماء يوم القيامة، وهي جهنم؛ لأنها تحطّم ما يُلقَى فيها، واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿كَأَلَّا لِيُثَبِّدَنَّ فِي الْحُطْمَةِ ۖ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطْمَةُ ۖ نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ ۖ﴾ [الهُمَزَة: ٤-٦]، فالموقدة تعني الملتهبة التي تحطّم كل ما أُلْقِيَ فيها. ويقال: رَجُلٌ حُطْمَةٌ؛ أي: أكل. تشبيهاً له بالنار. والرجُلُ الحُطْمُ: راعي الأبل الذي يقود رعيته بعُنفٍ، فتُحطّم ما على طريقها. ومنه في الحديث الشريف: "إِنَّ شَرَّ الرِّعَاءِ الحُطْمَةُ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ"². ومنه قول الشاعر: [من الرجز]

هذا أوانُ الشَّدِّ فاشتدِّي زيمَ قد لَقَّها اللَّيْلُ بسَوَاقِ حُطْمٍ³

ومنها أيضاً قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا التَّمْلُ أَدْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمُنُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [التَّمْل: ١٨]؛ أي: لا يهشمكم، لا يقتلنكم بوطئهم عليهم بأقدامهم⁴، واستند على تأكيد هذه اللفظة بقوله تعالى: ﴿كَهَشِيمِ الْمُحْتَضِرِ﴾ [القمر: 31]؛ أي هلكوا وصاروا كحطام النبات الذي يتخذه الراعي حظيرةً بسبب تحطّمه⁵.

ذُكِرت لفظة "الحطام" في القرآن الكريم في العديد من الآيات، وفي أغلبها تدل على الدمار وبقايا الأشياء، وفي القرآن الكريم جاءت هذه اللفظة في أغلب مواضعها دالة على الهلاك أو العذاب ففي سورة

1 أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 370/9.

2 صحيح مسلم، رقم 1830.

3 شهاب الدين النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ط1، 1423هـ)، 98/1.

4 ينظر السمين الحلبي، الدرالمصون، 160/10 – 162.

5 ينظر السمين الحلبي، الدرالمصون، 159/10.

القمر آية 31، يشير القرآن إلى أنَّ الحُطام هو العذاب الذي أصاب قوم هود، وفي سورة الصافات آية 14 جاء الحُطام في سياق عذاب قوم شعيب فأصبحوا نخل متساقطة، وغيرها كثير.

ج - تُراب:

مصطلح التربة يرتبط بأصل خلق الإنسان الأوّل آدم عليه السّلام، ويكون من لوازم مفردة الوطن؛ فتُراب الوطن أعلى ما يملكه الإنسان الحرُّ، وأعزُّ ما يفتخر به، وأصلُّ ما ينتمي إليه، لكنَّ السّياق أخذ دوره في تحديد دلالة هذا المصطلح، وأعني بالسّياق السّياق القرآني على وجه الخصوص. والتراب هو المكان الذي سيعود إليه الإنسان بعد موته، وهي النهاية المحتومة للجسد الإنساني حين يعودُ على أصله الذي خلق منه.

ذكر السمين الحلبي أن التراب اسم جنس، ومفرده تربة، والتربة: هي الأرض، وريح تربة: كانت حمّلة بالتراب، واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ [البّء: ١٦]؛ أي: من كان يلتصق جلده بالتراب لفقره، وذكر: ترب الرجل؛ أي: افتقر، وأُترب: أي صار غنيًا ذا مال كثير يشبه التراب من كثرته، ومنه قول النّبي ﷺ: "فاظفر بذات الدين تربت يداك"¹، والتراب: آدم عليه السلام؛ أي: أصلكم من تراب، واستند على ذلك بقوله تعالى: ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ﴾ [الحج: ٥] وقول العرب: كلُّ أحدٍ يُخلَق من تربته التي يُدفن فيها، ويأخذها الملك فيذرّها على النطفة². وقد جعلها السمين الحلبي في القرآن الكريم على أربعة أوجه دلالية، هي: "الرميم - الأشكال - الضلوع - البهائم"

1 البخاري، صحيح البخاري، برقم 5090.

2 ينظر السمين الحلبي، الدّر الحصون، 160/10

ففي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾ [الرَّعد: ٥]؛ أي: رميمًا. يفسره السياق في قوله تعالى: ﴿لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾؛ أي: هل نبعث ونحشر تُرَابًا "ريميًا هَشًّا"، كالحطام والفتات، كأنه "خلق جديد"¹، والذي يؤكد ذلك تمام الآية السابقة: ﴿أَوَدَا كُنَّا تُرَابًا أَمْ إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلُلُ فِيْ أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيْهَا خَالِدُونَ﴾ [الرَّعد: ٥] وقوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨]، فالرِّمَّة تختصُّ بالعظام البالية، وقد تمنَّوا أن يكونوا تُرَابًا كالريميم الذي بدأ منه الخلق، وهي العظام التي سحقت حتى إذا نفخ فيها لم يُسمع لها دويٌّ²، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَعَابًا أَؤْتَانَا أَنْبَاءَ لَمُخْرَجُونَ﴾ [النمل: ٦٧]، فقد ذكر أترابًا أشكالا وتمائيل، ومنها قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرَفِ أَتْرَابٌ﴾ [ص: ٥٢] أترابًا: جمع تُرب؛ أي: مستويات في السن والجمال والشباب، وهنَّ بنات ثلاث وثلاثين سنة، يمسُّ جلدهما التُّراب في وقت واحد، واستدل على ذلك بقوله تعالى في سياق الآية، حيث نزلت في وصف جزاء المتقين: ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَكَابٍ ﴿٥١﴾ جَنَّتٍ عَدْنٍ مُّفْتَحَةٌ لَهُمْ الْأَبْوَابُ ﴿٥٢﴾ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَلَكَهٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥٣﴾﴾ [ص: ٤٩ - ٥١].

وفي قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ [النبي: ٤٠]؛ أي: بهيمة من البهائم، واستند على ذلك بقول أهل التأويل: يقول الكافر في يوم لا ينفع فيه الندم، يا ليتني كنت ترابًا أي كالبهائم التي جعلت في نفس هذا اليوم ترابًا يقول: حدثنا محمد بن بشر، قال: ثنا محمد بن جعفر، وأبي عدي، قال عوف، عن أبي المغيرة عن عبد الله بن عمرو قال: "إذا كان يوم القيامة مُدَّ الأديم، وحُشِرَ الدواب والبهائم، والوحش، ثم يحصل القصاص بين الدواب يقتصَّ للشاة الجماء من الشاة القرناء نطحتها، فإذا فرغ من

1 ينظر المصدر السابق، 16/7.

2 ينظر المصدر السابق، 367/7.

القصاص بين الدواب، قال لها: كوني ترابًا، قال فعند ذلك يقول الكافر يا ليتني كنت تُرابًا¹، وقد وافق علماء التفسير السمين الحلبي الرأي في تفسير دلالة هذه الآية².

وذكر الترائب: جمع تريبة، وهي عظم الصدر التي تقع عليها القلائد، ومنه قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ [الطَّارِق: ٧]، إشارة إلى خلق الإنسان فيكون من ماء الرجل الذي يخرج من صلبه، وماء المرأة الذي يخرج من ترائبها، وقد ذكر الحلبي أنَّ ماء المرأة قد يتكوَّن من لبنها الذي يخرج من ثديها المجاور لترائبها³.

والذي يراه الباحث أنَّ هذه اللفظة ذُكرت في القرآن الكريم على رسمين، هما "ترابا" و "تربا"، والرسمان يُقرآن بصوت واحد يصعب أن نُميِّز أن نُميِّز بينهما، فقد ذكرت بإثبات الألف في معرض خلق الإنسان وصيرورته بعد الموت 12 مرَّة، و6 ذكرت للخلق، و6 مرَّات ذُكرت للصيرورة بعد الموت، وذُكرت بحذف الألف في معرض الصيرورة بعد الموت 3 مرات، فالإثبات يعني وجود مسافة زمانية أو مكانية أو نفسية، أمَّا حذفها فيعني عدم وجود مسافة، إشارة إلى القرب والالتصاق والامتزاج، فإذا ما نظرنا إلى الآيات التي ثبتت فيها الألف نجد مسافة، ففي حالة الخلق نجد مسافة زمنية بين تحوُّل الإنسان من تراب إلى عظم ولحم، كذلك في حالة الموت هناك مسافة زمنية بين تحول الميت من لحم وعظم إلى تراب، أمَّا الآيات التي ذُكرت فيها بحذف الألف ذُكر فيها الصيرورة النهائية.

1 المصدر السابق، 208/10.

2 ينظر ابن مسعود البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 419/12، وجار الله الزمخشري، الكشاف، ضبطه ورَّبه: مصطفى حسين أحمد، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط3، 1407هـ، 1987م)، 692/4.

3 ينظر السمين الحلبي، الدر المنصون، 686/3.

الصِّيْغَةُ الثَّالِثَةُ: فَعْلَان:

تدل هذه الصيغة على التَّقَلُّب والاضطراب والإهتزاز¹، ومن أمثلتها في القرآن الكريم:

أ – الحيوان:

هو الحي وهو كل ما فيه روح يتحرك ويتغذى ويتنفس ويحس، وهو في الأصل مقر الحياة²، وقد وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤]، دلت لفظة "الحيوان" في هذه الآية الكريمة على معنى المبالغة، والذي يؤكد ذلك القرائن الموجودة في سياق الآية، فالآية تتكلم على الدار الآخرة، وهذه الدار هي التي تنتهي إليها حياة كل البشر، فهي الحياة الحقيقية؛ لأنَّ الموت والفناء يمتنعان فيها³ فاستعمال صيغة "فَعْلَان" جاءت للمبالغة في إثبات معنى الحياة للدار الآخرة، وهي حياة حركة ونشاط وابتهاج⁴؛ إذ فيها ديمومة واستمرار، أمَّا الحياة الدنيا فهي حياة اللهو واللعب بما تشتمل عليه من انكسار وسأم من رتابة صور الحياة وتكرارها بلا تجدد، مع سرعة انقطاع لذاتها، وزوال نعيمها وتحول عاقبتها⁵؛ لذا جاء اختيار لفظة "حيوان" على صيغة "فَعْلَان" أبلغ في التعبير عن الحياة الآخرة، وعن كمال حياة الآخرة⁶، فهي ليست حياة طيبة ولا عظيمة فحسب⁷، بل هي حياة دائمة ومتجددة لاسكون فيها، والذي يؤكد ذلك مجيئها مؤكدة بـ "إِنَّ – واللام" ومُطْلَقَةً بلا وصف⁸؛ أي: إنه

1 ابن مالك، ذكر معاني أبنية الأسماء، تح: عبد الإله نبهان، (القاهرة: مجلة معهد المخطوطات العربية، 1989م)، ص 30، وخالد بن عبد الله الأزهرى، شرح التصريح على التوضيح، 27/2.

2 ابن فارس، مقاييس اللغة، 227/5.

3 ينظر أبو مظفر السمعاني، تفسير القرآن، 193/4.

4 ينظر عبد الحميد أحمد يوسف هندواي، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، ص 95.

5 ينظر المصدر السابق نفسه، ص 98.

6 ينظر فاضل صالح السامرائي، معاني الأبنية في العربية، (الأردن: دار عمار، 2017م)، ص 31.

7 ينظر الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، ص 234.

8 ينظر الدكتور حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، (القاهرة: دار الفكر العربي، 1418هـ، 1998م)، ص 72 – 73.

تعالى قال: الحيوان من دون أن يصفها بأوصاف أخرى، ومعنى هذا أن لفظة حَيَوَان فيها من الوصف الذي يكتفي به.

فإذا ما وقف المسلم المتدبر في آيات القرآن الكريم عند كلمة "الحَيَوَان" في قوله تعالى: (وَإِنَّ الدَّارَ لَهِيَ **الْحَيَوَانُ**) متسائلاً: ما علاقة الحيوان الذي يمشي على أربع بالدار الآخرة؟ فيقرأ الآية مرّة ثانية، فيجد المولى سبحانه وتعالى يختم الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ وفي ذلك إشارة ضمنية إلى البحث في هذه الكلمة، فيرجع إلى كتب التفسير، فنجد تفسيراً للكلمة تأتي في بعضها على النحو التالي، الحيوان "الحياة الدائمة الباقية".

من هنا نعلم أن الحيوان هنا "الحياة" وليس الحيوان الذي يمشي على أربعة قوائم. ولتوضيح ذلك فإنَّ الفرق في بين اللَّفْظَتَيْنِ في التَّعبير عن المقصود هو أن كلمة "الحيوان" تدل على أن الدار الآخرة بكل تأكيد هي الحياة الباقية المستمرة التي لا زوال لها، أمّا كلمة "الحياة" فليس من معناها الاستمرار، ولا بدَّ لها من نهاية. قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وذكر السمين الحلبي أن الحيوان في الأصل يعني مقرَّ الحياة، وهو على اعتبارين: أحدهما ما له حاسة كالحيوانات الحساسة، والآخر ما له بقاء سرمدى، وهو ما وصفت به الآخرة في قوله تعالى: ﴿لَهَا **الْحَيَوَانُ**﴾ ونبه بحرفي التأكيد على أن الحيوان الحقيقي السرمدي الذي لا يفنى، وما فيه حياة، والموت ما ليس فيه حياة، والحيوان يقع على كلِّ شيء حيٍّ، ومعناه من صار إلى الآخرة أفلح ببقاء الأبد¹، والحيوان: عينٌ في الجنة، والحياة: ضدَّ الموت، فالحيوان يعني الحياة الدائمة، وقد تستعمل على أضرب متعددة، وهي:

1 ينظر السمين الحلبي، الدر المنصون، 478/1.

1- الحياة هي القوة النامية الموجودة في النبات والحيوان، ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ

شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠] .

2- الحياة هي القوّة الحسّاسة، وبه سمّي الحيوان حيواناً قال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا

الْأَمْوَاتُ﴾ [فاطر: ٢٢] .

3- الحياة هي القوة الفاعلة العاقلة قال تعالى: ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢] . قال إحياء

هنا بثّ القوّة التي تمكّن الشّخص من الحركة، ومن فعل الشّيء.

4- الحياة تعني ارتفاع الغم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ

أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] وقول الشاعر: [من الخفيف]

لَيْسَ مَنْ مَاتَ فَاسْتَرَحَ بِمَيِّتٍ إِنَّمَا الْمَيِّتُ مَيِّتٌ الْأَحْيَاءُ¹

5- الحياة الأخروية هي الحياة الأبدية التي يتوصل إليها بالعلم والعقل، واستدل على ذلك بقوله

تعالى: ﴿يَقُولُ يَلَيِّتَنِي قَدَمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر: ٢٤] . والحياة التي وصف بها الله عزّ وجلّ فقيل: الله الحي تعني

أنّه الذي لا يصح عليه الموتان، ولا يتصف بذلك أحد سواه².

يظهر أنّ الشّاهد السّابق لا يمثّل المعنى الذي ذهب إليه السّمين الحلبي من أنّ الحياة الأبدية يُتوصّل

إليها بالعلم والعقل؛ فالآية تعبير عن التحسّر والنّدامة على ضياع الوقت في غير طاعة الله، وهذا التّحسّر

إنّما يكون بسبب النّتيجة التي سيؤول إليها الكافر، ولكن هيهات أن ينفع شيء من هذا.

1 ينسب البيت إلى صالح عبد القدوس. محمد بن العباس، الأمثال المولّدة، (أبو ظبي: الجمع الثقافي، 1424هـ)، ص 405. وسيرد في

ص 277، كما نسب في الأصمعيّات إلى عدي بن رعاء الغساني.

2 ينظر الحلبي، الدّر المصون، 540/2، 425 /8، 158/10.

وقد اتَّفَق ما ذهب إليه السمين الحلبي مع ما ذكره علماء التفسير¹ حول دلالة هذه اللفظة، فذهب الزمخشري إلى أنَّ "في بناء الحيوان زيادةً معنًى ليست في بناء الحياة، وهي ما في بناء "فعالان" من معنى الحركة والاضطراب، كالنزوان، والنغضان، واللهبان، وما أشبه ذلك، فالحياة حركة كما أنَّ الموت سُكون، فمجيئته على بناء دالٍّ على معنى الحركة مبالغةً في معنى الحياة، لذلك أُختيرت هذه اللفظة على الحياة في هذا الموضع المقتضى للمبالغة" في حين ذكر الواحدى الحيوان: مصدر للحياة التي لا يشوبها ما يشوب الحياة في هذه الدار، ويجوز أن يكون الحيوان خلاف الموتان.

إذاً الحياة والموت نقيضان، كما أن الحيوان والموتان نقيضان، وما يصحُّ في أحدهما لا يصحُّ في الآخر غالباً، ولكلٍ منهما خصائصه وصفاته. والحيوان الذي ورد في القرآن الكريم يعني حياةً مختلفة عن حياتنا؛ لما فيه من صفة الدوام والسرمدية، ولعلَّ فيه صفة لم يذكرها السمين الحلبي أو غيره من المفسرين وهي خلؤه من الموت المتجدد، وخلؤه من غير المؤمنين؛ أي: لا يعيشه عيشةً حقيقيةً إلاَّ المؤمنون. فلفظة "الحيوان" ذكرت في القرآن الكريم في العديد من الآيات، وغالبًا ما تأتي في سياق الخلق والآيات الكونية للإشارة إلى عجائب خلق الله في الكون وتنوع المخلوقات.

ب - الخسران:

1 ينظر الزمخشري، الكشف، 212/3، والقرطبي، تفسير القرطبي، 362/13، وعلي بن أحمد الواحدى، التفسير البسيط، (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1، 1430هـ)، 558/1، وينظر الماوردي، تفسير الماوردي، 293/4، وبرهان الدين الكرمانى، غرائب التفسير وعجائب التأويل، (الرياض: دار القبة للثقافة الإسلامية، جدة مؤسسة علوم القرآن، د.ت)، 887/2، وابن قتيبة الدينوري، غريب القرآن، تح: أحمد صقر، (القاهرة: دار الكتب العلمية، الطبعة المصرية، 1398هـ، 1978م)، 339، وابن الأحنف اليمنى، البستان في إعراب مشكلات القرآن - من الأنبياء إلى آخره، تح: أحمد محمد عبد الرحمن الجندي، (الرياض: مركز فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط1، 1439هـ، 2018م)، 24/2، وأبو عبيدة معمر بن المثنى، مجاز القرآن، 117/2، ومحيي الدين درويش، إعراب القرآن وبيانه، (بيروت: دار اليمامة، دمشق: دار ابن كثير، ط4، 1415هـ)، 260/3 وينظر الزجاج، معاني القرآن، 2/5

صيغة مبالغة من خسر ، فالخاء والسين والراء أصل واحد وهي النقص، ومنه خسرت الميزان وأخسرت، أي نقصته، وهي ضلال السعي وفقدان الأموال والأهل في الدنيا والآخرة¹، وذكر السمين الحلبي أن صيغة الخسران من الناحية اللغوية إحدى صيغ المبالغة، وهي من "خسر" لا وأصوله "الخاء - والسين - والراء" تدل على النقص، واستند على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى التَّالِسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝﴾ [المطففين: ١ - ٣]، فالخسر والخسران، كالكفر والكفران، والفرق والفرقان، يقال: خسرت الميزان وأخسرت إذا أنقصته، ويغلب استعماله في المجازات والقيم والمعاملة². ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَقِمْوْا لِّلزَّانِ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٩]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ [الأعراف: ٩] وذكر في قوله تعالى: ﴿الْأَخْسِرُونَ﴾ وهم الكفار من باب التفضيل، وذلك لاختلاف الزمان والمكان، فالكفار هم أكثر خساراً في الآخرة من الدنيا، وإلى ذلك ذهب من قبل ابن عطية، فقال: "الأخسرون جاءت للمبالغة لا للشركة؛ لأنَّ المؤمن لا خسران له في الآخرة ألبتة"³. وللخسران في القرآن الكريم خمسة أوجه دلالية، كما ذهب إلى ذلك السمين الحلبي، وهي:

"العجز - العبن - الضلال - النقص - العقوبة"

فقد ذكر في قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا لَخَسِرُونَ﴾ [يوسف: ١٤]، أفادت لفظة "خاسرون" في هذه الآية الكريمة معنى "العجز"، أي عاجزون عن دفع الأذى عنهم وعن أخيهم، وهم عصابة، والدليل على ذلك ما جاء في سياق الآية الكريمة فقد قال تعالى على لسان يعقوب: ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنَّ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غٰفِلُونَ﴾ [يوسف: ١٣]، ثم قال تعالى في سياق

1 ابن فارس، مقاييس اللغة، 2/182.

2 ينظر السمين الحلبي، الدر المحصون، 1/502.

3 ينظر السمين الحلبي، الدر المحصون، 8/571.

الآية لتأكيد خسراهم؛ أي: عجزهم: ﴿وَجَاءُوا آبَاءَهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾ [يُوسُف: ١٦]. ويقال: مغبونون بترك حرمة الوالد، والأخ¹، وقد اتَّفَق المفسرون مع السمين الحلبي في تفسير هذه الآية، فـ "خاسرون" عند الماوردي: عاجزون²؛ وعند الحنبلي: ضعفاء مغبونون³، وعند ابن كثير: هالكون عاجزون⁴. وعَرَّف الشنقيطي⁵ الخسران -شرعاً- بأنه: غَبْنُ الإنسان في حظوظه من ربِّه جلَّ وعلا؛ لأنَّ الإنسان إذا غبن في حظوظه من ربِّه، فقد خسر الخسران المبين⁶.

ومن خلال المعنى اللغوي السابق ومعاني الآيات التي وردت فيها لفظة الخسران يمكن أن يقال في التعريف الاصطلاحي لكلمة "الخسران": ضلال السعي، وفقدان الأموال والأهل في الدنيا والآخرة، والوقوع في الهلاك والضلال، أو هو فقدان الأعمال والأموال، والأهل، والأجر، والثواب في الدنيا والآخرة بسبب ضلال السعي والانحراف عن دين الله. وذكر ابن دريد أنَّ الخسران يراد بها السَّفَل وهو ضد العلو، ورجل خسيس من سَفَلَةِ النَّاسِ وَأَرْذَلِهِمْ، ويقال: هَبَطَ في سفال، أي: رجع إلى خسران⁷. وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الرُّم: ١٥]

1 ينظر المصدر السابق، 570/10 - 571 - 752.

2 ينظر الماوردي، تفسير الماوردي، 13/3.

3 ينظر مجيز الدين المقدسي، فتح الرحمن في تفسير القرآن، تح: نور الدين طالب، (دار النوادر إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط 1، 1430 هـ، 2009م)، 59/6، وجمال الدين السيوطي، تفسير الجلالين، (القاهرة: دار الحديث، ط 1، د.ت)، ص 304.

4 ينظر أبو فداء، تفسير ابن كثير، 373/4.

5 هو محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني نسبة إلى يعقوب الجكني الشنقيطي، ولد في 17 فبراير 1905 بلاد شنقيط، تعلَّم لدى صالح العثمان القاضي، وعبد اللطيف بن عبد الرحمن الملا فهو فقيه من أكبر فقهاء السعودية في عصره.

6 محمد الأمين الشنقيطي، العذب الثمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، تح: خالد بن عثمان، (مكة المكرمة: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ط 3، 1426هـ)، 85/3.

7 ينظر ابن دريد الأزدي، جمهرة اللغة، 847/2.

أفادت لفظة "خاسرين" عند الحلبي معنى الغبن¹، حيث ذكر أن "الغبن" يعني الشعور بالنقص، ومثله الخبن، لا شراكهما في حرفين من ثلاثة كما في فقه اللغة، ومن ذلك سُمِّي يوم القيامة "يوم التغابن" لما يظهر فيه من خسران أهل الكفر والضلال، حيث باعوا آخرتهم، واشتروا بها دنياهم، فظهر خسراهم وبوار تجارتهم²، ونحوها في القرآن الكريم كثير³.

وتتمة للآية السابقة فقد أفادت لفظة "خاسرين" معنى الخسر، وهو الهلاك والضلال المبين، ونحوها في القرآن الكريم كثير⁴، وفي "خسروا أنفسهم" تأويلات:

- 1- خسروا أنفسهم بإهلاكها في النار، وخسروا أهليهم بأن لا يجدوا في النار أهلاً، وقد كان لهم في الدنيا أهل.
 - 2- حرموا أنفسهم بما حرموها من الجنة.
 - 3- خسروا أنفسهم وأهاليهم بأن صاروا بالكفر إلى النار، وصار أهلوهم بالإيمان إلى الجنة.⁵
- وفي قوله تعالى: ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٨١]، حيث أفادت لفظة "المخسرين"

1 التغابن من الغبن، فيقال: "غبنه في البيع، يغبنه غبنًا، قال الإمام الفيومي رحمه الله عليه: غَبَنَ في البيع والشراء غَبْنًا من باب ضرب مثل غَنَبُهُ فَنَغَبَ وَغَبَنُهُ أي نقصه وَغَبْنٌ بالبناء للمفعول فهو مَغْبُونٌ أي منقوص في الثمن أو غيره وَالْغَيْبَةُ إسم منه، وَغَبْنٌ رأيه غَبْنًا من باب تَعِبَ أي قَلَّتْ فُطْنَتُهُ وَدَكَؤُهُ، ينظر أحمد بن محمد الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، (بيروت: المكتبة العلمية، 1987م)، ص442، وأبو بكر الرازي، مختار الصحاح، تح: يوسف الشيخ محمد، (بيروت: الدار النموذجية، صيدا: المكتبة العصرية، ط5، 1420هـ، 1999م)، مادة "غ. ب. ن"، ص224، والفيروز أبادي، القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقشوسي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط8، 1426هـ، 2005م)، فصل، غ "الغبن"، 1219/11.

2 ينظر السمين الحلبي، الدرر الحصون، 581/8.

3 نظيرها في الأنعام: 12 - 20، والأعراف: 9 - 53 وهود: 21، والمؤمنون: 103 والشورى: 45.

4 نظيرها في [النساء: 119].

5 ينظر السمين الحلبي، الدرر الحصون، 571/8.

عند الحلبي، معنى النقصان¹ ونحوها في القرآن الكريم كثير²، وقال تعالى: ﴿لَيْنٌ أَشْرَكَتْ لِيَجْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الرُّم: ٦٥]، أفادت لفظة "الخاسرين" معنى العقوبة³.

تشير لفظة الخسران في القرآن الكريم إلى إضاعة الدنيا والأخرة، وقد جاءت في العديد من الآيات دالة على الفقد الذي ينتج عن الغفلة، ونلاحظ في العديد من الآيات أنَّ القرآن يُظهر الخسران للذين يتجاهلون وصايا الله ويعيشون حياة من الفساد والمعصية، بينما النجاة تأتي لأولئك الذين يؤمنون بالله ويعملون الصالحات ويتمسكون بالحق والصبر.

الصِّيْغَةُ الرَّابِعَةُ: فِعَالٌ:

تصاغ هذه الصيغة للدلالة على الامتناع "كأبي: إباء، وشرذ: شرادًا"⁴، ويصاغ هذا الوزن أيضًا للدلالة على قرب شيء من شيء "كالصِّراف، والصِّراب، والتَّكاح". قال سيبويه: "وقالوا في أشياء قَرَبَ بعضها من بعض جاؤوا به على وزن "فِعَالٌ" وذلك نحو الصِّراف في الشاة لأنَّه هياج فتشبه به ... ومثله الهَيَاب والقِرَاع لأنَّه يُهَيِّج فيذكر"⁵.

ويُجاء بالمصدر على هذا الوزن للدلالة على الحينونة، كالصِّرام، والجِراز. قال سيبويه: "وجاءوا بالمصادر حين أرادوا انتهاء الزمان على مثال: "فِعَالٌ" وذلك نحو: "الصِّرام، والجِراز، والجِدَاد، والقِطَاع، والحِصَاد، وربما دخلت اللغة في بعض، فكان فيه "فِعَالٌ وفَعَالٌ"، فإذا أرادوا الفعل على فَعَلْتُ قالوا:

1 ينظر ابن منظور، لسان العرب مادة "خ. س. ر"، 1156/2. ومحمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، 634/17، والزجاج، معاني القرآن وإعرابه، 122/1، وأبو محمد مكي، 538/4، وأبو مظفر السمعاني، تفسير السمعاني، 64/4، والبغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، 127/6 وينظر أبو بركات النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، 579/2، وأبو فداء تفسير ابن كثير 159/6، والفيروز أبادي، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ص 313، وجلال الدين السيوطي، تفسير الجلالين، ص 490.

2 نظيرها في الرحمن: 4، المطففين: 3.

3 نظيرها في القرآن الكريم في هود: 47، والأعراف: 149.

4 ينظر خالد الأزهرى، شرح التصريح على التوضيح، 123/2، وعلي بن محمد الأشموني، شرح الأشموني، (بيروت: دار الكتاب العلمية، ط1، سنة 1429هـ، 1998م)، 304/2.

5 سيبويه، الكتاب، 217/2.

"حصدُّهُ حصداً، وقطعته قطعاً إنّما تريد العمل لإنتهاء الغاية"¹، وتأتي الفِعال للدلالة على أسماء الوسم، جاء في الكتاب: "وأما الوسم فإنه يجيء على فِعال نحو: الحِباط، والعِلاط، والعِراض، والجِنب، والكِشاح. وجاء في ديوان الأدب أنّ فِعال يكون بناء لأسماء الوسوم نحو: العِلاط والكِشاح²، وجاء في شرح الرضي على الشافية: والفِعال بالكسر غالبٌ في السِّمات أيضاً، كالعِلاط والعِراض، لوسمٍ على العنق، والجِنب على الجنب، والكِشاح على الكشح³. ومن أمثلتها في القرآن الكريم:

أ – السِّقَاية:

تعني إعطاء الماء أو إسقاط السائل، وهي إناء كان الملك يشرب فيه، وعادة ما يكون من معدن نفيس، ولقد كان يوسف عليه السلام يكتال به بسبب قلة الطعام وندرته، وهي التي أطلق عليها القرآن لفظة الصواع⁴.

يتبادر إلى ذهن القارئ أن مفردة السِّقَاية تعني ريّ الشَّيء، وأنها مرتبطة بالماء على اختلاف أنواعه، وأنّ الماء آتوها؛ أي: بالماء يُسقى الزَّرع، وترتوي الأرض، وتبتلُّ جذور الأشجار. وقد ذكر السمين الحلبي: السَّقِيُّ: السحابة العظيمة القطر، ومنه قول المصطفى ﷺ: "اللَّهُمَّ سقيا رحمة لا سقيا عذاب"⁵؛ أي: غيثاً نافعاً بلا ضرر، وذكر في مكان آخر: السَّقِيُّ: البرْدِيُّ. وامرأة سقاية: يضرب للحسن، والسَّقِيُّ: النخل،

1 عمرو بن عثمان سيويوه، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط3، 1408هـ، 1988م)، 217/2، وابن قتيبة الدينوري، أدب الكاتب، تح: محمد الدالي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، د.ت)، 472، والرضي الأسترابادي، شرح الشافية لابن الحاجب، تح: محمد نور الحسن، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1395هـ، 1975م)، 153/1-154.

2 ينظر الفارابي، معجم ديوان الأدب، تح: د. إبراهيم أنيس، (القاهرة: مؤسسة دار الشعب، 1424هـ، 2003م)، 86/2.

3 ينظر ابن الحاجب، شرح الرضي على الكافية، تح: صالح عبد العظيم الشاعر، (القاهرة: مكتبة الأديب، ط1، 2010م)، 154/1.

4 ابن فارس، مقاييس اللغة، 85/3.

5 محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، المهذب في اختصار السنن الكبرى للبيهقي، تح: ياسر إبراهيم محمد، (الرياض: دار الوطن، الأولى، 1422هـ)، 1284/3.

والمِسْقَاةُ: موضع الشرب، وبالكسر كالآلة التي هي مِسْقَاةٌ¹، وذكر: السقاية: الصاع، وهو الموضع الذي يتخذ فيه الشراب في المواسم. وفي القرآن السقاية: الصُّوع الذي يشرب فيه الملك، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيُّهَا الْعَيْرُ إِنَّكُمْ لَسَرِقُونَ﴾ [يُوسُف: ١٧٠]، وهو إناء من فضة يكيلون به الطعام. وفي حديث معاوية أنه باع سقاية من ذهب بأكثر من وزنها، وهذا ما يدل على حرفة السِّقَاء. ويقال للمكان الذي يجتمع فيه الماء، ويسقى منه: السِّقَايَةُ². ومن أمثلتها في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَأَجْعَلْنَاهُمْ سَقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [التَّوْبَةِ: ١١٩].

أفادت لفظة "سقاية" عند السمين الحلبي في هذه الآية، معنى الحرفة أو الولاية، فالسقاية صناعة السقي، هذه الآية الكريمة يقتضي الحال فيها، أنها خطاب لقوم سَوَّوا بين سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام، وبين الجهاد والهجرة في إنَّ كلَّ ذلك من عمل البر فتؤذن بأنَّها خطاب لقوم مؤمنين والجهاد بعله اجترائهم بالسقاية والعمارة ومناسبتها للآيات التي قبلها أنه لمَّ وقع الكلام على أنَّ المؤمنين هم الأحقاء بعمارة المسجد من المشركين، دلَّ ذلك الكلام على أنَّ المسجد الحرام لا يحق لغير المسلمين أن يباشروا فيه عمل من الأعمال الخاصة بهم والإستفهام للإنكار والسِّقَايَةُ صيغة للصناعة أي صناعة السقي، وهي السقي من ماء زمزم، ولذلك أضيفت السِّقَايَةُ إلى الحاج³، فالبعد الجمالي للكلمة يكمن في توظيف هذه الصيغة، ودقة اختيارها لجماليات تناسب وضعها في المقام الذي كانوا عليه المشركين آنذاك من حرفة

1 ينظر السمين الحلبي، الدرر المصون، 533/6 – 534.

2 المصدر السابق، 535/6 – 536.

3 ينظر السمين الحلبي، الدرر المصون، 31/6 – 32.

وخلق يمثل عرفاً جاهلياً، وعدم مساواتها بين حقيقة الدين وأُسسِهِ، لذلك جاء بفعل آمن معقّباً ولم يأت بمصاري على صيغة فعالة لتبايذن واختلاف المعنيين شكلاً ومضموناً مبنياً ومعناً.

أمّا البعد التداولي للصيغة فنجدّه ظاهراً متجلياً في الأفعال الكلامية التي دلّت على الاستفهام أَجَعَلْتُمْ ﴿﴾ في فعل القول المراد به الإنكار عليهم وتوبيخهم ولّوا هروباً من الإيمان أنّ السقاية أفضل من الإيمان والجهاد مع النبي ﷺ، لذلك قصد الله سبحانه بالإفراد لصيغة آمن وجاهد في سبيله أفضل منهم مجتمعين للسقي والعمارة، فكانت لصيغة سقاية عظيم الأثر في بيان قصدية الشارع وسياق المفردة القرآنية في الإنكار عليهم من جهة، ومن الإمتنان على المؤمنين من جهة أخرى. وبهذا نلمح بعض أثر تلك الصيغ في مقاصد القرآن، فقد اتفق أكثر المفسرين على دلالة هذه اللفظة وعلى سبب نزولها¹، فذكر الزمخشري: "السقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر، كالصيانة والوقاية ولا بدّ من مضاف محذوف. تقديره: "أجعلتم أهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله"، فلا بدّ للحجاج لكثرتهم من السقي كلّ عام، وأيضاً لكثرة وفود العرب، فناسب المصدر هنا صيغة "سقاية" بدلاً من الفعل "سقى" الذي لا يدلُّ بصيغته إلّا على القلّة، وأنّ أصحاب السقي أهل حرفة وولاية، مثل صيغة سقاية الدالة على المبالغة في السقي، فكانت كما وضعها الله لا تغني ولا تسدُّ صيغة أخرى مسدّها دلالة².

1 ينظر ابن قتيبة الدينوري، تفسير مشكل القرآن، تح: إبراهيم شمس الدين، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، ص133، ومحمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، 199/11، والزجاج، معاني القرآن وإعرابه، 438/2، وأبو منصور الماتريدي، تفسير الماتريدي، تح: د. مجدي باسلوم، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1425هـ، 2005م)، 318/5، وأبو مظفر السمعاني، تفسير السمعاني، 295/2، والماوردي، تفسير الماوردي، 348/2، وأبو محمد البغوي، تفسير البغوي، 326/2، وعبد الرحمن السعدي، تفسير السعدي، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1430 هـ، 2000م)، ص331، والطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، (تونس: الدار التونسية للنشر، 1984م)، 3/1، 146/10.

2الزمخشري، الكشاف ص427

ذكر القرآن الكريم مصطلح السقاية في عدة آيات للإشارة إلى موضوع تقديم الماء والشراب للظامعين

والمحتاجين.

الصِّيْغَةُ الْخَامِسَةُ: تَفْعَالٌ بَفَتْحِ التَّاءِ:

تأتي هذه الصيغة وفق ما ذهب إليه سيبويه - للدلالة على التكرير والمبالغة، كالتَّجْوَالِ، والتَّهْدَادِ والتَّلْعَابِ، "وليس شيء من هذا مصدر "فَعَّلْتُ"، ولكن لما أردنا التَّكْثِيرَ بنيتُ المصدر على هذا كما بنيتُ فَعَّلْتُ على فَعَّلْتُ"، وأَمَّا التَّبْيَانُ - يعني بالكسر - فليس على شيء من الفعل لحقته الزيادة، وليس من باب التَّفْتَالِ، ولو كان أصلها من ذلك فتحوا التاء، فإِثْمًا من بَيَّنْتُ، كالغارة من أغرت، ونظيرها التَّلْقَاءُ، وإِثْمًا يريدون اللقيان؛ أي: لا يراد بالتبيان والتلقاء المبالغة¹. وجاء في "الكليات" لأبي البقاء، والمصدر من الثلاثي المجرد للمبالغة قياسه فتح التَّاء كالتَّعْدَادِ، والتَّهْدَادِ، وليس بمصدر المبالغة كالتَّكْرَارِ والتَّذْكَارِ²، ولم ترد هذه الصيغة في القرآن الكريم بالفتح على وزن "تَفْعَالٌ" مطلقًا، وإِثْمًا قِيَسَتْ هذه الصيغة في القرآن الكريم بالكسر على وزن "تَفْعَالٌ"، ولم ترد في القرآن إِلَّا في لفظتين، هما: "التَّبْيَانُ - التَّلْقَاءُ" فتكون هذه الصيغة بالفتح مصدرًا، وبالكسر اسمًا، والأكثر على أَنَّ المصدر سماعي لا قياسي³.

وأَيًّا يكن فإنَّ ثَمَّةَ ألفاظًا في القرآن الكريم جاءت بهذه الصِّيْغَةِ، وقد ذكرها السَّمِينُ الحَلَبِيُّ، وسنقف

على بعضها.

أ - التَّبْيَانُ:

1 سيبويه، الكتاب، 245/2.

2 ينظر أبو البقاء الكفوي، الكليات، تح: عدنان درويش، ومحمد المصري، (بيروت: مؤسسة الرسالة، د.ت)، 326.

3 ينظر القاسم بن علي الحريري، دُرَّةُ الْغَوَاصِ فِي أَوْهَامِ الْخَوَاصِ، تح: عرفات مطرجي، (بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ط1، 1418هـ، 1998م)، 193.

اسم فاعل أصله من الثلاثي بان، وهو مصدر للفعل بان وبَّين، وهو الإظهار والكشف والوضوح، فيقال بَّين آراءه أي: أوضحها، وكشف عنها، ومنها بان الهلال إذا وضع وظهر¹.

ذكر السمين الحلبي، "التَّبيان" بناء ليس للمبالغة، وليس بمصدر بل هو اسم أقيم مقام المصدر، وقد استند على ذلك بقول ابن عطية: "إنَّ التَّبيان اسم وليس بمصدر"، ولم يَجْئ من المصادر على هذه الزنة في القرآن الكريم إلَّا لفظان وهما: "التَّبيان - وتلقاء" ومنها في الأسماء كثير، وفي القرآن الكريم: "التَّمثال"²، والنحويون على خلافه³ وقال: بان الشيء يبين بينًا فهو بائن؛ أي: فارق، ومنه قول كعب بن زهير: [من

البسيط]

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول⁴

وبانت المرأة بالطلاق، وأبانها زوجها، وأبنت الأمر وبَّنته: أوضحتها بيانًا وتبيانًا، ودُكِر: بان لك، وأبان، واستبان، وبَّين، وتبَّين، بمعنى واحد، ومنها تبَّينْتُ الحقَّ واستبنته؛ أي: استوضحته فاتَّضح، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لِأَوْهٍ حَلِيمٌ﴾ [التَّوْبَة: ١١٤] وقوله تعالى: ﴿وَتَبَيَّنَ

1 ابن سيدة، المخصَّص، 316/4.

2 ينظر السمين الحلبي، الدر المصون، 279/7.

3 ينظر أبو البقاء العكبري، إتحاف الخثيث بإعراب ما يشكل من ألفاظ الحديث، تح: وحيد عبد السلام بالي، ومحمد زكي عبد الديم، (مصر: دار ابن رجب، ط1، 1418 هـ، 1998م)، ص32، ومحمد بن يوسف بن أحمد، شرح التسهيل، تح: أ. د. علي محمد فاخر، وآخرون، (القاهرة: دار السلام، ط1، 1428هـ)، 3809/8، وبدر الدين العيني، المقاصد النَّحوية في شرح الشواهد الكبرى، تح: أ. د. محمد علي فاخر، وأ. د. أحمد محمد توفيق السعداني، وعبد العزيز محمد فاخر، (القاهرة: دار السلام، ط1، 1431هـ، 2010م)، 29/1، وأبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي، حاشية الصبان على شرح الأشموني، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1417هـ، 1997م)، 4/1.

4 أبو زيد القرشي، جمهرة أشعار العرب، تح: محمد علي البجاوي، (القاهرة: دار تحفة مصر، د. ط، د. ت)، ص 632.

لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ ﴿إِبْرَاهِيم: ٤٥﴾ وقوله تعالى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٣٨﴾ [آل عمران: ١٣٨]¹.

ومن أمثلتها في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [التَّحْل: ٨٩] ف ﴿تَبْيِينًا﴾ تعني - كما يرى السمين الحلبي - الوضوح والدليل، وقد جاء القرآن الكريم موضحًا ودليلاً للناس لمن له الحاجة إلى معرفة الحلال والحرام والثواب، وقد استند في تفسير هذه الصيغة على سياق الآية، ففي قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ [التَّحْل: ٨٩] فقد كان الله عزَّ ذكره يبعث إلى الأمم أنبياءها منها، وقوله تعالى: ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ﴾ فقد جاء الله عزَّ وجلَّ بمحمد شاهداً على قومه، ولكن ماذا أجابوه، وماذا فعلوا فيما أرسله الله به إليهم، وهو القرآن الكريم، فقد جاء، ﴿تَبْيِينًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾².

يرى الباحث أنَّ لفظة " التَّبيان في اللغة والاصطلاح تعني الإيضاح والتوضيح، وبشكل عام التَّبيان هو ذلك المجهود الذي يبذل لجعل المعلومات والمفاهيم أكثر وضوحًا وفهمًا.

ب - تَلْقَاءُ:

مصدر لقي، وهي مكان أو جهة اللقاء والمقابلة، وقد ذكر السمين الحلبي: "التلقاء" في الأصل مصدر دالاً على المكان، ثُمَّ توسَّعت دلالتها، فأصبحت بمعنى جهة اللقاء والمقابلة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [القصص: ٢٢] أمَّا إذا قلنا: "جلس تَلْقَاءُ" فيعني: جلس بجانبه أو قريبه، وقُرئ شاذًّا بفتح التاء³، وهو قياس المصادر الدالة على التكرار. ومن أمثلتها

1 ينظر السمين الحلبي، الدر المنصون، 250/1.

2 ينظر المصدر السابق، 278/7 - 279.

3 ينظر السمين الحلبي، الدر المنصون، 163/6.

في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَرُهُمْ تَلْقَاءُ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٧] فقد جاءت لفظة "تلقاء" في هذه الآية منصوبة على ظرف المكان، وتعني الجهة المقابلة، يؤكد ذلك سياق الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَرُهُمْ﴾؛ أي: إذا نظر الظالمون جهة أصحاب النار، ورأوا منظر شنيعاً وفظيئاً قالوا: ﴿قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، فأهل الجنة إذا رآهم أهل الأعراف يطمعون أن يكونوا معهم في الجنة، وأمّا إذا انصرفت أبصارهم لتلقاء أهل النار يستجيرون بالله من حالهم¹، وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَتُتَّىٰ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس: ١٥]

هنا في هذه الآية الكريمة يلفتنا شيء، وهو ما علاقة لفظة "تلقاء" بالكتاب العزيز، ذكر السمين الحلبي: تعنت المكذبين رسول الله ﷺ فكانوا إذا ما سمعوا آيات الله تعالى تتلى أعرضوا عنها وطلبوا منه أن يأتي بقرآن غير هذا أو بدله، فردّ عليهم رسول الله ﷺ بأمر من الله: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي﴾ [يونس: ١٥]؛ أي: ما ينبغي ولا يليق أن أبده من قبل نفسي، فإني رسول محض ليس لي من الأمر شيء، قال تعالى: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [يونس: ١٥] ليس بقدرتي فعل ذلك، ﴿إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾².

استند السمين الحلبي في رأيه على ما قاله شيخه أبو حيان في تفسيره هذه الآية، حيث قال: "أي يستحيل ذلك، إمّا بإزالته بالكلية، وهو التبديل في الذات أو الإتيان بغيره من قبل نفسي، أن أتبع فيما

1 ينظر السمين الحلبي، الدر المنصون، 331/5

2 ينظر السمين الحلبي، الدر المنصون، 604/2.

أَمَرَكُمْ بِهِ وَهَاجَمَ عَنْهُ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَلَا نَقْصَانٍ، وَلَا تَبْدِيلٍ إِلَّا إِذَا مَا جَاءَنِي خَبَرٌ مِنَ السَّمَاءِ¹، وَاسْتَنْدَلَ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة: ١٤٨] أَي جَعَلَتْ وَجْهِي تَلْقَاءَ وَجْهِي، أَي مُقَابَلًا بِوَجْهِهِ².

التَّلْقَاءُ وَالْمُقَابَلَةُ وَالتَّلْقَاءُ مُصْطَلِحَاتٌ تَدُلُّ عَلَى الْمَكَانِ وَالزَّمَانِ، وَتُسْتَخْدَمُ فِي سِيَاقَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَلَهَا عِلَاقَةٌ بِالتَّغَاوُلِ الْجَمَاعِيِّ، وَالتَّغَاوُلِ الْبَيْنِيِّ، وَالْعِلَاقَةُ بَيْنَهُمَا هُوَ أَنَّ التَّلْقَاءَ يَحْدُثُ خِلَالِ الْمُقَابَلَاتِ أَوْ التَّلْقَاءَاتِ.

ج - تَمَثُّلُ:

اسْمُ ذَاتٍ لَمَّا يَنْحَتُ مُشَبَّهًا بِالْمَخْلُوقَاتِ مِنْ إِنْسَانٍ وَحَيَوَانٍ وَغَيْرِهَا، وَقَدْ ذَكَرَ السَّمِينُ الْحَلَبِيُّ أَنَّ التَّمَثُّلَ يَرَادُ بِهِ الصُّورَةُ الْمَصْنُوعَةُ، وَتَكُونُ مُشَبَّهَةً بِمَخْلُوقٍ مِنْ مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ، وَمِنْهَا: تَمَثُّلُ الشَّيْءِ بِالشَّيْءِ؛ أَي: شَبَّهْتُهُ بِهِ، وَتَكُونُ مِنْ حَجَارَةٍ أَوْ ذَهَبٍ أَوْ فَضَّةٍ أَوْ نُحَاسٍ، وَكَانَتِ الْعَرَبُ تَنْصِبُهَا وَتَعْبُدُهَا، وَيَطْلُقُ عَلَيْهَا أَيْضًا الْوُثْنُ وَالصُّلْبُ. كَقَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ، لَعْدِي بَنِي حَاتِمٍ، وَقَدْ رَأَى فِي عُنُقِهِ صُلْبِيًّا: (اطْرُحْ عَنْكَ هَذَا الْوُثْنُ)³، وَمِنْ شَوَاهِدِهَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَيُّهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٢]، فَقَدْ دَلَّتْ كَلِمَةُ "التَّمَاثِيلُ" فِي هَذِهِ الْآيَةِ عَلَى الْأَصْنَامِ، وَاسْتَدَلَّ الْحَلَبِيُّ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُونَ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجِيفَانٍ كَأَلْجَوَابٍ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ﴾ [سبأ: ١٣] وَيَقْصِدُ بِذَلِكَ مَا كَانَ يُصْنَعُ مِنْ تَمَثِيلٍ تَمَثَّلَ الْأَنْبِيَاءُ وَالصَّالِحِينَ فِي نَظَرِ فَاعِلِيهَا. وَمِمَّا يُقَالُ: إِنَّ وَدًّا، وَسُوءَاعًا، وَيَعُوقَ، وَيَعُوقَ، وَنَسَرًا زَمَنَ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانُوا قَوْمًا صَالِحِينَ، فَلَمَّا مَاتُوا صَنَعُوا لَهُمْ تَمَثِيلًا

1 أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 23/6 - 24.

2 ينظر السمين الحلبي، الدر المنصون، 287/4.

3 الترمذي، سنن الترمذي، برقم 3095.

ووضعوا في دور العبادة، اعتقاداً منهم أنَّ ذلك يزيدهم إيماناً، وليتذكرهم الناس الذين يأتون من بعدهم فتزداد عبادتهم. والتمثال: هو كل ما انتصب، وتصوّر. وقد وافق المفسرون¹ السمين الحلبي، ذكر ابن جرير: التمثال: هو الصورة المصنوعة من رخام، ونحاس، وحديد، تشبه خلق الأدمي والحيوانات²، وذكر القرطبي: هي صور الأنبياء والعلماء كانت تصور في المساجد ليراها الناس، فيزدادوا عبادة واجتهاداً، واستند على ذلك بقوله ﷺ: "إِنَّ أَوْلَئِكَ كَانَ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّورَ"³.

الصِّيْغَةُ السَّادِسَةُ: فُعْلَةٌ:

تتنوع دلالة هذه الصِّيْغَةُ في طبيعة المفردة القرآنيَّة، وهي من الصِّيْغِ القليلة الذِّكر والاستعمال، ولا سيَّما في القرآن الكريم، وهي صيغة دالَّة على المبالغة في الوصف، بمعنى أن الكلمة التي تَجِيء على هذا النَّحو تصل بالمعنى إلى أعلى درجة له في الوصف، فـ "هَمْزَةٌ" تعني أَنَّهُ وصل إلى غاية ما يمكن أن يصل إليه بهذا الوصف.

أ - هَمْزَةٌ لَمْزَةٌ:

آثرت أن أذكر الكلمتين معاً لتجاورهما في القرآن وتلازمهما، وقد جاء مرَّة واحدة، وهما معنيان سلبيان يدلّان على الغيبة والتَّميمة. وهاتان الصِّفَتان من أشنع ما يتَّصفُ به امرؤ كائنًا من كان.

1 ينظر أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، 440/7-479، وأبو إسحاق الثعلبي، الكشف والبيان في تفسير القرآن، تح: عدد من الباحثين، (جدة: دار التفسير، ط1، 1436هـ، 2015م)، 570/14، والواحدي، التفسير البسيط، 103/15، سراج الدين الحنبلي، الباب في علوم الكتاب، 518/13، وجلال الدين السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، 587/8، محمد بن صالح العثيمين، تفسير القرآن الكريم "سبأ"، (السعودية: مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، ط1، 1436هـ)، ص112.

2 ينظر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، 96/13 - 97.

3 ينظر القرطبي، تفسير القرطبي، 272/14. والحديث في صحيح البخاري برقم 3872.

ذكر السمين الحلبي، الهمز: العصر، ثُمَّ عَبَّرَ بها عن الغيبة، وهي كالهَمْأَز التي تدلُّ على المبالغة¹، كقوله تعالى: ﴿هَمَّأَزٍ مَّشَاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم: ١١]؛ أي: كثير العيب، يعيب في النَّاسِ ويطعن فيهم بالغيبة والاستهزاء²، وقال ابن الأعرابي: الهمَّأَز: المغتاب بالغيبة، واللمَّأَز: المغتاب بالحضرة، وأنَّ اللمز نظير ضحكة للشخص الكثير الضحك، وهي الاغتيال وتتبع العيوب³. ومنه قوله تعالى في سياق الآية: ﴿وَلَا تُطْعُ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ [القلم: ١٠] وقوله تعالى: ﴿مَتَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ [القلم: ١٢] فكل شخص مَشَاءٌ بِالنَّمِيمَةِ، مفرق بين الجماعة فهو هَمَّأَز.

وفي القرآن سورة الهمزة. قال تعالى: ﴿وَيُلِّ لِكُلِّ هُمْزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١]؛ أي: إِنَّ هذا العذاب أعِدَّ لمن صفته الهمز بالنَّاسِ والهمز بالمؤمنين. وإذا اجتمعت الصِّفَتَانِ في امرئ كان الأمر أشدَّ شناعةً وأسوأَ صفةً يتَّصف به؛ إذ جمع إلى غيبة النَّاسِ وأكل لحمهم اهتكَ بأعراضهم والطَّعن فيهم. وقد قال ابن عباس: "هم المشاؤون بالنميمة، المفرِّقون بين الأحبة، الباغون أكبر العيب"⁴. فالهمزة: هو من يعيبك في وجهك، واللمزة من يعيبك في غيبتك⁵.

وردت لفظة الهمزة في القرآن الكريم في سورة الهمزة وفي سورة المؤمنون آية 97 ، وتشير هذه اللفظة في سورة الهمزة وآية المؤمنون إلى التنبيه على سوء الكلام والانتقاض من الآخرين. وأما كلمة "لمز" فتعني النقد الهجومي أو الانتقاد السَّاحِر والجارح لشخص آخر، فهو مصطلح يستخدم لوصف الأفعال التي

1 ينظر السمين الحلبي، الدُّرُ المصون، 40/4 .

2 ينظر المصدر السابق، 259/4.

3 ينظر السمين الحلبي، الدُّرُ المصون، 11 / 105.

4 ينظر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، 595/24.

5 ينظر، المصدر السابق 364/8.

تستهدف التقليل من قيمة أو سمعة الشخص المستهدف عبر توجيه انتقادات سلبية بشكل ساخر أو جارج
تثير الاستهجان أو الضحك على حساب الشخص المعني.

ج - حُطْمَة:

هي كل ما ييس وتكسّر، ويقال: حُطِّمَ منته فانحطم وتحطّم، وحطّم الوادي، وذهبت بهم حطمة
السيل، وطارت الريح بحطام التبن. ومن كلام العرب: قد تحطمت الأرض؛ أي: ييست، فأنشبو فيها
المخالب أي المناجل فانكسرت زروعها وتفتّت¹. وذكر السمين الحلبي في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ
مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ فَتَرْتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ
يَجْعَلُهُ حُطَامًا﴾ [الرّوم: ٢١] وحطمتما هنا: فتاتًا، وأصل الحطم: تفتيت وتكسير كل شيء، والحطمة: نار جهنم،
وسميت بذلك؛ لأنها تحطّم كل ما يُرمى فيها، ومنها رجل حطمة: أي شره في الأكل، تشبيهاً بالنّار². وفي
القرآن الكريم: ﴿كَأَلَّا لِيُثَبِّدَنَّ فِي الْحُطْمَةِ ۖ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطْمَةُ ۖ﴾ [الهمزة: ٤ - ٥]. وذكر في تفسير
"الحطمة"³: الحطمة، والحطم: سائق الأبل وراعيها، كناية عن عنفه في سوقه لها، فتحطم كل ما تمرّ بها،
قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادٍ اللَّمْلِ قَالَتِ نَمْلَةٌ يَأْتِيهَا اللَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطَمَنَّكُمْ
سُلَيْمَنُ وَجُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ١٨] .

في السياق العام يستخدم الحطام للإشارة إلى ما ترمى أو يترك من الأشياء، بعد تلفها أو تكسيرها.

1 جار الله الزّحشري، أساس البلاغة، 197/1.

2 ينظر المصدر السابق، 107/11.

3 ينظر السمين الحلبي، الدرّ الحصون، 589/8.

الصِّيْغَةُ السَّابِعَةُ: فِعْلٌ بِكَسْرِ الْفَاءِ وَفَتْحِ الْعَيْنِ:

تأتي هذه الصيغة للدلالة على المساحة في الغالب نحو: كَبُرَ - صَغُرَ¹ فَالْكَبُرُ بكسر الكاف وسكون الباء معناه الكبرياء أو التَّكَبُّرُ. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾ [غافر: ٥٦] وَالْكِبَرُ: بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمَطُ النَّاسِ، والدليل على ذلك قوله ﷺ: (لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ. قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ حَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبَرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمَطُ النَّاسِ)².

وَأَمَّا الْكِبَرُ فَهُوَ الْكِبَرُ الْجَسْمِي وَمِثْلُهُ الصَّغَرُ، فَهُوَ يَكُونُ فِي الْجِسْمِ، وَأَمَّا الصُّغُرُ وَالصَّغَارُ فَهُوَ مَعْنَوِي وَمَعْنَاهُ "الذل"، وَمِثْلُهُ الْغِلَظُ وَالْغِلْظَةُ، فَالْغِلَظُ فِي الْجِسْمِ وَالْغِلْظَةُ مَعْنَوِيَةٌ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [التَّوْبَةُ: ١٢٣] وَمِثْلُهُ الْقِصَرُ وَالْعِزُّ وَالثَّقَلُ وَالصَّخَمُ وَالْعِظَمُ فِي الْجِسْمِ وَالْمَنْظَرُ أَمَّا الْعِظَمَةُ فَمَعْنَوِيَةٌ فِي الْغَالِبِ. وَمِنْ أَمْثَلِهَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ:

قوله تعالى: ﴿وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ﴾ [البَقَرَةُ: ٢٦٦] فَقَدْ السَّمِينُ الْحَلْبِي "الْكِبَرُ" فِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلٌّ عَلَى مَعْنَى الْمَسَافَةِ، وَهُوَ تَغْيِيرُ الشَّكْلِ بَعْدَ إِنْ أَزْدَادَ فِي الْعُمُرِ، وَأَصْبَحَ شَيْخًا كَبِيرًا، وَالْكُبَرُ: جَمْعُ الْكَبَرِ، وَهُوَ التَّرَابُ الَّذِي تَسْفُهُ الرِّيحُ، وَالْكُبَرُ: إِحْدَى الدَّوَاهِي.

وَالْكِبَرُ: ذَرَكَاتُ جَهَنَّمَ، وَهِيَ سَبْعَةٌ: "جَهَنَّمَ، وَلِظَى، وَالْحَطْمَةُ، وَالسَّعِيرُ، وَالْجَحِيمُ، وَالْهَادِيَةُ، وَسَقَرُ"، وَهِيَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ النَّارِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَاِخْدَیَ الْكُبَرِ﴾ [الْمُدَّثِّرُ: ٣٥]؛ أَيْ: الْكَبِيرَةُ مِنَ الْكِبَائِرِ، وَهِيَ

1 ينظر الألماني برجستراسر، التَّطَوُّرُ النُّحُوِيُّ لِللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، تصحيح د. رمضان عبد التَّوَّابِ، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط2 سنة 1414هـ 1994م)، ص 66.

2 ينظر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، 24/ 595. والحديث في صحيح مسلم برقم 91.

جمع الكبرى وإحدى البلايا أو الدواهي، والكُبر: العظام من العقوبات و الشدائد¹، وقد اتَّفَق السمين الحلي مع المفسرين² في دلالة هذه اللفظة، فقد ذكر الطبري: الكُبر: جمع كبرى، كالفضل جمع فضلى، والكُبرُ زيادة الحُجم، وتغيُّر الشكل والبدن. يقال: أكبرنَ بمعنى حَضَنَ، ويقال: أكبرتِ المرأةُ إذا حاضت أي دخلت في الكبر لأنها بالحيض تخرج من حدِّ الصغر إلى الكبر³.

وقرأ العامة ﴿كبره﴾ في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [التور: ١١] على كسر الكاف، وضمها، وهما لغتان في مصدر كبر الشيء؛ أي: عَظُمَ، لكن غلب الاستعمال أنَّ المضموم في السِّنِّ والمكانة. يقال: كُبرَ القوم بالضم؛ أي: أكبرهم سِنًا أو مكانة. وفي الحديث في قصَّة مَحِيصَة وحويصة، الكبر بالضم: معظم الإفك، وبالكسر الإثم⁴.

وبالرغم من اتفاق السمين الحلي مع المفسرين في الرأي إلاَّ أنَّه خالفهم في بعض المعاني الدلالية للفظـة "الكبر" فقد ذكر في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ كُبُرٌ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾ [الأنعام: ٣٥]؛ أي: صعب وشق، وهي هنا فعلٌ لا اسمٌ. وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]؛ أي: شاقة. ثُمَّ إِنَّ الكبر والصغر اسمان متضايقان باعتبار بعضها ببعض⁵.

1 ينظر السمين الحلي، الدر المنصون، 479/6.

2 ينظر عز الدين بن عبد السلام، الملقب بسلطان العلماء، تفسير القرآن "مختصر تفسير الماوردي"، تح: د. عبد الله بن إبراهيم الوهبي، (بيروت: دار ابن حزم، ط1، 1416هـ، 1996م)، 389/3، وأبو بركات النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، 567/3، وسراج الدين الحنبلي، الباب في علوم الكتاب، 528/19.

3 ينظر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، 33/24.

4 السمين الحلي، الدر المنصون، 389/8.

5 ينظر السمين الحلي، الدر المنصون، 365/3.

المبحث الثاني: المصدر الميمي

الصيغة الأولى: مَفْعَل:

وهو ما بُدِئَ بميم زائدة لغير المفاعلة كالمضرب والمقتل¹، ويصاغ من الفعل الثلاثي على وزن "مَفْعَل"، ومن غير الثلاثي على زنة المفعول²، ويشاركه في ذلك اسما الزمان والمكان. وممّا جاء في القرآن الكريم على وزن "مَفْعَل" (مَجْرَى - مَرَسَى - مَنَسَك - مَسْكَن - مَجْمَع).

أ - مَجْرَى - مَرَسَى:

المجرى اسم مكان من جرى، ومنها مجرى الماء والتنفس، ومجرى المراكب، وهي مصدر ميمي مثل: جرى لجدول قناة الماء، ومجرى رئيس مفتوح. و"مرسى" لفظ مفرد جمعه "مراسٍ"، وهو اسم مكان من رسا يرسو، ومنه رسا على الميناء، وهو مكان وقوف البواخر والسفن والقوارب واستقرارها.

ذكر السمين الحلبي: في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبَهَا وَمُرْسَاهَا﴾ [هُود: ٤١]، فاللفظان في الآية الكريمة يحتملان عند المفسرين والقراء دلالة المكان والزمان، والمصدر الميمي³ إلا أنّ القرائن السياقية ترجح دلالة المصدر، وقد ذكر السمين الحلبي أنّ دلالة المصدر في "مجرها" بفتح الميم مستشهداً بقوله تعالى: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ [هُود: ٤٢] بفتح التاء أمّا "مُرْسَاهَا" فاختر الضم

1 ينظر جمال الدين ابن هشام، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ص 526، وينظر خديجة عبد الرازق الحديثي أبنية الصرف في كتاب سيبويه، (بغداد: مكتبة النهضة، 2017)، 153.

2 ينظر سيبويه، الكتاب 88/4، وينظر ابن الحاجب، شرح الشافية، ص 168، وينظر فاضل صالح السامرائي، معاني الأبنية، ص 31.

3 ينظر عبد الرحمن أبو زهرة، حجة القراءات، تح: سعيد الأفغاني، (بيروت: دار الرسالة، د.ت)، 34، وعثمان بن سعيد الداني، التيسير في القراءات السبع، تح: أوتو تريزل، (بيروت: دار الكتب العربي، ط 2، 1404هـ، 1984م)، ص 48، ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 137، وفخر الدين الرازي، التفسير الكبير، 183/17، ومحمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، 43/1، 415/12، وابن عاشور، التحرير والتنوير، 73/12.

فيها لإجماع القراء عليها¹، وذكر أنّ "مجرأها ومرساها" مصدران من أُجريت السفينة، وأُرسيت²، فمعنى الآية: إنّ الله هو الذي أجرى السفينة؛ أي: يسيّرها بسرعة، ويُرْسِيها إذا جعلها راسية في مكانها واقفة على الشاطئ³. و"المرسى": مصدر بمعنى الإرساء، والإرساء الإثبات، يقال: رسا يرسو؛ أي: ثبت فالرسو ليس اسماً لمطلق الثبات، بل هو اسم لثبات الشيء إذا كان ثقیلاً، ومنه إرساء الجبل وإرساء السفينة⁴. ورسّت السفينة: استقرّت. وأرساها: ثبّتها.

وقد اتَّفَق المفسرون⁵ على دلالتها، فقد ذكر الواحدي في قوله تعالى: ﴿مُرْسَلَهَا﴾ المَرْسَى: مَفْعَل من الإرساء، وهو الإثبات. ومنه قوله تعالى: ﴿وَالْحَبَالَ أُرْسَلَهَا﴾ [التَّائِيَات: ٣٢]، وهو مصدر بمعنى الإرساء، ويقصد به إجراؤها وإرساؤها⁶. وذكر العز بن عبد السلام أنّ المراد بـ ﴿مَجْرِنَهَا﴾ سيرها، و﴿مُرْسَلَهَا﴾ ثبوتها ووقوفها⁷ في حين ذكر ابن عادل ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِنَهَا وَمُرْسَلَهَا﴾ في موضع الظرف الزماني والمكاني، والتقدير: اركبوا فيها مسيئين موضع جريانها ورسوها أو وقت جريانها ورسوها، والعامل في هذين الطرفين ما تضمنه باسم الله في هذين المكانين أو الوقتين، والمعنى: سموا باسم الله في وقت الجري والرسو، ويجوز أن يكون مجراها، ومرساها مصدرين⁸.

1 ينظر السمين الحلبي، الدر المنصون

2 ينظر المصدر السابق، 324/6، 325، 326، 480

3 ينظر المصدر السابق، 668/10.

4 ينظر المصدر السابق نفسه، 327/6.

5 ينظر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، 329/15، والزجاج معاني القرآن وإعرابه، 52/3، وأبو بركات النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، 59/2، وابن عادل، الباب في علوم الكتاب، 490/10، وجلال الدين السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، 432/4، والقرطبي، تفسير القرطبي، 37/9.

6 ينظر الواحدي، التفسير البسيط، 496/9.

7 ينظر ابن الزمين، تفسير القرآن العزيز، 90/2.

8 ينظر ابن عادل، الباب في علوم الكتاب 490/10، وينظر الماوردي، تفسير الماوردي 473/2.

وذكر القيرواني: "أرساها" يعني أثبتها، واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَالْجِبَالُ أَرْسَاهَا﴾؛ أي: ثبَّت بها الأرض، وقوله تعالى: ﴿وَقُدُورٍ رَاسِيَّتٍ﴾ [سَيِّ: ١٣]؛ أي: ثابتات، وقوله تعالى: ﴿وَالْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِي﴾ [الحجر: ١٩]؛ أي: أثبت بالجبال الأرض. أمّا "مرساها" فتعني حينها، واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَلُهَا﴾ [التَّارِغَات: ٤٢]، فجاءت في قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ فَجَرْنَهَا وَمُرْسَلَهَا﴾ [هود: ٤١]؛ أي: حين تحبس¹.

وذكر عبد القادر بن ملّا أنّ المراد في الآية ﴿بِسْمِ اللَّهِ فَجَرْنَهَا وَمُرْسَلَهَا﴾ ساعة تحركها وثبوتها، واستدل على ذلك بأسباب نزول الآية، حيث قال الملك مخاطباً رسوله نوحاً عليه السلام، ومن آمن معه ﴿أَرْكَبُوا فِيهَا﴾ فقد حان إغراق الكفرة ومن معهم، فأمر عليه السلام أن يستقر كلٌّ في طبقته، ولما تمّ ذلك لم يعرف عليه السلام كيف يمشيها على الماء بعد أن ارتفع الموج أربعين ذراعاً، والسماء تمطر مياهاً وافرة لمدة أربعين يوماً، فقال الله تعالى له ولصحبه إذا أردتم سيرها قولوا: ﴿بِسْمِ اللَّهِ فَجَرْنَهَا﴾ فإنّها تسير بإذن الله الذي نجاكم عليها، وإذا أردتم إرساؤها قولوا: ﴿بِسْمِ اللَّهِ مُرْسَلَهَا﴾، والذي دلّ على ذلك سياق الآية فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [هود: ٤١]².

كلمة مجرى هي كلمة عربية تستخدم للتعبير عن الاتجاهات ووصف كيفية تحرك الشيء في اتجاهه، فيما تستعمل كلمة "مرسى" للدلالة على مكان الرسو والاستقرار.

ب - مَسْكَن:

1 ينظر يحيى بن سلام، التصارييف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسماؤه، وتصرفت معانيه، تح: هند شلي، (نونس: الشركة التونسية، 1979م)، ص 257.

2 ينظر عبد القادر العاني، بيان المعاني، (دمشق: مطبعة الترقى ط 1382 هـ 1965م)، 118/3.

مفرد، جمعها مساكن، وهي اسم للمكان، وهي محل الإقامة والثبوت. وهي عند السمين الحلبي بفتح الميم اسم مكان يدلُّ على الراحة من التعب، وهو ضد الحركة لما فيها من تعب، وذلك عن طريق الأعضاء وما تسببه حركتها من تعب، واستدل على ذلك بقوله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ [يُونُس: ٦٧]، فالنهار: ظرف للحركة والتعب، والليل: ظرف للراحة والسكون والإستيطان، فالسكن ما يسكن إليه¹، والسكينة: ملك يسكن قلب كلِّ من آمن بالله ورسوله، ومنه قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الْفَتْح: ٢٤]، وقوله تعالى: ﴿أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البَقَرَة: ٢٤٨]؛ أي: طمأنينة القلب وزوال الرعب والخوف²، وقد وافق المفسرون³ السمين الحلبي فيما ذهب إليه، فذكر ابن جرير في قوله تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ﴾ [الطَّلَاق: ٦] وجوب بقاء الزوجة في مسكنها الذي تسكن فيه؛ أي: تستطين، ولو أمرنا صاحبه بإخلائه⁴، وذكر مكي بن أبي طالب أنَّ "مسكن المؤمن في الجنة يسير الراكب الجواد فيه ثلاث ليالٍ وأياماً"⁵، وذكر الواحدي: في قوله تعالى: ﴿أَجْعَلُوا بِضَلَعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ﴾ [يُونُس: ٦٢] أنَّ الرجال يراؤ بها كلُّ شيءٍ مُعَدٍّ للرحيل من وعاء، ومتاع، ومركب، وبعير، فهي مسكن الرجل⁶.

كلمة مسكن تظهر في القرآن الكريم بشكل متكرر، وتُستخدم للإشارة إلى مكان الإقامة والسكن، ولفهم دلالة هذا الكلمة يجب علينا الرجوع إلى السياق، فقد تدل على المنازل التي يعيش فيها الناس، وقد

1 ينظر السمين الحلبي، الدر المصون، 208/2.

2 ينظر السمين الحلبي، الدر المصون، 209/2.

3 ينظر أبو البركات النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، 58/3، وابن عاشور، التحرير والتنوير، 29/18، وشهاب الدين الألوسي، روح المعاني، 276/3.

4 ينظر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، 60/23.

5 مكي بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية، 244/11.

6 ينظر الواحدي، التفسير البسيط، 164/12.

تستخدم للدلالة في السياقات الخاصة بالأخلاق وكيفية التعامل مع الممتلكات وحقوق الإنسان، وتأتي في سياقات أخرى دالة على الدعوة إلى السكن وأيضًا دالة على المكونات الجسمية التي تستخدم في بناء المساكن، وتتعلق أيضًا بالأوامر الدينية أو القيم الإنسانية، ففي سورة النحل "الآية 26" يُشير القرآن إلى الله الذي جعل للبشر من بيوتٍ سكنًا وأمنًا، دلالة على نعمته ورحمته. وفي سورة البينة "الآية 6" يشير القرآن إلى أهمية بناء المساجد والحفاظ على المساكن الدينية، وفي سورة الحشر "الآية 9" أشار القرآن إلى بيوت العبادة كأماكن يذكر فيها اسم الله ويحمد.

ج - مَنْسَك:

المناسك جمع "مَنْسَك"، بفتح السين وكسرهما، يرادُ بها الشُّعائر اليت يمارسها المرء في وقت ما، ولأجل شيء ما. وهي في قوله تعالى: ﴿أَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ [البقرة: ١٢٨]، وقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا﴾ [الحج: ٦٧]، وهي أنواع العبادات، وقد تختلف هذه العبادات في بعض الأمور ولكنها تتفق في الحكمة والعدل¹، واستند على ذلك بقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [المائدة: ٤٨]، وأصل النسك: العبادة مطلقًا، ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢]، فالنسك: هو كل ما يتقرب به إلى الله، والنسيكة: الذبيحة، وهي عبادة يتقرب بها العبد إلى ربه²، ومنه قوله تعالى: ﴿أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة: ١٩٦]، وقد اختلف بعض المفسرين مع السمين الحلبي في الرأي، فذكر الزجاج: "مَنْسِك" بكسر السين: اسم مكان لنسك، مثل: مَحَلِس مكان الخلوس، أمّا "مَنْسَك" فهو مصدر، نحو: النسك والنسوك³، وفي حين خالف السمين الحلبي بعض المفسرين،

1 ينظر السمين الحلبي، الدر المنصون، 119/2.

2 ينظر السمين الحلبي، الدر المنصون، 119/2.

3 ينظر الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، 427/3.

كان رأيه موافقاً لآراء غيره؛ فقد ذكر أبو حيان: المناسك، جمع منسك، وكسر السين فيها شاذ، وهي مكان العبادة، والناسك: المتعبد¹، وذكر الأخفش: في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٨] المناسك: جمع منسك ومنسك، وهي في هذه الآية دالة على المسجد². وذكر الماوردي في قوله تعالى: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ تأويلين هما مناسك الحج، ومعالمه، أو مناسك الذبح التي تنسك لله عزوجل كنوع من العبادة، وسميت مناسك الحج باعتبارها مكاناً يرجع إليها الحاج في الحج والعمرة، أو هي عبادات، لذلك سمي الزاهد ناسكاً³.

ذكرت هذه اللفظة في القرآن الكريم بمعنى الإشارة أو التلميح إلى الطقوس أو الشعائر الدينية التي يجب على المسلم اتباعها والقيام بها، فالقرآن الكريم يحتوي على العديد من الآيات التي تشير إلى أداء العبادات والمناسك ففي سورة البقرة "آية 196" يشير القرآن الكريم إلى أداء مناسك الحج وذلك بتوجيه الحجاج إلى أداء شعائره.

كما أشار القرآن الكريم في سورة البقرة في أكثر من موضع إلى أهمية الصلاة وكيفية أدائها باعتبار الصلاة ركناً من أركان الإسلام الخمسة، وفي الآية 183 من سورة البقرة أشار القرآن الكريم إلى منسك الصوم، وذلك بوصف أحكامه وأوقاته.

د - مَجْمَع:

اسم مفعول من جمع يضم عدد من المؤسسات والدوائر، مجمع صحي، مجمع صناعي، مجمع تعليمي. وتعني عند السمين الحلبي: مجمع بفتح الميم مكان التلاقي والإجماع، واستدل على ذلك بقوله

1 ينظر أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 598/1.

2 ينظر الأخفش، معاني القرآن، 156/1 - 157.

3 ينظر الماوردي، تفسير الماوردي، 191/1.

تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَا أُبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ۖ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ۝﴾ [الكهف: ٦٠-٦١]، والذي يؤكد دلالة هذه اللفظة سبب نزول هذه الآية، وهو سبب قول موسى لفتاه أَنَّ عَبْدًا من عباد الله بمجمع البحرين، وهما فارس في جهة الشرق، وبحر الروم في جهة الغرب عنده من العلم ما يحيط به موسى، قال: ﴿لَا أُبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ﴾؛ أي: لن أتوقف وسأظل سائرًا حتى أبلغ مجمع البحرين، وهو المكان الذي وُعد فيه موسى بلقاء الخضر¹، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ [الكهف: ٦٠-٦١] .

لفظة "مجمع" ذكرت في القرآن الكريم في عدة آيات، ويمكن استخدامها للإشارة إلى اسم المكان أو الزمان، ففي سورة البقرة آية "203" تدل على مكانٍ يجتمع فيه المسلمون في زمان معين لذكر الله والعبادة، وفي سورة آل عمران الآية "55" يشير الله إلى يوم القيامة، كمكان "مجمع" حيث يتم فيه حساب الأفعال والقرارات، وفي سورة الأنعام "38" يشير القرآن في هذه الآية إلى "مجمع" الإنسان والحيوان يوم الحساب. هذه الأمثلة على استخدام لفظة "مجمع" في القرآن الكريم، حيث تستخدم للدلالة على الأماكن والأوقات التي يجتمع فيها الناس لأغراض دينية.

الصِّيْغَةُ الثَّانِيَّةُ: مَفْعِلٌ:

ومن أمثلتها في القرآن الكريم:

أ - مَوْعِدٌ:

يأتي هذا اللَّفْظُ في صيغتي اسم الزمان والمكان، وقد يأتي مصدرًا كما ذكر السمين الحلبي، ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ۝﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمٌ

1 ينظر السمين الحلبي، الدر المنصون، 520/7.

الرَّيْنَةَ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُجَى ﴿٥٨﴾ [طه: ٥٨ - ٥٩]، والمعنى: عَيَّنَ لنا وقت اجتماع. وقوله تعالى: ﴿لَا نُخْلِفُهُمْ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى﴾؛ أي: لا نخلف وقت الاجتماع، وسنلتزم به، وقوله تعالى: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمَرٌ ﴿٥٦﴾﴾ [القمر: ٤٦]، أي: يوم القيامة، ويجوز أن يكون مكانًا، والذي يؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿مَكَانًا سُوًى﴾ [طه: 58]؛ أي: معلومًا نعرفه نحن وأنت، والذي يؤكد معنى المكان ورود هذه اللفظة بمعنى الميقات وهو المكان، ومنها مواقيت الحج المكانية¹، ويجوز أن يكون مصدرًا كقوله تعالى: ﴿لَا نُخْلِفُهُمْ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ﴾²، وقد اتَّفَق المفسرون³ مع السمين الحلبي في دلالة لفظة "المَوْعِد" على المكان، والزمان، والمصدر، وقد أُيِّدَتْ كُلُّ دَلَالَةٍ بِقِرَائِنٍ سِيَاقِيَّةٍ؛ فمن جعله اسم مكان استشهد بقوله تعالى: ﴿مَكَانًا سُوًى﴾، ومن جعله اسم زمان استشهد بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ الرِّيْنَةِ﴾⁴. ومنه قول الشاعر: [من الطويل]

وَيَأْتِيكَ بِالْأَنْبَاءِ مَنْ لَمْ تَبْعَ لَهُ بَنَاتًا وَلَمْ تَضْرِبْ لَهُ وَقْتَ مَوْعِدٍ⁵

ولعلَّ ما يؤيِّد ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الرِّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُجَى﴾ [طه: ٥٩]، فقاملوعِد هنا دالٌّ على الزَّمان لا المكان، وليس بمصدرٍ أيضًا.

1 ينظر السمين الحلبي، الدر المنصون، 4/330.

2 ينظر المصدر السابق، 8/54.

3 ينظر مكِّي بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية، 6/414، وأبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي، التسهيل لعلوم التنزيل، تح: د. عبد الله الخالدي، (بيروت: دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط1، 1416هـ)، 2/9، والطبي، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الرب "حاشية الطبي على الكشف"، 4/397، وأبو بركات النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، 2/480.

4 ينظر القرطبي، تفسير القرطبي، 14/85، وابن جزي الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل، 3/14، ومحمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان، 4/28.

5 طرفة بن العبد، ديوان طرفة بن العبد، تح: مهدي محمد ناصر الدين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط3، 1423هـ، 2002م)، ص 29.

أما من رجَّح دلالة المصدر فأرجعه إلى قوله تعالى: ﴿لَا تَخْلِفْهُ﴾¹ لأنَّ الوعد هو الذي يصحُّ وصفه بالخلف² جاء في المحكم: الإخلاف ألا يفى بالعهد، ورجل مخالف لا يكاد يوفي³ ويقال: أخلفه ما وعده وهو أن يقول شيئاً ولا يُفعل⁴. وهذا المعنى هو ما دلَّ عليه السياق القرآني؛ إذ هي في سياق الحديث عن الوعد بين موسى عليه السَّلام وسحرة فرعون؛ فدلالة المصدر وفقاً لذلك هي الأقرب لسياق الآية لأنَّ الزمان والمكان لا يصح وصفهما بالإخلاف⁵.

اختلف بعض المفسرين مع السمين الحلبي في دلالة هذه اللفظة، فـ "موعداً" تعني عند إسحاق البستي تعني أجلاً⁶، وعند الطبري ميقاناً وأجلاً⁷، وعند مكِّي بن أبي طالب مكاناً عدلاً نصفاً لنا ولك، وعند أبي منصور الماتريدي والماوردي مكاناً، والدليل على ذلك لفظة "سوى"، وهو المكان الذي هم فيه أو غيره، مكاناً عدلاً لا نخلف نحن ولا أنت ذلك المكان⁸. وقد اختلف القراء في قراءة "سوى" فهناك من قرأها بضم السين، وهناك من كسرهما وفيها وجهان دالَّيان أحدهما: معناهما واحد، وإن اختلف لفظهما،

-
- 1 ينظر الزمخشري، الكشف 72/3، وفخر الدين الرازي، التفسير الكبير، 62/22، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم 24/6.
 - 2 ينظر فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، 62/22.
 - 3 ينظر أبو الحسن علي إسماعيل بن سيده المرسى، المحكم والخيوط الأعظم، تح: عبد الحميد هندواي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، 1421هـ، 2000م)، مادة "خلف" 204/5.
 - 4 ينظر ابن منظور، لسان العرب، مادة "خلف"، 94/9.
 - 5 ينظر البيضاوي، أنوار التنزيل، 56/6، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم، 14/3، وشهاب الدين الألوسي، روح المعاني، تح: علي عبد البارى عطية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، 1415هـ)، 216/16.
 - 6 ينظر إسحق بن إبراهيم البستي، تفسير إسحاق البستي "تحقيق ودراسة": عوض بن محمد بن ظافر العمري، أطروحة دكتوراة، (السعودية: الجامعة الإسلامية في المدينة النبوية، كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية، قسم التفسير وعلوم القرآن، 1413هـ)، 132/1.
 - 7 ينظر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري 53/18.
 - 8 ينظر مكِّي بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية، 52/7 – 46.

والثاني: معناها بالضم: الْمُنْصِفُ، وبالكسر: الْعَدْلُ، وأما قوله تعالى: ﴿يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾ ففيه أربعة أوجه دلالية، وهي: أولها أنه يوم عيد، والثاني يوم السبت، والثالث: عاشوراء، الرابع يوم سوق كانوا يتزينون فيه¹.

وذكر ابن كثير أن "موعدًا" تعني المكان الذي نجتمع نحن وأنت فيه فنعارض ما جئت به بما عندنا من السحر في مكان معين، ووقت معين، وحجّة اين كثير سبب نزول هذه الآية، فيقول تعالى مخبرًا عن فرعون أنّه قال لموسى حين أراه الآية الكبرى، وهي إلقاء عصاه، فصارت ثعبانًا عظيمًا، ونزع يده من تحت جناحه، فخرجت بيضاء من غير سوء، فقال: هذا سحر جئت به لتسحرنا، وتستولي به على الناس، فيتبعوك، وتكاثرنا بهم، فإننا عندنا سحرًا مثل سحرك، فلا يغرنك ما أنت فيه فاجعل بيننا وبينك موعدًا، قال لهم موسى موعدكم يوم الزينة، وهو يوم عيدهم ونيروزهم² وتفرغهم من أعمالهم واجتماعهم جميعهم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَأَنْ يَحْشُرَ النَّاسُ﴾ أي جميعهم ضحى أي ضحوة من النهار ليكون أظهر وأجلى، وأبين، وأوضح³، وذكر الحنبلي: الموعد: بمعنى الوعد لقوله تعالى: ﴿لَا تَخْلَفْهُ﴾؛ أي: لا نجاوز، ﴿لَنْ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ﴾ فَإِنَّ الْإِخْلَافَ لَا يَلَاقِي الزَّمَانَ وَلَا الْمَكَانَ⁴.

وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم في عدة مواضع، وعادةً ما تستخدم للدلالة على الأوقات أو المواقف في القصص والأحكام الدينية.

ب - مَطْلَع:

1 ينظر أبو منصور الماتريدي، تفسير الماتريدي، 288/7. والماوردي، تفسير الماوردي، 408/3 - 409، والواحي الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ص 698، وجار الله الزمخشري، الكشاف، 70/3، وينظر السيوطي، تفسير الجلالين، ص 410.

2 النوروز من أعياد الفرس، وقد غُرب إلى النيروز.

3 ينظر أبو الفداء، تفسير ابن كثير 264/5.

4 ينظر مجيز الدين المقدسي، فتح الرحمن في تفسير القرآن، 300/4 - 301.

جمعها مطالع، وهي اسم فاعل طلع، وتأني مصدرًا ميميًا، ويرى السمين الحلبي أنَّ مطلع الشيء بدايته، كقوله تعالى: ﴿سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ [القدر: ٥]، أي ليلة القدر لا يوجد فيها آفات، ولا يستطيع الشيطان أن يفتن فيها، حَتَّى موعد طلوع الفجر؛ أي: بدايته. نقول أطلع فلان الجبل، أي ارتقى أعلاه¹. والصل في "مطلع" بالفتح لا بالكسر، وهو القياس، غير أنَّ الكسائي قرأها بالكسر. ووردت بهذه الصيغة في قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلَعِ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَّمْ يَجْعَلْ لَهُم مِّنْ دُونِهَا سِتْرًا﴾ [الكهف: ٩٠] وقد رأى فيها السمين الحلبي أنَّ القياس أن تُفتح اللَّامُ فتصير "مطلع"؛ لأنَّها من الفعل طَلَعَ يَطْلَعُ، وما كان مضموم العين في المضارع فاسم الزَّمان والمكان منه على وزن "مَفْعَل"، وقد قرأها على القياس كلُّ من ابن الحسن وعيسى وابن محيصن، كما رويت عن ابن كثير وأهل مكة. لكنَّ هذا مخالفٌ للقياس، والذي يبرِّر ذلك هو ما ذكره الكسائي من أنَّ لغة الكسر في المضارع: طَلَعَ يَطْلَعُ قد ماتت، ما يسوِّغ للجمهور قراءة الكسر، وإلاَّ فالفتح هو القياس². وهذا اللَّفْظ فيه الوجهان؛ الفتح والكسر، كما نقول: سَجَدَ يسجد مَسْجِد بالكسر إذا أريدَ به مكان الصلاة جماعة، وهو المسجد المعروف. وإذا أردت موضع الجبهة، وحيث تسجد قلت: مَسْجِد.

كلمة مطلع في اللغة العربية تعبر عادة عن بداية أو نقطة بداية، ويمكن استخدامها أيضًا للدلالة على الزمان والمكان والمصدر، فالاستخدام الدقيق لهذه اللفظة يعتمد على السياق.

1 ينظر السمين الحلبي، الدر المنصون، 636/7، و65/11.

2 المرجع السابق، 544/7-545.

المبحث الثالث: مصدر المَرَّة

وهو مصدر يصاغ للدلالة على أنَّ الفعل حدث مرَّة واحدة¹، ويصاغ مصدر المَرَّة من الفعل

الثلاثي على زنة "فَعَّلَة"²، أمَّا من غير الثلاثي فيصاغ بزيادة تاء التأنيث على المصدر ومن صيغها³.

1-فَعَّلَة:

ومن أمثلتها في القرآن الكريم: "قَبْضَة - لَوْمَة - كَرَّة - صَيْحَة - زَجْرَة - رَجْفَة - مَيْلَة -

نَفْخَة - سَكْرَة - زَجْرَة - رَجْعَة - جَلْدَة - خَطْفَة - نَظْرَة - نَزْلَة بِطُشَة - أَخْذَة".

أ - قَبْضَة:

يحدد السياق المعنى الدلالي، والقبضة تدلُّ على أنَّك فعلت ذلك مرَّة واحدة، وإذا أردت التعبير

عن الكثير جمعت فقلت: قبضات. وبذلك تخرج عن المصدر. ذكر السمين الحلبي في القرآن الكريم في قوله

تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الرَّحْمَن: ٦٧] دلت لفظة "قَبْضَة" في هذه الآية الكريمة على المبالغة في القبض

والذي يدلُّ على ذلك القرائن السياقية، فالقبض يدلُّ على شئ مأخوذ وتجمُّع في شئ أي صار مُلْكًا

للقباض يقال هذه قبضة كفي، أي قدر ما تَقْبِضُ عليه⁴، وهنا في هذه الآية دلت لفظة "قبضة" على هذا

المعنى، فالأرضون مع ما هُنَّ من العظمة والثقل لا يبلغن إلَّا قبضة واحدة من قبضاته سبحانه وتعالى، فالمقام

يقتضي المبالغة، لأنَّه في وصف قدرته وعظمته سبحانه وتعالى، والقرينة اللفظية: ﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ

1 عبده الراجحي، التطبيق الصرفي، (مصر: دار المعرفة الجامعية، ط 2)، ص 73 .

2 ينظر المصدر السابق، ص 73، وخديجة الحديثي، أبنية الصرف في كتاب سيويه، ص 155.

3 ينظر ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، (القاهرة: دار التراث، ط 20، 1400هـ، 1980م)، 133/3.

4 ينظر السمين الحلبي، الدر المصون، 95/8.

بَيَمِينِهِ﴿، تؤيّد هذا المعنى، فهذه السّموات العظيمة مطوية¹ بيمينه، كما يطوي الواحد الشيء بيمينه²، فالله عزّ وجل يطوي السّموات بما فيها من الخليقة والأرضين السبع بيمينه، يكون ذلك في يده بمنزلة خردلة³ فاجتماع لفظي "قبضة، وبيمينه" دلّتا على تعظيمه سبحانه وتعالى، وبيان كمال قدرته فالأرضون مقبوضة له والسّموات كلها مجموعة بيمينه⁴.

وذكر السمين الحلبي في تفسير لفظة "قَبْضَة" أنّها المرّة من القبض، وإطلاقها على المقبوض من تسمية المفعول بالمصدر وبالضم اسم للمقبوض، والعامة على رفعها، وخَرَجَها ابن خالويه وجماعة على النصب على الظرفية أي: في قبضته⁵. وذكر في كتابه عمدة الحفاظ أصل القبض: التناول بجميع الكف؛ أي: الله تعالى مالك الملك في وقت ليس لأحدٍ فيه ملك، وأنّ الأرض في حوزته وتحت قهره وسلطانته، واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]؛ أي: يعطي تارة ويسلب تارة أخرى، ويجمع مرّة ويفرّق أخرى، ويكفي بالموت عن القبض، واستدل على ذلك بقوله ﷺ: "ما من آدمي إلّا وقلبه بين إصبعين من أصابع الرحمن"⁶؛ أي: الله قادر على التصرف في أشرف جزء منه، فكيف بباقي الأجزاء؟! وقد اتّفق المفسرون على دلالتها⁷، فذكر أبو نصر الجوهري أنّ القبض خلاف

1 أي: مهلكات.

2 ينظر السمين الحلبي، الدرّ المصون، 94/8.

3 ينظر المصدر نفسه، 506/6.

4 ينظر المصدر نفسه، 95/8.

5 ينظر المصدر نفسه، 442/9 – 443.

6 مسلم، صحيح مسلم، برقم 2654.

7 ينظر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، 245/20، والزجاج، معاني القرآن وإعرابه، 361/4، وأبو إسحاق البستي، تفسير إسحاق البستي، 266/2، ومكي بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية، 6374/10، والماوردي، تفسير الماوردي، 134/5، وأبو مظفر السمعاني، تفسير السمعاني، 479/4، ومحمود بن أبي الحسن النيسابوري، إيجاز البيان عن معاني القرآن، تح: د. حنيف بن حسن القاسمي، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1415هـ)، 722/2، وأبو بركات النسفي، تفسير النسفي، 192/3، وجلال الدين السيوطي، الدرّ المنتور في التفسير بالمأثور 249/7، وابن فارس، مقاييس اللغة، مادة، "قبض"، 50/2، وابن منظور، لسان العرب، مادة "قبض"،

البسط، ومنه قبضت الشيء قبضاً إذا أخذته، والمقبِض بفتح الميم وكسر الباء من القوس والسيف ما يُقبِضُ عليه بجمع الكفِّ، والقبض: الإسراع،¹ ومنه قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الظَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفْتٍ وَيَقْبِضْنَ﴾ [الملك: ١٩] وذكر مرتضى الزبيدي أنَّ القبضة تدلُّ على الراعي الحسن إذت كان منقبِضاً لا يتفصح في رعي غنمه، والقبِضَى: ضَرْبٌ مِنَ الْعَدُوِّ، وهو الجري. ومنه قول الشَّماخ يصف زوجته: [من الطويل]

أَعْدُو الْقَبِضَى قَبْلَ عَيْرٍ وَمَا جَرَى وَلَمْ تَدْرِ مَا خُبْرِي وَلَمْ أَدْرِ مَاهَا²

وذكر ابن منظور أنَّ القبضة بالضم: ما قبضت عليه، ومنها: أعطاه قبضة من سويق أو تمر أو كفاً. وفي التنزيل ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا﴾ [طه: ٩٦]؛ قال ابن جني: من تراب أثر حافر فرس الرسول ﷺ³.

ب - لَوْمَةٌ:

ذكر السمين الحلبي: اللام والواو والميم كلمتان تدل أحدهما على العتب، والثانية على الإبطاء والتمكُّث، والإنتظار، وقد اتَّفَق علماء التفسير مع السمين في تفسيرها⁴ واللامة ما يلام عليه الإنسان⁵. ومن أمثلتها في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ

56/7، وكمال الدين السيواسي، فتح القدير، (دمشق: دار الفكر، ط1، 1414هـ)، 475/4، وجلال الدين السيوطي، الدر المنثور، 248/7، وجلال الدين السيوطي، تفسير الجلالين، (القاهرة: دار الحديث، ط1، د.ت)، 615/1.
1 ينظر إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، تح: أحمد عبد الغفور عطار، (بيروت: دار العلم للملايين، ط4، 1407 هـ، 1987م)، 1100/3.

2 الشَّماخ بن ضرار، ديوانه، تح: صلاح الدين الهادي، (القاهرة: دار المعارف، د.ت)، ص 288.

3 ينظر ابن منظور، لسان العرب، 214/7.

4 ينظر أبو البركات، تفسير النسفي، 455/1، والشوكاني، فتح القدير، 475/4، وجلال الدين السيوطي، الدر المنثور، 248/7، وشهاب الدين الألوسي، روح المعاني، 164/6، وابن فارس، مقاييس اللغة، 222/5، أبو نصر الجوهري، الصحاح في اللغة والعلوم، ص 4776.

5 ينظر السمين الحلبي، الدر المنصور، 312/4.

وَأَسِعَ عَلِيمٌ المائدة 54، فقد دلت لفظة "لومة" في هذه الآية على المبالغة في اللوم، واللومة المرة من اللوم، وفيها وفي التنكير مبالغتان كأنه قيل لا يخافون شيء قط، والذي يؤكد ذلك القرائن الدالة على ذلك، قال تعالى: ﴿فَالْتَقَمَهُ الْخُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ الصافات 142، فاللوم هو العتب، وهذا مادلت عليه لفظة "لومة" في الآية الكريمة لأحدهما جاءت في سياق بيان صفات القوم الذين يحبهم الله ويحبونه، ومن صفاتهم أنهم لا يخافون لومة الكفار، وقد جاءت لفظة "لومة" مؤنثة بالتاء على مصدر المرة من دون "لوم" لإرادة مطلق المصدر، "فلومة" أبلغ من "لوم"، لأن فيها معنى الوحدة¹.

ج- كَرَّة:

ذكر السمين الحلبي أن زنة "فَعْلَة" تدل على المَرَّة؛ أي: يحدث الفعل مرة واحدة، وهذا دليل على المبالغة في الفعل²، فكَرَّة اسم مَرَّة، واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْجِعَ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ [الملك: ٤]؛ أي إعادة الكَرَّة مَرَّة ثانية، وجاءت بمعنى الهجوم، ومنها قولهم: "أعاد عليهم الكَرَّة"، والكَرَّة: البعث بعد الفناء. ومنها قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا﴾ [البقرة: ١٦٧]؛ أي نبعث من جديد ونعود إلى الدنيا، والكَرَّة: النفوذ والغلبة والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ﴾ وفي قوله تعالى: ﴿قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ [التَّائِبَات: ١٢] تعني المرة الواحدة من الرجوع أو العودة، و﴿كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾: رجعة خاسرة غابنة، ووقت الرجوع أحياء بعد الممات، وهذا دليل على المبالغة في نوع الخسران والرجوع، هذه الكَرَّة كَرَّة خسران؛ أي: أهلها خاسرون جزاء المنكرين البعث والحساب تلك

1 ينظر السمين الحلبي، الدر المنصون، 4/312-313.

2 فقد تكررت "كَرَّة" في أكثر من موضع في القرآن الكريم، في البقرة: 2 - 167، والزمر: 39 - 58، والشعراء: 26 - 102.

الكَرَّةَ خاسرة أي نخسر فيها، لأنَّ وُعِدْنَا فيها بالنار، والدليل على ذلك إفادة "إِذَا" فهي حرف جوابٍ وجزاءٍ¹.

د- صَيْحَةٌ:

الصَّيْحَةُ اسم مرَّةٍ من صاح، والصياح: ارتفاع الصوت بشدَّةٍ فهي إمَّا عذاب أو صرخة شديدة أوصاعقة، فهي إمَّا "صَيْحَةُ جبريل - ونفخة إسرائيل الأولى - ونفخة إسرائيل الثانية"، والصَّيْحَةُ - كما يرى السمين الحلبي - في قوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَمِيدُونَ﴾ [يس: ٢٩] تعني صيحة جبريل ونفخة إسرائيل، وكلها تدلُّ على المرَّة الواحدة، وفي قوله تعالى: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جَثِيمِينَ﴾ [هود: ٦٧]، هي شدة الصوت وارتفاعه، إمَّا من ملك، كصيحة جبريل بأهل أنطاكية، واستدل على ذلك بآية سورة يس السابقة، وإمَّا من رعد، أو ريح، أو غير ذلك، واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ [ق: ٤٢]؛ أي: النفخ في الصور، وأصلها تشقيق الصوت من قوته، واستدل على ذلك بقول العرب: انصاح الخشب والثوب: إذا تشقق وخرج منه صوت، ولما كانت الصيحة تفزع سامعها عبر بها عن الفزع، واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴾ [الحجر: ٧٣]

وقول امرئ القيس: [من الطويل]

دَغْ عَنْكَ نَهْبًا صَيْحَ فِي حَجَرَاتِهِ وَلَكِنْ حَدِيثٌ مَا حَدِيثُ الرَّوَاحِلِ²

1 ينظر الحلبي، الدر المنصون، 673/10.

2 امرؤ القيس، الديوان، 140.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَحْنُ شُعَبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جَثِيمِينَ﴾ [هود: ٩٤]، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ [ق: ٤٢]؛ أي: النفخ في الصور يوم البعث، والذي يؤكد دلالة الصيحة شدة وارتفاع الصوت سياق الآية، حيث لم تذكر الصيحة في القرآن إلا في ديارهم وكذلك الرجفة، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ﴾ [المؤمنون: ٤١]. وأما الصيحة في قوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس: 29-49-53] فهي صيحة جبريل، قام على باب القرية، فصاح صيحة فخمدا وأجمعين وأهلك الله الملك¹، وأهل أنطاكية فبادوا عن وجه الأرض ولم يبق منهم باقية².

2-فعالة:

يقف الباحث على مجموعة من المفردات على صيغة فعالة، وهي:

أ- ضلالة:

ذكر السمين الحلبي: الضلال: هو ما يقابل الهدى، فقد قيل: إنَّ المقابل للضلال الهدى اللازم بمعنى الاهتداء، وليس المتعدي الذي يكون بمعنى الدلالة، فلا فرق بين اللازم والمتعدي إلا أنَّ اللازم تأثر والمتعدي تأثير، لأنَّ اللازم مطاوعة، ويأتي الضلال: بمعنى الحيرة والجور عن القصد بالضاد³، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلًّا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦]. وتقول: ضلَّ بعيري ورحلي، ولا تقول: غوي وضل؛ أي: ذهب، فما كان مقيماً نقول: ضللت، وإذا ذهب نقول: أضلته. والضلال: ألا يجد

1 هو ملك الروم لكثرة طغيانه وفساده.

2 ينظر السمين الحلبي، الدرر المصون، 270/3.

3 ينظر عثمان بن سعيد الداني، الفرق بين الضاد والطاء في كتاب الله عز وجل وفي المشهور من الكلام، تحقيق: حاتم صالح الضامن، (دمشق: دار البشائر، ط1، 1428 هـ، 2007م)، ص55.

السالك إلى ما قصده طريقاً، والضلال بمعنى الإضاعة قال تعالى ﴿فَلَنْ يَضِلَّ أَعْمَالُهُمْ﴾، والضلالة: بمعنى الهلاك قال تعالى: ﴿أَيُّدَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾، وتأتي بمعنى العدول عن الطريق فكل عدول عن المنهج عمداً كان أو سهواً، قليل أو كثير فهو ضلالة. قال أحد الحكماء: كوننا مصيبين من وجه وكوننا ضالين من وجوه كثيرة؛ فإنَّ الاستقامة والصواب يجريان مجرى المقرطس من المرمى، وما عداه من الجوانب كلّها ضلال. والضلال في العلوم النظرية تكون في معرفة وحدانية الله والنبوة. قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦]، والضلال البعيد هو الكفر، والضلال في العلوم العلمية كالأحكام الشرعية والأصول. والضلالة لا تطلق إلا على الفعلة منه، والضلال يصلح للقليل والكثير¹. وضلَّ عن كذا: ضاع، وضلَّته: أنسيته، وأضلني أمرٌ ما لم أقدر عليه. وقد فسّر السمين الحلبي "ضلالة" في القرآن الكريم على ثمانية أوجه دلالية، وهي: "الغيي - الاستزلال - الخسران - الشقاء - الإبطال - الخطأ - النسيان - الضلال بعينه"، ففي قوله تعالى حكاية عن إبليس: ﴿لَا ضَلَالَتَهُمْ﴾ [النساء: ١١٩] أي: لأغوينهم، ونظيرها في القرآن الكريم وفي قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ [النساء: ١١٣] بمعنى "يستزلونك"²، وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا كَيْدُ الْكٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [غافر: ٢٥] بمعنى الخسران، وفي قوله تعالى: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ [الملك: ٩]، بمعنى الشقاء؛ أي، في شقاء طويل³، وفي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالُهُمْ﴾ [محمد: ١] بمعنى الإبطال؛ أي: أبطل أعمالهم⁴، وفي قوله تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ

1 ينظر السمين الحلبي، الدر المنصون، 61/9.

2 نظيرها في ص: 26.

3 نظيرها في القمر: 47، وسورة، وسبأ: 8.

4 نظيرها في محمد: 9، والكهف: 104.

أَنْ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿١١﴾ [الفرقان: ١١] بمعنى الخطأ¹، وفي قوله تعالى: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ [البقرة: ٢٨٢] بمعنى النسيان؛ أي: تنسى إحداهما، وفي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ﴾ [الأنعام: ١١٥] بمعنى الضلال بعينه، والذي هو عكس الهدى.

وذكر تأتي هذه الصيغة أيضًا للدلالة على وقوع الأمر دفعة واحدة ومن أمثلتها في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرْنَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الأعراف: ٦٠] والذي يدل على ذلك سبب النزول، وسياق الآية الكريمة²، ففي سياق المحاورة التي جرت بين نوح وقومه قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ٥٩] اتهمه قومه بالضلال وبالغوا في إثبات الضلال له إذا جاء كلامهم مؤكدًا بـ "إِنَّ واللام"، واستخدامهم حرف "في" للدلالة على الإحاطة، ثم وصفهم للضلال بالمبين؛ أي: ضلال بيّن واضح ثابت، إذ جعلوه مستقرًا في الضلال، ولكي ينفي نوح عن نفسه الضلال استعمل لفظة "ضلالة" للرد عليهم؛ لأنّ الضلالة أخص من الضلال. ومن ناحية أخرى فإن المصدر يدل على القليل والكثير، أمّا مصدر المرة فلا يدل إلا على القليل؛ أي: الفعلة الواحدة، ونفي الأدنى أو الأقل أبلغ من الكثير، فالمقصود من استعمال صيغة المرة في الآية الكريمة أنه ليس به شيء من الضلالة البتّة، وهو ما يدل عليه استعمال الباء في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ بِي﴾ أي نفي أدنى ملابسة له بالضلالة. كلّ هذا يدل على المبالغة في نفي أدنى ضلالة³.

1 نظيرها في الفرقان: 42، والقلم: 26 عندما أضلوا الطريق إلى البستان أي أخطأوا، والنساء: 176، أي تخطئوا قسمة الميراث.

2 ينظر السمين الحلبي، الدر المنصون، 647/8.

3 ينظر السمين الحلبي، الدر المنصون، 355/5.

المبحث الثالث: المصدر الصناعي

هوصيغة اسمية مؤنثة تُصنع من مصدر أصلي، أو من لفظ آخر، بأن يلحق بها ياءً مشددة، وتاءً مربوطة "تاء النقل". وقد قرر مجمع اللغة العربية في القاهرة قياسية صوغ هذه الصيغة لسدّ حاجة العلوم والصناعات، وذلك بخلق ألفاظ جديدة تعبر عن معانٍ جديدة، وذلك للتعبير عن معاني دلالية إضافية لا يعبر عنها اللفظ الذي صنعت منه هذه الصيغة، وقد ذكر الشيخ أحمد الإسكندري في مجلة مجمع القاهرة 1/ 211 – 215، الصادرة سنة، 1934م أنّ هذه الصيغة تماثل الصفة المنسوبة المؤنثة، ولكن تختلف عنها من حيث الدلالة، فإذا قيل: "بُني هذا المجمع على زنة قياسية" جاءت كلمة قياسية صفة لزنة منسوبة إلى القياس. وإذا قيل: "قرر المجمع قياسية صوغ هذه الصيغة" فإنّ كلمة قياسية هنا تعني أنّ الصوغ قياسي ففي اللغة: قاس الشيء على غيره قياساً قدره على مثاله، وهذا الصوغ غير مقيد إلّا بوجود الدلالة على معنى إضافي، أمّا في حالة الصوغ من اسم الذات يكون الفرق في المعنى واضحاً بين دلالة المصدر الصناعي ودلالة اسم الذات.

فالضباب غير الضبابية، والإنسان غير الإنسانية، والرأسمال غير الرأسمالية، وعند الصوغ من اسم مبني، مثل وجود، وجودية، وحدود، حدودية، يحتاج التفريق بين الدالتين الرجوع إلى السياق، ويعد الفراء (ت 207هـ)، أول من ناقش صيغة المصدر الصناعي. ويعد الشيخ أحمد الحملاوي (ت 1932م) أقدم من استعمل مصطلح "المصدر الصناعي" في كتابه "شذا العرف في فن الصرف"¹، والدليل على قديمها ورودها في الشعر الجاهلي، وفي القرآن الكريم.

1 ينظر د. محمد عبد الوهاب شحاته، المصدر الصناعي في العربية، (القاهرة: دار غريب، 1993م)، ص 53.

وقد ذكر د. محمود فهمي حجازي¹ أنَّ أبنية المصدر الصناعي، تتكون من عناصر مختلفة على

النحو الآتي:

النوع	لاحقة المصدر الصناعي	الكلمة الأصلية	المصدر الصناعي
مصدر أصلي	يَّة	اشترك	اشتراكية
اسم جامد	يَّة	عنصر	عنصرية
صفة	يَّة	حرُّ	حرية
اسم فاعل	يَّة	جاذب	جاذبية
اسم مفعول	يَّة	مسؤول	مسؤولية
اسم جمع	يَّة	قوم	قومية
كلمة مركبة	يَّة	رأسمال	رأسمالية
كلمة دخيلة	يَّة	مغناطيس	مغناطيسية
صيغة مبالغة	يَّة	حساس	حساسية

وهناك مصادر صناعية أخرى تحوَّلت عن أسماء منصوبة أنزلت منزلة الصفات المشتقة نحو: إنسان

حيواني، جزئي، فإذا أُريدَ بها المصدر الصناعي تقول: الحيوانية - الإنسانية - الجزئية. ومن أهم المصادر

الصناعية التي نجدُها في كتب الألفاظ والأساليب:

1-الإشكالية: هي كل معضلة فكرية تحتاج إلى فهم عميق وتأمل طويل.

1 ينظر محمود فهمي حجازي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، (القاهرة: مكتبة غريب الفجالة، 1993م)، ص 58.

2- الأنانية: حب الذات والأثرة، وهي مشتقة من "أنا".

3- الأولوية: الأسبقية والأحقية في ترتيب الأمور، وهي مشتقة من "أولى"؛ أي: أحق وأجدر.

4- الجنسانية: الميل إلى الجنس، وإثارة الشهوات الجنسية، أمّا الجنسية، فتستعمل للدلالة على

الهوية الوطنية.

5- الضباية: ضباية الشيء: غموضه.

6- الطوعية: التبرع بأعمال الخير من ذات النفس دون فرض أيّ إلزام.

7- العشوائية: وهي النزعة إلى إهمال القواعد المتعارفة والتخبط في الأداء من غير هدًى أو بصيرة.

8- المحسوبية: تعني اتّصاف الشخص بأنّه مقرب من صاحب النفوذ.

9- النجومية: الشهرة والظهور الواسع ... وغيرها كثير.

وفيفيد اسم المصدر بعد إضافة الزيادة على اللفظ معنى مجرداً لم يكن فيه قبل الزيادة، فلفظة "وطن":

اسم يدل على بقعة من الأرض، فإذا أضفت إليها الزيادة المذكورة، أصبحت وطنية، وهي وصف مجرد،

كحب الوطن، والإخلاص له، ويجب على الباحث أن يفرق بين المصدر الصناعي، والاسم المنسوب

المؤنث، فالإسلامية - عربية - معنوية - لفظية - مكّية..... إلخ هذه الألفاظ ليست مصادر صناعية،

وإنّما أسماء منسوبة مؤنثة¹؛ ذلك أنّ المصدر الصناعي يدلّ على معنى مجرد مطلق، في حين يدل الاسم

1 ينظر محمد حيدر حلواني، المعنى الجديد في علم الصرف، ص 233.

المنسوب على صفة خاصة ترتبط بشيء ما، كما يشتق المصدر الصناعي من الأسماء الجامدة والمشتقة على حدٍ سواء¹.

أ - الرهبان - الرهبانية:

ذكر السمين الحلبي أنَّ رَهْبَانٍ وَرَاهِبٍ: مفرد وجمعها، "رهابين - رهابنة"، والأصوب أن نقول:

"رهبانيون" نسبة إلى الرهبانية، واستند على ذلك بقول ابن الأعرابي: [من الرَجَز]

لَوْ كَلَّمْتُ رُهْبَانًا دَيْرٍ فِي الْقُلَلِ لَا تَحْدَرُ الرُّهْبَانُ يَسْعَى فَتَزَلُ²

لو كان الرهبان جمع لقال: "يعدون - ونزلوا"، وهي من الألفاظ القديمة التي كانت تطلق على

التبَّيل من النصارى المنقطع عن أهله، ومصدرها: الراهب، والترهب، وهي التعبد في الصوامع، والرهب:

الخوف، واستند على ذلك بقوله تعالى: ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي

أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَآرْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠] والرهبانية: هي التعبد منفرط الرهبة؛ أي: الخوف³، ومنه قوله

تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ عَآثِرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ

اتَّبَعُوهُ رَاقَةً وَرَهْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا

فَعَاتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الحديد: ٢٧]

فالرهبان: هو الذي حرم نفسه من لذات الدنيا والزواج والولد، ودُكر أنها مشتقة من الرهبة، وهي

بمعنى الخوف، وبمعنى الضعف، ومنها قولهم: رهب الإبل بمعنى هزالها وكلالها. وقد جاءت هذه اللفظة الكريمة

1 ينظر حاتم الضامن، الصرف، ص213، وأمين أمين، الصرف الكافي، ص156.

2 إميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في شواهد العربية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1417هـ، 1996م)، 295/11. وذكر المؤلف أن هذا البيت بلا نسبة في لسان العرب 1/ 396 (ذوب)، 10/ 150 (زيق)، وتهذيب اللغة 9/ 238، 15/ 21، وتاج العروس 2/ 447 (ذوب)، والمخصص 9/ 22، وأساس البلاغة (قوم).

3 ينظر السمين الحلبي، الدرر المصون، 391/4 - 392 - 393.

لتدلّ على ورود المصدر الصناعي في العصور السالفة، والذي يؤكد ذلك سياق الآية في قوله تعالى: ﴿ابْتَدَعُوهَا﴾ فقد جاءت صفة للرهبانية، وخصّت بالابتداع؛ لأنها من أفعال البدن، وللإنسان فيها تكسّب¹، آخذًا برأي شيخه أبو حيان².

وأما الرهبانية فهي رفض الدنيا وشهواتها من النساء وغيرهنّ واتّخاذ الصوامع، وهي مصدر صناعي من رهب، وهي الابتداع؛ أي: ما ابتدعوها³ من السياحة في البراري، والمفاوز، وهي التّفرد في الديار والصوامع، ومنه قوله ﷺ: (لَا رَهْبَانِيَّةَ فِي الْإِسْلَامِ)⁴.

والدليل على ذلك أيضًا ما جاء في الأخبار أنّ سبب ابتداعهم الرهبانية أنّ المُلوك بعد عيسى عليه السلام بدلوا دين عيسى، وقتلوا الناس، وخاصة الأخيار من بني إسرائيل، وهم اليهود والذين أشركوا حين دعوهم إلى الحق، فرأى الأخيار من النصارى، وكان منهم القسيسون والرهبان⁵ من الضروري إلحاق بالبراري، وبني بعضهم الصوامع، وتفرّدوا فيها للعبادة؛ فهذا هو سبب الرهبانية. والذي يؤكّد هذه الدلالة ما جاء في سياق الآية في قوله تعالى: ﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾؛ أي لم نفرضها عليهم وقوله تعالى: ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ جاءت الجملة منصوبة لمخذوف وهو: ما ابتدعوها وهي الرهبانية إلّا ابتغاء رضوان الله⁶، وقد

1 ينظر السمين الحلبي، الدرّ المصون، 255/10.

2 ينظر أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 115/10.

3 جاء في التفسير أنّهم كانوا يرون من ملوكهم ما لا يصبرون عليه، فاتخذوا أسرابا وصوامع وابتدعوا ذلك، فلمّا ألزموا أنفسهم ذلك التّطوع، ودخلوا فيه، لزمهم، وهي كالإختصاص واعتناق السلاسل، ينظر السمين الحلبي، الدرّ المصون، 256/10.

4 عبد الرحمن بن رجب الحنبلي، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، تح: طارق عوض الله محمد، (الدّمام: دار ابن الجوزي ط 1، 1417هـ)، 102/1.

5 تعددت الروايات التي يرويها المفسرون في تفسير من هم الرهبانيون المذكورون في الآية الكريمة، فهناك رواية تذكر أنّ المقصود في هذه الآية هو النجاشي ملك الحبشة وأصحابه الذين آمنوا حينما سمعوا القرآن من المهاجرين المسلمين، وهناك من يذكر بأنها جاءت في صدد وفد من الحبشة أرسله النجاشي إلى رسول الله ﷺ، وهناك من ذكر أنّه وفد جاء مع جعفر بن أبي طالب وأصحابه من المهاجرين من الحبشة عندما عادوا إلى المدينة بعد صلح الحديبية، وذكر غيرهم أنّهم جماعة من النصارى كانوا على دين عيسى، وذهب جمهور آخر من المفسرين أنّهم نصارى نجران اليمن أو وفدهم، وهو وفد من الروم جاء من الشام. ينظر دروزة محمد عزت، التفسير الحديث، 203/9.

6 ينظر السمين الحلبي، الدرّ المصون، 255/10 – 256 – 257.

اتَّفَق السمين الحلبي مع المفسرين في الرأي، فذكر الحارث المحاسبي: ذَمَّ الله جماعة من بني إسرائيل ابتدعوا رهبانية لم يؤمروا بها، ولم ينعوها حقَّ رعايتها¹، وذكر الحليمي²، "كانت النصارى تترهب بالتَّخَلِّي من أَشْغال الدُّنيا"³.

ب - جهل - الجاهلية:

جهل، يجهل، جهلاً، وجهالة، فهو جاهل، والمفعول مجهول، فالجهل: الجفا والتسافه، وخفة العقل، ويعني الحمق وإظهار الطيش، ومنه قول عمرو بن كلثوم التغلبي: [من الوافر]

أَلَا لَا يَجْهَلَنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَتَجْهَلَ فَرَّقَ جَهْلَ الْجَاهِلِينَ⁴

وهو نقيض العلم فقد قابله بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٣]، وقوله تعالى: ﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧]، وأطلقت العرب الجهل على عدم العلم⁵.

وأما الجاهلية فتعني كما ذكر السمين الحلبي الفترة الزمانية التي قبل الإسلام، واستند على ذلك بقوله تعالى ﴿يُظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران: ١٥٤] فقد أراد في هذه الآية الظن المختص بالملة الجاهلية وهي المدة التي قبل الإسلام⁶، ومن أمثلتها في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ

1 ينظر أبو محمد مكي، الهداية إلى بلوغ النهاية، 7335/11.

2 هو الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الجرجاني، أبو عبد الله، وله المنهاج في شعب الإيمان ثلاثة أجزاء "الرسالة المستطرفة"، ص 44.

3 محمد بن عمر الأصبهاني المدني، المجموع المغيث في غريب القرآن والحديث، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، (جدة: جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، دار المدني، ط1، 1407هـ، 1986م)، 823/1.

4 عمرو بن كلثوم، ديوانه، ص 78.

5 ينظر الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، 390/3، وينظر إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، 1663/4.

6 ينظر السمين الحلبي، الدر المنصون، 448/3.

يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿[المائدة: ٥٠]، وقوله تعالى: ﴿قَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٣] وقوله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [الفتح: ٢٦]. وفي الحديث النبوي الشريف، قال ﷺ: (ليس منّا من ضرب الحدود أو شقّ الجيوب أو دعا بدعوى الجاهلية¹ ، وهي كل عمل مشين سفيه ليس من الإسلام والدين في شيء. ومنه قول الشاعر: [من البسيط]

حتى إذا ما هَوَتْ كَفُّ الغلام لها طارت وفي كَفِّه من ريشها بَتَكُ²

فقد كانوا في عصر الجاهلية يشقون أذن الناقة إذا ولدت خمسة أبطن آخرها ذكر³. ومنه في الحديث الشريف قوله ﷺ: "ألا إن كلَّ دمٍ ومال ومأثرة كانت في الجاهلية تحت قدمي⁴"، وقد وافق المفسرون السمين الحلبي في الرأي، فذهب ابن عاشور إلى أنّ الجاهلية هم الذين لم يعرفوا الإيمان أصلاً ويتظاهرون به، فبقيت معارفهم كما هي في عهد الجاهلية، كما ذكر أنّ الجاهلية في هذه الآيات الكريمة صفةٌ جرت مجرى موصوفٍ محذوفٍ يقدر بالفئة أو الجماعة. والمراد بـ "الجاهلية" في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٣] النسبة إلى الجاهل الذي لا يعلم الدين والتوحيد، فقد أطلق العرب على ما قابل الحلم بالجهل⁵. وذكر البيضاوي أنّ المراد بالجاهلية "الملة الجاهلية التي هي متابعة الهوى"⁶، وقد ذكر الزمخشري في قوله تعالى: ﴿أَفْحَكَمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]، وجوهاً متعدّدة⁷:

1 البخاري، صحيح البخاري، برقم 1298.

2 البيت لزهير بن أبي سلمى، وهو في ديوانه. زهير بن أبي سلمى، ديوانه، شرحه: حمدو طمّاس، (بيروت: دار المعرفة، د.ت)، ص 43.

3 ينظر السمين الحلبي، الدر المنصون، 94/4.

4 أحمد بن حنبل، المسند، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرون، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط 1، 1421هـ)، رقم 5805.

5 ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، 136/4.

6 البيضاوي، تفسير البيضاوي، 120/2.

7 ينظر الزمخشري، الكشاف، 641/1.

1- طلب كلٌّ من قبيلة قريضة وقبيلة النضير من الرسول ﷺ أن يحكم بما كان يحكم به في الجاهلية من التفاضل بين القتلى، حيث روي أن الرسول ﷺ قال لهم: (القتلى بواء)¹ فرفض بنو النضير ذلك، فنزلت هذه الآية.

2- جاءت ردًّا على اليهود بأنهم أهل كتاب وعلم، فكيف ييغون حكم الملة الجاهلية التي هي هوى وجهل، ليست من الكتاب ولا ترجع إلى وحي من الله تعالى.

3- الحكم حكمان: حكم بعلم فهو حكم الله، وحكم بجهل فهو حكم الشيطان².

أمّا أبو جعفر فقد اختلف في تفسير زمن الجاهلية، فذكر فيها عدّة أقوال:

- 1- الفترة ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام.
- 2- الفترة ما بين آدم ونوح، فقد ذُكر ما بين آدم ونوح ثمانمائة سنة، فكان نساؤهم من أقبح ما يكون ورجلهم حسناً، فكانت المرأة تريد الرجل على نفسه، فَأُنزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾.

3- الفترة ما بين نوح وإدريس³.

1 ينظر المصدر نفسه، 641/1، وفي ابن أبي شيبة من طريق الشعبي قال: كان بين الحين قتال بين العرب، فذكر قصة فيها، فذهبوا إلى النبي ﷺ فقال: "القتلى بواء"؛ أي: سواء ... ينظر جمال الدين الزيلعي، تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف، تح: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، (الرياض: دار ابن خزيمة، ط1، 1414هـ)، 397/1.

2 ينظر الزمخشري، الكشاف، 641/1.

3 ينظر أبو جعفر، تفسير الطبري، 260/20.

وذكر الطحاوي: الجاهلية: هي "الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ"، فكانت المرأة في الجاهلية إذا طَلَّقَهَا زَوْجُهَا أو مات عنها نَكَحَتْ بِغَيْرِ عِدَّةٍ فقال الرجل: أَمَّا النطفة فمن فلان، والولد على فراش فلان، على ما كان يستعملون في الجاهلية في الحكم للنطف¹.

ج - ذَرَّ - الذَّرِيَّةُ:

الذَّلّ والراء المشددة أصل واحد يدلُّ على الانتشار واللطافة، والظهور، وصغر الحجم²، وقد ومنه قوله تعالى: ﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنْ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝﴾ [الشورى: ١١]؛ فقد رأى السمين الحلبي المراد بـ "يَذُرُّكُمْ": يكثرهم بالتزواج، ومنه كان العرب يقولون لمن غطى الشيب رأسه، وتكاثر وانتشر: "رجل أذراً"، وامرأة ذراً، و "ملح ذرائي"، ومنه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّةِ وَالْإِنْسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩]؛ أي أظهرنا، ومنها قولهم: ذرأ الله خلقه، بمعنى: أظهر أشخاصهم³، والذرة: واحد الـ "ذَرٌّ" اسم جنس لكل ما صغير ودقيق، وسميت النملة الصغيرة: "ذَرٌّ"، وكان أبو حيان يقول: "كل ذَرٌّ في كتاب الله فهو منسوخ بالقتال"⁴. ومنه قول امرئ القيس: [من الطويل]

من القاصرات الطرف لو دبَّ محول من الذر توق الإتب منها لأثرا⁵

1 ينظر أبو جعفر الطحاوي، أحكام القرآن، تح: د. سعد الدين أوانال، (إسطنبول: مركز البحوث الإسلامية، 1418هـ، 1998م)، 428/2.

2 ينظر السمين الحلبي، الدر المصون، الدر المصون، 140/7.

3 المصدر نفسه، 39/2.

4 أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 625/4.

5 امرؤ القيس، ديوانه، ص 97.

وَأَمَّا الدُّرِّيَّةُ فَإِنَّ الْأَصْلَ فِي إِطْلَاقِهَا - كما يرى السَّمِينُ الحَلَبِيُّ - على الصِّغَارِ، وتطلق أيضاً على الآباء¹. ومنه قوله تعالى: ﴿وَعَايَةُ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ﴾ [يس: ٤١]، فالذُّرِّيَّةُ هنا كما قيل: الآباء والأبناء؛ لأنه أراد بالفلك في هذه الآية جنس السفن لا سفينة نوح، حيث تطلق على المفرد والجمع، ومنه قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ وَقَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: ٣٨] فرزقه الله تعالى بيهي، وذكر السمين الحلبى في تفسيرها عدة أقوال:

1- أُنْهَا فعليه من الدَّرِّ لَأَنَّ اللَّهَ إِسْتَخْرَجَ الدُّرِّيَّةَ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ كَالدَّرِّ.

هذا الرأي أخذ به عن شيخه أبي حيان؛ فذُرِّيَّةٌ بدلٌ عن آدم، والآباء ذُرِّيَّةٌ للأبناء، والأبناء ذُرِّيَّةٌ للآباء²، وقد استندوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنْ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]

2- أُنْهَا مهموزة الأصل مشتقة من ذرأ الله الخلق، وقد خففها العرب حيث التزمت ذلك في عدة ألفاظ، منها: "البرية - الخطية - الذرية" في باب الياء.

3- أُنْهَا ذرؤية، وقد تطلق التاء مع الصبيان، واستدل على ذلك بالحديث: "لا تقتل ذُرِّيَّةً، ولا عسيفاً"³.

1 ينظر السمين الحلبى، الدر المصون، 128/3.

2 ينظر أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 112/2.

3 ابن داود، صحيح سنن أبي داود، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، (الكويت: مكتب التربية العربي لدول الخليج، الأولى، 1409هـ)، رقم 2669.

وقد ذكر السمين الحلي في اشتقاق ذرية وتصريفها ثلاث لغات¹، وقد اتفق المفسرون مع السمين الحلي في تفسيره لهذه الصيغة، فقد ذكر مرتضى الزبيدي: الذرية اسم يجمع نسل الإنسان من ذكر أو أنثى، وأصلها الهمز. ومنه الحديث السابق: (لَا تَقْتُلْ ذُرِّيَّةً وَلَا عَسِيفًا)؛ أي: النساء. وذكر الفيومي أن فيها ثلاث لغات، أفصحها ضمُّ الدال، وقد قرأ بها السبعة، والثانية كسرهما، والثالثة فتح الدال مع تخفيف الراء، وتطلق على الآباء من باب المجاز². وقد ورد المصدر الصناعي في القرآن الكريم أيضًا في قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: 38]، الشاهد في هذه الآية الكريمة لفظة "ذُرِّيَّة" وهي مصدر صناعي من الفعل: "ذَرَر"، وَذُرِّيَّةٌ: مفرد تجمع على "ذُرِّيَّاتٍ" و"ذَرَارِيٍّ"؛ أي: نسل وأولاد، ونظيرها في القرآن الكريم كثي³. والذي يؤكد ذلك المعنى قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا﴾ [مريم: ٥٨]، فقد قال الله سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ: هؤلاء الذين تم ذكرهم في هذه الآية الكريمة ممن أنعم الله عليهم وهداهم إلى طريق الرشاد من الأنبياء من ذُرِّيَّةِ آدَمَ، ومن ذُرِّيَّةِ من حملنا مع نوح في الفلك، ومن ذُرِّيَّةِ إبراهيم خليل الرحمن، ومن ذُرِّيَّةِ إسرائيل، ومن هدينا للإيمان بالله، فالذي قصد به من ذُرِّيَّةِ آدَمَ: إدريس، ومن ذُرِّيَّةِ من حملنا مع نوح: إبراهيم، ومن ذُرِّيَّةِ إبراهيم: إسحاق ويعقوب وإسماعيل، ومن ذُرِّيَّةِ إسرائيل: موسى وهارون وزكريا وعيسى وأُمُّهُ مريم، فقد فَرَّقَ الله تعالى في ذكر أنسابهم، إن كان جميعهم يجمعهم آدَمَ لأنَّ فيهم من ليس من وَلَدِ مَنْ كان مع نوح في السفينة وهو إدريس، وإدريس جُدُّ نوح⁴.

1 ينظر المصدر نفسه 101/2.

2 ينظر أحمد بن محمد الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، 207/1.

3 نظيرها في البقرة: 266، ويس: 41، ويونس: 83.

4 ينظر أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، 565/15 – 566.

وذكر صديق حسن خان: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ﴾؛ أي: إدريس ونوح، وفي قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾؛ أي: من ذُرِّيَّةٍ من حملنا معه في السفينة، وهم من عدا إدريس، لأنَّ إدريس من ذُرِّيَّةِ آدَمَ لقربه منه، وإبراهيم من ذُرِّيَّةٍ من حمل مع نوح؛ لأنَّه من ذُرِّيَّةِ سام بن نوح، وما بين إبراهيم ونوح عشرة قرون، كما ذكر في التحبير¹.

وذكرت كاملة الكواري: ﴿ذُرِّيَّةٌ﴾، أصلها من ذَرَأَ، بمعنى خلق، وسَمِّيَ الآباء والأبناء ذُرِّيَّةً؛ لأنَّ الله خلق بعضهم من بعض؛ أي: بعضها ولد بعض².



1 ينظر محمد صديق خان القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن، 173/8.

2 كاملة الكواري، تفسير غريب القرآن، (بيروت: دار بن حزم، ط1، 2008م)، 34/3.

الفصل الثاني: الدلالة المعجمية لصيغ المشتقات في تفسير الدر المصون

ذكر ابن فارس أنَّ أهل اللغة إلَّا من شَدَّ منهم قد أجمعوا أنَّ اللغة قياسٌ، وأنَّ العرب تشتق بعض الكلام من بعض¹، ما يعني أنَّ العرب تشتق الألفاظ بعضها من بعض في حال بحثهم عن ألفاظ تعبّر عن أفكارهم الجديدة، إذا لم يجدوا في اللغة لفظاً يعبر عن فكرتهم؛ فالمشتقات وسيلة من وسائل نماء لغتنا العربية². وعلى هذا يكون معنى الاشتقاق: أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنىً ليدلَّ بالثانية مع معنى الأصل بزيادة قصدية؛ لأجلها اختلفا حروفاً أو هيئة كضارب من ضرب، وَجَدَرَ من جَدَرَ³. وبناء على ذلك ينقسم الاشتقاق عند العرب على ثلاثة أقسام: "الصغير - الكبير - الأكبر"⁴ وسوف أكتفي بذكر أقسامها من دون التّطرق لها بالتفصيل؛ لأنّها درست بشكل مستفيض فلا حاجة لذكرها، أمّا ما تهتم به دراستي فهي المشتقات عند المفسرين ومعناها الدلالي، ولا سيما عند السمين الحلبي في تفسيره "الدر المصون"، وسنعرض الآن صيغ المشتقات في القرآن الكريم ودلالاتها.

المبحث الأول

المطلب الأوّل: دلالة اسم الفاعل من الفعل الثلاثي:

يتضمّن القرآن الكريم العديد من صيغ اسم الفاعل التي لها دلالات مختلفة بحسب السياق الذي وردت فيه، وهي دلالات مختلفة من موضع لآخر، كما تختلف دلالاتها تبعاً للقارئ اللّفظيّة والمعنويّة

1 ينظر أحمد بن فارس، *الصاحبي في فقه اللغة العربية*، (بيروت: منشورات محمد علي بيضون، ط1، 1418هـ، 1997)، 33.

2 ينظر الدكتور بلقاسم بلعرج، *لغة القرآن الكريم "دراسة لسانية للمشتقات"*، (الجزائر: دار العلوم للنشر والتوزيع، د.ت)، ص 18.

3 ينظر جلال الدين السيوطي، *المزهر في علوم اللغة وأنواعها*، تح: فؤاد علي منصور، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، 1418هـ، 1998م)، 346/1، وخديجة الحديثي، *أبنية الصرف في كتاب سيبويه*، ص 171.

4 ينظر أبو الفتح عثمان بن جني، *الخصائص*، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4، د.ت)، 13/1، 146/2-147، وجمال الدين السيوطي، *المزهر في علوم اللغة*، 347/1-348، وخديجة الحديثي، *أبنية الصرف في كتاب سيبويه*، 182-183.

والتأريخية. وفي هذا المطلب سنعرض بعض الأمثلة ونتحدث عن دلالتها في موضعها، ثم نتحدث عن الدلالات العامة ونشفع ذلك بأمثلة مختلفة تتناسب مع تلك الدلالات. وسنقف هنا عند ثلاث صيغ من صيغ اسم الفاعل، هي "دافق" و"ضائق" و"عاصم"، ونبين رأي السمين الحلبي، ورأي المفسرين في كل دلالة منها.

1- دافق:

دافق: يقال دفع الماء يدفع دفعًا ودفعًا، واندفع واستدفع؛ أي: انصب بمرة، فهو دافق أي مدفوق¹، وتحمل هذه اللفظة عند المفسرين ثلاثة احتمالات²، فالأول بمعنى اسم المفعول "مدفوق"، والثاني بمعنى النسب "ذات دفع"، والثالث باقية على بابها. ومن أمثلتها قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۖ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ۖ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ۗ﴾ [الطارق: ٥-٧] وتدل هنا - كما ذكر السمين الحلبي - على المشاركة، وهو الامتزاج ما بين سائل الرجل والمرأة؛ إذ يمتزجان كلاهما في رحم المرأة، وتدل على هيئة الماء في صورته المندفعة³، ويسوغ هذا المعنى قرينة المعنى؛ فالدفع دفع الشيء، ومن ذلك دفع الماء، والماء دافق؛ أي: بعضه يدفع بعضًا. والكلام في الآية على دفع الماء الذي منه خلق الإنسان وهذا الماء خارج لا مخرج إذ يمتزج في الرحم، قال تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ۗ﴾ [الطارق: ٥-٧] فالمقصود بها هيئة الماء وهو يتدفع في هذه اللحظة من غير أن يلتفت إلى أسباب تدفقه⁴. وقرينة اللفظ؛ فاسم

1 ابن منظور، لسان العرب، 99/1.

2 ينظر أبو زكريا الفراء، معاني القرآن، تح: أحمد يوسف النجاشي، ومحمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، (مصر: دار للتأليف والترجمة ط1، د.ت)، 15/2؛ وأبو إسحاق الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، (بيروت: عالم الكتب، ط1، 1408هـ - 1988م)، 311/5 والزمخشري، الكشاف، 736/4، وأبو حيان، البحر المحيط، 499/8، والزجاج، روح المعاني، 97/30، ود. عبد الرحمن الشهري، الإعجاز القرآني في أسلوب العدول عن النظام التركيبي النحوي والبلاغي، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، ص8.

3 ينظر السمين الحلبي، الدر المنصون، 753/10.

4 ينظر المصدر السابق، 434/4.

الفاعل في هذه الآية هو الذي قام بالفعل، ولو كان المقصود اسم المفعول ما نُسِبَ الفعل إلى اسم الفاعل وهو فاعل الدفع. ومنه قول الشاعر: [من الطويل]

بطيءُ القيامِ رَخِيمُ الكَلَا مَ أَمْسَى فُوَادِي بِهِ فَاتِنَا¹
أي مفتوناً². وقد اتَّفَقَ المفسرون³ على دلالتها، فذكر أبو زمنين المالكي أنَّ معنى دافق "النطفة"، وقال: قال قوم: معناه مدفوق. وقال قوم: المعنى من ماءٍ ذي اندفاق⁴. وكذا قال السمعاني: مدفوق مثل قوله تعالى: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ [القَارِعَةُ: ٧]، أي مرضية، وذكر: ﴿مَاءٍ دَافِقٍ﴾ أي مُنْصَبٌّ جارٍ⁵. وذكر النسفي أنَّ نسبة الدَّفَقِ إلى الماء مجاز؛ فالأصل في الدَّفَقِ الصَّبُّ، وهو الدَّفْع. وذكر عن بعض أهل اللغة: دفقت الماء دفقاً صبيته. ودُفِقَ الماء بنفسه: انصبَّ، ولم يقل من ماءين لامتزاجهما في الرحم واتحادهما حين ابتدئ في خلقه⁶. ووافق في معنى الصَّبِّ ابن منظور؛ فقولنا: دفق الماء والدَّمْعُ يَدْفُقُ دفقاً دُفُوقاً واندفق وتدَفَّقَ واستَدَفَّقَ: انصبَّ، والاندفاق: الانصباب. والتَّدَفَّقُ: التَّصَبُّبُ، وذكر: رَجُلٌ أَذْفَقُ إذا انْحَى صُلْبُهُ من كِبَرٍ أو غَمٍّ. وذكر في الدعاء على الإنسان بالموت: دفق الله روحه؛ أي: أفاظها. وفي حديث الاستقساء: "دُفاق العزائل"، ويعني المطر الواسع الكثير، والعزائل: مقلوب العزالي، وهي مخارج الماء من المزاد، وفَمَّ أَذْفَقُ: إذا انْصَبَّتْ أسنانه إلى قُدَّامٍ، وَدَفِقَ البعيرُ دَفْقاً وهو أَذْفَقُ: مال مرفقه عن جانبه ... وتدَفَّقَتِ الإبل:

1 ينسب البيت إلى الخطيئة وليس في ديوانه. القرطبي، تفسير القرطبي، 40/9.

2 ينظر المصدر السابق، 752/10.

3 ينظر ابن القيم الجوزية، التَّيْبَانِ فِي أَقْسَامِ الْقُرْآنِ، تح: حامد الفقي، (بيروت: دار المعرفة، د.ت)، 64/1، وابن أبي الزمين، تفسير القرآن العزيز، 118/5.

4 ينظر المصدر السابق، 118/5.

5 ينظر أبو مظفر السمعاني، تفسير السمعاني، 203/6.

6 البيضاوي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، 628/3.

أسرعت. وسيرٌ أدفقٌ: سريعٌ، والدَّفَقَى: إذا أسرع وباعد خطوة، وهي مشية يتدقق فيها ويُسرِعُ، ومنه قول الشاعر: [من الكامل]

تَمْشِي الْعُجَيْلِي مِنْ مَخَافَةِ شَدَقِمِ تَمْشِي الدَّفَقَى وَالْحَنِيفِ وَيَضِيرُ¹
فالدَّفَقَى هنا المشي السريع، وفي حديث الزُّبَيْرَان: "أَبْعَضُ كُنَائِي إِلَى الَّتِي تَمْشِي الدَّفَقَى"². أمّا ابن عادل، فقد رجحَ دلالة النسب، حيث ذكر في كتابه: دافق ذو دفق أو اندفاق³.

يرى الباحث أن كلمة دافق في القرآن الكريم دلّت على قوة الانصباب والتدفق، كالسيول والفيضانات وتدفق المياه بكميات كبيرة ومرة واحدة، وهذا دليل على عظمة الله وقوته في خلق الكون.

2- ضائق:

ضائق: مفرد، اسم فاعل من ضاق، وهو خلاف اتسع، ضاق صدره فهو ضيق⁴، ويرى السمين الحلبي أن معنى "ضائق" في قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضُ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ﴾ [هُود: ١٢] يدلُّ على "الضيق" الذي هو نقيض "السعة"⁵، وذلك من خلال القرائن اللفظية، والمعنوية، والتاريخية؛ فأما اللفظية فلفظة "تارك" ترجّح دلالة "ضائق" على اسم الفاعل لتتناسب اللفظتان⁶، وأما المعنوية فالضيق نقيض السعة، وليس من الملائم في الآية الكريمة هذا الوصف؛ لأنَّ الكلام على النبي ﷺ وهو للناس صدرًا⁷. وأمّا القرينة التاريخية فقد نزلت هذه الآية في مدة عصيبة على الرسول ﷺ، وهي وفاة عمه، وزوجته

1 إميل بدیع یعقوب، المعجم المفصّل في شواهد العربية، 221/3. وهو بلانسة في لسان العرب، 99/10. وتهذيب اللغة 371/1.

2 ينظر ابن منظور، لسان العرب، 99/10.

3 ينظر ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب، 262/20.

4 ينظر أحمد بن محمد الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، 367/2.

5 ينظر ابن منظور، لسان العرب، "ضيق" 208/10.

6 ينظر السمين الحلبي، الدرر المصون، 244/5.

7 ينظر المصدر السابق، 17/13.

خديجة رضي الله عنهما، فهذه المدّة كما هو معلوم من أصعب ما مرّ به النبي ﷺ¹، وكأنّ الله سبحانه وتعالى أراد تسليّة النبي ﷺ بإخباره أنّ هذا الضيق عارض غير لازم؛ لذا كان التعبير باسم الفاعل أنسب²، وقد اتّفق المفسرون³ على ذلك؛ فذكر الواحدي أنّها بمعنى اسم الفاعل، وهو خطاب للنبي ﷺ بسبب قولهم: ﴿لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ وما عليك إلّا أن تنذرهم لا أن تأتيهم بما يقترحون⁴. وذكر القرطبي أنّها معطوفة على "تارك"، وصدرك: مرفوع به. والهاء في "به" تعود على "ما"، أو على بعض أو على التبليغ أو التكذيب، وعلّ مجيئه اسم فاعل لا صفة مشبّهة "ضيق" المشاكلة مع "تارك" الذي قبله، ولأنّ الضائق عارض والضيق ألزم منه⁵. وإلى ذلك ذهب أبو حيان الأندلسي؛ فقد استعمل لفظ "ضائق" بدل "ضيق" للمناسبة في اللفظ مع "تارك" وإن كان "ضيق" أكثر استعمالاً، ولأنّه وصف لازم، وضائق وصف عارض، وقد عدل عن ضيق إلى ضائق، ليدل على أنّ ضيق عارض غير ثابت، لأنّ رسول الله ﷺ كان أفسح الناس صدرًا⁶. وذكر سيد طنطاوي أنّ الضمير المجرور في قوله تعالى: ﴿وَصَاحِقٌ فِيهِ صَدْرُكَ﴾ "يعود إلى بعض الموحى به وقيل يعود للتبليغ، وقيل للتكذيب"⁷. وذهب ابن عاشور إلى أنّ "ضائق: غُطِفَ على تارك؛ فهو وفاعله جملة خبر عن "لعلك" فيتسلط على التفریع، والباء في "به" للسببية، والضمير المجرور بالباء: عائد على ما بعده. وهو أن يقولوا. و"أن يقولوا": بدل من الضمير. ومثل ذلك كثير في الكلام كقوله تعالى: ﴿وَأَسْرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الأنبياء: ٣]

1 ينظر محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، (القاهرة: دار نخضة مصر، ط 1، د.ت)، 37/12.

2 ينظر السمين الحلبي، الدر المصون، 392/2.

3 ينظر الزمخشري، الكشاف، 263/2، وينظر فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، 155/17، وينظر أبو حيان، البحر المحیط، 208/5.

4 ينظر ابن عطية، المحرر الوجيز، 514/3.

5 ينظر القرطبي، تفسير القرطبي، 412/9.

6 ينظر أبو حيان، البحر المحیط، 129/6.

7 ينظر الواحدي، التفسير الوسيط، 127/7.

فيكون تحذيرًا مِنْ أَنْ يضيق صدرُهُ لِافْتِرَاحِهِمُ الْآيَاتِ بِأَنْ يقولوا لولا أَنْزَلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جاء معه مَلَكٌ، ويحصل مع هذا التَّحذِيرِ أَنْ يضيق صدره من قولهم¹.

وذهب آخرون إلى أَنَّ "ضائق" صفة مشبهة على زنة "فاعل" وليست اسم فاعل²؛ فدلالة الألفاظ القرآنية تحددها السياق القرآني، والقرائن الدالة في هذه الآية الكريمة ترجح أَنَّ لفظة "ضائق" اسم فاعل لا صفة مشبهة، وقد مرَّ تفصيل ذلك.

تستخدم هذه اللفظة في القرآن الكريم للدلالة على الضيق الذي يواجهه الإنسان في حياته كالمواقف الصعبة والأزمات التي يتعرض لها الإنسان سواء كانت نتيجة الظروف الحياتية أو التَّحديات الدينية أو الاختبارات التي يواجهها الإنسان.

ج- عاصِم:

العصمة في كلام العرب: بمعنى المنع³، وقد وردت هذه الكلمة في قوله تعالى: ﴿قَالَ سَتَاوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ [هُود: ٤٣] وذكر السمين الحلبي أنَّها:

1- استثناءً منقطع، بأن تجعل عاصمًا على حقيقته، ومن رَحِمَ هو المعصوم، وفي "رَحِمَ" ضمير مرفوع يعوم على الله تعالى، ومفعوله ضمير الموصول وهو "مَنْ" حذف لاستكمال الشروط. والتقدير: لا

1 ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، 17/13.

2 ينظر الزمخشري، الكشاف، 263/2، وينظر فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، 155/17، وينظر ابن جزي الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل، 148/2.

3 ينظر أبو بكر الأنباري، الزاهر في معاني كلمات النَّاس، تح: حاتم صالح الضامن، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1412هـ، 1992م)، 470/1.

عاصم اليوم أَلْبَتَّة من أمر الله فهو معصوم، والمراد بـ "مَنْ رَحِمَ" هو الباري تعالى كأنه قيل: لا عاصم اليوم إلا الراحم.

2- "عاصم" بمعنى معصوم، وفاعل قد يجيء بمعنى مفعول نحو: ماء دافق، أي مدفوق، والمراد بها المعصوم. والتقدير: لا معصوم اليوم من أمر الله إلا من رحمه الله فإنه يُعَصِّم.

3- "عاصم" بمعنى النَّسَب، أي: ذا عِصْمة نحو: ذو العصمة، فهو ينطلق على العاصم والمعصوم، والمراد به هنا المعصوم¹. وقد ذهب عدد من المفسرين إلى احتمالية هذه المعاني الثلاثة.²

لكن الأقرب إلى المعنى هو بقاء اسم الفاعل على معناه الأصلي وهذه القرائن تراتبت معني، وسياقاً. فقرينة المعنى تبين لنا معنى العصمة هو أن يعصم الله تعالى عبده من سوء يقع فيه، ومعنى هذا أن العاصم هو الله سبحانه وتعالى، وهو وحده الذي يعصم الإنسان من أيِّ مكروه. وأما قرينة السياق فنحن نلاحظ في السياق السابق للفظ "عاصم" أن ابن نوح كان يبحث عن عاصم يعصمه من الماء، فجاء الرد على لسان نوح عليه السلام بقوله: ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾ ومعنى هذا نفى كل عاصم سوى الله سبحانه وتعالى، وكل معصوم سوى رحمة الله، والدليل قوله تعالى: ﴿مَنْ رَحِمَ﴾ فمن رحمه الله فهو المعصوم. وعلى مستوى المفردات فمن قال: "معناه لا معصوم"، فليس يعني أن العاصم بمعنى المعصوم، وإنما

1 ينظر الحلبي، الدر المنصور، 332/6.

2 ينظر ابن جرير، تفسير الطبري، 111/6، ومكي بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية، 2913/4، والواحي، التفسير البسيط، 177/15، والماوردي، تفسير الماوردي، 433/3، والبغوي، تفسير البغوي، 383/3، وابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 68/6، والفخر الرازي، التفسير الكبير، 352/17، وأبو البركات النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، 210/3، وابن جزي الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل، 55/1، وأبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 158/6، وجلال الدين السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، 447/3، وابن عاشور، التحرير والتنوير، 585/30، والقرطبي، تفسير القرطبي، 38/15.

ذلك تنبيه منه على المعنى المقصود بذلك، وذلك أنَّ العاصم والمعصوم يتلازمان، فأَيُّهُمَا حصل، حصل معه الآخر، ومعنى هذا أنَّ اسم الفاعل والمفعول لكل منهما معناه الخاص، إذ لا يشاركه غيره في هذا المعنى¹.

تستخدم في اللفظة للدلالة على المنع، كما استخدمت للإشارة إلى الشخص الذي يحمي أو يأوي شخصاً آخرًا من الأذى والضرر.

4- باسط:

قال تعالى: ﴿وَكَلَّبُهُمْ بِسِطِّ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ﴾ [الكهف: ١٨] تدلُّ "باسط" في هذه الآية الكريمة كما يرى السمين الحلبي على معنى الثبوت وعدم الحركة؛ فالكلب على هيئة ثابتة تتمثل في بسط الذراعين بالباب كما نقول هو "طويل"، فإننا نثبت له صفة هو عليها من غير إشعار شيء آخر ولا إشارة إليه، ولو قال: كلبهم يبسط ذراعيه لكان المعنى أنَّ الكلب يحدث البسط ويزاوله ويتجدد منه شيئًا، فشيئًا، وإنما المراد هنا في هذه الآية أنَّ الكلب باسط ذراعيه بالباب، وهو على هذه الصورة الثابتة الجامدة، والدليل على ذلك سياق الآية وارتباطها بما بعدها وقبلها بدليل قوله تعالى: ﴿لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ [الكهف: ١٨] فهي صورة لفتية الكهف يلقيها سياج من المهابة والخشية، وقوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُهمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ [الكهف: ١٨] فقد جاءت لإرادة حكاية الحال ألا نرى أنَّ المضارع يصحُّ وقوعه تقول: وكتبهم يبسط ذراعيه يدل على إرادة حكاية الحال فالجملة حالية والواو واو الحال، وقوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُهمْ﴾ ولم يقل: "وقلبناهم" ف "ذراعيه": منصوب بباسط وهو بمعنى الماضي، فقد خرج الجماعة على

1 ينظر السمين الحلبي، الدر المنصون، 478/9.

حكاية الحال¹، إذ قال بعض المفسرين²: ومعنى حكاية الحال أن يفرض ما كان واقعاً ولا حظ أن "باسط" مع أنه بمعنى الماضي في الآية لأنه يحكي قصة أهل الكهف عَمِلَ النصب في كلمة "ذِرَاعِيهِ" فوضع قاعدة عامة هي أنه يعمل النصب بمعنى الماضي وبمعنى الحال والاستقبال، فقد أولوا "باسط" في الآية على حكاية الحال الماضية.

المطلب الثاني: دلالة اسم الفاعل من الفعل فوق الثلاثي:

تحمل صيغة اسم الفاعل المشتق من الفعل فوق الثلاثي دلالات متعدّدة، وهي أشبه بالمعاني التي يخرج إليها الفعل حين نزيد عليه حرفاً أو حرفين أو أكثر، وقد أثر الباحث أن يبيّن هذه الدلالات مع ذكر الأمثلة والشواهد القرآنية التي توقّف عندها السّمين الحلبي، وأوضح مدلولاتها. ومن أهمّ المعاني التي يخرج إليها اسم الفاعل من فوق الثلاثي:

1- التعدية:

تأتي بعض صيغ اسم الفاعل من الفعل فوق الثلاثي في القرآن الكريم لإفادة التعدية، أي لجعل الفعل اللازم متعدّياً لفعل واحد، فإن كانت متعدية لمفعول واحد صارت متعدية لمفعولين، واسم الفاعل على زنة "مُفْعِل - مُفْعَل" يفيدان هذا المعنى كرشد وأرشده فهو مُرْشِدٌ، وحلّق محلّق، ووسع، فأوسعه فهو موسع.

1 ينظر السمين الحلبي، الدر المنصون، 460/7.

2 ينظر أبو علي الفارسي، الإيضاح العضدي، تح: حسن الشاذلي فرهود، (السعودية: كلية الآداب جامعة الرياض، ط1 1389هـ)، وجمال الدين السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تح: عبد الحميد الهنداوي، (القاهرة: المكتبة التوفيقية، د.ت)، 95/2، وشمس الدين الجوزي، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، 684/2، وجمال الدين ابن هشام، شرح قطر الندى وبل الصدى، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، (القاهرة: ط11، 1338هـ، 276/1)، ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: مازن مبارك، محمد علي حمد الله، (دمشق: دار الفكر، ط6، 1985م)، 90/1.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الدَّارِيَات: ٤٧] ذكر السمين الحلبي: "المُوسِع" اسم فاعل من أوسع، فهو ذا وسع، أي ذا قدرة للاحتمال، وهي امتداد مساحة الشيء، واستعملت ضد الضيق، واستعيرت في الوفرة¹، ومنه قوله تعالى: ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾ [الطَّلَاق: ٧]

2- التكثير:

تدل صيغة اسم الفاعل مما جاءت على وزن "مَفْعَل" على التَّكْثِير، ومنه قوله تعالى: ﴿وَيُلِّ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [الْمُطَفِّفِينَ: ١]، فالمُطَفِّفُونَ اسم فاعل وزن مفعِلون، وتفيد هنا بحسب ما ذهب إليه السمين الحلبي التَّكْثِير، وتعني الذين ينقصون في الوزن والكيل². ومنه قوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ [آل عِمْرَان: ١٣٧] فقد دلَّت صيغة "المُكْذِبِينَ" على معنى التَّكْثِير أيضًا، والمُكْذِبُونَ هم من أكثروا الكذب وبالغوا في إنكار الدين والنبوة³.

فالدَّلالة على التَّكْثِير فيما جاء على وزن "مَفْعَل" تضيف معنى جديدًا إلى المعنى الأصلي للكلمة، أو ما يمكن أن نسميه معنى المعنى. ويقدم النصُّ في رؤية جديدة كي يبدو أكثر قربًا إلى الأذهان، وأكثر استجابة وقبولًا في العقول والأفهام.

3- المشاركة:

1 ينظر السمين الحلبي، الدُّرُ المصون، 58/10.

2 ينظر السمين الحلبي، الدُّرُ المصون، 717/10.

3 ينظر المصدر السابق، 479/4.

المشاركة تكون بين اثنين¹ وهناك صيغتان من صيغ اسم الفاعل تدلّان على المشاركة، وهما: "مفاعل" من الفعل فاعل يفاعل، و"متفاعل" من الفعل تفاعل يتفاعل. ومنه قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ [الزمر: ٢٩]، حيث ذكر السمين الحلبي أنّ صيغة "متشاكسون" تدلّ على معنى المشاركة²، وهي التّخالف والتّشاجر، بسبب سوء الخلق³، وقد اتّفق المفسرون في هذه الدّلالة⁴، ومن أمثلة المشاركة قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرٍّ مُّتَقَبِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧] فقد أفاد اسم الفاعل "متقابلين" في هذه الآية أيضًا معنى المشاركة، أي حالهم على سرر، وعلى صورة مخصوصة، وهي التقابل ينظر بعضهم إلى بعض، ومنه قوله تعالى: ﴿مُتَّكِنِينَ عَلَيْهَا مُتَقَبِّلِينَ﴾ [الواقعة: ١٦] ⁵.

4- المطاوعة:

يدل اسم الفاعل ممّا هو فوق الثلاثي وعلى وزن "مُنْفَعِل" على المطاوعة⁶، أي مطاوعة المفعول به للفاعل فيما يفعله به، مثل: كسرتَه فانكسر، وصرفته فانصرف. ومنه قوله تعالى: ﴿بُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ۖ فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا﴾ [الواقعة: ٥ - ٦] ذكر السمين الحلبي، منبثًا: أي متقطعًا، وأصلها من البثّ، وهو التّفرق⁷، وفي اللفظ إدغام؛ إذ الأصل: المُنْبَثّ على وزن المُنْفَعِل لكن لما التقى متماثلات أدغم الأوّل في

1 ينظر الطائي الجباني، أبو عبد الله، شرح الشافية، 96/1، وأبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، شرح كتاب التصريف، (دار إحياء التراث القديم، ط1، 1373هـ، 1954م)، 92/1.

2 ينظر السمين الحلبي، الدّر المصون، 424/9 - 425.

3 ينظر المصدر السابق، 424/9.

4 ذكر الشوكاني: التشاكس الاختلاف، وذكر الفرّاء متشاكسون أي: مختلفون، وذكر المبرد: متشاكسون أي متعاسرون، فهي من "شكس - يشكس - شكسا..." وذكر الجوهري: التشاكس الاختلاف، ينظر محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير، (بيروت: دار ابن كثير، ودمشق: دار الكلم الطيب، 1414هـ)، 443/4.

5 ينظر السمين الحلبي، الدّر المصون، 62/3.

6 ينظر ابن عصفور الإشبيلي، الممتع الكبير في التصريف تح: فخر الدين قباوة، (حلب: المكتبة العربية، 1970م)، 189/1.

7 ينظر السمين الحلبي، الدّر المصون، 194/10.

الثاني فأصبحة "مُنْبَثَّ". ويؤيد هذا المعنى ما جاء في سياق الآية: ﴿إِذَا رُجَّتْ﴾ أي كانت تخفض وترفع، وقوله تعالى: ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ﴾ أي فُتَّتْ، ومنها قولهم: بَسَّ الغنم، أي ساقها بشدة، حَتَّى أصبحت تتلاطم وترتج¹. ومنه قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٥]، والانقلاب: التَّحْلُص والانفلات، وقول الشاعر: [من الرجز]

رَاحَ تَمَرِيهِ الصَّبَا ثُمَّ انْتَحَى فِيهِ شُؤْبُوبُ جَنُوبٍ مُنْفَجِرٍ²

وقوله تعالى: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾ [القمر: ١١] والانهمار: هي إرسال المطر الخارج عن المعتاد، واستُعِيرَ بها في كلام العرب، كقولهم: هَمَّرَ الرجلُ في كلامه؛ أي: يرففه، ومنها همرة من ماله: أعطاه بكثرة³.

5- الدلالة على العيوب والألوان:

تأتي صيغة "مُفْعَلٌ" للدلالة على العيوب والألوان غالباً⁴، ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٦٠] فالسَّوَادُ دَلٌّ على حال الكافرين يوم القيامة، وما تكون عليه هيئتهم من خزي وهوان في يوم القيامة إذا نظرت أُنْهَا الرسول الكريم إلى وجوه الذين كذبوا على الله، فتجدتها مُسْوَدَّةً مكفهرة⁵ بسبب ما أحاط بهم من عذاب، وما شاهدوه من أهوال. وقوله: "وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ: جملة من مبتدأ وخبر، وهي في محل نصب، حالٌ من الَّذِينَ

1 ينظر المصدر السابق، 193/10 – 194.

2 امرؤ القيس، ديوانه، ص 103.

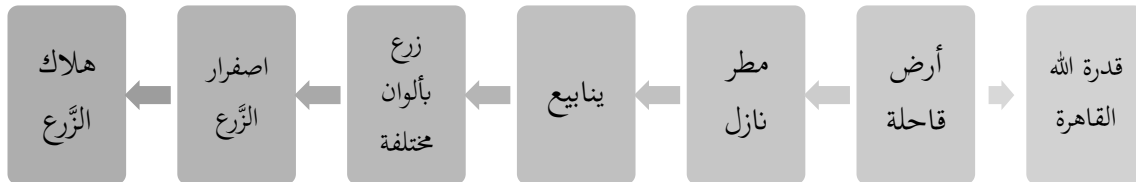
3 ينظر المصدر السابق، 131/10.

4 ينظر الطائي الجبائي، أبو عبد الله، شرح الشافية، 112/1.

5 مُكْفَهَرُ الْوَجْهِ، عابس من اكْفَهَرَّ. "ك ف ه ر" جو مُكْفَهَرٌ: جو متراكب السحاب، مُكْفَهَرٌ: مُجْدِبٌ، مكفهر: سحاب أسود غليظ مكفهر وجه قليل اللحم ضارب لونه إلى الغيرة، مقطب الوجه متجههم، فلان مكفهر اللون: منقبض عابس لا يظهر عليه أثر فرح، ينظر جبران مسعود، الرائد، (بيروت: دار العلم للملايين، ط 7، 1992م)، مادة "ك ف ه ر"، 3907/5.

كذبوا، والاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ للتقرير. والمثوى: المكان والمقام. وفي حديث عبد الله بن عمرو عن النبي - ﷺ: (يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر)¹ يلحقهم الصغار حتى يؤتى بهم إلى سجن جهنم. ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [الحج: ٦٣]

فالتعبير عن لون الأرض بعد أن روتها ماء السماء جاء بصيغة اسم الفاعل على وزن مفعّل، وقد دلّت هذه الصيغة على وحدانية الله عزّ وجلّ وكماله، حيث أنزل الله من السماء مطراً على أرض قاحلة مجدبة، قد اغبرّت أرجاؤها، وبيس ما فيها من شجر ونبات فغدّت مخضرة قد اكتست من كل زوج كريم، وصار لها بذلك منظر بهيج إنّ الذي أحيّاها بعد موتها. لكنّ هذه الأرض المخضرة قد يؤول اخضرارها إلى اصفرار كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنبِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٢١] فاللون الأصفر في هذه الآية دلّ على كمال قدرته، فهو القادر على كلّ شيء جعل النبات أخضر ثم يهيج بعد نضارته وشبابه يغدو أصفر آيلاً إلى النهاية من غير أن يثمر². والخطاطة الآتية تلخّص المعاني السابقة:



1أي: في الصغر والحقارة. عبد الرحمن ابن الجوزي، جامع المسانيد، تج: د. علي حسين البوّاب، (الرياض، مكتبة الرشد، ط1، 1426هـ، 2005م)، 4/462.

2 ينظر السمين الحلي، الدرر المصون، 443/8، 438/9.

والسؤال أمام هذه التراتبية التي دلت عليها الآية، وصيغة اسم الفاعل في كلٍّ من الآيتين السابقتين

هو: هل من معتبر أمام هذه القدرة اللامحدودة؟ وأمام هذه القدرة الإلهية القاهرة فوق عباده؟

6- التكلف:

تأتي صيغة " مُتَفَعِّل " للدلالة على معنى التكلف في الغالب¹. ومن أمثلتها في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٠] وقوله تعالى: ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ﴾ [الدخان: ٢٠]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦] فقد ذكر السمين الحلبي أن التبرج: الإظهار، والبرج: الحصون الضخمة الواسعة². والتكبر: التعالي عن قبول الحق، والإذعان له، ومنه قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥] أي كل من قهر غيره، والجبار في صفة الإنسان غالباً للذم³.

7- الطلب والسؤال:

تأتي صيغة " مُسْتَفْعِل " للدلالة على الطلب والسؤال غالباً⁴، ومنه قوله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ﴾ ضاحكة مستبشرة ﴿عَبَسَ: ٣٨ - ٣٩﴾، ذكر السمين الحلبي: البشري: الفرح والسرور بعد انتظار، واستند على ذلك بقوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ٣٩].

1 ينظر ابن عصفور الإشبيلي، الممتع الكبير في التصريف، (بيروت: دار المكتبة، 1996م)، ص 153 - 154.

2 ينظر السمين الحلبي، الدر المصون، 4/46.

3 ينظر السمين الحلبي، الدر المصون، 1/300.

4 ينظر أبو الفتح بن جني، المنصف، (بيروت: دار إحياء التراث القديم، ط1، 1373 هـ، 1954م)، ص 276.

يأتي التبشير للعذاب كقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١] و[الانشقاق: ٢٤]¹، وذكر في قوله تعالى: ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَنِتَّةِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧]، فكلمة "الْمُسْتَغْفِرِينَ" تشير إلى أنهم على توبة خالصة لله مع استقامتهم على هذه التوبة²، واستند على ذلك بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣] وقوله تعالى: ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ [هود: ٩٠] فالاستغفار والتَّوبَة بمعنى واحد³. لكن الاستغفار ليس صِنَوْ التَّوبَة، بل هو سابقٌ لها أو أحد علامئ التَّوبَة.

8- المبالغة:

يأتي اسم الفاعل من الفعل الرباعي المجرّد للدلالة على المبالغة، وقد ورد في القرآن الكريم على وزن "افعلّ - يفعلّ - مفعّل" وورد في القرآن الكريم مرّة واحدة في "مُطْمَئِنَّة" في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٧﴾ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ [الفجر: ٢٧ - ٢٨]، فقد ذكر السمين الحلبي أنّ لفظة "مُطْمَئِنَّة" تعني ساكنة مستقرّة، والاطمئنان: السكون بعد انزعاج، وهي التي تلحق العبادة، والنَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّة هي النفس الساكنة عملت الله تعالى، وذلك بامتنال أمره واجتناب نواهيه، فغدّت بذلك هادئة راضية بعد خوف وقلق⁴.

1 ينظر السمين الحلبي، الدُّرُ الْمَصُون، 153/3 - 154.

2 ينظر المصدر السابق، 73/3.

3 ينظر المصدر السابق، 282/6.

4 ينظر المصدر السابق، 574/2.

المبحث الثاني: دلالة صيغ اسم المفعول من الفعل الثلاثي

وهو ما دلّ على الحدث ومفعوله¹ ويصاغ من الفعل الثلاثي على زنة مفعول، ومن غير الثلاثي على صيغة المضارع مع إبدال حرف المضارعة ميماً مضمومة، وفتح ما قبل الآخر². ومن أمثلته في القرآن الكريم:

1- مَائِي:

اسم مفعول من الإتيان، فكل ما أتاكَ فقد أتيتَه. ومنه في الحديث: "لولا أَنَّهُ طريق مِيتاء لحزنا عليك يا إبراهيم"؛ أي: طريق مسلوكة³.
وذكر السمين الحلبي أَنَّ "مَائِيًا" اسم مفعول، واسم الفاعل منها "آيِيًا" ومصدرها "الإتيان"، وهو المجيء مطلقاً وبسهولة دون عناء⁴، ومنه قول النَّابغة:

خلت سبيل آيِيٍ كان يحبسُه⁵

تقول العرب: سيل آتى: جاء ولم يجئكَ مطره، ويقال: أَتَيْتَ الماءَ بالتشديد؛ أي: أصلحت مجراه حتى يسير إلى مقاصده، وقولهم: وأثَّوا جداولها، أي سهَّلوا وصولَ الماء إليها. وفي الحديث: "إنما هو آيِيٌّ فينا"⁶. وتحمل اللَّفظة -بحسب رأي السَّمين الحلبي- دلالات تختلف بحسب سياقها في الآية الكريمة منها:

1 ينظر جمال الدين ابن هشام، أوضح المسالك في ألفية ابن مالك، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، (بيروت: دار الفكر، د.ت)، 232/3، وينظر معاني الأبنية ص 52.

2 ينظر جمال الدين الجبائي، شرح الشافية، 741/1، وينظر خديجة الحديثي، أبنية الصرف في كتاب سيبويه، 193.

3 ينظر أحمد بن محمد الهروي، الغريبين في القرآن والحديث، تح: أحمد فريد المزيدي، (السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز، ط1، 1419هـ، 1999م)، 42/1.

4 ينظر السمين الحلبي، 56/1.

5 النَّابغة الذبياني، ديوانه، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة: دار المعارف، د.ت)، ص 15.

6 أحمد بن الحسين البيهقي، الخلافات بين الإمامين الشافعي وأبي حنيفة وأصحابه، تح: فريق البحث العلمي بشركة الروضة، (القاهرة: الروضة للنشر والتوزيع، ط1، 1436هـ)، رقم 3711.

"الإخبار بالوعد الدُّنو - الإصابة - القلع - العذاب - السُّوق - الإتيان العمل - الإقرار والطاعة - المجيء بعينه - الظهور والخروج - الدخول - المضيء - الإرسال - المفاجأة النزول"¹.

وقد اتَّفَق المفسرون مع السمين الحلبي في تفسيره لهذه اللفظة، ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا﴾ [مریم: 61]، أفادت الإخبار بالوعد، وفي قوله تعالى: ﴿جَنَّتِ عَدْنٍ أَلَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا﴾ [مَرْيَم: ٦١] أفادت "الدُّنو"؛ أي: قرب أمر الله، وقرب قيام الساعة، كقوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحِجْر: ٩٩]؛ أي: يدنو، ونحوها في القرآن الكريم كثير²، أما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأنعام: ٤٠]، فتعني "الإصابة"؛ أي: أصابكم عذابه وحلَّ بكم³، وفي قوله تعالى: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾ [النحل: ٢٦] أفادت لفظة "أتى" "الْقُلْع"؛ أي: قلع بنيان ديارهم، وتشير في قال تعالى: ﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ [الحشر: ٢] إلى العذاب؛ أي: عَذَّبهم الله تعالى⁴، وقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢] أفادت لفظة "يأتيها" السُّوق؛ أي: يَسُوقُ إليها رزقها⁵. والإتيان في قوله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَلَمِينَ﴾ [الشُعَرَاء: ١٦٥]

1 ينظر السمين الحلبي 73/3.

2 ينظر فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، 560/2.

3 ينظر مجد الدين الفيروز أبادي، تنوير المقياس من تفسير ابن عباس، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، ص 86.

4 ينظر الفيروز أبادي، تنوير المقياس، ص 347، والزحشري، الكشف، 385/2 - 386.

5 ينظر عبد الرحمن الحجيلي، معجم ألفاظ القرآن الكريم، (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط 1، د.ت)، مادة "أتى"، والفيروز أبادي تنوير المقياس، ص 175، وابن جرير، تفسير الطبري، 15/13 194/10؛ والزحشري، الكشف، 114/2.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ﴾ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿[الأعراف: ٨١] وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣] الجماع وغيرها في القرآن الكريم كثير¹ وفي قوله تعالى: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ﴾ [العنكبوت: ٢٩] أفادت لفظة "وتأتون" العمل؛ أي: وتعملون في دياركم المنكر²، وفي قوله تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣] أفادت لفظة "آتي" في هذه الآية الكريمة على دلالة معنى الإقرار والطاعة³، وفي قوله تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ﴾ [مريم: ٢٧] أفادت لفظة "أتت" في هذه الآية الكريمة معنى المجيء بعينه؛ أي: جاءت إلى قومها بمولودها⁴، وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصّ: ٦] أفادت لفظة "يأتي" في هذه الآية الكريمة دلالة الظهور والخروج، وفي قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيْتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩]، أفادت لفظة الإتيان الدخول؛ أي: ادخلوها من أبوابها⁵، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْتُ مَطَرَ السَّوْءِ﴾ [الفرقان: ٤٠] أفادت لفظة "أتوا" معنى المضى؛ أي: ولقد مضوا على القرية⁶، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَتَبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُّعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٧١] الإتيان في هذه الآية الكريمة أفاد معنى الإرسال أي: أرسلنا جبريل، وفي قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ

1 نظيرها في البقرة 222، الأعراف 81، النحل 55.

2 ينظر الفيروز أبادي، تنوير المقباس، ص 245؛ الزمخشري، الكشاف، 175/2.

3 ينظر الفيروز أبادي، تنوير المقباس، ص 270، وينظر الزمخشري، الكشاف 270/2، وينظر ابن جرير، تفسير الطبري ج 17 ص 337.

4 ينظر نظام الدين النيسابوري، غرائب القرآن ورجائب الفرقان، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، 1416هـ)، 43/16.

5 ينظر السيوطي، الدر المنثور، 204/1.

6 ينظر الفيروز أبادي، تنوير المقباس، ص 266، وينظر الزمخشري، الكشاف، ج 2 ص 271.

وَوَضَّ أَهْلَهَا أَنَّهُمْ قَدِيرُونَ عَلَيْهَا أَتْلَهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَهَا حَصِيدًا ﴿يُؤَسُّ: ٢٤﴾ أفادت لفظة "أتاها" "المفاجأة"؛ أي: فاجأها أمر الله، وفي قوله تعالى: ﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ [إِبْرَاهِيم: ١٧] أفادت "الإتيان" التَّزُولُ؛ أي: وينزل الموت ¹.

وذكر أبو منصور الماتريدي؛ أي كان وعدًا موعودًا مأثيًا²، وذكر القرطبي أنَّ "مأثيًا" مفعول من الإتيان. وكل ما وصل إليك فقد وصلت إليه، و"مأثيًا" بمعنى آتٍ، فهو مفعول بمعنى فاعل، وجاء مهموزًا؛ لأنه من آتَى يَأْتِي، وهو الوعد الموعود "الجنة"³. أمَّا في قوله تعالى: ﴿فَأَتَى اللَّهَ بُنْيَانُهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾ فقد ذكر مكي بن أبي طالب أنَّ المراد بالإتيان هنا أنَّ الله استأصلهم بالهلاك ⁴. فيما رأى أبو جعفر أنَّ المعنى: "قلع وهدم بنيانهم من أصله بقرينة لفظية هي ﴿من القواعد﴾ والقواعد جمع قاعدة، وهي الأساس، فهو مثل للاستئصال، والعرب تقول ذلك إذا استؤصل الشيء. ومن متعلقات معنى الإتيان الفعل "خرَّ" في قوله تعالى: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ فقد اختلف أهل التفسير في معناه ومدى ارتباطه بـ "أتى" في أول الآية، فقال بعضهم: خرَّ عليهم السقف من أعالي بيوتهم من فوقهم، وقال آخرون: أتاها أمر الله من أصلها، فأهلكهم الله ودمَّرهم، بإتيان الله بنيانهم من أصوله، فخرَّ عليهم السقف، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَآتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الرَّؤْم: ٢٥] ⁵.

1 ينظر الفيروز أبادي، تنوير المقباس، ص 161، والقرطبي، تفسير القرطبي، 352/9، والزمخشري، الكشاف 415/1.

2 ينظر الماتريدي، تأويلات أهل السنة، 3978/6.

3 ينظر القرطبي، تفسير القرطبي، 126/11؛ وأبو البركات النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، حققه وخرَّج أحاديثه: يوسف علي بدوي، (بيروت: دار الكلم الطيب، ط1، 1419، 1989م)، 343/2.

4 ينظر أبو محمد مكي، الهداية إلى بلوغ النهاية، 3978/6.

5 ينظر ابن جرير، تفسير الطبري، 193/17.

كلمة مأتياً في القرآن الكريم جاءت مرتبطة بالفعل "أتى" ، وتستخدم للدلالة على القدوم أو الوصول، وفي السياق القرآني يمكن أن تستخدم للدلالة على توجيه الله وعطائه للإنسان ففي أغلب الآيات التي جاءت فيها هذه اللفظة غالباً ما تشير إلى العطاء الإلهي أو الإرشاد الذي يأتي من الله إلى البشر.

2- مجموع:

مجموعة، مفرد جمعها مجموعات ومجاميع، مؤنث مجموع، وتعني جماعة أو طائفة من أشياء متجانسة. وقد ردت هذه اللفظة في القرآن الكريم في سورة هود في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ [هود: ١٠٣] وقد عُبر في هذه الآية باسم المفعول "مجموع" للدلالة على الثبوت، وأن هذا اليوم أتٍ لا محالة¹. وقد ذكر السمين الحلبي أن السياق القرآني يقتضي استعمال اسم المفعول؛ إذ ترجّحه القرينة اللفظية "مشهود"، ووصف يوم القيامة بها ومعناها عظيم تحضره الملائكة، ويجتمع فيه الرسل، وتحشر الخلائق بأسرها من الأنس والجن².

ويبدو أن دلالة اسم المفعول ليست أضعف إذ لو أراد سبحانه لقال "يُجْمَعُ" إلا أنه عبّر باسم المفعول لما احتويه من دلالة الثبوت في قدوم ذلك اليوم وحتميته؛ أي: هذا اليوم آتٍ لا محالة، فلفظ "مجموع" أبلغ من يُجْمَعُ³، وقد اتفق المفسرون مع السمين الحلبي على هذا الرأي⁴، فذكر أبو جعفر أن المراد به يوم القيامة، يوم يحشر الله الناس من قبورهم، فيجمعهم في ذلك اليوم للجزاء والثواب والعقاب، والدليل على ذلك سياق الآية في قوله تعالى: ﴿وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ تشهد الخلائق، ولا يتخلف منهم أحد، فالشاهد

1 ينظر جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، 106/2.

2 ينظر السمين الحلبي، الدر المصون، 286/2.

3 ينظر السمين الحلبي، الدر المصون، 286/6.

4 ينظر الغرناطي، التسهيل لعلوم التنزيل، 112/2؛ والبيضاوي، تفسير البيضاوي، 261/3، وبدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، (دار احياء الكتب العربية، ط1، 1376هـ، 1957م)، 376/3.

في هذا اليوم هو محمد ﷺ، والمشهود هو يوم القيامة¹، وذكر في مكان آخر من تفسيره جواز أن يكون المشهود بمعنى كثير الشَّاهدين إِيَّاهُ لِشُهْرَتِهِ واستدل على ذلك بقول أُمِّ قَيْسٍ الضَّبِّيَّة²: [من البسيط]

وَمَشْهُدٌ قَدْ كَفَيْتُ النَّاطِقِينَ بِهِ فِي مَحْفَلٍ مِنْ نَوَاصِي الْحَيْلِ مَشْهُودٌ
وعند الواحدي هو أَنَّ الخلق كلهم يحشرون ويجمعون لذلك اليوم، وأنه يومٌ يشهد فيه البرُّ والفاجر³.

وذكر أبو المظفر: ﴿يَوْمَ مَجْمُوعٍ﴾ يعني يوم القيامة يجمع الله فيه الأولين والآخرين، ومنه قوله تعالى:

﴿وَذَلِكَ يَوْمَ مَشْهُودٍ﴾ أي يشهده جميع الخلق، وقيل أهل السماء وأهل الأرض⁴.

تظهر هذه اللفظة في القرآن الكريم في سياقات مختلفة تشير إلى مجموعة من الأشياء أو الأفراد الذين يتم جمعهم أو تجميعهم لغرض ما.

3- مستور:

اللفظة مفرد جاءت على هيئة اسم مفعول من الفعل المبني للمجهول سَتَرَ يُسْتَرُ، بمعنى العفة والطهارة، ومنه رجل مَسْتُورٌ، وَسَتِيرٌ؛ أي: عفيف، والمرأة "سَتِيرَةٌ"، والستر: الغطاء، منها: "حجابًا مستورًا" أي حجابًا على حجابٍ، فالأول مستور بالثاني. مستور: اسم علم مذكر، معناه: "المغطى، العفيف، المتواضع، الساتر"، وتشابها في القرآن الكريم لفظة "أَكِنَّةٌ" حيث فسرها علماء التفسير بأنها تأتي في ثلاثة أوجه: "أَعْطِيَةٌ، كَهْفٌ - إِضْمَارٌ"، فالأول قوله تعالى: ﴿جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ [الأنعام:

1 ينظر ابن جرير، تفسير الطبري، 472/15.

2 ينظر المصدر السابق، 161/12 - 162. ليس في كتب الأدب أو دواوين الشعر بحسب ما بحثت عنه.

3 ينظر ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز، ص533.

4 ينظر أبو المظفر السمعاني، تفسير السمعاني، تح: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس، (الرياض: دار الوطن، ط1، 1418هـ، 1979م)، ص457، وينظر ابن خالويه، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، 475/4، وينظر القيرواني، الهداية إلى بلوغ النهاية، 3462/5.

٢٥؛ أي: أغطية¹، ومثلها كثير². والثاني³ قوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا﴾ [التَّحْلِ: ٨١] ويعني الكُهُوفُ، والثالث بمعنى الإضممار (تَكْنُّ؛ أي تُضْمِرُ⁴)، كقوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [الْقَصَص: ٦٩]؛ أي: ما يُضْمِرُ أبو جَهْلٍ. وذكر السَّمين الحلي أن لفظة "مستور" في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الْإِسْرَاء: ٥٥] تدلُّ على الحجاب أو الستار، فهو حجاب مستور على العباد فلا يرونه، ويكون المعنى:

- 1- مستور عن أعين الكفار فلا يرونه، وهو على النسب؛ أي: ذو سِتْرٍ. ومنه قول العرب: مكانٌ مهولٌ وجاريةٌ مَعْنُوجَةٌ، أي: ذو هول وذات غُنْجٍ، ولا يقال فيهما: هُلْتُ المكانَ ولا غَنَجْتُ الجارية، وهو وصفٌ على جهة المبالغة، ومنه قولهم: شِعْرٌ شاعرٍ ورْدٌ ذلك إنما يكون في اسمِ الفاعل ومن لفظ الأول.
- 2- بمعنى فاعل كقولهم: مَشْؤومٌ وميمونٌ بمعنى: شائمٌ ويامنٌ، وهو كما ورد في اسمِ الفاعل بمعنى مفعول وكما جاء في ماء دافق⁵. وعلى هذا تحتمل لفظة مستور عند المفسرين⁶ ثلاثة أوجه:
- أ- مستورًا دالة على النسب "ذو ستر". ب- مستورًا اسم فاعل "ساترًا". ج- مستورًا جاءت على اسم المفعول ودلالته.

1 ينظر ابن قتيبة الدينوري، تفسير غريب القرآن، تح: أحمد صقر، (القاهرة: دار الكتب، 1398هـ، 1978م)، 255، ومحمد بن عزيز السجستاني، غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب، تح: محمد أديب عبد الواحد جبران، (سورية: دار قتيبة، ط1، 1416هـ، 1995م)، ص10، وابن منظور لسان العرب، مادة "ك. ن. ن"، 3942/5. والطبري، تفسير الطبري، 66/15، والقرطبي، تفسير القرطبي 271/10، والزنجشيري، الكشف 236/1 وابن عباس، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ص179.

2الكهف: 75، والأنعام: 25.

3الكهف: كالمغارة في الجبل إلا أنه أوسع منها، فإذا صغر فهو غار، وفي الصحاح الكهف كالبيت المنقور في الجبل، وجمعه كهوف والسَّرب: حفير تحت الأرض، ينظر ابن منظور، لسان العرب، مادة "ك. ه. ف"، 3946/5. ومادة "س. ر. ب"، 1982/3.

4 أضمرت الشيء: أخفيته، والضمير: الشيء الذي تضره في قلبك. ابن منظور، لسان العرب مادة: "ض. م. ر"، 2607/4.

5 ينظر الحلي، الدر المصون، 363/7.

6 ينظر السيوطي، تفسير الجلالين، ص590.

والذي أراه أن بقاء مستور على بابها "اسم المفعول" هي الأنسب لسياق الآية؛ إذ ترجّحه القرينة الخارجية "سبب النزول"، وقد روي عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: لَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١]، أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب، وزوج أبي لهب، ولها ولولة في يدها فهر¹ وهي تقول: "مذمماً عصيئاً وأمره أبيناً، ودينه قليلنا"، والنبي جالس في المسجد، ومعه أبو بكر، فلما رآها أبو بكر رضي الله عنه قال: يا رسول الله قد أقبلت وأنا أخاف أن تراك، فقال الرسول ﷺ: (إِنَّمَا لَنْ تَرَانِي). وقرأ ﷺ قرآنًا، فاعتصم به، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَجَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥]، فوقفت على أبي بكر رضي الله عنه، ولم تر رسول الله ﷺ، فقالت يا أبا بكر؟ فَقَالَتْ: يَا أَبَا بَكْرٍ، إِنِّي أُخْبِرْتُ أَنَّ صَاحِبَكَ هَجَانِي. فَقَالَ: لَا وَرَبِّ هَذَا الْبَيْتِ مَا هَجَاكَ. فَوَلَّتْ وَهِيَ تَقُولُ: قَدْ عَلِمْتُ قُرَيْشٌ أَبِي بَنْتُ سَيِّدِهَا².

وترجّحه كذلك قرينة المعنى، فمعنى "مستورًا" خفي؛ أي: حجابًا على حجاب، فالأول مستور بالثاني، وهذا يدلُّ على كثافة الحجاب، ويؤيده أنه تعالى جعل على قلوبهم أكنةً، وفي آذانهم وقْرًا³؛ إذ إنَّ في استعمال لفظ "مستورًا" مبالغة ليست في "ساترًا"، وقد بُلِّغَ حجبه وكأنَّه مستور بساتر آخر⁴. وفي رواية أخرى أَنَّ الْكَفَّارَ كَانُوا إِذَا سَمِعُوا الْقُرْآنَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ آذَوْهُ وَرَجَمُوهُ وَشَغَلُوهُ عَنْ صَلَاتِهِ، فَجَعَلَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اسْتِمَاعِ ذَلِكَ فِي تِلْكَ الْحَالِ الَّتِي كَانُوا عَازِمِينَ فِيهَا أَذَاهُ بَأْنَ أَلْقَى عَلَيْهِمُ النَّوْمَ إِذْ قَعَدُوا يَرِصُدُونَهُ وَلَا يَعْرِفُونَ

1 أي: حجر.

2 الحاكم النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، تح: مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1411هـ، 1990م)، 393/2.

3 ينظر ابن منظور، لسان العرب، مادة "ستر"، 344/4.

4 ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، 117/15.

مكانه¹. قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت:

٢٢٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال: ٣٥]

لفظة "مستور" تعني في اللغة العربية كل ما هو "مُسْتَر" أو "مخفي" أو "مُغْطَى"، ولها استخدامات متعددة في اللغة العربية، ويمكن أن يطلق على الأشياء المخفية أو المغطاة بشكل عام، وكل ذلك يرجع إلى السياق الذي تُستخدم فيه.

4- المولود:

مولود: جمع مواليد: وهي الطفل حديث الولادة، وهو ما يلد من التراب. ومن أمثلتها في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٣] ذكر السمين الحلبي أن اسم المفعول "المولود" في هذه الآية الكريمة يدل على النسب، وهو الأب، فاستخدم الحق في هذه الآية الكريمة لفظة "مولود" ولم يستخدم لفظة "والد" لأن لفظة "والد" جاءت في الكتاب دالة على من له صفة الأبوة من حيث التناسل ذكرًا كان أم أنثى² كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَحْسُوا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾ [لقمان: ٣٣]، فالمولود هو كل من يُنسب للأب وليس للأم، مع أنَّ الوالدة هي التي ولدت، ثم إنَّ الولد يُنسب إلى والده برابطة التولد والنسب، ووالده مسؤول عنه، وهو الذي يتكفله ويرعاه، فهو ليس مولودًا للأم، وإنما مولود للأب، فالأم والدة والأب مولود له، ولفظة "والد" لا تفي بهذه المعاني لأنها تطلق في القرآن على الأب والأم معًا³، كما في قوله تعالى:

1 ينظر شهاب الدين، ابن الهائم، التبيين في تفسير غريب القرآن تح: د. ضاحي عبد القادر محمد، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1423هـ)، 106/4.

2 ينظر السمين الحلبي، الدر المنصون، 471/2.

3 ينظر السمين الحلبي، الدر المنصون، 464/2 – 470 – 474.

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرٌ نَّصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النِّسَاء: ٧] وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [البَقَرَة: ٨٣] وإذا ما نظرنا إلى قرائن سياق الآية وارتباطها بما بعدها وقبلها نجد أنها ترجح دلالة اسم المفعول، وهو المولود له "الأب"، والتي هي:

أولاً: الولد يُنسَبُ إلى أبيه لا إلى أمه، واستدل على ذلك بمجيء اللام في قوله تعالى: "له"؛ إذ هذه اللام تسمى لام "شبه التمليك" كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [النَّحْل: ٧٢] وهذا ما ذهب إليه شيخه أبو حيان فقد ذكر: يتصرف الوالد في ولده بما يختار، فلمَّا كان لفظ المولود مشعرًا بالمنحة وشبه التمليك أتى به من دون لفظ الوالد¹.

ثانياً: في الآية تنبيه على أنَّ الولد يلتحق بالوالد لكونه مولودًا على فراشه قال ﷺ: ﴿الولد للفراش﴾ فمعنى هذا أنَّ الولد لأبيه، فهو الذي ينتفع به في التناصر وتكثير العشيرة، والولد ولد لأجل الأب فنقصه يعود إليه ورعايته لازمة عليه. فالسياق القرآني يقتضى لفظ المولود؛ لأنَّه أبلغ في التعبير عن المراد. وحين لا يريد القرآن التعبير عن هذا المعنى يجيء بلفظ الوالد، كقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَتَقُورًا رَّبَّكُمْ وَآخْشُوا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾ [لقمان: ٣٣] فالآية هنا جاءت بلفظ الوالد لأنَّها لا تتكلم على ما تكلمت عليه الآية الأولى من المبالغة في المحافظة على شرع الله تعالى في أمر الأطفال، ومن هنا فإنَّ صيغة "المولود" للتأكيد والمبالغة على تنفيذ أحكام الله والمحافظة عليها؛ فاستعمال صيغة اسم المفعول للدلالة على المبالغة في هذه الآية هو أنسب من حيث السياق القرآني².

1 ينظر أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 2/224.

22 ينظر السمين الحلبي، الدرر المحصون، 9/73 - 79.

والذي يؤكد ذلك اتفاق علماء التفسير¹ على دلالة هذا المعنى، فقد ذكر أبو جعفر في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ﴾؛ أي: إباء الصبيان للمراضع، ورزقُهُنَّ يعني رزقَ والدَيْهِنَّ²، وذكر القرطبي أن الإنفاق واقع على الرِّج، وعليه رزقُهُنَّ وكسوتُهُنَّ عند الرِّضَاع، لأنَّه اشتغال في مصالح الرِّج³، وذكر جلال الدين السيوطي في هذا الموضع: المولود له: الأب الذي له ولد⁴، وقد خالف مكي ابن أبي طالب رأي بعض المفسرين حيث ذكر في تفسير ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ﴾ أي: وعلى المولود له رزقُهُنَّ وكسوتُهُنَّ بالمعروف، وعلى الوارث مثل ذلك، فهو عطف جملة على جملة كلاهما مبتدأ وخبر، والوجهان صحيحان، ولا يحسن في الثانية إلا أن تكون فاعلة. والمعنى: ورثة الصبي ينفقون عليه على قدر ميراثهم⁵.

لفظة مولود في اللغة العربية تشير إلى الشخص أو المخلوق الذي وُلِدَ أو أُنشِئَ وأتى هذا الوجود، وفي القرآن الكريم تأتي في عدة سياقات وبمعانٍ مختلفة، وهذا يتوقف على السياق الذي يظهر فيه، ففي سورة البقرة الآية 36، جاءت دالة على خلقه الإنسان وكيف تمَّ خلقه، وفي سورة النحل الآية 5 دلت على تناسل الحيوانات وتكاثرها، وفي سورة آل عمران آية 45، 46، جاءت في سياق الميلاد البشري كما هو الحال في قصة ولادة الأنبياء والمرسلين، كولادة عيسى عليه السلام. وفي المجلد فإنَّ "مولود" في القرآن الكريم تعتمد دلالتها على السياق والتفسير الخاص بكل آية.

1 ينظر البيضاوي، أنوار التنزيل، 527/1، 457/4، وابن عاشور، التحرير والتنوير، 440/2، والزحشري، الكشف، 307/1، وفخر الدين الرازي، التفسير الكبير، 102/6.
2 ينظر ابن جرير، تفسير الطبري، 211/4.
3 ينظر القرطبي، تفسير القرطبي، 160/3.
4 ينظر السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، 687/1.
5 ينظر مكي بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية، 785/1.

المبحث الثالث: دلالة صيغ المبالغة.

عند قصد المبالغة وتكثير الفعل، يمكن تحويل صيغة فاعل¹، وهي صيغة اسم الفاعل الأصلية، إلى صيغة أخرى محولة من بنائه للدلالة على تكثير الحدث والمبالغة فيه²؛ إذ لا تستعمل المبالغة إلا حيث يمكن الكثرة³. أمّا فاعل فإنّه يكون للقليل والكثير لأنّه الأصل⁴. وقد ذكر لها العلماء خمس صيغ قياسية مشهورة تختلف دلالتها المعجمية وهي: "فَعَّالٌ - مِفْعَالٌ - فَعُولٌ بكثرة - وَفَعِيلٌ وَفَعِلٌ بقلّة"⁵، ويجوز فيهن ما جاز في فاعل من التّقديم والتّأخير والإضمام والإظهار⁶. وقد أوضح ابن طلحة أن في هذه الصّيغ تفاوتاً في الدلالة على المبالغة فـ "فَعُولٌ لمن كثر منه الفعل، وَفَعَّالٌ لمن صار له كالصناعة، وَفِعْعَالٌ لمن صار له كالعادة ولم يتعرّض له المتقدمون⁷. والعرب إذا أرادوا المبالغة والتكثير في شيء عَدَّلُوا من بناء إلى بناء آخر أدلّ على المبالغة من الأول. والذي أراه أنّ الدلالة تكون وفق قاعدة "الزيادة في المبنى تفضي إلى الزيادة في المعنى"،

1 استعمال تحويل صيغة اسم الفاعل إشارة إلى أنّها تحوّل من " فاعل " الثلاثي باعتباره الغالب، لأنّها قد تحوّل من غيره أي من أَفْعَل، مثل دراك، ومعاون، ومهوان، ونذير، وسميع، وزهوق. ينظر محمد بن يوسف الحلبي، شرح التسهيل المسمّى "تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد" دراسة وتحقيق: أ. د. علي محمد فاخر وآخرون، (القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1428هـ)، ص136، وخالد بن عبد الله الأزهرى، شرح التّصريح على التوضيح، 67/2، وأبو العرفان محمد بن علي الصباني، حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1417هـ، 1997م)، مجلد 1، 301/2.

2 ينظر جمال الدين الجبائي، شرح تسهيل الفوائد، 135/1، والجوهرى القاهري، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ص448؛ والوقاد، شرح التّصريح على التوضيح، 67/2، والصبان الشافعي حاشية الصبان، مجلد 1، 301/2.

3 ينظر السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، 97/2، والصبان الشافعي، حاشية الصبان، 1، 301/2.

4 ينظر محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد، المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عزيمة، (بيروت: عالم الكتب)، 113/2.

5 ينظر المبرد، المقتضب، 2، 113 وما بعدها، وناظر الجيش، شرح التسهيل، ص136، وابن يعيش محمد بن علي، شرح المفصل لابن يعيش، قدّم له الدكتور: إميل بدیع يعقوب، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1422، 2001م)، 70/6، وينظر ابن مالك، شرح ابن عقيل 111/2؛ وشمس الدين الجوهري، شرح شذور الذهب، 468، والوقاد، شرح التّصريح 67/2، وعَبَّاس حسن، التّحوى الوافي، (دار المعارف، ط5)، 261/3.

6 ينظر الكتاب، 110/1، والمبرد، المقتضب، 113/2.

7 ينظر السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع 97/2.

فكل زيادة في حروف صيغ المبالغة تؤدي إلى دلالة تختلف عن الدلالة الأخرى. ومن أمثلة صيغ المبالغة من المزيد الثلاثي:

1- فاعل: تضعيف الشيء والمشاركة به.

2- افْتَعَلَ: نحو: ارْتَدَّ، واقتَدَرَ أي بالغاً في الردة والقدرة.

3- أَفْعَلَ: التعدية، والتعدية تعني المبالغة.

4- أَفْعَلَ: قوة اللون أو العيب نحو: اصْفَرَّ إذا اشتدت صفوته، ومثله ابيضَّ إذا اشتدَّ بياضه، واعورَّ إذا قويَّ عوره، واعوجَّ إذا قويَّ اعوجاجه.

5- فَعَّلَ: وهو أصل الباب لأنه الوزن الرئيسي للمبالغة متعدية كانت أم لازمة نحو: "طَوَّفَ - جَوَّلَ - كَسَّرَ - غَلَّقَ ...

وقد يستغنى عن "فَعَّلَ - فَعَّلَ" بـ "أَفْعَلَ" من دون تغيير في المعنى، وذلك أنَّ المجرد كثر في كلامهم فحذفوه واستغنوا عنه نحو: احمراراً واصفراً واسوداً وازرقاً.....¹ كما قد ينوب "افْتَعَلَ" عن الثلاثي كافتقر عن فَقَرَ، واشتد عن شَدَّدَ، وارتفع عن رَفَعَ، وجاء "فَعَّلَ" بمعنى "أَفْعَلَ" كثيراً في اللغة العربية، وقد أُلْفِت فيه كتب، منها كتاب "فَعَّلْتُ وَأَفْعَلْتُ" للزجاج، و"أدب الكاتب" لابن قتيبة الذي يكون حافلاً بمثل هذا التشديد فلها دور كبير في معنى المبالغة وقد نقضى العلماء³ هذا إذ أوردوا أمثلة على "فَعَّلَ" و "أَفْعَلَ"

1 ينظر ابن قتيبة الدينوري، أدب الكاتب، تح: محمد الدالي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، د.ت)، 579، وابن القوطية، الأفعال لابن القوطية، تح: علي فوده، العضو الفني للثقافة بوزارة المعارف، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط3، 1993م)، 7.

2 ينظر ابن قتيبة الدينوري، أدب الكاتب، ص 433 - 444.

3 ينظر حقي إسماعيل محمود، دلالة التشديد والجمع على المبالغة في قراءات حل الشاطبية لعبد الرحمن بن أبي بكر العيني، مجلّة مداد الآداب، الجامعة العراقية، ع6، 2021)، ص75.

" بمعنى واحد نحو: فَرَحَتْه وأَفْرَحَتْه، وَغَرَمَتْه وأَغْرَمَتْه، وَفَرَعَتْه وَأَفْرَعَتْه، وَمَلَحَتْه وَأَمْلَحَتْه، وَكَثَرَهُمْ وَأَكْثَرَهُمْ، وَخَبَّرَتْ وَأَخْبَرَتْ، وَكَذَّبَتْ وَأَكْذَبَتْ¹ والذي أراه أنَّ ما نقضه العلماء في دور التشديد في المبالغة قد ورد في "نَزَلَ - وَأُنْزِلَ" عدَّة مرَّات في القرآن الكريم دون أن نرى اختلافاً بينهما في المعنى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۖ﴾ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ۖ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَضْمِينَ قُلُوبَنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَّقْتَنَا وَنَكُونُ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ۝ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ ۖ وَأَرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ۝﴾ [المائدة: ١١١ - ١١٤]

ويظهر أنَّ تعدد المعاني في هذه الصيغ يرجع إلى اختلاف اللهجات، فقد روي عن ألسنة الشعراء وغيرهم بالصيغتين معاً، ولم تخلُ القراءات القرآنية من هذه الاختلافات تأثراً باللهجات. وقد ذكر السيوطي عن ابن خالويه أنَّ لصيغ المبالغة اثني عشر بناءً² يقول: العرب تبني أسماء المبالغة على اثني عشر بناءً؛ فَعَالٌ كَفَسَاقٌ، وَفُعَلٌ كَعُدَرٌ، وَفَعَالٌ كَعُدَارٌ، وَفَعُولٌ كَعُدُورٌ، وَمُفْعِلٌ كَمِعْطِيرٌ، وَمُفْعَالٌ كَمِعْطَارٌ، وَفُعْلَةٌ كَهَمْزَةٌ، وَفَعُولَةٌ كَمْلُولَةٌ، وَفَعَالَةٌ كَعَلَامَةٌ، وَفَاعِلَةٌ كَرَاوِيَةٌ وَخَائِنَةٌ، وَمُفْعَالَةٌ كَمِجْزَامَةٌ³. ومن أهم صيغ المبالغة الواردة في القرآن الكريم: " فَعِيلٌ - فَعُولٌ، فَعَالٌ، مُفْعِلٌ، فِعِيلٌ، فَيَعُولٌ - مُفْعَالٌ، فَعْلَانٌ ... "

1 ينظر سيبويه، الكتاب، 4/55-58، وابن قتيبة الدينوري، أدب الكاتب، ص460.

2 وقيل إنَّها تزيد عن سبعة وثلاثين بناءً من الثلاثي ومن غيره.

3 ينظر محمد بن دريد، الاشتقاق، تح: عبد السلام محمد هارون، (بيروت: دار الجليل، ط1، 1411هـ، 1991م)، ص250، وجمال الدين السيوطي، المزهرة في علوم اللغة وأنواعها، 234/2، أحمد بن محمد الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، تح: نصر الله عبد الرحمن نصر الله، (الرياض: مكتبة الرشد، د.ت)، ص74.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ أغلب الصيغ التي يعمل عليها الباحث تتعلق بالذات الإلهية، وهو أمر يختلف اختلافاً كبيراً عن تعلُّق المبالغة بالذات البشرية¹. والذي يهْمُّ هو توضيح بعض الصيغ البلاغية وبيان معناها المعجمي الدلالي:

الصَّيْغَةُ الْأُولَى: فَعِيلٌ:

تشارك هذه الصَّيْغَةُ مع الأسماء والمصادر واسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة، والمصدر الميمي واسمي الزمان والمكان². وهذا يرجح أنَّها لم توضع في أول أمرها للمبالغة³، وأكثر مجيئها صفة مشبهة، كما تجيء صيغة مبالغة، وهذا يجعلها محلَّ التباس، وقد رأى بعض العلماء ان الفصل بين الدَّلَالَتَيْنِ يكون عن طريق التعدي واللزوم أو التكثر والحدوث والثبوت⁴، لكن هذا التداخل باقٍ بينهما ولا يفصل في ذلك إلا السياق. وقد وردت هذه الصيغة ثلاثمائة وثمانٍ وخمسين مرَّةً في القرآن الكريم؛ 95 منها في سورة البقرة، و53 مرَّةً في سورة آل عمران، و109 مرَّاتٍ في سورة النساء، و48 مرَّةً في سورة المائدة، و53 مرَّةً في سورة الأنعام.

-
- 1 ينظر الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 502/2 – 503، والسيوطي، الإتقان في علوم القرآن، 283/3، وأبو حيان الأندلسي البحر المحيط، 283/2، وابن عاشور، التحرير والتنوير، 439/1.
 - 2 ينظر سيبويه، الكتاب، 28/4 – 37، وأبو بكر الأنباري، الأضداد، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت: المكتبة العصرية، 1407هـ، 1987م)، وعلي بن إسماعيل بن سيده، المخصَّص، تح: خليل إبراهيم جفال، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت)، 155/16 – 161، وابن القوطية، الأفعال لابن القوطية، ص8.
 - 3 ينظر كمال إبراهيم بدري، الزمن في النحو العربي، (الرياض: دار مية للنشر والتوزيع، ط1، 1404هـ)، ص 267.
 - 4 نشير إلى أنَّ صيغ المبالغة، والصفة المشبهة تشتركان في بعض الأبنية وهي (فَعُولٌ وفَعِيلٌ وفُعَالٌ وفُعَّالٌ)، ويحتاج ذلك إلى ضابط للتفريق بين ما كان منها لهذه أو لتلك.

تنوعت دلالات أبنية هذه الصيغة بحسب السياقات التي وردت فيها، وبحسب علاقتها بالموصوفين الذين تنوع ذكرهم في الآيات كـ "الله، والأنبياء، والناس، والشيطان، والأصنام، والعذاب، والقول، والشراب". ومن أمثلتها في القرآن الكريم:

1- رَحِيمٌ:

رحيم: مفرد، جمع: رحيمون، ورحماء: صيغة مبالغة من رحم، أي كثير الرحمة والشفقة، والرحيم: اسم من أسماء الله الحسنى، ومعناه: الرفيق بالمؤمنين، والعاطف على خلقه بالرزق، والمثيب على العمل. ذكر السمين الحلبي أن صيغة رَحِيمٌ "فَعِيلٌ" من الثلاثي المجرد الصحيح السالم: رَحِمَ - يَرْحِمُ - رُحْمًا ورُحْمًا مَرَحْمَةً فهو رحيم¹ من باب: "فَعِلَ - يَفْعَلُ"، وتعني الرِّقَّةُ والتَّعَطُّفُ، ورحيم صفة مثل الرحمن، وكلاهما مشتقتان من الرحمة، وتستعمل في الرقة المجردة وتستعمل في الإحسان إذا وصف بها الله عز وجل، وقد استند على ذلك بقوله ﷺ: "إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي عليه ما لا يعطي" أي: الرحمن والرحيم رفيقان، والرفق من صفاته تعالى². ومنه قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ رَفِيقٌ، والرفق من صفاته تعالى³. حيث دلَّت هنا على الكمال المطلق من الرحمة، وهو صفة خاصة بالله تعالى لا يشاركه فيها أحد³.

ومما يزيد من قيمة الكلمة أنها قرينة لفظة "الرحمن" التي وردت في السبع المثاني، وترتبط بها في أكثر الحالات كما ترتبط مع غيرها، كالتَّوَّابِ، والغفور، والعزیز والرؤوف، والزَّبِ، والبرِّ، فقد اقترنت صيغة "فَعِيلٌ"

1 هذا في القرآن، أمَّا في اللغة، فقد تكون اسم فاعل أو اسم مفعول يقال: "راحم، ورحوم، ورحيم" اسم فاعل، ويقال: "مرحوم ورحيم ومُرَحَّم" اسم مفعول، فرحيم اسم فاعل أو اسم مفعول حسب السياق وهو في القرآن الكريم اسم فاعل، لاسيما إذا كان صفة لله عز وجل.

2 أحمد بن حنبل، المسند، 552/1.

3 ينظر المصدر السابق، 33/1.

في معظم الآيات التي أحصيناها بصفة أخرى من صفات الله تعالى سابقة لها، وهي "غفور" فتقدمها أولى؛ لأنَّ المغفرة سلامة والرحمة غنيمة والسلامة تُطلب قبل الغنيمة¹، وقد سبقت "رحيم" في الآية الكريمة "التَّوَاب" التي تفيد المبالغة لذلك جرت "الرحيم" مجرى العلة لها؛ إذ قبول الله التوبة عن عباده ضرب من الرَّحمة بهم، وإلا كانت التَّوْبَةُ لا تقتضي نفع النَّائب نفسه بعدم العودة إلى الذنب حتى تترتب عليه الآثام².
لفظة "الرحيم" في اللغة العربية تعني الذي يمتلك الرحمة، أو الذي يتسم بالرحمة، وهي صفة لله تعالى تشير إلى واحدة من صفاته الإلهية في القرآن الكريم، وقد تتكرر كلمة "الرحيم" وصفًا لله تعالى، وهي من أهم الصفات على الطبيعة الرحيمة لله.

2- بَشِيرًا، نَذِيرًا.

بشير: مفرد، والجمع: بشراء، وهي صفة مشبهة بمعنى الثبوت والحسن.
تكثر الثَّنَائِيَّات اللَّفْظِيَّة في القرآن للتعبير عن التناقضات الحاصلة في الحياة أو الخروج من حالة النَّمَاطِيَّة الفرديَّة إلى حالة التَّنَاغَم، ولا سيَّما إذا كانت هذه الثَّنَائِيَّة من الأضداد، كالخير والشر، والجنة والنَّار، والإيمان والكفر، والتَّوْبَةُ والتَّوْبَةُ، والتَّوْبَةُ والإنذار، وسواها. ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ [البَقَرَة: ١١٩] حيث ذكر السمين الحلبي أنَّ "بَشِيرًا" في هذه الآية الكريمة دلت على الأخبار التي تأتي معها بشرة الوجه، فهي تطلق عمومًا على الخير والسرور، وهي الوعد بالحق³.

1 ينظر السمين الحلبي، الدُّرُ الْمَصُون، 252/4.

2 ينظر المصدر السابق، 110/7.

3 ينظر المصدر السابق، 226/9.

أما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١].

فقد ذكر: "فَبَشِّرْهُمْ" في هذه الآية الكريمة دلالة على الإخبار أيضاً، ولكن هذه الإخبار تختلف فهي أخبار بالعذاب الأليم، فجاءت "فبشرهم" على طريق الاتباع والاستعارة، لأنَّ البشارة تكون في الخير دون الشر¹، وتتَّوَّع دلالتها بحسب سياق الآية، لتدلَّ على (الخوف - الخبر - الرسل - الشيب - النذر بعينه)، وهي على وزن "فَعِيل" من الفعل الثلاثي الصحيح المزيد بمزمة في أوله: أنذر ينذر - إنذاراً، فهو منذر، وترتبط دلالتها على التخويف أو التَّخَوُّف بالشَّرِّ عموماً². و"أنذر" في قوله تعالى: ﴿أَكَاَنَّ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [يونس: ٢]، بمعنى حذّر النَّاسَ، وحذّر كفَّار أهل مكة العذاب وذكر:

وأما النَّذِير فهو كلُّ من يقوم بتخويف الناس من أمر ما قد يحدث، وذكر، النذير: النبي صلى الله عليه وسلم وقيل الشيب لأنه ينذر بالموت. "النَّذْرُ": جمع نذير، والمراد به المصدر، فيكون التقدير: وما تُغْنِي الآيات والإنذارات، و"النَّذْرُ" له خصوصية، وهو عقد الإنسان ضميره على شيءٍ والتزامه وقد يراد منها اسم الفاعل "مُنْذِر" فيكون التقدير: والمنذرون هم الرسل³، ومنه قول عنترة: [من الكامل]

الشَّائِمِي عَرَضِي وَلَمْ أَشْتُمَّهْمَا وَالنَّاذِرِينَ إِذَا لَمْ أَلْقَهَا دَمِي⁴

1 ينظر المصدر السابق، 93/2.

2 ينظر السمين الحلبي، الدُّرُ الْمَصُون، 396/9.

3 ينظر المصدر السابق، 272/6.

4 ينظر المصدر السابق، 607/2. أبو زيد القرشي، **جمهرة أشعار العرب**، تح: محمد علي البجادي، (القاهرة: دار تحفة مصر، د.ت)، ص373.

وقد اتَّفَق المفسرون مع السمين الحلبي على دلالة: "نَذِيرًا"، فرأى أبو جعفر النَّحَّاس أنَّ المراد بالناس أهل مكة، لأنهم قالوا: ألم يجد الله رسولاً إلا يتيم أبي طالب، فأنزل الله عزَّوجل: ﴿أَكَاَنَّ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ﴾ والذي يؤكد ذلك سياق الآية حيث قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾؛ أي: منزل صدق كما ذهب إلى ذلك ابن عَبَّاس، أو العمل الصالح، أو السابقة، أو يراد به بحسب ما ذهب إليه الحسن وقتادة سيدنا محمد ﷺ شفيعهم¹. ورأى أبو محمد البغوي أنَّ المراد بـ "أَنْذِرَ" التخويف، بدليل سياق الآية، وسبب النزول، والناس في هذه الآية هم أهل مكة، والعجب في الآية حالة تعتري الإنسان من رؤية شيء على خلاف العادة، أمَّا سبب نزولها فهو أنَّ الله عزَّوجل لما بعث محمدًا ﷺ، قال المشركون: الله أعظم من أن يكون رسوله بشرًا، فقال تعالى: ﴿أَكَاَنَّ لِلنَّاسِ﴾ يعني أهل مكة والألف للتوخيخ، "أن أنذر" أعلمهم مع التخويف². وذكر صديق حسن خان أن "أَنْذِرَ" مصدرية أو هي المفسرة، لأنَّ في الإرسال معنى القول، وقرأ ابن مسعود أنذر بدون أن أي، والمعنى: قلنا له: أنذر من قبل أن يأتيهم عذاب شديد الألم، وذكر الكلبي هو ما نُزِلَ بهم من الطوفان³.

وذكر وهبة الزحيلي أنَّ مهمة النبي ﷺ الموحى إليه هي الإنذار، و تبشير المؤمنين الذين يعملون الصالحات أنَّ لهم عند ربهم أي سابقة وفضلاً، ومنزلة رفيعة⁴. وذهب أبو بكر الجزائري على أنَّ المراد بذلك هو إنذار الناس عاقبة الشرك، والكفر، والعصيان والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بأنَّ لهم قدم صدق عند ربهم⁵.

1 ينظر الفراء، معاني القرآن، 276/3.

2 ينظر ابن مسعود، تفسير البغوي، 120/4.

3 ينظر محمد صديق خان القنوجي، (فتح البيان في مقاصد القرآن)، 329/14، وينظر أبو المظفر، تفسير السمعاني، 53/6.

4 ينظر وهبة الزحيلي، تفسير الوسيط، (دمشق: دار الفكر، ط1، 1422هـ)، 939/2.

5 ينظر أبو بكر الجزائري، أسير التفاسير لكلام العلي الكبير "ومعه حاشية نهر الخير"، (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ط5، 1424هـ، 2003م)، 445/2.

وبالرغم من اتفاق المفسرين على دلالة لفظة "النَّذِر" مع السمين الحلي، على أنها خبر اختلفوا في نوع الخبر، فذكر أبو جعفر في تفسير هذه الآية: "النذير" هو محمد ﷺ، ووصفه بأنه من النَّذِرِ الأولي، وهو آخرهم¹. وذكر الزجاج أيضاً: "النَّذير": النبي ﷺ مجراه في الإنذار مجرى من تقدّمه من الأنبياء². وذكر مكّي بن أبي طالب: هو محمد ﷺ، وقد خالف المفسرين في قوله أيضاً هو الشيب، والمعنى: عمرتهم هذا العمر فلم تتعظوا، ولم تعلموا، ولم تؤمنوا³.

وأما قوله تعالى: ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذِيرِ الْأُولَى﴾ [النجم: ٥٦] فقد ذكر الماوردي أنّ في الآية قولين؛ الأول أنّ محمداً ﷺ نذير الحق أنذر به الأنبياء قبله، والثاني: أن القرآن نذير بما أنذرت به الكتب الأولى، ويحتمل قولاً ثالثاً وهو أنّ هلاك من تقدّم من الأمم الأولى نذير لكم، واستدل على ذلك بالآية التي تليها: ﴿أَزِفَتِ الْأَزِفَةُ﴾ [النجم: ٥٧]؛ أي: اقتربت الساعة ودنت القيامة، وسماها آزفة لقرب قيامها عنده⁴. وأما "النذر" في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾ [القمر: ٢٣] وقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ﴾ [القمر: ٣٣] فتدلّ على الرُّسل، ومثلها في القرآن الكريم كثير⁵. و"النُّذور" في قوله تعالى: ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ [الحج: ٣٣]

1 ينظر ابن جرير، تفسير الطبري، 92/22.

2 ينظر الفراء، معاني القرآن، 78/5.

3 ينظر أبو محمد مكّي، كتاب الهداية إلى بلوغ النهاية، 5987/9 – 5988.

4 ينظر الماوردي، تفسير الماوردي، 406/5، وأبو مظفر، تفسير السمعاني، 304/5، الواحدي، تفسير البسيط، 80/23، والبغوي، تفسير البغوي، 420/7، والقرطبي، تفسير القرطبي، 121/17، وشرف الدين الطيبي، حاشية الطيبي علي الكشاف تح: إباد محمد الفوج، (جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم ط1، 1434هـ، 2013م)، 112/15، وأبو الفداء، تفسير ابن كثير، 468/7، وابن عاشور، التحرير والتنوير، 160/27.

5 نظيرها في الملك: 9 – 10، وهود: 12، والقمر 41.

٢٩] تفيد النَّذْرُ بِعَيْنِهِ¹، وقوله تعالى: ﴿وَجَاءَكُمْ التَّذِيرُ﴾ [فاطر: ٣٧] يشير إلى الشَّيْب، كما ذكر بعض المفسرين².

تستخدم كلمة "بشيرًا" للإشارة إلى الشخص الذي يُبشِّرُ بخبر سار، وفي القرآن الكريم للإشارة إلى الأنبياء والرسل الذين تمَّ اختيارهم من قبل الله لنقل رسالته وتبشير الناس بالهداية والخلاص، كما تُستخدم كلمة "نذيرًا" للإشارة إلى الشخص الذي يحذر الآخرين من مخاطر معينة، وفي القرآن الكريم تُستخدم لتوصيف دور الأنبياء والرسل الذين تمَّ اختيارهم من قبل الله لتحذير الناس من العواقب لتجاهل الأوامر الإلهية والعصيان.

3- دَلِيل:

اسم مفرد يجمع على أَذْلَاءٍ وَأَذَلَّةٍ وَذِلَالٍ، والدليل: الضعيف المهان، وهي صفة مشبهة تدل على الثبوت من ذَلٍّ، وتأني بمعنى الرفيق الرحيم اللين المتواضع.

1 " النَّذْرُ " أنْ توجب على نفسك ما ليس بواجب لحدوث أمر، ينظر الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص. 487 وفي الشرح: إيجاب عن الفعل المباح لنفسه تعظيمًا لله تعالى. ينظر أحمد بن علي الواحدي النيسابوري، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: صفوان عدنان داوودي، 53/2، وينظر علي الشريف الجرجاني، التعريفات، تحقيق وضبط، وتصحيح جماعة من العلماء بإشراف النَّاشِر، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1403هـ)، ص268.

2 ذكر ذلك ابن عبَّاس وعكرمة وسفيان ووكيع والحسين بن الفضل والفراء والطبري، ينظر ابن جرير، تفسير الطبري، 353/14. إذا شاب الإنسان فقد أعذره ربه بإمداده بفسحة من عمره، وقد اشْتَدَّ عتاب الله على أقوام عاشوا طويلاً وامتدَّت حياتهم دون الانتفاع بها قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ التَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ فقد ذكر ابن كثير في تفسيره في تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَاءَكُمْ التَّذِيرُ﴾ روي عن ابن عباس وعكرمة، وأبي جعفر الباقر، وسفيان بن عيينة ذكروا إنَّه الشَّيْب، وذكر السُّدي، وعبد الرحمن بن أسلم يعني رسول الله ﷺ.

فُسِّرَت: الدِّل والذلة¹ في القرآن الكريم على سبعة معانٍ، وهي: "القِلَّةُ - التَّوَضُّعُ - الجزِيَّةُ - التَّسَخُّيْرُ - العُلُ - الطَّاعَةُ - الكابَةُ".

وقد وردت هذه الصيغة على وزن "أَفْعِلَة" في قوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [النَّاسِ: ٥٤]، فقد جاءت جمعاً "لِلْفَعِيلِ" فهي من الفعل الثلاثي المجرد الصحيح المضَعَّف: "ذَلَّ - يَذُلُّ - يَذَلُّ" - يَذُلُّ - يَذَلُّ - يَذَلُّ" بفتح الدال وضمة الهاء، ومذلة، فهو ذليل؛ أي: هينٌ خسيس². وهي من الخصال التي تكون في الإنسان من الحسن والقبح والشدة والضعف والخوف والجرأة والجبن والصغر والعظم. وقد ارتبطت في الآية الكريمة بالدلالة على اللين والانقياد والتواضع، فالذُّلُّ متى كان من الإنسان نفسه لنفسه فهو محمود³، وهو في هذه الآية مجاز⁴. يقول السيد قطب: "وهي صفة مأخوذة من الطواعية واليسر واللين، فالمؤمن ذلول للمؤمن غير عصي عليه ولا صعب، هين، لين، مُيسَّر، مستجيب، سمح، ودود. هذه هي الدِّلة للمؤمنين، وما في الذلة للمؤمنين من مَذَلَّة، أو مهانة⁵.

ذكر السمين الحلبي أنَّ "أَذِلَّة" جمع ذليل، وهي التَّعَطُّف، ولا يراد بها الضعف والمهان؛ إذ إنَّ ذُلُّوا لا تجمع على "أَذِلَّة"، والذي يؤكد ذلك عدَّى ذلك بـ "على" لتضمنه معنى الخُتُو والعطف؛ أي: عاطفين

1 الدِّل بالكسر - في الدابة ضد الصعوبة، وبالضم - في الإنسان ضد العز؛ لأنَّ ما يلحق الإنسان أكثر قدرًا مما يلحق الدابة فاختاروا الضمة لقوتها، والكسرة لضعفها، وقيل: بالضم؛ ما كان عن قهر، وبالكسر؛ ما كان عن تعب؛ والذلول في الدواب، والذليل في الناس؛ وهو الفقير الخاضع المهان، وأصل الذل أن يتعدى باللام وقد يتعدى بعلى لتضمن معنى الختو والعطف، وهذا يجمع على "أذلة". ينظر أبو البقاء الكفوي، الكليات، ص 190.

2 ينظر السامرائي، العين، 176/8، وابن منظور لسان العرب، مادة "ذَلَّ"، 1513/3. والفيروز أبادي، القاموس المحيط، فصل الدال، باب اللام 390/3.

3 ينظر الراغب الأصفهاني، المفردات كتاب الدال، ص 181؛ والزمخشري، الكشاف، 623/1، وأبو حيان، البحر المحيط، 524/3، وابن عاشور، التحرير والتنوير 237/6.

4 ينظر المصدر السابق، 237/6.

5 ينظر سيد قطب، في ظلال القرآن، (بيروت: دار الشروق، د.ت)، 919/2.

على المؤمنين بالتذلل والتواضع¹، ومنه قوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [النَّاسِ: ٥٤]، وقوله تعالى: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الْفَتْح: ٢٩]؛ أي: خافضون للمؤمنين أجنتهم²، وهم متواضعون رقيقون مع المؤمنين، أشداء فيهم غلظةً على الكافرين، وكلتا الصِّفتان صريحتان³. وقوله تعالى: ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذَلُّلاً﴾ [الْإِنْسَان: ١٤] يعني أنها أصلحت وقربت، ومنه قول امرئ القيس: [من الطويل]

وَكَشَحَ لَطِيفٍ كَالْجَدِيلِ مَحْصَرٍ وَسَاقٍ كَأَنْبُوبِ السَّقِيِّ الْمَذَلِّ⁴

وأكد السمين الحلبي أن كل مطيع غير ممتنع: ذليل، من الناس، وغيرهم: ذلول، ومنه قول النبي ﷺ: (رُبَّ عِذْقٍ مُذَلَّلٍ لِأَبِي الدَّخْدَاحِ)⁵ فقصد هنا بتذليل العذوق: أنها إذا خرجت من كواويرها التي تغطيها عمد إليها الآبر، فيسهلها ويذلها بإخراجها من بين السلاء والجريد، فيسهل قطافها عند إيناعها، واستدل بقولهم: "الأمور تجري على أذلالها أي على مسالكها"⁶.

و"لا ذلول" في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذُلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةً لَا شِئَةَ فِيهَا﴾ [البَقَرَة: ٧١] صفة للبقرة؛ أي: لا هي ذلول، والجملة من هذا المبتدأ والخبر في محل رفع صفة للبقرة، والذلول التي ذللت بالعمل. يقال: بقرة ذلول بنية الذل بكسر الهمزة، ورجل ذليل بنية الذل بضمها، فهي صفة للبقرة، ولا يجوز أن تكون في موضع حال لأنها نكرة "بقرة"؛ فهي تثير الأرض مرعاً ونشاطاً لا حرثاً وعملاً⁷. وقد اتفق المفسرون مع السمين الحلبي على دلالة هذه اللفظة، فقد ذكر الطبري

1 ينظر السمين الحلبي، الدر المنصون، 309/4.

2 ينظر المصدر السابق، 310/4.

3 ينظر الحلبي، الدر المنصون، 310/4.

4 امرؤ القيس، ديوانه، ص 44.

5 أحمد بن الحسين البيهقي، السنن الكبرى، (بيروت: دار المعرفة، د.ط، 1413)، 64/6.

6 ينظر المصدر السابق، 47/2.

7 ينظر الحلبي، تفسير الدر المنصون، 428/1 – 429 – 430.

في قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ أي قليل¹، وهم يومئذ بضعة عشر وثلاثمائة²، وذكر الماوردي فيها قولين؛ أحدهما الضعف عن مقاومة العدد، والآخر قلة العدد وضعف الحال، واستدل على ذلك برواية ابن عباس: كان المهاجرون يوم بدر سبعة وسبعين رجلاً، والأنصار مائتين وستة وثلاثين رجلاً، وكان المشركون ما بين تسعمائة وألف³. وذكر ابن كثير: ﴿وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾؛ أي قليل عددكم ليعلموا أنَّ النصر إنما هو من عند الله، لا بكثرة العدد والعِدَدُ، واستدل على ذلك بسبب نزول هذه الآية⁴، وذكر السمين الحلبي أنَّ ﴿أَذِلَّةٌ﴾ جمع ذليل، جمع قلة إشعارًا بقلتهم⁵، وفي قوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإشراء: ٢٤]، أفادت لفظة أذلة "معنى التواضع"⁶، فقد ذكر أبو جعفر في قوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ أنهم أهل رقة وتواضع على أهل دينهم، بدليل أنَّ تَمَّةَ الآية أفادت أنَّهم أهل غلظة على من خالفهم في دينهم⁷، وذكر أبو محمد البغوي أنَّ المراد بـ "أذلة" في الآية السابقة ليس الهوان والضعف، بل لين الجانب تجاه إخوانهم من المؤمنين، وتفيد أنَّهم متواضعون، بدليل الآية: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣] وذكر الطيبي: "أَذِلَّةٌ" جمع ذليل، وأما ذلول فجمعه: "ذُلٌّ". ومن زعم أنَّه من الذل الذي هو نقيض الصعوبة، فقد غاب عنه أنَّ "ذلولًا" لا يجمع على أذلة، وفي المسألة وجهان: أحدهما: أن يضمن الذل معنى الحنو والعطف، وكأنه قيل: هم عاطفون عليهم على وجه التذلل والتواضع. والآخر: أنهم مع شرفهم وعلو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين

1 بمعنى أقل عدد وأضعف قوة.

2 ينظر ابن جرير، تفسير الطبري، 172/7.

3 ينظر الماوردي، تفسير الماوردي، 421/1 - 422.

4 ينظر أبو الفداء، تفسير ابن كثير 111/2.

5 ينظر الحلبي، الدر المصون، 383/3.

6 أي: أرقاء رحماء خاضعون، ينظر ابن جرير، تفسير الطبري، 148/1، أي يلينون لهم رفقاء بهم.

7 ينظر ابن جرير، تفسير الطبري، 422/10.

خافضون لهم أجنتهم". بدليل أنهم ﴿أَشَدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]¹. وأمّا قوله تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تَقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٢] فقد أفادت لفظة "الذِّلَّة" معنى الجزية²، كما ذكر ذلك أبو جعفر، وهي على وزن الفعل من الدَّلَّ. وفهم هذا المعنى من خلال سبب النزول، وفيه أنَّ اليهود الذين كذبوا النَّبِيَّ ﷺ أصابتهم الذِّلَّةُ في كلِّ مكان من الأرض³. وذكر مكي بن أبي طالب: أي: فُرِضَتْ، ووضعت من قولهم: "ضُرِبْتُ على عبدي الحُرَّاج، وضرب عليَّ الأميرُ الحُرَّاج، بمعنى فرضه ووضعه عليَّ. وَضُرِبُ الذِّلَّةِ عليهم هو إعطاء الجزية عن يدٍ وهم صاغرون⁴.

وأمّا قوله تعالى: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ [الإنسان: ١٤] فتفيد معنى التسخير⁵، فقد ذكر أبو جعفر أنَّ المعنى: ذُلَّ لهم اجتناء ثمر شجرها كيف شاؤوا قُغُودًا، وقيامًا، ومتكئين، فإن قام ارتفعت بقدره، وإن قَعَدَ تَدَلَّتْ حتى ينالها، وإن اضطجع تَدَلَّتْ حتى ينالها، فذلك تذليلها؛ أي: تسخيرها. وقد أفاد سياق الآية: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ ما ذهب إليه⁶. وذكر مكي بن أبي طالب إلى أنَّ المراد بالمدلل هو الذي قد ذلَّ الماء؛ أي: أرواه، وهو الذي يفينه أدنى ريح، وهو القريب المتناول، وقد قيل: دابة ذليل. كما أنَّ سياق الآية وسبب نزولها في وصف الجنة⁷. وذكر السمعاني أنَّ المعنى: أُذْنِيَتْ قُطُوفُهَا إليهم⁸.

1 ينظر شرف الدين الطيبي، حاشية الطيبي على الكشاف، 396/5.

2 ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ "الذِّلَّةُ": هدر النفس والمال والأهل. ينظر أبو البقاء الكفوي، الكليات، ص 191.

3 ينظر ابن جرير، تفسير الطبري، 681/5.

4 ينظر أبو محمد مكي، الهداية إلى بلوغ النهاية، 281/1.

5 أي منقادة بالتسخير، ينظر ابن قتيبة الدينوري، غريب القرآن، تح: أحمد صقر، (بيروت: دار الكتب العلمية، سنة، 1398هـ، 1978م)، ص 152.

6 ينظر ابن جرير، تفسير الطبري، 103/24.

7 ينظر أبو محمد مكي، الهداية إلى بلوغ النهاية، 7924/12 – 7925.

8 ينظر أبو المظفر، تفسير السمعاني، 117/6 – 118.

أمّا في قوله تعالى: ﴿لَا ذُلُّلٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٧١]، فتفيد أنّه البقرة لم تكن مطاوعة أو سهلة الانقياد، وأنها صعبة لم يذها العمل¹، وعلى ذلك ذهب أبو جعفر، وزاد: ولا تعمل في الحرث². وقال الأخفش: ﴿ذلول﴾ مسلمة، بدليل: ﴿لا شية فيها﴾ من وشيت شية³؛ أي خالية من العيوب⁴، وذكر الزجاج: ليس فيها لون يفارق لونها، والوشي في اللغة خلط لون بلون⁵.

وفي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ [يونس: ٢٧] أفادت لفظة "ذلة" الكآبة وسواد الوجوه ونظيرها في القرآن الكريم كثير⁶، فقد ذكر أبو جعفر أنّ المعنى: وجوههم كتيبة سوداء يغشاها ذل الندامة والحسرة؛ ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿خَشَعَتِ أَبْصَارُهُمْ تَرَهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَكَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَلِيمُونَ﴾ [القلم: ٤٣]، كما أنّها نزلت في الذين يَتَخَلَّفُونَ عَنْ الْجُمَاعَاتِ⁷.

كلمة "ذليل" ذكرت في القرآن الكريم في عدة مواضع وجاءت بمعانٍ مختلفة، ولها دور مهم في التعبير عن مفاهيم متعددة، فالذليل تعني الشخص الذي يتّصف بالتواضع وعدم الكبرياء، والذليل يعني من اتّصف بالضعف والإذلال لما يواجهه الإنسان من ظروف تجعله مستضعفاً، ومن المهم أن نعرف أن هذه الكلمة قد تختلف في دلالتها باختلاف السياق والاستخدام في القرآن، واللغة العربية بشكل عام.

1 ينظر الواحدي، الوسيط، 129/1، وفيه تثير الأرض، وليست من العوامل، ومعنى الإثارة قلب الأرض للزراعة، وابن جرير، تفسير الطبري 71/2، وابن منظور لسان العرب، مادة: "ذ. ل. ل"، 1513/3.

2 ينظر ابن جرير، تفسير الطبري، 212/2.

3 ينظر الأخفش، معاني القرآن، 113/1.

4 ينظر ابن جرير، تفسير الطبري 108/2.

5 ينظر أبو إسحاق الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، 152/1.

6 نظيرها في يونس 27 والقلم 43.

7 ينظر ابن جرير، تفسير الطبري، 287 – 626/23، وأبو إسحاق الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، 225/5، وأبو محمد مكي، الهداية إلى بلوغ النهاية، 7649/12، والماوردي، تفسير الماوردي، 70/6 – 71 – 72، والبغوي، تفسير البغوي 200/8.

4- وَلِيٌّ:

الولي هو النَّاصر، وقيل هو المتولي أمور العالم والخلائق، ومن أسمائه الحسنی: الوالي، وهو مالك الملك جميعها والمتصرف فيها. قال ابن الأثير: الولاية: الشعور بالتدبير والقدرة والفعل، فإن لم تجتمع جميعها لم يطلق عليه الوالي¹.

تعددت دلالات "وَلِيٌّ" في القرآن الكريم، فجاءت على أحد عشر وجهًا، هي: "الْوَلَدُ - الصاحبُ - المولى - القريب - الربُّ تعالى - المولى، الآلهة، الموالى - العصابات، الولاية في الدين وفي الكفر - الولاية في الإسلام - المولى - المعتق، المناصحة".

وقد وردت "وَلِيٌّ" على "فَعِيلٌ" من الثلاثي المجرد المعتل الفاء واللام؛ أي: اللفيظ المفروق، وهي معدولة عن "فَاعِلٌ" إلى "فَعِيلٌ" قصد المبالغة. ذكر السمين الحلبي: المولى: هو الناصر، وهو السَّيد المعتق، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَأْيِ وَكَانَتْ أَمْرَاتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ [مَرْيَم: ٥]؛ أي: بني عمومته وعصبته، وهم من يكونون له بالنسب². ومنه قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ [مُحَمَّد: ١١]؛ أي: وليُّهم والقائم على مصالحهم، فكلُّ من تَوَلَّى أمرنا، فهو مولانا. وتستعار للقرب من حيث المكان والنسب والدين، الصداقة والنصرة والعقيدة³، ويجوز فيها تولية الشخص بنفسه، كقوله تعالى: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يَوْسُفَ وَأَبْيَضْتُ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يُوسُف: ٨٤]، فالفعل تولى تعدى بنفسه فاقتضى معنى الولاية⁴، ويقتضي معنى الإعراض وترك النسب إذا تعدى بـ "عن" لفظًا أو تقديرًا، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنَّهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ﴾

1 ينظر ابن منظور، لسان العرب، 287/15.

2 ينظر السمين الحلبي، الدر المنصون، 63/2.

3 ينظر المصدر السابق، 161/2.

4 ينظر المصدر السابق، 703/2.

[المائدة: ٥١] وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ [آل عمران: ٦٣]، وذكر قد يكون التولي بالجسم وترك الاستماع والائتمار، ومنه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: ٢٠]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْدِعُهُمْ فِي ءَاذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ [نوح: ٧]. وذكر أنها تأتي بمعنى المُوَالِي، فيقال للمؤمن: هو وليّ الله ولم يردّ مولاة. وقد يقال: الله وليّ المؤمنين ومولاهم¹. وقد ارتبطت هذه الكلمة في الآيات التي وردت فيها بعدة معانٍ متقاربة تعود في أصلها إلى معاني القرب مكاناً أو نسبة أو ديناً أو صداقة، أو نصرة أو اعتقاداً². ولا يخرج أغلبها من هذه المعاني السابقة باستثناء "ولي" في قوله تعالى: ﴿قُلِمْ لِي وَلِيٌّهُ بِالْعَدْلِ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، التي تشير إلى الوكيل أو الكاتب بالعدل في مفهومنا الحالي. وإلى ذلك ذهب أبو حيان فقال: فإنها تعني الوكيل أو الوصي أو الترجمان أو النصرة وتولي الأمر³. ويراد بها في قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذَّلِّ وَكَبَّرَهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١] الناصر من الذل، والمانع له منه لاعتزازه به، وأنه لم يُوال أحداً لأجل مذلة به ليدفعها بمولاته⁴، وفي قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ [محمد: ١١] المولى: هو النَّاصر، وهو وليهم و القائم بأمرهم، وكل من يتولى أمرك فهو مولاك، والولاء والتَّوالي أن يحصل شيئان فصاعداً حصولاً ليس بينهما ما ليس منهما، والولي والمولى يستعملان في كل ذلك. وكل منهما يقال في معنى الفاعل؛ أي: الموالى، وفي معنى المفعول؛ أي: الموالى.

تتكرّر كثيراً في القرآن الكريم، ولها دلالة مهمة في القرآن واللغة، ففي اللغة ذُكرت الولي بمعنى:

الوصي، أما في القرآن الكريم فقد أُستخدمت بعدة معانٍ وسياقات، وجاءت دالة على العلاقة التي بين

1 ينظر الراغب الأصفهاني، المفردات، كتاب الواو، ص 533.

2 ينظر المصدر السابق، ص 533، وابن فارس، مقاييس اللغة، باب الواو واللام 141/6.

3 ينظر أبو حيان، البحر المحيط، 361/2.

4 ينظر الحلبي، الدر المصون، 431/7.

العبد وربّه، فالله هو الوليُّ الحقيقي على المؤمنين، وهو الحامي والحافظ لهم، كما تظهر كلمة "الولي" في القرآن الكريم للإشارة إلى العلاقة بين البشر، فالوليُّ يمكن أن يكون شخصاً قريباً يتحمل مسؤوليات الرعاية والدعم لشخص آخر، وتظهر هذه اللفظة في القرآن الكريم بأشكال مختلفة مثل: "ولي" و "أولياء" وغيرها، والسِّياق هو المحدّد المعنى.

الصِّيْغة الثَّانية: فَعَّال:

ذكر الصرفيون¹ أنَّ هذه الصيغة تأتي اسماً وصفة، فمن الاسم نحو: الكَلَاء، القَذَاف، الجَلَاء، الدَّعَاء، الرِّغَاء². ومن الصِّفة نحو: شَرَّاب، لَبَّاس، رَكَّاب، غَدَّار، مَنَّان، تَوَّاب، وهَّاب³. ويكثر مجيء هذا البناء من المتعدي: كَقَوَّال، شَرَّاب، لَبَّاس، رَكَّاب.

ولكثرة استعمالها في اللغة، قرر مجمع اللغة العربية قياسها للمبالغة، ولم تأت للمبالغة فحسب، بل للصناعة والاحتراف والملازمة والنسب⁴. وقد اسْتُعْمِلَتْ في القرآن الكريم باللفظين "فَاعِل، فَعَّال"، والاستعمالان متساويان وإن كانت صيغة "فَعَّال" تطوّرت دلالتها فتخصّصت، وجاءت في كثير من اللغات السامية بالدلالة نفسها، فدَيَّان، طَبَّاح، صَيَّاد - نَجَّار - جَمَّال - فَلَاح - حَرَّاث - سَيَّاف - عَرَّاف... "

1 ينظر سيبويه، الكتاب، 56/2، وجلال الدين السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، 293/2، وأحمد حسن كحيل، التبيان في تصريف الأسماء، 57/6، والطائي الجبائي، شرح الشافعي، 178/2 - 180.

2 اسم طائر، هذه الأسماء أصلها صفات ثم جعلت أسماء بدليل ذكرها تحت عنوان: ومما يكون اسماً في بعض الكلام وصفة في بعضه، ينظر علي بن إسماعيل بن سيده، المخصّص، تح: خليل إبراهيم جفال، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1417هـ)، 2/16 - 37 - 91.

3 ينظر سيبويه، الكتاب، 111/4 - 113، وابن عصفور الإشبيلي، الممتع الكبير في التصريف، 98/1، والزركشي، البرهان في علوم القرآن، 511/2، والسيوطي المزهري في علوم اللغة، 243/2.

4 ينظر موفق الدين الأسدي، شرح المفصل، تح: الدكتور: إميل بدیع يعقوب، (بيروت: دار الكتب العلمية ط1، 1422هـ، 2001م)، 13/6 - 15، وعلي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، (القاهرة: دار نخبة مصر للطباعة والنشر، د.ت)، ص 217 - 220، وصبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، (بيروت: دار العلم للملايين، 2009م)، ص 339، وأحمد سعد العاليلي، تهذيب المقدمة اللغوية، (دمشق: دار السؤال، ط3، سنة 1406هـ، 1985م)، ص 210 - 240.

كلها تدل على المهنة في العبرية والسريانية والحبشية والأكدية مع الاختلاف البسيط بينها¹. وقد جاء هذا البناء في ستة وعشرين موضعاً في القرآن الكريم، وبناء على الكلمات التي تأتي عليها "فَعَال" فإنَّ ما أُحصِيَ من هذه الصيغة جاء للمبالغة باستثناء "سَمَّاعون" و"ظَلَّام" فإنَّ الأولى تحتمل دلالة المهنة والثانية تحتمل دلالة النسب². ومن أمثلتها في القرآن الكريم:

1- سَمَّاعٌ:

تشير إلى الشخص كثير الاستماع، وقد بيَّن السمين الحلبي أنَّ المراد بـ "السَّمَّاع" ليس كثير السمع، بل من يسمع الأخبار وينقلها وهي واضحة للدلالة على المهنة، وإلى ذلك ذهب من قبله شيخه أبو حيان³، حيث رأى أنَّ المراد هو جامع الأخبار وناقليها⁴. والمبالغة فيه "سَمَّاع" والسَّمْعُ: سَمِعَ الْقَلْبُ وَسَمِعَ الْأُذُنُ وكلاهما مهنة في نقل الأخبار، ومنه قوله تعالى: ﴿وَفِيكُمْ سَمْعُونُ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [التَّوْبَةُ: ٤٧]، فقد أفادت لفظة "سَمَّاعون" في هذه الآية الكريمة معنى مهنة سَمْع الأخبار ونقلها بين الناس، وقوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا﴾ [هُود: ٢٠]، فالسَّمْع، في هذه الآية الكريمة هو سَمْعُ الإيمان بالقلب، وإذاعته بين النَّاسِ. ونحوها في القرآن الكريم كثير⁵. وذكر السمين الحلبي في قوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ﴾ أن المعنى: يعرضون عملاً

1 ينظر د. صلاح مهدي الفرطوسي؛ ود. هاشم طه شلاش، صيغة اسم الفاعل في العربية، ص 237.

2 وينظر أبو حيان، البحر المحيط، 499/3.

3 وأبو حيان، البحر المحيط، 499/3.

4 ينظر السمين الحلبي، الدرر المصون، 120/7.

5 ونظيرها في البقرة: 7 - 20 - 93 - 104 - 184 - 285، وآل عمران: 186، والنساء: 46، والمائدة: 7 - 41 - 42 - 108، والتوبة: 6 - 46، ويونس: 42 - 67، وهود: 25، ويوسف: 31، والحجر: 18، والنحل: 65 - 78 - 108، والأنبياء: 2 - 60 - 100، والحج: 46، والمؤمنون: 24 - 78، والنور: 12 - 16 - 57، والفرقان: 12 - 44، والشعراء: 15 - 25 - 72 - 212 - 223، والنمل: 80 - 81، والقصاص: 36 - 55 - 71، والروم: 22 - 52 - 53، والسجدة: 9 - 12 - 26، ولقمان: 7 - 14، وفاطر: 22، ويس: 25، والصفافات: 8، وص: 7، والزمر: 18، وفصلت: 4 - 20 - 22 - 26، والزخرف: 40 - 80،

يسمعون ولا يلقون له بالأ، ومنه قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ [الكهف: ١٠١] • فالمعنى هنا: لا يقدر أن يسمعوا ما يتلى عليهم لشدة بغضهم، ومنه أيضاً: ﴿وَفِيكُمْ سَمْعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٧]، أي مطيعون وقيل: ما تجسسون الأخبار. وفي الحديث: "من سمع الناس بعلمه سمع الله به سامع خلقه"¹.

تظهر هذه الكلمة في اللغة العربية والقرآن، ولها دلالة محددة في السياقات المختلفة، فهي تشير إلى كثرة الإنصات والاستماع، وفي القرآن الكريم للإشارة إلى الله العلي العظيم كواحدة من صفاته، فالله هو السَّمْع سواء كان ذلك فيما يقال من صوت مسموع أم فيما يكون في القلوب والأفكار.

2- كَفَّار:

جمع كافر وهو الشخص الرافض للإيمان بالله. ويأتي المصدر "الْكُفْر" واسم الفاعل "الْكَافِر" ومبالغته "كَفَّار" في وجوه أربعة، هي: "الإنكار، الجحود، كفر النعمة، البراءة". وصيغة "فَعَّال" مشتقة من الثلاثي الصحيح المجرد السَّالَم: كَفَّرَ - يَكْفُرُ - كُفِّرًا، فهو كافر؛ أي: سائر وجاحد، والمبالغة فيه كُفُور وكَفَّار، وسميت الكُفَّارَةً لأنها تُكْفِّرُ عن الآثام والذنوب؛ أي: تسترّها وتمحوها، ومنها كُفَّارَةُ القتل خطأ، وكُفَّارَةُ اليمين، وكُفَّارَةُ الظهار². وقد جاء في مقاييس اللغة "الكاف والفاء والراء": أصل صحيح يدل على معنى واحد وهو الستر والتغطية³. ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾ [المائدة: ٤٥]، فالكفارة كما ذكر

والجائية: 8 23 والأحقاف: 26 - 29 - 30، ومحمد: 16، والحجرات: 1، وق: 37 - 41 - 42، والطور: 38، والواقعة: 25، والمجادلة: 1، والتغابن: 16، والمنافقون: 4، والملوك: 7 والجن: 1 - 9 - 13.

1 ينظر السمين الحلبي، الدر المنصون، 2/222.

2 ينظر الراغب الأصفهاني، المفردات، كتاب الكاف، ص 435، وينظر ابن منظور، لسان العرب، مادة "كَفَّر"، 3900/5. وينظر أبو حيان، البحر المحيط، 4/12.

3 ينظر ابن فارس، مقاييس اللغة، باب الكاف والفاء، 5/191.

السمين الحلبي تعني التبرئة من الذنوب والآثام¹، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أفادت لفظة "كَفَرُوا" معنى الإنكار، وهو إنكار بالقلب واللسان، بسبب ستر الحق وتغطيته². وصيغة المبالغة منها "الكُفُور"، وهو المبالغ في الكفر، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إِبْرَاهِيمَ: ٣٤]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكُفُورٌ﴾ [الحج: ٦٦]، وذلك دليل على نكران النعمة وعدم الشكر، ومنه قوله تعالى: ﴿قَتَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ [عَبَسَ: ١٧]³، وقد خالف الراغب الأصفهاني السمين الحلبي فيما ذهب إليه، ففرّق بين الكُفَّار والكُفُور، فالأول أبلغ بدليل قوله تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [ق: ٢٤]⁴. وذكر السمين الحلبي في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ [البقرة: ٨٩]، إفادة لفظة كفروا في هذه الآية الكريمة معنى الجحود⁵، وفي قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢] إفادة لفظة "تكفرون" معنى الكفر بالنعمة⁶، ونحوها في القرآن الكريم كثير⁷.

تستخدم هذه اللفظة للإشارة إلى الأشخاص الذين يرفضون الإيمان بالله ويعارضون الرسالة الإلهية

المنقولة عبر الأنبياء.

3- جَبَّار:

1 الضمير في قوله تعالى: ﴿لَهُ﴾ يحتمل أن يكون عائداً إلى العاني أو إلى المعفو عنه، أمّا الأول، التقدير أن المجروح، أو ولي المقتول إذا عفا كان ذلك كفارة له، أي للعاني، ويتأكد ذلك بقوله تعالى في: القصص: ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ البقرة 3، ويقرب منه قوله ﷺ: أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم؟ كان إذا خرج من بيته تصدق بعرضه على الناس، وروى عبادة ابن الصّامت، أن الرسول ﷺ قال: من تصدّق من جسده بشيء كفر الله عليه بقدره من ذنوبه، وفي قول آخر: أن الضمير في قوله: ﴿فهو كفارة له﴾ عائد على القاتل أو الجارح يعني المجني عليه، إذا عفا عن الجاني صار ذلك العفو كفارة يعني لا يؤاخذ الله بعد ذلك العفو، وأمّا المجني عليه الذي عفا، فأجره على الله تعالى، ينظر السمين الحلبي، الدرّ المصون،

2 ينظر السمين الحلبي، الدرّ المصون،

3 ينظر السمين الحلبي، الدرّ المصون، 29/10.

4 ينظر الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص716.

5 وهو أن يعرف بقلبه، ولا يعترف بلسانه، ككُفّر إبليس، وكفر أمية بن أبي الصلت. ينظر السمين الحلبي، الدرّ المصون، 408/9.

6 ينظر المصدر السابق، 408/9.

7 نظيرها في النمل: 40، وفي لقمان: 12، والشعراء: 19.

هو صفة تشير إلى شخص أو كيان يُظهر القوة والعنف، ويميل إلى فرض السلطة بقوة، فهو مصطلح يستخدم للإشارة إلى السيادة والقوة الفعالة.

حملت هذه الصياغة في القرآن الكريم خمسة معانٍ، هي: "القَهَّار، القَتَّال، الطول، القوة، التَّكَبُّر"، وتفيد المبالغة، وتجمع جمع تصحيح، وتأني من المجرد والمزيد بمعنى واحد. تقول: جَبَرْتُ الخلق وأجبرتهم. إلَّا أنَّ أجبر أكثر ورودًا. وذكر الأزهري "الجَبَّار" من "أَجَبَرَ" المزيد لا من جَبَرَ¹. وكلاهما متعدٍّ. وقال الرَّجَّاح: جَبَرْتُ الرَّجُلَ على الأمر وأجبرته إذا أكرهته عليه². وذكر ابن فارس: يقال: أجبرت فلانًا على الأمر، ولا يكون ذلك إلَّا بالقهر³.

فالجَبَّار صفة مشتركة بين الله والعباد، فإذا وصِفَ بها الله، فهو الذي تنفَّذ مشيئته، وتحقق على سبيل الإِجبار⁴، وإذا وصِفَ بها الإنسان، فلا تأني إلَّا عن طريق الذم⁵؛ فحيثما ذكرت الجيم والباء والراء - كأصول متتابعة - دلَّت على العِظَم والعُلُو والاستقامة والقُوَّة⁶، وذكر السجستاني: "الجَبَّار" القَهَّار وهو الله عزَّوجلَّ القهار لخلقه لما أراد⁷. ومنه قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣] فالجَبَّار هنا - كما ذكر السمين الحلبي - صيغة مبالغة من المزيد الثلاثي، أجبره على كذا؛ أي: قهره، وهو إصلاح الشيء بضرب من القهر، وهي من صفات الله

1 ينظر ابن منظور لسان العرب، مادة: "جَبَرَ"، 534/1.

2 ينظر أبو إسحاق الرُّجَّاح، فعلت وأفعلت، تح: د. رمضان عبد التَّوَّاب، د. صبيح التميمي، (مصر: مكتبة الثقافة الدينية، 1415هـ، 1995م)، ص 17.

3 ينظر ابن فارس، مقاييس اللغة، باب الجيم والباء، 502/1.

4 ينظر أبو حامد الغزالي، المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، تح: بسَّام عبد الوهاب الجابي، الجفان والجابي - (قبرص، ط 1، 1407هـ، 1987م)، ص 51.

5 ينظر الراغب الأصفهاني، المفردات، كتاب الجيم، ص 86.

6 ينظر ابن فارس، مقاييس اللغة، باب الجيم والباء، 502/1.

7 ينظر محمد بن عُزَيْر السجستاني، غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب، ص 96، وينظر الزمخشري، الكشَّاف، 389/2.

تعالى عن طريق الاستحقاق، بدليل: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥]،

وهو من الجبر الدال على الإصلاح، كقول الرازي: [من الرجز]

قد جبر¹ الدين الإله فجبر

والجبار يعني القوي²، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٠] حيث أفادت

معنى القتال في غير حق؛ أي: قتالين كفعل الجبابة، ونحوها في القرآن الكريم كثير³. ومن الحديث: "ضرس

الكافر مثل أحد، وجلده أربعون ذراعاً بذراع الجبار"⁴. وقيل: نخلة جبارة؛ أي: لم تنلها يد الجنة. وذكر في

وصف الإنسان بالجبر غالباً ما تكون للدم، كقوله تعالى: ﴿وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٥]،

وقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥]؛ أي: متكبر متعال، فالجبار في

الإنسان هو من يجبر نقيضه بإدعاء منزلة لا يستحقها⁵.

كلمة "جبار" جاءت في القرآن الكريم دالة على صفة من صفات الله، وتعني أن الله له السيادة

والقوة الكاملة، حيث يستخدم هذا الاسم لإظهار العظمة والسلطة الإلهية، كما تُشير هذه اللفظة في القرآن

إلى الأشخاص الذين يتصفون بالتكبر والاعتداء، ويتصفون بالسلوك الجبروتي والاستبداد.

1 أي جبر الدين وإصلاحه، والبيت للعجاج بن ربيعة. ابن قتيبة، أدب الكاتب، ص 454.

2 ينظر المصدر السابق، 293/10.

3 نظيرها في القصص: 19، وغافر: 35.

4 وهو ملك من ملوك العجم، أحمد بن حنبل، المسند، تح: شعيب الأرنؤوط، 420/8. وإسناده ضعيف.

5 ينظر السمين الحلي، الدرر المحصون، 300/1.

الصيغة الثالثة: فَعُولٌ:

ذهب الدارسون¹ إلى أنَّ صيغة "فعل" من أقدم الصيغ في اللغات السامية، واستدلوا على قِدَمها بأنَّها احتفظت بدلالاتها على الأسماء المحسوسة: "كالوقود والطهور...". والمعروف عند أغلبهم أنَّ الأسماء المحسوسة أقدم في الاستعمال من أسماء المعاني².

وقد وردت هذه الصيغة في اللغة العربية دالة على المصدر، نحو: "وَضُوءٌ، وَلُؤْعٌ، قَبُولٌ"، وعلى الاسم نحو: "عَثُودٌ، حَرْوُفٌ، قَدُومٌ"، وعلى الصفة نحو: "صَدُوقٌ، صَبُورٌ، عَجُوزٌ"³. ويروى بعض الدارسين أنَّه هذه الصيغة تفيد المبالغة في مجيئها صفة⁴، وسموها أبنية المبالغة؛ لِأَنَّها جاءت معبرة عن الصفة والحدث⁵. وقد أحصاها إبراهيم أنيس في معجم القاموس المحيط وتوصَّل إلى أنَّ أغلب أمثلة "فَعُولٌ" في العربية مبالغة في الفاعلية لا المفعولية⁶. وقد ورد هذا البناء في القرآن الكريم في 52 موضعاً، ومن أمثلتها:

1- عَفُورٌ:

الغفور صفة تستخدم لوصف شخص يتَّسم بالغفران والعفو، وهي صفة تعبر عن الرحمة والقدرة على المسامحة. وقد ذكر السمين الحلبي أنَّ هذه الصيغة تدلُّ على "الستر والغطاء"، ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣]، أفادت لفظة "عَفُورٌ" في هذه الآية الكريمة معنى الستر والغطاء فالله سبحانه وتعالى غافر الذنوب ساتر الخطايا⁷، ونحوها في القرآن الكريم

1 ينظر سمية عبد المحسن منصور، أبنية المصدر في الشعر الجاهلي، (الكويت: جامعة الكويت، كلية الآداب، قسم اللغة العربية ط1، 1984م)، ص 203 – 204.

2 المرجع السابق نفسه، ص 205.

3 ينظر سيبويه، الكتاب، 4/42.

4 ينظر سيبويه، الكتاب، 1/110 – 111، وينظر شرح ابن عقيل، 2/111.

5 ينظر د. عودة الله منيع القيسي، العربية الفصحى، مكتبة النور، ص 95.

6 ينظر إبراهيم أنيس، دراسة في بعض صيغ اللغة، (مجلة المجمع بالقاهرة، عدد22)، ص 98 – 99.

7 ينظر السمين الحلبي، الدر المصون، 4/252.

كثير¹. وهذه الصيغة للمبالغة على وزن "مفعول" من الثلاثي المجرد الصحيح السالم: "عَفَرَ - يَعْفِرُ - عُفْرًا - وغفرة - ومغفرة - وعُفُورًا - وعُفْرَانًا - وَعَفِيرًا" فهو غافر؛ أي: سائر².

وقد اتَّفَق المفسرون في دلالتها³. والمبالغة فيه "عَفَّارٌ" و "عَفُورٌ" من أسماء الله الحسنى وتعني كثير المغفرة للذنوب، فلا يؤاخذ عبده عليها. والغفر والغفران بمعنى واحد وهو التغطية والستر. ومن العلماء⁴ من سَوَّى بينهما، وجعل "فعول" بمعنى "فَعَّال"، فالكلام على "الغفور" هو نفسه الكلام على "العَفَّار". وعلى الرغم من دلالة كل منهما على المبالغة والكثرة إلا أنَّ "عَفُورٌ" تنبئ عن نوع من المبالغة لا تنبئ عنها "عَفَّار"، ف "فَعَّالٌ" ينبئ عن كثرة الفعل والمبالغة باعتبار الكم، أمَّا "فَعُولٌ" فينبئ عن جودته، وكماله، وشموله، والمبالغة فيه باعتبار الكيف بالنسبة للذنوب المغفورة. وعلى هذا الأساس يكون "الغفور" بمعنى تام الغفران كامله حتى يبلغ أقصى درجات المغفرة⁵. فالغفور في القرآن الكريم أحد أسماء الله وصفاته؛ فهو غفور الذنوب والخطايا، وصاحب الرحمة المطلقة، والعفو اللامحدود.

2- طَهُورًا:

صفة تدل على النقاء والنظافة، وهي كل ما هو خالٍ من الشوائب والأوساخ وتكون مرتبطة بالطهارة الجسدية والروحية. وقد فُسِّرَتْ "طَهُورًا" في القرآن الكريم على عشرة أوجه دلالية وهي:

1 نظيرها في يونس: 107، ويوسف: 98 - والحجر: 49 - والقصص: 16 - وسبأ: 2 والزمزم: 53 - والشورى: 5 - والأحقاف: 8 - والملك: 2 - والبقرة: 173 - 182 175 218 - 221 - 225 226 - وآل عمران: 31 - 89 - 129 - 133 - 135 - 155 والنساء: 25-43 96 - 99 - 100 - 106 - 110 - 129 - 152 والمائدة: 3 - 34 - 39 - 74 - 9.

2 ينظر السمين الحلبي، الدر المنصون، 87/3.

3 ينظر ابن منظور، لسان العرب، مادة "عَفَرَ"، 3271/5. وينظر الفيروز أبادي، القاموس المحيط، فصل الغين باب الرء، 106/1، وينظر ابن فارس مقاييس اللغة باب الغين والفاء، 385/4.

4 ينظر السجستاني، غريب القرآن، ص 14-15، وابن فارس، المفردات كتاب العين ص362، وأبو حامد الغزالي الطوسي، المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، ص 56، وابن منظور، لسان العرب مادة "عَفَرَ"، 3271/5.

5 ينظر السمين الحلبي، الدر المنصون، 749/10.

"الاجتسال، الاستنجاء، الطهور من الحدث، التنزه، الغسل من الحيض، الطهور من الذنوب، الطهور من الفاحشة، وتأني أطهر بمعنى: أحلّ" الحلال". وجميعها تدل على المبالغة في فعلها. ويقال: طهرت المرأة طهراً وطهارة، وطهرت¹، والفتح أقيس لأنها خلاف طمشت، ولأنه يقال: طاهرة، وطاهر مثل: قائمة، وقائم، وقاعدة، وقاعد. والطهارة ضربان: طهارة الجسم، وطهارة النفس، وحُملَ عليهما عامة الآيات يقال: طهرته فطهر، وتطهر، وأطهر فهو طاهر، ومتطهر. قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ [البقرة: ٢٢٦]؛ أي: استعملوا الماء أو ما يقوم مقامه. وأما قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٢٢] فدلّ باللفظين على أنه لا يجوز وطؤهن إلا بعد الطهارة والتطهير. وهذا مذهب الشافعي² ويؤكد قراءة من قرأ: حتى يَطْهَرْنَ. وهي قراءة شعبة وحزمة والكسائي وخلف³؛ أي: يفعلن الطهارة التي هي الغسل⁴. أمّا طهارة النفس فقد ذكرت في مواضع مختلفة من القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٩] وتعني هنا أنه لا يبلغ حقائق معرفته إلا من طهر نفسه وتنقى من درن الفساد⁵. وقال تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥]؛ أي: مطهّرات من درن الدنيا ونجسها. قال قتادة: "طَهَّرَهُنَّ الله من كل بول وغائط، وقذر ومأثم"⁶. وقيل من الأخلاق السيئة بدلالة قوله تعالى: ﴿عُرْبًا أَتْرَابًا﴾ [الواقعة: ٣٧]، والطهور قد يكون مصدرًا. قال سيبويه⁷ في قولهم: تطهّرت طهورًا وتوضّأت وضوءًا، فهذا مصدر على فَعُول، ومثله وَقَدْتُ وَقُودًا، ويكون اسمًا غير مصدر كالفطور في كونه اسمًا لما

1 ينظر ابن القطّاع الصقلي، كتاب الأفعال، (بيروت: عالم الكتب ط1، 1403هـ، 1983م)، 273/3.

2 ينظر الكيا الهراسي، أحكام القرآن، تح: موسى محمد علي، وعزة عبد عطية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 1405)، 137/1.

3 ينظر أحمد بن محمد الدميّاطي، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، تح: أنس مهرة، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط3 - 2006م)، ص 157.

4 نظيرها في البقرة: 222 - والتوبة: 108 - والأعراف: 82 - وآل عمران: 55.

5 ينظر شهاب الدين الألوسي، روح المعاني، تح: علي عبد الباري عطية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ)، 154/27.

6 ينظر جلال الدين السيوطي، الدر المنثور، 98/1.

7 ينظر سيبويه، الكتاب، 42/4.

يفطر به، ونحو ذلك: الوجور والسعوط والذرور¹، ويكون صفة كالرسول ونحو ذلك من الصفات كقوله تعالى: ﴿وَسَقَلَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١].

وذكر الشافعي² رضي الله عنه: "الطهور بمعنى المطهر، وذلك لا يصح من حيث اللفظ، لأنَّ فعول لا يبنى من أَفْعَلَ وفَعَلَ، وإِنَّمَا يبنى ذلك من فَعَلَ. قال أبو بكر العربي³: إِنِّي تأملتُه من طريق العربية، فوجدت فيها مطالعا شريفاً، وهو أنَّ بناء فعول للمبالغة إلاَّ أنَّ المبالغة قد تكون في الفعل المتعدي، وقد تكون في الفعل القاصر

وقد يأتي بناء "فعول" لوجه آخر، وهو التعبير به عن آلة الفعل لا عن الفعل ذاته. كقولنا: وقود وسحور، فإنَّه عبارة عن الخطب، وعن الطعام المتسَخَّر به، وكذلك وصف الماء بأنَّه طَهُور يكون بفتح الطاء خبراً عن الآلة التي يتطَهَّر بها، فإذا ضَمَمَت الفاء في الوقود والسحور والطهور عاد إلى الفعل، وكان خبراً عنه، فثبت بهذا أنَّ اسم المفعول يكون للمبالغة، ويكون خبراً عن الآلة، وبعد هذا يقف البيان به عن

1 السعوط: كل شيء صببته في الأنف، والوجور: في الفم ومثله النشوق واللدود، ينظر ابن سيده، المخصص، 101/5 – 102؛ وابن دُرُسْتَوَيْه، تصحيح الفصح وشرحه، (القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، عام النشر، 1419هـ، 1998م)، 155/1؛ وأبو علي الفارسي، الحجة للقراء السبعة، تح: بدر الدين قهوجي – بشير جويجاني، راجعه ودققه: عبد العزيز رباح – أحمد يوسف الدقاق، (دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، ط2، 1413هـ، 1993م)، 324/2.

2 هو أبو عبد الله بن إدريس الشافعي المَطَّلبي القُرشي هو ثالث الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة، وصاحب المذهب الشافعي في الفقه الإسلامي، ومؤسس علم أصول الفقه، وهو أيضاً إمام في علم التفسير وعلم الحديث، وقد عمل قاضياً فَعُرِف بالعدل والذكاء،، ينظر أبو بكر الإشبيلي، العواصم من القواصم، تح: محب الدين خطيب – محمود مهدي الأستانبولي، (بيروت: دار الجيل، ط2، 1407هـ، 1987م)، وأبو القاسم ابن بشكوال، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، عني بنشره وصححه وراجع أصله: السيد عزت العطار الحسيني، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط2، 1374هـ، 1955م)، وينظر ابن عذارى المراكشي، البيان في أخبار الأندلس والمغرب، وشمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، (القاهرة: دار الحديث، 1427هـ، 2000م) وشمس الدين ابن خلكان، وفيات الأعيان، والمقري التلمساني، نفخ الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، وأبو الفلاح الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب.

3 هو الإمام العلامة الحافظ القاضي، أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن العربي الأندلسي الإشبيلي المالكي، صاحب التصنيف والتأليف، ولد في أسرة علمية قوية ذات صلات وطيدة مع المعتمد بن عباد حاكم إشبيلة الشهير، وكان أبوه من كبار أصحاب ابن حزم الظاهري بخلاف ابنه أبي بكر، فإنَّه منافر لابن حزم شديد الهجوم عليه والخطِّ منه في كل موطن، وهو غير محبي الدين بن عربي الصوفي – من حَقَّاق الحديث. ينظر المصادر السابقة نفسها.

المبالغة، أو عن الآلة، كقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ [الْفُرْقَان: ٤٨]¹ وقيل: إِنَّ ذلك اقتضى التطهير من حيث المعنى، وذلك أَنَّ الطاهر ضربان: ضرب لا يتعداه الطهارة، كطهارة الثوب فَإِنَّهُ طاهر غير مطهر به، وضرب يتعداه فيجعل غيره طاهرًا به، فوصف الله تعالى الماء بأنه طهور تنبيهًا على هذا المعنى. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾ [البَقَرَة: ٢٢٢]، وقد ذكر السمين الحلبي أَنَّ لفظة "يَطْهُرْنَ" تعني الاغتسال، وَأَنَّ الطهارة ضربان؛ طهارة جسم وطهارة نفس، وقد حُمِلَتْ عليها عامة الآيات، وجاءت في هذه الآية دالة على طهارة الجسم؛ أي: طهارة المرأة من الحيض والنفاس²، بدليل قوله تعالى: ﴿فِيهِ رَجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا﴾ [التَّوْبَة: ١٠٨]؛ أي: يستنجون بالماء ويغسلون أثر البول والغائط به³، وقد نزلت هذه الآية في أهل قِباء، وقد سألهم عليه الصلاة والسلام عن ذلك فقالوا: "لَأَنَّا نَتَّبِعُ الْحَجَرَ الْمَاءِ". أي: إذا استنجوا جمعوا بين الماء والحجر وهو الأفضل، ولا بدَّ من تقديم الحجر لتحلَّ الفائدة⁴. وقوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾ [الْأَنْفَال: ١١]؛ أي: التَّطْهِيرُ من جميع الأحداث والجنابة، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ﴾ [الْأَعْرَاف: ٨٢]؛ أي: التَّنَزُّهُ عن إتيان الرِّجال في أدبارهم، وقوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ أي الطهور من الحيض والقذر كله⁵، وقوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الْوَاقِعَة: ٧٩]؛ أي: الطَّهَوْرُ من الحدث والخبث⁶، وذكر في قوله تعالى: ﴿فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ ۖ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ﴾ [عَبَسَ: ١٣، ١٤]، أَنَّ المراد هنا

1 ينظر أبو بكر الاشبيلي، أحكام القرآن، راجع أصوله وخَرَجَ أحاديثه وعلَّقَ عليه محمد عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط 3، د.ت)، 1417/3.

2 ينظر السمين الحلبي، الدر المنصون، 418/2.

3 قال قتادة: لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ لأهل قِباء: "إِنَّ الله قد أحسن إليكم الثناء في التَّطْهَرُ فما تصنعون؟ قالوا: نغسل الغائط والبول بالماء". رواه أبو داود، ينظر القرطبي، تفسير القرطبي، 258/8.

4 ينظر السمين الحلبي، الدر المنصون، 418/2.

5 ينظر السمين الحلبي، الدر المنصون، 488/8.

6 نظيرها في المجادلة: 12، والتوبة: 108.

الطهور من الشرك والدَّنس والفواحش، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرِيُمْ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢]؛ أي: الطهور من الخبث والإثم والفواحش ما ظهر منها وما بطن، وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَلْقَوْمَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ [هود: ٧٨]؛ أي: أحلُّ لكم¹.

تستخدم هذه اللفظة في القرآن الكريم في سياقات متعددة متعلقة بالطهارة الشرعية، والتحضير للعبادة، وتشير إلى الجانبي المادي والمعنوي؛ فالطهارة صفة خُلُقِيَّة يَتَمَتَّعُ بها المرء، وتُطَهَّرُ سريرته التي هو عليها، كما هي صفة ظاهرة في الجسد، تجعله في حالة من النقاء، وتولّد قبولاً له لدى الآخرين.

الصِّيْغَةُ الرَّابِعَةُ: فَيَعُولُ:

ذكر الصرفيون² أنَّ هذه الصيغة تأتي اسماً وصفة، فالاسم نحو: "فَيَصُومُ³ الحَيْشُومُ - الحَيْرُومُ⁴" وصفة نحو: "عَيْشُومُ⁵ - قَيْومُ⁶ - دَيْمُومُ" وتختصُّ هذه الصيغة بالدلالة على الاحتكام بالوصف احتكاماً يجعله كمسخر له تقول: "يَيْمُوسُ" للذي يتصلب في إتباع القانون وتطبيقه، وتقول: "آلة ظَيْلُومُ" خصصت للظلام⁶، ومن أمثلتها "نوقد دُكِرَ هذا البناء في موضعين⁷ من القرآن الكريم:

1 ينظر السمين الحلبي، الدر المنصون، 488/8.

2 ينظر سيبويه، الكتاب 260/4، وابن عصفور، الممتع الكبير في التصريف، 97/1، وابن يعيش، شرح المفصل، ص 122، وجلال الدين السيوطي، المظهر في علوم اللغة وأنواعها، 19/2.

3 نوع من النبات.

4 أي الصدر.

5 ناقة كثيرة اللحم والوبر.

6 ينظر أسعد أحمد علي العلايلي، تهذيب المقدمة اللغوية، ص 236.

7 نظيرها في البقرة: 255، وآل عمران: 2.

1- الْقِيُومُ:

صفة تدل على الرعاية والمراقبة والإدارة والاهتمام بالأمر وصونها. وهي على وزن "فَيْعُول" من الثلاثي المجرد معتل العين أجوف واوي من "قَامَ، يَقُومُ- قَوْمًا- قَوْمَهُ- قِيَامًا- قَامَهُ فهو قائم¹ والمبالغة فيه "قِيُومٌ وقِيَامٌ وقِيَمٌ" من باب "فَعَلَ- يَفْعُلُ". والقِيُوم من أسماء الله الحسنى وهي من أبنية المبالغة، وتعني القيام بأمر الخلق وتدبير العالم في جميع أحواله²، وهو المعنى الذي ارتبطت به الكلمة في السورتين: ومنه قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ذكر السمين الحلبي أن معنى "الْقِيُومُ" هو من يقوم بأمر الخلق ويدبر العالم في جميع أحواله³.

أما "الْقِيَامُ" فإذا ما ربطناها بلفظة "الْقِيُومُ" نجد أنها لا تفيد المبالغة، بل المعنى الدلالي لكلمة الْقِيُوم وهو تدبير الشيء، والقيام بفعله على كامل وجوهه وتفاوت جهوده⁴. وقد فُتِّرت "الْقِيَامُ" على أحد عشر وَجْهًا وهي كالاتي: "الْأَمِنُ، قَائِمُونَ، الْقِيَامُ، الصَّلَاةُ، الْمُسْتَقِيمُ، الْقَائِمُ بِالْأَمْرِ الْمَعْرُوفِ، الْقِيَامُ بِالدَّعْوَةِ، الْكُونُ، الثَّابِتُ فِي الْبَيَانِ وَالْأَشْخَاصِ، الْقَوْلُ بِالْعَدْلِ، الْمَوَاطَبَةُ". ومنه قوله تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٩٧] فـ"قِيَامًا" تعني في هذه الآية وفق ما ذهب إليه السمين الحلبي الأمان؛ أي: جعل الله بيته الحرام أمانًا لهم⁵، وفي قوله تعالى: ﴿يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩١]، الوقوف على الأرجل، وفي قوله تعالى: ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة: ٥]، المستقيم أو الملة القيمة

1 ينظر ابن منظور، لسان العرب، مادة: "قَوْمٌ"، 3786/5. والفيروز أبادي، القاموس المحيط، فصل القاف باب الميم، 170/4.
2 ينظر الزمخشري، الكشاف، 384/1، والراغب الأصفهاني، المفردات، كتاب القاف، ص 416 - 417، والقرطبي تفسير القرطبي، مج 2، 271/3، وابن منظور، لسان العرب، مادة: "قوم"، 3786/5. وأبو حيان، البحر المحيط، 297/2، وابن عاشور، التحرير والتنوير، 18/3.

3 ينظر السمين الحلبي، الدر المنصون، 6/3.

4 ينظر السمين الحلبي، الدر المنصون، 539/2.

5 أي قوامًا لهم يقوم به معاشهم ومعادهم، ينظر السمين الحلبي، الدر المنصون، 354/3.

المستقيمة¹، وفي قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرَّعد: ٣٣]، القائم بأمر العباد يطعمهم ويسقيهم ويرزقهم²، وفي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المُطَفِّين: ٦] أفادت لفظة "يقوم" معنى الوقوف؛ أي: يقف الناس ويحشرون أمام الله، وفي قوله تعالى: ﴿يَنبَأُهَا الْمُدَّثِّرُ﴾^١ قُمْ فَأَنْذِرْ^٢﴾ [المدثر: ١-٢] أفادت لفظة "قم" معنى القيام بالدعوة؛ أي: اجتهد بالإنذار³، وفي قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [الزُّم: ١٢] أفادت لفظة "تقوم" معنى الكون؛ أي: تقوم الساعة، وهي يوم القيامة⁴، وفي قوله تعالى: ﴿يَنبَأُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾ [النِّسَاء: ١٣٥]، أفادت لفظة "قَوَّامِينَ" معنى القول بالعدل، وفي قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ [هُود: ١٠٠] أفادت لفظة "قائم" معنى الثابت من البنيان والأشخاص، وفي قوله تعالى: ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنُهُ بِقَنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنُهُ بِيَدِينَ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ [آل عمران: ٧٥]، أفادت لفظة "قائمًا" معنى المواظبة⁵.

تستخدم هذه اللفظة في القرآن الكريم للإشارة إلى الله تعالى في إدارة الكون بأكمله والسيطرة الكاملة لله على كل شيء وقدرته على الاعتناء بكل ما خلقه، فالله هو القائم بالأمور والمراقب للكون بأكمله.

1 القيمة في هذه الآية الكريمة اسم للأمة القائمة بالقسط المشار إليها بقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾

2 نظيرها في آل عمران: 18.

3 وهو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الإمام، العلامة الحافظ شيخ الحرم، أبو خالد أبو وليد القرشي الأموي، المكي أول من دون العلم بمكة مولى أمية بن خالد وقيل كان جده جريج عبداً لأم حبيب بنت جبر زوجة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد الأموي فنسب ولأوه إليه، وهو عبد رومي. ينظر سير أعلام النبلاء، تح: مجموعة من المحققين، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط3، 1405، 1985م)، 326/6، وينظر القرطبي، تفسير القرطبي 23/19، وفخر الدين الرازي، تفسير الماوردي، 280/8.

4 نظيرها في الروم: 14، وغافر: 26، والنساء: 135، والجاثية 27.

5 ينظر السمين الحلبي، الدر المنصون، 541/2.

الصيغة الخامسة: فَعِيل:

هذه الصيغة معدولة عن صيغة أخرى، ولا تعد من أبنية الفصحى في الأصل، بل اشتقتها العامة من "فَعَال" غالبًا، نحو "رجل سَكَّير، وَخَمِير، وَفَسِيق، وَخَبِيث، وَحَدِيث¹، وَعَبِيث²، وَسَكَّيت، وَغَدِير، وَشَرِير، وَصَدِيق، وَضَلِيل، وَفَجِير، وَصَرِير، وطائر غَرِير"³. فكانوا يستعملون شَرِير بدلًا من شَرَاب، وَطَبِخ بدلًا من طَبَّاح، وَغَدِير بدلًا من غَدَّار، وَظَلِيم بدلًا من ظَلَّام، وهكذا. وذكر السيوطي ألفاظًا لهذه الصيغة في ديوان الأدب، والصَّحاح منها شَرِير وَخَرِير⁴، وَمَرِيح⁵، وَفَحِير⁶، وَظَلِيم وَخَرِير⁷ وَرَجُلٌ فَكِير⁸. وقد قال ابن دريد: تختلف دلالة "فَعِيل" عن دلالة "فَعَال" في بعض الألفاظ كالحَمَّار، والحَمِير، فالأولى تقال لبَّياع الخمر، والثَّانية تقال لمدمن شربها⁹، بمعنى أَنَّ الحَمَّار تدل على صاحب المهنة¹⁰ والحَمِير تدل على صفة إِلَّا أَنَّ هذا لا ينطبق على كل الكلمات المشتركة في دلالة واحدة نحو: شَرَاب، شَرِير — طَبَّاح، طَبِخ؛ إذ لا فرق بينهما في الدلالة¹¹. وتختص هذه الصيغة بدلالة المتَّصف بالطبع تقول: "حَجَّين" للذي عوجه طبيعي¹². وقد أحصى إبراهيم أنيس من لسان العرب والقاموس المحيط حوالي 91 مثالًا لهذه الصيغة يدلُّ أغلبها على صفات المبالغة، ومنها ما يدل على أسماء الأشياء، ويرجع أنَّها كانت في الأصل صفات

1 حسن الحديث.

2 من العبث.

3 ينظر أبو ابن دريد، *جمهرة اللغة*، 1191/2 – 1192، وجمال الدين السيوطي، *المزهر في علوم اللغة*، 145/2.

4 أي الدليل.

5 شديد المرح.

6 شديد الفخر.

7 الكريم السخي.

8 كثير التفكير، ينظر كل هذه الألفاظ في *المزهر* 145/2 – 146.

9 ينظر *الجمهرة*، 592/1.

10 وقد مرَّ بنا في صيغة "فَعَال" أنَّ من معانيها الدلالة على الحرفة.

11 ينظر صيغة اسم الفاعل في العربية، ص 71.

12 ينظر تهذيب المقدمة اللغوية، ص 236.

ثم جرت مجرى الأسماء نحو: "فَلْيَب¹ - وعَرِّيس² - وَسَجِّين³ - صِدِّيق، قَسِيس⁴ " ويعد " فَعِيل " أصلاً في المبالغة فمعظم ما جاء منه دال على المبالغة في الفعل. وهذه بعض الأمثلة:

1- الصِدِّيقَيْن:

الصديقين: جمع "صِدِّيق" وهم الأشخاص التي تربطهم علاقة وثيقة وصداقة، وتدل على المرتبة العالية في الصِّدْق، وتشير إلى أن المتَّصِف بها قد صار الصِّدْق جزءاً من حياته، وقد اعتاده في كلِّ جزئية من جزئيات حياته.

الصدق هو الصلاح كما عرّفه السمين الحلبي، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: ٨٤]، حيث إذا أثنى عليه غيره كان صادقاً ليس كاذباً⁵، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزُّمَر: ٣٣]، ومن أمثلتها في أفعال الجوارح قوله تعالى: ﴿مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأَحْزَاب: ٢٣]. ومنه قوله تعالى⁶: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النِّسَاء: ٦٩]، فلفظة "الصِّدِّيقَيْن" تعني -بحسب السمين الحلبي- المبالغة في التَّصَدِّيق، وهم الذين كمل تصديقهم بما جاء به الرسل ﷺ فعلموا الحق وصدقوه بيقين⁷، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ

1 اسم للذئب، وهي لغة يمانية. ينظر الأزدي، *جمهرة اللغة*، ص 1191 - 1192.

2 اسم لموضع الأسد.

3 اسم لنوع من السجون.

4 يقال قس الشيء يقسه قسا، وقسسا تتبعه وتطلبه، والقس رئيس من رؤساء النصارى في الدين والعلم، وقيل هو الكيس العالم، ينظر الفراهيدي، العين، 12/5، وابن منظور لسان العرب، مادة " قسس "، 3624/5. وأبو حيان، البحر المحيط، 4/1-7.

5 ينظر السمين الحلبي، الدرر المصون، 313/4.

6 نظيرها في الحديد: 16.

7 ينظر السمين الحلبي، الدرر المصون، 504/7.

إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿مَرْيَم: ٤١﴾؛ أي: بليغاً في الصدق، وهو كثير الصدق لم يكذب قط، من صدَّق بقوله واعتقاده وحقق صدقه بفعله، وهي درجة الأنبياء¹.

دلَّت هذه اللفظة في القرآن على المؤمنين الذين يتشاركون في الإيمان والقيم المتحابين الصالحين، ويختلف معناها باختلاف السياق والاستخدام في القرآن واللغة بشكل عام، فيجب فهمها في سياقها الوظيفي داخل النص الذي تُذكر فيه.

2- الْقِسْيَسِيْنَ:

القسيس هو الصارم القاسي. وقد ذكر السمين الحلبي أَنَّ الْقِسْيَسِيْنَ جمع قِسْيَسٍ، وهي على وزن فَعِيل وتدلُّ على المبالغة، والقِسْيَسِيسُ رئيس النصارى وعابدهم، وهو من تَقَسَّسَ الشيء؛ أي: تتبَّعه وطلبه في آخر الليل، ومنه قول العرب: "تَقَسَّسْتُ أصواتهم"؛ أي: تتبَّعْتُها ليلاً، فيطلق على سيِّد النصارى قِسْيَسٍ والدليل بالليل. وقد زعم ابن عطية أَنَّ هذه اللفظة أعجمية في حين ذكر السمين الحلبي أَنَّ العرب تكلمت بالقِسِّ والقسيس². وقال عروة بن الزبير: ضيَّعت النصارى الإنجيل وما فيه، وبقي منهم رجلٌ يقال له: قِسْيَسٍ؛ أي: بقي على دينه لم يبدِّله³.

ذكر السمين الحلبي أَنَّ لفظة "قِسْيَسِيْنَ" في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيَّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قِسْيَسِيْنَ وَرُهْبَانًا﴾ [الْمَائِدَة: ٨٢] تعني كثرة الزهد والتعب في الصوامع⁴. جاءت هذه اللفظة في القرآن الكريم دالة على الأشخاص القساة في تعاملهم مع الأرامل واليتامى والفقراء.

1 ينظر المصدر السابق، 378/4.

2 ينظر السمين الحلبي، الدر المنصون، 389/4.

3 ينظر المصدر السابق، 390/4.

4 ينظر المصدر السابق، 539/4.

الصيغة السادسة: مَفْعِيل:

ذكر العلماء أنَّ هذه الصيغة تأتي للمبالغة، ولم يمثل لها سيويوه لكنه ذكر منها: "مِنْطِيق، مِسْكِين، مُحْضِر" عند كلامه على أبنية الأسماء والصفات الثلاثية الزائدة، ولم يشر إلى أنَّها صيغ مبالغة. وذكر الرضي أنَّ "مُحْضِر، مِعْطِر" من أبنية المبالغة¹، وذكر فلايش من صيغ التكبير وهي للمبالغة، ومثَّل لها بـ "مِعْطِر"²، وعدَّ رايت "wright" ما جاء على "مِفْعَل، ومِفْعَال، ومِفْعِيل" أسماء آلة في أصلها استخدمت على سبيل المجاز³. وورد هذا البناء في اللغة العربية في تسعة مواضع⁴، بصيغة الجمع، ومثاله "مِسْكِين".

- مسكين:

المسكين، مفرد، جمعها مساكين وهم الفقراء والمحتاجين، ومِسْكِين "مِفْعِيل"⁵ من الثلاثي المجرد الصحيح "سَكَن - يَسْكُن - سَكْنَى، وسُكُونًا" إذ أقام بالمكان فهو ساكن، والمبالغة فيه مِسْكِين، وتعني الذي لا شيء له، أو الذي لا شيء له يكفي عياله⁶، وإلى ذلك ذهب أبو حيان⁷، وفيه معنى التَّرحم أيضًا نقول: أنثى مسكين، ومسكينة شُبِّهَتْ بفقيرة، وتُجمع جمع تصحيح، تقول مسكينون كما تقول فقيرون⁸. وقد اتَّفَق المفسرون مع السمين الحلبي في الرأي⁹، فرأوا أنَّها تأتي للمذكر والمؤنث إذا قصد بها المبالغة، أمَّا إذا

1 ينظر جمال الدين الجبائي، شرح الشافية، 179/1.

2 أي الذي يستعمل العطر كثيرًا، ينظر العربية الفصحى، ص 115.

3 ينظر العربية الفصحى ص 115، مع الإشارة إلى أنَّ لآلة ثلاثة أوزان قياسية هي "مَفْعَل - مِفْعَال - مَفْعَلَة"، وسيويوه، الكتاب، 94/4 - 95، وابن يعيش، شرح المفصل، 111/6؛ وجمال الدين الجبائي، شرح الشافية، 186/1 - 187، جلال الدين السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، 168/2، وعبد الله آمين، الاشتقاق، ص 276.

4 ثلاثة منها في البقرة: 83 - 177 - 215، واثنان في النساء: 8 - 36، وواحدة في كلٍّ من الأنفال: 41، والتوبة: 60، والنور: 22، والحشر: 7.

5 ورد نادرًا على "مِفْعِيل" لأنَّه ليس في كلام العرب، ينظر السمين الحلبي، الدرر المصون، 575/4. 268.

6 ينظر السمين الحلبي، الدرر المصون، 275/2.

7 ينظر أبو حيان، القاموس المحيطة، فصل السين باب النون، 237/4.

8 ينظر السمين الحلبي، الدرر المصون، 465/1.

9 ينظر سيويوه، الكتاب، 840/1، وابن سيده، المخصص، 138/16، وجمال الدين السيوطي، المزهرة في علوم اللغة، 70/2.

أرادوا بها المؤنث قالوا: مسكينة، فلم يقصدوا المبالغة وإنما شبهوها بفقيرة لهذا سوَّغوا جمعها جمع تصحيح للمذكر فقالوا: مسكينون، وجمع تصحيح للمؤنث فقالوا مسكينات¹. ويلاحظ في الآيات التي وردت فيها هذه الكلمة، أنه حيثما وجدت "مسكين" تضمنت تلك الآية ألفاظاً تحمل معنى المساعدة² مثل: "إحساناً، آتى المال، أنفقتم، فازرؤوهم منه، طعام". كل ذلك يؤكد الضعف والذل، وقلة المال. ومن أمثلتها في القرآن الكريم:

ذكر السمين الحلبي في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة: ١٨٤]، أن لفظة "مِسْكِينٍ" أفادت معنى الفقير الذي لا يمتلك قوت يومه، وقد أمر الله في هذه الآية من كان مريضاً أو في سفرٍ ولم يستطع الصوم أن يدفع قيمة إفطار مسكين³، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [النساء: ٨]، كما أفادت هنا معنى الفقراء من أقارب الميت، إذا حضروا قسمة الميراث ممن لا حق لهم في التركة أمر الله إعطاءهم شيئاً من المال على وجه الاستحباب قبل تقسيم التركة⁴. ويمكن القول: إن كلمة "مسكين" تستخدم بشكل شائع للدلالة على الحاجة والفقر، بل هي للتعبير عن حالة اقتصادية للشخص تكون أقل مرتبة من الفقير.

الصِّيْغَةُ السَّابِعَةُ: صِيْغَةُ مِفْعَالٍ:

ذكر العلماء أن هذه الصيغة تأتي دالة على المبالغة والآلة. وجاءت في موضع واحد من القرآن الكريم، وهو كلمة "مِدرار" على وزن "مِفْعَال" من الثلاثي المجرد الصحيح المضَعَّف: "دَرَّ - يَدُرُّ - وَيَدُرُّ

1 ينظر السمين الحلبي، الدر المصون، 274/2.

2 ينظر المصدر السابق 536/7.

3 ينظر المصدر السابق، 275/2.

4 ينظر المصدر السابق، 575/4.

بكسر الدال وضمها¹ ذرًا - ودُرُورًا بمعنى كثر وسال² فهو دَارٌ، والمبالغة فيه مِدْرَار من باب "فَعَلَ - يَفْعِلُ"³.

تعني التواصل والاستدامة والاستمرار، وتستخدم لوصف شيء ما يتجدد أو يستمر دون انقطاع، وترتبط هذه الصيغة بالدلالة على السيلان والغزارة؛ فـ "الدال والراء" المضعفة تشير أحيانًا إلى تولّد شيء عن شيء⁴. وقد جاء في غريب القرآن لابن قتيبة: "مِدْرَارًا بالمطر؛ أي: غزيرًا من درّ - يَدِرُّ⁵. وهي صفة تفيد المبالغة، وتعني التابع، والاتّصال، وأكثر ما تكون في المطر، ويوصف بها المذكر والمؤنث⁶.

وقد ذكرت هذه الكلمة من بين أوصاف كثيرة لبيان كثرة نعم الله على الأمم السابقة، والتي قوبلت بالعصيان⁷. وذكر السمين الحلبي أنّها تعني في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ [الأنعام: ٦] التابع والسيلان، فقد أنعم الله على هؤلاء الذين يجحدون وحدانية الله تعالى واستحقاقه وحدة العبادة، ويكذبون رسوله محمد ﷺ، بأمطار وأنهار جارئة فكفروا بنعم الله وكذبوا الرسل فأهلكناهم بسبب ذنوبهم⁸.

1 ينظر ابن عصفور، الممتع، 174/1 - 175.

2 ينظر الأزدي، جمهرة اللغة، 110/1؛ وينظر ابن منظور، لسان العرب، مادة " دَرَر "، 1494/3. والفيروز أبادي، القاموس المحيط فصل الدال باب الراء، 29/2.

3 على اعتبار أنّه من المضعّف اللازم.

4 ينظر الراغب الأصفهاني، مقاييس اللغة باب الدال 255/2.

5 ينظر الدينوري، غريب القرآن، ص 150.

6 ينظر أبو حيان، البحر المحيط، 71/4 - 81.

7 ينظر المصدر السابق، 81/4، وينظر أبو الفداء، ابن كثير، 81/3، وينظر السيد قطب، في ظلال القرآن، 1037/2.

8 ينظر السمين الحلبي، الدرّ المحصون، 470/10.

إدًا، تأتي كلمة "مدرارًا" في اللغة العربية بمعنى الاستدامة والاستمرار، ولها معانٍ متعدّدة يحدّدها سياقها الطبيعي في الاستعمال.

الصِّيْغَةُ الثَّامِنَةُ: صِيْغَةُ فَعْلَانْ:

تأتي هذه الصيغة لإفادة المبالغة، إلّا أنّه يغلب مجيئها صفة مشبهة، فهي من الصيغ المشتركة، وكلمة "رَحْمَان" على وزن فَعْلَانْ، هي الكلمة الوحيدة على هذا الوزن، وهي من الثلاثي المجرد الصحيح السالم: "رَحِمَ - يَرْحِمُ - رَحْمَةً - وَرَحْمَةً - وَمَرْحَمَةً" أي رَقَّ قلبه وعطف عليه، فهو رحيم، ورحمان¹. وتُفسر كلمة "الرَّحْمَن" عادةً على أنّها صفة لله تعالى تعبّر عن الرحمة والكرم اللامتناهيين.

وروي عن الزّجاج قوله: "الرحمن اسم من أسماء الله الحسنى، ومعناه عند أهل اللغة ذو الرحمة التي لا غاية بعدها في الرحمة، لأنّها من أبنية المبالغة"². وقد ذهب المفسرون إلى أنّ "فَعْلَانْ" أبلغ من "فَعِيل" مستدلّين على ذلك بصيغتي "الرحمن - الرحيم" ففي الأولى من المبالغة ما ليس في الثّانية، ولهذا قالوا: رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا³. وقد ذكر السمين الحلبي: الرحمن صفة مشتقة من الرحمة، وهو الله عزّ وجل⁴، ومنه قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣] حيث أفادت لفظة "الرحمن" معنى المبالغة في الرحمة والعطف، وهي رحمة الله بعباده التي لا تعدّ ولا تُحصى، فهي صفة لله عزّ وجل⁵.

1 ينظر ابن منظور، لسان العرب، مادة "رَحِمَ"، 1617/3. وينظر أبو حيان، القاموس المحيط، فصل الرّاء باب الميم، 119/4.

2 ينظر ابن سيده، المخصص، 151/17.

3 ينظر الزمخشري، الكشاف، 41/1.

4 ينظر السمين الحلبي، الدرّ المصون، 92/8.

5 ينظر السمين الحلبي، الدرّ المصون، 29/9.

فالرَّحْمَن كلمة ذات دلالة دينية تستخدم للإشارة إلى صفة الرحمة اللامحدودة لله تعالى في اللغة العربية، والقرآن الكريم.

المبحث الرابع: دلالة الصفة المشبهة

اسم مصوغ من الفعل اللازم لغير تفضيل¹ يدل على ثبوت الصفة لصاحبها ثبوتاً تاماً²، وفكرة ثبوت الحدث في الصفة المشبهة باسم الفاعل من أقوال المتأخرين؛ إذ لم يُؤثّر عن سيبويه ومن في طبقته مثل هذا، وعندما نقرأ دراسات المتأخرين نلاحظ جدلاً كبيراً بينهم حول معنى الثبوت في الصفة المشبهة، وكيف يتحقق ذلك. ومن هؤلاء من يقول بوجود ثبوت مطلق ويعطيه تفسيراً خاصاً كالرضي في شرح الشافية³، وهذا للإحساس نجده عند سيبويه فقد كان يرى أنَّ الحدث في بعض الصفات يختلف عن الحدث في الفعل واسم الفاعل⁴ فلو أخذنا مثلاً قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ لوجدنا أنَّ في الصفتين "مَيِّتٌ" و"مَيِّتُونَ" معنى الحدوث والتجدد⁵. فإذا أُريد بالصيغة الدلالة على الحدوث والتجدد، لا الثبوت نقلت إلى اسم الفاعل أو اسم المفعول: تقول "مَائِتٌ - سَائِدٌ، حَاسِنٌ، كَارِمٌ" بدلاً من: "مَيِّتٌ - سَيِّدٌ - حَسَنٌ -

1 يقصد بهذا أنَّ الصفة المشبهة تدل على نسبة الحدث إلى موصوفها، والصفة الدالة على التفضيل تفيد أنَّ اثنين اشتراكا في صفة وزاد أحدهما على الآخر نحو: "أعلم - أكثر - أحسن"

2 ينظر سيبويه، الكتاب، 194/1، وما بعدها، والمبرد، المقتضب، 158/4، وما بعدها، وابن يعيش، شرح المفصل، 81/6، وما بعدها، والغرناطي، التسهيل لعلوم التنزيل، ص 183، وما بعدها، وأبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، ضبطه وكتبه هوامشه وعلّق عليه: نعيم زرزور، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 1407هـ، 1987م)، ص 50، والطائي الجبائي، شرح الشافية، 205/2، وجمال الدين ابن هشام، قطر الندى وبل الصدى، ص 277.

3 ينظر الطائي الجبائي، شرح الشافية، 147/1 - 148، والمصدر نفسه، 205/2 - 206.

4 ينظر إبراهيم أنيس، دراسات في بعض صيغ اللغة، (مجلة مجمع اللغة العربية القاهرة، العدد 22)، ص 65.

5 اختلف العلماء حول هاتين الكلمتين، فقد قرأ ابن الزبير، وابن إسحاق، وابن محيصن، وعيسى، والسيماي، وابن أبي غوث، وابن عجلة: ﴿إِنَّكَ مَائِتٌ وَإِنَّهُمْ مَائِتُونَ﴾ وهي تشعر بحدوث الصفة، وقرأ الجمهور ﴿مَيِّتٌ وَمَيِّتُونَ﴾ وهي تشعر بالثبوت واللزوم كالحي، ينظر أبو حيان، البحر المحيط، 408/7.

كريم" كما في قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ﴾ [هود: ١٢] حيث عدل عن ضيق إلى ضائق لما أراد الحدوث والتجدد، لأن الضيق عارض لا ثابت¹. تقول: زيدٌ ميّت إذا حصل فيه الموت ولا تقل: مائت، فإذا أردت المستقبل قلت: مائت غداً، فتجعل فاعلاً جارياً على فعله².

ويفهم من هذا أن الثبوت في الصفة المشبهة ليس مطلقاً، بل نسبياً، يختلف باختلاف المواقف، ومقتضى الكلام، فصفة الثبوت في بطل، وحسن وكريم، وأسود، وجبان، وشرس، أكثر منها في: "بعيد، مريض، عطشان، سكران"، وقد اختلف النحاة بشأنها، فبعضهم يرى أن أبنيتها هي نفسها أبنية أسماء الفاعلين³ باستثناء "فاعل" وهو ما يعني أنهم لا يفصلون بين اسم الفاعل والصفة المشبهة؛ إذ هي اسم فاعل أريد به الثبوت، وأخذ من فعل لازم، فإذا أرادوا به الدلالة على الحدث والتجديد جاءوا بـ "فاعل". وعلى الرغم من أن سيبويه عقد لها باباً خاصاً إلا أنه لم يفرّق بين صيغتها، وصيغ اسم الفاعل، وصيغ المبالغة⁴ وللتشابه الذي بينها وبين اسمي الفاعل والمفعول، وصيغ المبالغة، فإن كثيراً من مدلولات صيغتها تتداخل فيما بينها، ولا يُفرّق بينها إلا السياق. ومن أهم أوزانها:

الصيغة الأولى: صيغة فَعِيل:

تأتي هذه الصيغة اسماً، وصفة، فالاسم مثل: "بعيد، وهدير، وضجيج، وصهيل، ونهي، وغيرها، والصفة مثل: "سعيد، وشديد، وقدير، وعليم"⁵.

1 ينظر الزمخشري، الكشف، 261/2، وأبو حيان، البحر المحيط، 208/5، وابن يعيش، شرح المفصل، 63/6.

2 ينظر ابن سيده، المخصص، 156/16.

3 ينظر سيبويه، الكتاب، فصل اسم الفاعل، ص 37-38.

4 ينظر سيبويه، الكتاب، 194/1-202.

5 ينظر سيبويه، الكتاب، 267/4، وابن جني، المنصف، (بيروت: دار إحياء التراث القديم، ط1، 1373هـ، 1954م)، 16/1، وابن عصفور، الممتع الكبير في التصريف، 84/1.

وتأتي إذا كانت صفة بمعنى "مفعول" نحو: "قتيل، وجريح" بمعنى: "مَقْتُول، مَجْرُوح". وفي هذا تلتقي مع الساميات في التعبير عن "مفعول" بوزن "فَعِيل" فقد ذكر بروكلمان أنَّ "فَعِيل" بمعنى "مَفْعُول"¹. وقد أكَّد القدماء² أنَّ "فَعِيل" بمعنى "مَفْعُول" كثير في لسان العرب، ولكثرته لم يُقَسَّ عليه.

وتأتي بمعنى "مُفَاعِل" كـ"جلس، وسمير، بمعنى مُجَالِس ومُسامر، وبمعنى "مُفَعِّل" كـ"حكيم بمعنى مُحَكِّم، ومعنى "مُفَعِّل" كـ"بَدِيع بمعنى، مُبْدِع"³ وتأتي صيغة مبالغة. يقول الزركشي: "وَأَمَّا فَعِيل عند النُّحاة من صيغ المبالغة، والتَّكرار، كـرحيم، وسميع، وقدير، وخبير، وحفيظ، وحكيم، وعليم، وحليم"⁴. وتأتي الصفة المشبهة جمع تكسير للدلالة على الكثرة، نحو "كَلْب، كَلِيب – عَبْد، عَبِيد" على وزن فَعْل – فَعِيل، ونحو: "ضُرْس، ضُرَيْس" على وزن فَعْل – فَعِيل.

تعدُّ هذه الصيغة من الصيغ المطَّردة في العربية، وهذا ما يدل على تنوع معانيها الدلالية، وارتباط معنى الصيغة الدلالي بما قبلها وما بعدها في السياق، وقد يأتي منها أسماء أعيان، وأسماء معانٍ، وصفات، لكثرة اشتراكها بين الصفة المشبهة، وبين صيغ المبالغة، ويمكن التفريق بينها على رأي إبراهيم أنيس عن طريق ما اصطُحَّح تسميته بالإيجابية أو الاختيارية والسلبية أو الاضطرارية، وهي مصطلحات. يرى أنَّها أكثر مناسبة للتفريق بين صفتي الثبوت والحدوث التي عُهِدَتْ عند القدماء⁵.

فالألفاظ مثل: "رَحِيم، وعَلِيم، وقدير" تكون من صيغ المبالغة إذا أفادت الإيجابية، وتكون من الصفات المشبهة إذا أفادت السلبية، فالأفعال: "قعد، جلس، نزل" تحمل معنى الإيجابية، لأنَّ إرادة الإنسان،

1 ينظر إبراهيم أنيس، دراسة في بعض صيغ اللغة، (مجلة مجمع اللغة العربية القاهرة، العدد 22) ص 92 – 94.

2 ينظر ابن سيده، المخصص 155/16، وابن مالك، شرح ابن عقيل، 138/2، وحاشية الخضري، 55/2.

3 ينظر تفسير غريب القرآن، ص 16 وما بعدها، والمخصص، 155/6 – 161، والأضداد لأبن الأنباري، ص 362؛ وأبو حيان البحر المحيط، 172/1 – 173، والحملاوي، شذا العرف، ص 77.

4 ينظر الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 510/2، وسيبويه، الكتاب، 115/1.

5 ينظر ابن قتيبة، أدب الكاتب، ص 561 – 563، والعربية الفصحى، ص 87.

واختياره يتدخّلان في ذلك، فيما تحمل الألفاظ: "مرض، كبر" السلبية إذ لا إرادة للإنسان في ذلك، ولا اختيار له، فالحالة اضطرارية ومن، ثم تكون: "مريض، كبير" من الصفات المشبهة، وهي صفات عرفت عند القدماء بصفة الثبوت¹.

وقد وردت هذه الصيغة في القرآن الكريم 225 مرّة، وقد تبيّن من الاستقراء أنّ هذه الصيغة جاءت من الأبواب: "فَعَلَ - يَفْعُل" و"فَعَلَ - يَفْعُل" و"فَعَلَ - يَفْعُل" و"فَعَلَ - يَفْعُل"، لكن أغلبها من: "فَعَلَ - يَفْعُل"؛ لأنّ أغلب الصفات تدل على الغرائز والطبائع، وما شابه ذلك مما يدلّ على الثبوت، والاستمرار.

أمّا ما جاء على "فَعَلَ - يَفْعُل" فقليل على الرغم من أنّه باب رئيس في الصفة المشبهة، لأنّه يُطلب في الأدواء الباطنية، والعيوب الظاهرة والخُلُي، والأحزان، وهي صفات قليلة نسبياً في القرآن الكريم. وما جاء من "فَعَلَ" باختلاف عين المضارع، فنسبته ضعيفة، لأنّ الغالب في هذا الباب التعدية لا اللزوم، نحو: الدخول، والخروج، والقيام والقعود.

وقد تنوعت دلالات أمثلة هذه الصيغة، فجاءت دالة على المسافة، وعلى العدد، والكميّة، وما في حكمها، وعلى القوة والضعف، وما في حكمها، وعلى الرفعة والصفات الحميدة، والذميمة، والداء، والطبّة والمصاحبة والتجّدّد. ومن أمثلتها ما يلي:

1- بَعِيدٌ:

تفسّر هذه اللفظة في كتب المعاجم بالبعد الزماني والمكاني، وأحياناً تستخدم للدلالة على عدم القرب أو البعد على المستويين الجسدي والرمزي. وهذه الصفة ليست وصفاً لجسم الفاعل، وإنّما هي صفة

1 ينظر دراسة في صيغ اللغة العربية، 95/22.

لموقع يقعه على نحو عارض، وتُعبر عن كميّة المسافة أو مُدتها التي يكون عليها الفاعل، ما يُؤيد الرأي القائل: إنّ الثبوت في الصفة المشبهة ليس ثبوتاً مطلقاً، وإنّما هو نسبي، والبعد والقرب ضدان، وليس لهما حدّ معيّن، وإنّما ذلك بحسب اعتبار المكان بغيره، ويستعمل كلٌّ منهما في المعقول والمحسوس¹. وبعيد "فَعِيل" من الثلاثي المجرد الصحيح السالم: بَعَدَ - يَبْعُدُ - وبعداً أي صار بعيداً وبُعَادًا. وقد ذكر السمين الحلبي: "بعيد" ظرف للزمان وهو نقيض قريب²، والبعد يعني الهلاك، ومنه قوله تعالى: ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا آلَا بُعْدًا لِّمَدَّيْنٍ كَمَا بَعَدَتْ ثُمُودٌ﴾ [هُود: ٩٥] وقوله تعالى: ﴿بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾ [سَبَأ: ٨]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا قَوْمٌ لُّوطٍ مِّنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾ [هُود: ٨٩]، ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًّى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [فُصِّلَتْ: ٤٤] فهي كناية عن عدم سمعهم كلام الحق، فهم كمن ينادى عليه من بعيد³. ومنه قول النابغة: [من البسيط]

فتلك تبغني النعمان إن له فضلاً على النَّاسِ في الأدنى وفي البعد⁴
ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [البَقَرَة: ١٧٦] فـ "بعيد": ضد قريب، ويقال بَعَدَ: بالكسر، وقد جاءت في هذه الآية صفة للشقاق وللأمد، والضلال، فقد وصف الشقاق بالبعد إمّا لكونه بعيداً عن الحق، وإمّا بعيداً عن الألفة، وإمّا كني به عن طول المعادة بين المختلفين في الكتاب⁵.

كلمة "بعيد" تستخدم بشكل شائع في اللغة العربية وتتنوع دلالتها بحسب السياق، فيمكن استخدامها للإشارة إلى البعد المكاني والزمني، وأحياناً للإشارة إلى البعد المعنوي أو الرمزي.

1 ينظر الراغب الأصفهاني، المفردات، كتاب الباء ص 53.

2 ينظر السمين الحلبي، الدر المصون، 593/8.

3 ينظر السمين الحلبي، الدر المصون، 377/6.

4 النابغة الذبياني، ديوانه، ص 20.

5 ينظر المصدر السابق، 377/6.

2- قَلِيلٌ :

تستخدم هذه اللفظة عادةً للدلالة على الندرة والكمية القليلة، وقد فُسِّرَتْ لفظة "قليل" في القرآن الكريم على عدة أوجه من الدلالات وهي كالآتي: "يسير"¹، رياء وسمعة، لا شيء، قليل في كثير، عدة أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر، عدة قوم طالوت ثمانون نفساً، عبد الله بن عباس، صفة لمناج الدنيا، الإيمان".

القلة والكثرة ضدان يستعملان في الكمية المنفصلة كالأعداد، كما العظم والصغر يستعملان في الأجسام، وقد يستعار كل من الكثرة والعظم من الصغر، والقلة، وهما من الصفات التي لا تجوز في حقه تعالى²، فقليل: من الثلاثي المجرد الصحيح المضَعَّف: "قَلَّ - يَقِلُّ - قِلَّةٌ - وَقُلٌّ، أي نقص، فهو قليل وقُلَّال، وقُلَّال"³ من باب "فَعَلَ - يَفْعِلُ".

ذكر السمين الحلبي أنَّ المراد بـ "القلة" ما كان قليلاً وصغيراً وهي تقابل الكثرة ويستعملان كلاهما في الأعداد⁴، وقد ذكر أنَّ الدلالة مرتبطة بسياقها؛ ففي قوله تعالى: ﴿قُمْ الْيَلَّ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الزَّمَل: ٢] تتعلّق دلالتها بالزمن، وفي وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأَحْزَاب: ٢٠]، تتعلّق بالقتال، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ [المَائِدَة: ١٣]، تتعلّق بالأشخاص. ويكنى

1 هذه اللفظة دلت على اليسير من الثمن، لأنَّه مهما بلغ ما بلغ، فإنَّه بالنسبة لآيات الله قليل، ولا يمكن أن يعوضها.

2 ينظر الراغب الأصفهاني، المفردات كتاب القاف، ص 410، وابن عاشور، التحرير والتنوير، 344/3.

3 ينظر ابن فارس، مقاييس اللغة، باب القاف، 3/5، وابن منظور، لسان العرب، مادة "قُلَّ"، 3726/5. وأبو حيان، القاموس المحيط، فصل القاف باب اللام، 40/4.

4 ينظر السمين الحلبي، الدرر المحصون، 378/6.

بالقلة عن الذلة¹. ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرْتُكُمْ﴾ [الأعراف: ٨٦] وقول الأعشى: [من الرجز]

وَلَسْتُ بِالْأَكْثَرِ مِنْهُمْ حَصَى وَإِنَّمَا الْعِزَّةُ لِلْكَاثِرِ²

وتارةً أخرى يكنى بها عن العزة³. وتتعدد دلالتها بتعدد السياقات التي تأتي فيها، فهي في قوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾ [سبأ: ١٣] تشير إلى قلة من يشكر الله من عباده، وفي قوله تعالى: ﴿قَوْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البقرة: ٢٧٩]، جاءت صفة تفيد الكمية المتعلقة بالمال؛ أي: مالا قليلا. ولعلَّ فيها إشارة إلى الحسنة؛ فالمال المعطى لقاء ذلك وضيعٌ جدًّا مقارنة بكتاب الله تعالى. وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ١٨] أفادت الرياء والسمعة، وفي قوله تعالى: ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٠]، أفادت لفظة "قليلا" معنى لا شيء؛ أي: لا يشكرون ألبتة⁴، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءَ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ [الشعراء: ٥٤]، أفادت لفظة "قليلون" معنى القليل في الكثير⁵، حيث كان أصحاب موسى عليه السلام ستمائة ألف وأصحاب فرعون سبعمائة ألف⁶، وقال تعالى: ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، أفادت لفظة "قليلا" معنى ثلاثمائة وثلاثة عشر⁷ وهم قوم لوط، وقوله تعالى: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠] أفادت لفظة "قليل" سفينة

1 ينظر المصدر السابق، 528/2.

2 البغدادى، خزانة الأدب، 185/1.

3 ينظر السمين الحلبي، الدرر المصون، 359/5.

4 نظيرها في المؤمنون: 78، والسجدة: 91، والنحل: 95، والملك: 24، والحاقة: 41 42.

5 ينظر السمين الحلبي، الدرر المصون، 359/5.

6 عن قيس بن عباد، قال إنَّ الشِرْذِمَةَ الذين سماهم فرعون من بني إسرائيل كانوا مائة ألف. قال: وكان مقدمة فرعون سبعمائة ألف وقال مجاهد: هم يومئذ ستمائة ألف، ولا يحصى عدد أصحاب فرعون، ينظر السمين الحلبي، الدرر المصون،

7 عدد أهل بدر، عن البراء بن عازب، قال: كنا نتحدث أنَّ أصحاب بدر يوم بدر، كعدة أصحاب طالوت ثمانون رجلاً، وثلاثة عشر رجلاً، الذين جاوزوا النهر.

قوم نوح، فقد كانوا ثمانين نفساً: أربعين رجلاً وأربعين امرأة، وفي قوله تعالى: ﴿مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [الكهف: ٢٢٢]، دلت لفظة "قليل" على عبد الله بن عباس¹، وفي قوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]، أفادت لفظة "قليل" معنى قلة الإيمان، وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ مَتَّعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [التيساء: ٧٧]، أفادت لفظة "قليل" معنى صفة المتاع²، فقد وُصِفَ المتاع في الآية بالقلة لسرعة انقضائه إمّا بالأجل أو بخروج محمد ﷺ³.

وخلاصة القول إنّ هذه اللفظة تستخدم للإشارة إلى الكمية القليلة أو الندرة، وتنتشر بشكل واسع في اللغة العربية وتتنوع دلالتها بحسب السياق التي تستخدم فيه.

3- عَظِيمٌ:

تستخدم كلمة عظيم للإشارة إلى شيء، ضخّم أو كبير في الحجم أو القيمة، ومنها جبل عظيم وثروة عظيمة، وفي السياقات الدينية العظمة والرفعة تستخدم للإشارة إلى الله تعالى وصفاته العظيمة، منها في وصف الله عظيم العلم، وعظيم القدرة، وتأتي أيضاً في صفاته بمعنى الرفعة والجلالة. وقد فُسِّرَت في القرآن الكريم في أحد عشر وجهاً دلاليّاً، هي: "الجليل، الشَّدِيد، المُتَقَبَّل، الهائل، العاصم، الرئيس، الحَسَن، الكَبِير الحَجْم، الشَّرِيف، العَزِيز". فـ "عَظِيمٌ" صيغة الصِّفَةِ المشبَّهة التي تأتي على وزنٍ "فَعِيلٌ" من الثلاثي المجرد الصحيح السالم: "عَظُمَ - يَعْظُمُ - عِظْمًا - وَعَظْمَةً" أي كَبُرَ، وصار فَحْمًا فهو "عَظِيمٌ، وَعُظَامٌ" من باب "فَعَلَ - يَفْعُلُ".

1 كان أبو عباس يقول: أنا من ذلك القليل - كانوا سبعة وثامنهم كلهم، ثم ذكر السبعة بأسمائهم. ينظر السمين الحلبي، الدر المصون، 354/9.

2 ينظر المصدر السابق، 700/4.

3 للمفسرين أقوال في معنى الإمتاع أهو بالنعيم أو بالزينة أو بالإهمال، أو بالرزق، أو بالبقاء في الدنيا، ينظر أبو حيان، البحر المحيط، 384/1.

وقد يحدث أن يوصف الشيء بالعظم تارة، والكبر تارة أخرى، ولتقارب معنيهما يمكن أن تحلَّ إحداهما محل الأخرى في كثير من الأساليب، إلا أنَّ فرقاً في المعنى، قد يختفي على الكثير، فقد يستعمل العظيم، فيما لا يستعمل الكبير والعكس¹.

يقول الزمخشري: "والفرق بين العظيم والكبير، أنَّ العظيم نقيض الحقير، والكبير نقيض الصغير، ويستعملان مع الجثث والأحداث، تقول: "رجل عظيم وكبير تريد جثته أو خطورته"².
وَوَصَّفُ الله تعالى بالعظمة يعني عظيم الشأن، واستحقاق الحمد، والامتناع عن مساواة الصغير له بالضعيف.

أمَّا وصف الإنسان بها، فيعني الذي ليس فوقه أحد من النَّاس، فلا تكون الصفة به إلاَّ السُّودد والسلطان، وقد استعمل الرسول ﷺ، صفة "عظيم" عندما راسل كسرى عظيم الفرس، فكانت تدلُّ على عِظَم الأمر لعظيم الجثة ثم نُقِلَ لعظيم الشأن، كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأنعام: ١٥]، سُمِّيَ عَظِيمًا لعظم ما فيه من الآلام، والبلاء، وما تسع أن يكون فيه العظم، استحقَّق أن يوصف بأنَّه عظيم كالفيل، والجبل والبحر، وعظمته مطلقة بالنسبة إلى مدركات البصر³.

فما وُصِفَ بالعظمة في السور مما سوى الله، فإنَّه إمَّا من جهة الكثرة والتَّضَعِيف، وإمَّا من جهة الشِّدَّة، وإمَّا من جهة الشأن، ففي قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَرِهِمْ غِشَاوَةً

1 ينظر أبو هلال العسكري، الفروق في اللغة، تح: محمد إبراهيم سليم، (القاهرة: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، د.ت)، ص 177، وأبو

حامد الغزالي، المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، ص 82.

2 ينظر الزمخشري، الكشاف 1/165، والبيضاوي، تفسير البيضاوي، 1/76.

3 ينظر أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص 177.

وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ [البقرة: ٧] يقصد بالعظمة هنا، إمّا الكثرة، أو الشّدة. يقول أبو حيان: " فإنّه لو اقتصر على قوله "عذاب" ولم يقل عظيم لاحتمل القليل والكثير ¹.

وقد جاءت هذه الصفة نكرة في ست وعشرين مرّة، وذكر العلماء أقوال في أسباب التنكير²؛ وسبب تنكيرها هو ما يدل على عظمتها أي لهم من الآلام لا يعلمه إلّا الله ³. وذكر السمين الحلبي: العظم صفة لله عزّ وجل وهي جلالته وقدرته وجبروته، وأصلها من الكبر والزيادة في كل ما هو محسوس. فنقول: عظم الرجل؛ أي: كبر عظمه وكثر ⁴، ومنها: العظم المعروف، وهو جسد الإنسان، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾ [مريم: ٤]؛ أي: وهن منه أقوى ما فيه، وهو كناية عن كبر السن ⁵، ومنه قول الشاعر: [من الخفيف]

نضر الله أعظمًا دفنوها بسجستان طلحة الطلحات ⁶

ويجوز استعمالها في المعاني، ومنه قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٦] أي عذاب كبر جبروته وعظمتها، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُوَدُّهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، أفادت لفظة "العظيم" معنى الجليل؛ أي: الجليل في قدره ⁷. وفي قوله تعالى: ﴿وَقَدَيْنَهُ

1 ينظر أبو حيان، البحر المحيط، 179/1، قال القرطبي: " والعذاب مثل الضرب بالسوط والحرق بالنار، والقطع بالحديد إلى غير ذلك مما يؤلم الإنسان "، القرطبي، تفسير القرطبي، مج 1، 192/1.

2 ينظر بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 91/5 - 92، وأبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، ص 191 - 194، والسيوطي، الإتقان في علوم القرآن، 29/2 - 293، وأحمد فتح الله الشيخ، لغة القرآن الكريم فضلها ومكانتها ووجوب تعلمها، ط 1، 1440هـ، 2019 م، ص 340 - 341، وعبد الفتاح لاشين، من أسرار التعبير في القرآن صفاء الكلمة، (دار المريح للنشر، 1403هـ، 1983م)، 17 - 18.

3 ينظر تفسير البيضاوي 78/1 - 77.

4 ينظر السمين الحلبي، الدر المنصون، 117/11.

5 ينظر المصدر السابق، 540/2.

6 البغداددي، خزنة الأدب، 14/8.

7 نظيرها في البقرة: 105، وآل عمران: 74 - 174، والأنفال: 29، والشورى: 4، والواقعة: 74، 96، والحديد: 21 - 29، والحاقة: 33، 52، والحجرات: 87.

يَذِجُ عَظِيمٍ﴾ [الصَّافَات: ١٠٧]، أفادت لفظة "عَظِيمٌ" معنى الْمُتَقَبَّل. وفي قوله تعالى: ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [السُّطَفَيْن: ٥ - ٦] أفادت لفظة "عَظِيمٌ" معنى الهائل؛ أي هائلاً¹. وفي وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا قَمِيصَهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يُوسُف: ٢٨]، أفادت لفظة "عَظِيمٌ" معنى العاصم؛ أي: عاصماً يَخْلُص إلى البريء والسَّقِيم²، وفي قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ﴾ [التَّوْر: ١٦] أفادت لفظة "عَظِيمٌ" هنا معنى الثَّقِيل. وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزُّحُف: ٣١] أفادت لفظة "عَظِيمٌ" معنى الرئيسين الكبيرين، وهما الوليد بن المغيرة، وأبو مسعود الثقفي³، وفي قوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النَّمْل: ٢٣] أفادت لفظة "عَظِيمٌ" معنى الحسن؛ أي: حَسَنًا مُزَيَّنًا، وهذا إخبارٌ عن الهدهد⁴، وفي قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [النَّمْل: ٢٦] أفادت لفظة "عَظِيمٌ" معنى الطويل العريض العميق⁵، وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ [ص: ٦٧]، أفادت لفظة "عَظِيمٌ" معنى الشريف؛ أي: القرآن خبرٌ شريف كريم⁶.

4- نَبِيٌّ:

- 1 نظيرها في الأنعام: 17، والأعراف: 59، ويونس: 15، ومريم: 37، والشعراء: 135 - 156 - 189، والزمر: 13، والأحقاف: 21.
- 2 قال سول الله ﷺ: "إِنَّ كَيْدَ النِّسَاءِ أَعْظَمُ مِنْ كَيْدِ الشَّيْطَانِ، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَادٌ ضَعِيفٌ﴾، وقال: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾، ينظر السمين الحلبي، الدر المصون، 130/1.
- 3 القرينان: مكة وطائف، والرجلان: الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم عم أبي جهل، ومن الطوائف: أبو مسعود عروة بن مسعود الثقفي، ينظر القرطبي، تفسير القرطبي، 83/16، وينظر السيوطي، أسباب النزول، ص 103 - 151.
- 4 نظيرها في القلم: 4.
- 5 نظيرها في التوبة: 129، والمؤمنون 86، والتغابن: 15.
- 6 نظيرها في النبأ: 2.

كلمة عربية تشير في اللغة والمعاجم وفي القرآن الكريم إلى دور الشخص الذي يُرسل من الله لنقل رسالته وتوجيه الناس إلى السبيل الصحيح.

نَبِيٍّ "فَعِيلٍ" من الثلاثي المجرد الصحيح المهموز اللام من "نَبَأ - يَنْبَأُ - نَبَأًا - وَنُبُوءًا" من باب "فَعَلَ - يَفْعُلُ" وقد اختلفوا في اشتقاقها إلى قولين¹:

1- ذهب سيبويه إلى أنَّه من النبأ وأصله النبيء، ثمَّ خُفِّفَ لكثرة الاستعمال على أنبياء، وأصلها "أَنْبِئَاء" ثُمَّ حُقِّقَتْ بقلب الهمزة ياء².

2- قيل إنَّه أصل آخر، وغير مُحَقَّق ومُشْتَقٌّ من نبا ينبو، إذا ظهر وارتفع، والأصل نَبِئُو، اجتمعت الياء والواو وسُبِقَتْ إحداها بالسكون، فقلبت الواو ياء وأدغمت في الباء³.

وأشار المبرد إلى أنَّ من خفف فقال "نَبِيٍّ" جمعها على "نُبَاء" برَدِّ الهمزة إلى أصلها ومن قال: "نَبِيٍّ" على البدل جمعها على أنبياء، كشقي وأشقياء، وغني وأغنياء، وكذلك تجمع إذا كانت من معتل؛ أي: من "نَبَأ - يَنْبُو"، بمعنى ظهر وارتفع لله⁴.

والذي أراه: "النَّبِي" بغير الهمز أبلغ من النبي بالهمز، لأنَّه ليس كل "مُنْبَأً" رفيع القدر والمحل والدليل على ذلك رفض الرسول ﷺ قول من خاطبه يا "نبيي" الله بالهمز، فبغض منه وأجابه: (لست نبيي ولكني نبي الله)⁵. المراد من ذلك إذا الهمز كان بمعنيين:

1 ينظر سيبويه، الكتاب 464/3، والمبرد، المقتضب، 161/1؛ والطائي الجباني، شرح الشافية، 35/3.

2 ينظر سيبويه، الكتاب، 460/3 - 555.

3 ينظر الراغب الأصفهاني، معجم مفردات اللغة، الإبدال والإعلال في القرآن الكريم، ص 255.

4 ينظر المبرد، المقتضب 161/2 - 162.

5 ينظر عباس أبو سعود أزهير، الفصحى في دقائق اللغة، (القاهرة: دار المعارف، ط2، د.ت)، ص 105 - 106).

أ - إِنَّهُ بمعنى المنبئ المخبر عن الله تعالى، فهو "فَعِيلٌ" بمعنى فاعل، كنصير بمعنى ناصر مأخوذ من الأنباء بمعنى الأخبار، تقول: أنبأ، ينبئ، إنباء، فهو منبئ، ونبيئ.

ب - أَنَّهُ بمعنى الخارج من أرض إلى أرض، وهو مأخوذ من الإنباء؛ أي: الإخراج من أرض إلى أرض.

فقد ذكر السمين الحلبي: "النَّبِيُّ" مفرد جمعها الأنبياء، وقراها القراء على ترك الهمز¹ ونافع المدني على الهمز في كل المواضع إلا في سورة الأحزاب في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَبْظِيرٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، أمّا من قرأها بالهمز جعلها مشتقة من النبأ، وهو الخبر، فالنبيّ فاعيل بمعنى فاعل، أي منبئ عن الله برسالته، وقد يكون بمعنى مفعول أي مُنبأ من الله²، واستدل على ذلك بجمعه على نبأ، ومنه قول العباس بن مرداس: [من الكامل]

يا خاتم النبأ إنك مرسل بالخير، كل هدى السبيل هداكا³

فوجود الهمزة يدلُّ على دلالة النبأ، والذي هو الخير، أو مأخوذ من النَّبِيّ، وهو الطريق، فالنبي طريق

الله إلى خلقه⁴، ومنه قول الشاعر القطامي: [من البسيط]

لما وردن نبيا استتببنا مُسْحَنَفَرٌ كَحُطُوطِ النَّسْجِ مُنْسَجِلٌ⁵

1 ينظر السمين الحلبي، الدر المصون، 399/1.

2 ينظر السمين الحلبي، الدر المصون، 400/1.

3 المبرد، الكامل في اللغة والأدب، 16/3.

4 ينظر المصدر السابق، 400/1.

5 أبو يد القرشي، جمهرة أشعار العرب، ص650.

تدل كلمة "نبي" إذاً في اللغة والمعاجم والقرآن على الشخص الذي يلعب دوراً رئيساً في نقل الرسالة الإلهية والتوجيهية للبشرية، وهي شخصية تحظى بتقدير واحترام كبيرين في الديانات السماوية كالإسلام والمسيحية واليهودية.

5- سَفِيْهَا:

السَّفْهُ هي فقدان العقلانية والحكمة والاتِّصافُ بالسذاجة والجهل، فهي كلمة تستخدم للتعبير عن انتقاد أو استهجان سلوك أو قرار معين.

وذكر السمين الحلبي: سَفِيْةٌ "فَعِيْلٌ" من الثلاثي المجرد الصحيح السالم سَفِهَ، يَسْفُهْهُ سَفْهُاً، وَسَفَاهَةً، وهو الطيش وضعف العقل وخفة النفس، والسخافة، يقال سَفِهَ بالضم، وهو القياس عند ابن حيان¹، أي صار سَفِيْهَاً، فإذا قرأت بالكسر فهو من متعدٍّ، وإذا قرأت بالضم، فهو من اللازم، وقد تتضمن أيضاً معنى الجهل، وارتبطت دلالتها في النَّصِّ القرآني بالتبذير والجهل، كما جاءت مفرداً وجمعاً على "فُعَلَاء"²، والسَّفِيْه: الجاهل. وأصله خفة النسج في الثوب والبدن، ومنه خَفَّةُ العقل في أمور الدنيا والآخرة³، كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيْهَاً أَوْ ضَعِيْفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ﴾ [البَقَرَةُ: ٢٨٢]، فالسفيه هنا ضعيف العقل بسبب خفته، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا﴾ [النِّسَاء: ٥] وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَفْقَهُ سَفِيْهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾ [الحِج: ٤]، ومنه قول الشاعر: [من الكامل]

1 ينظر أبو حيان، البحر المحيط،

2 ينظر السمين الحلبي، الدرر المصون، 2/ 204.

3 ينظر المصدر السابق، 2/ 204.

أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم إني أخاف عليكم أن أغضباً¹
 أي: إذا غضب جاهلوكم. وقد اتفق المفسرون مع السمين الحلبي²، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَنْتُمْ كَمَا
 عَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ﴾ [البقرة: ١٣] أفادت لفظة "السُّفَهَاءُ" معنى الجهال³، وركاكة العقل⁴.

6- مَرِيضًا:

تستخدم هذه اللفظة للدلالة على الحالة الجسدية والعقلية والنفسية والصحية للشخص، ولها أربعة
 وجوه دلالية، هي: "الشكُّ، الفُجُورُ، الجُراح، المرض بعينه". وهي على وزن "فَعِيلٌ" من الثلاثي المجرد
 الصحيح السالم: مَرَضَ، يَمْرُضُ، مَرَضًا، ومُرَضًا، فهو مَارِضٌ ومَرِضٌ، والمريض: من به مرض أو نقص أو
 انحراف عن الحقِّ، فيشمل بذلك مرض الجسم، ومرض القلب، والعقل⁵، وارتبطت في أغلب الآيات التي
 وردت فيها بالدلالة على الداء الجسدي ووردت مُفْرَدَةً، ومجموعة، وجمع تكسير وتأتي بمعنى الهلاك أو الوجع
 أو التشتت⁶. ومنه قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: ١٠] فقد ذكر السمين الحلبي
 أنَّ المراد بالمرض هو الخروج عن الوضع الطبيعي للإنسان وبقاؤه في حالة غير معتدلة، وقد يكون سبب هذا
 الخروج بسبب مرض جسدي، كقوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [النور: ٦١] أو بسبب ممارسته الرذائل

- 1 البيت الجري. جري، ديوان جري بشرح محمد بن حيي تح: محمد أمين طه، (القاهرة: دار المعارف، ط3، د.ت)، 466/1.
- 2 ينظر ابن جري، تفسير الطبري، 103/3؛ والفخر الرازي، تفسير الماوردي، 517/1، وقال أبو عبيدة: المعنى أهلك نفسه، والقرطبي
 تفسير القرطبي، 132/2؛ ومحمد بن عزيز السجستاني، غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب، ص171.
- 3 نظيرها في البقرة: 142.
- 4 اتَّهام المؤمنين بالسفه، وركاكة العقل على الرغم من أنَّهم ليسوا كذلك، فهم العقلاء، وهذا بسبب جهلهم، وإنصافهم أنفسهم اعتقدوا أنَّ ما
 هم فيه الحق، وأنَّ ما عداه باطل، ومن ركب متن الباطل كان سفيهاً، ولأنَّهم كانوا في رياسة وسطة من قومهم وعلى يسارهم المؤمنين وكانوا
 فقراء، ومنهم موالٍ، كصهيب، وبلال، وخبَّاب، فدعواهم سفهاء تحقيراً لشأنهم، ينظر الزمخشري، الكشف، 183/1.
- 5 ينظر الفراهيدي، العين، 40/7، وينظر الراغب الأصفهاني، المفردات، كتاب الميم ص466، وينظر ابن منظور، لسان العرب مادة
 "مرض"، 4181/6. وينظر الفيروز أبادي، القاموس المحيط، فصل الميم باب الضاد، 356/2 – 357.
- 6 ينظر سيبويه، الكتاب، 647/3 – 650، وينظر الطائي الجبائي، شرح الشافية، 142/3، وينظر الحضري، حاشية الحضري على شرح
 ابن عقيل على ألفية ابن مالك، 243/2.

التي تسيطر على القلب وتضعفه كالبحل والجبن والجهل والنفاق والحسد وغيرها من الرذائل الأخلاقية المكتسبة¹، فتشبيه النفاق وغيره من الرذائل بالمرض بسبب سيطرتها على الإنسان ومنعه من إدراك الفضائل، أو سيطرتها على عقل الإنسان حتى تجعله بعيداً عن تحصيل أمور الحياة الأخروية المشار² إليها بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤] أو بسبب ميل قلب الإنسان إلى الرذائل، ومنه قوله ﷺ: "أَيُّ دَاءٍ أَدْوَأُ مِنَ الْبَخْلِ؟". ومن الاستعارات المشهورة حول هذه اللفظة قولهم: شمس مريضة، أي غير مضيئة بسبب أمر عارضها، ومنه قول الشاعر: [من البسيط]

وليلة مرضت من كل ناحية فما يحسُّ بها شمسٌ ولا قمرٌ³

وقد اتفق المفسرون⁴ مع السمين الحلبي، فكلمة "مرض" تدلُّ في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢] على الفجور⁵. وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ...﴾ [النساء: ٤٣]، تدلُّ على الجرحى⁶، وقوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [الفتح: ١٧]، أفادت معنى المرض بعينه.

7- يَتِيمًا:

هو من فقد والديه ويحتاج إلى الرعاية والدعم أو من فقد أحد أبويه، فيكون يتيم الأب أو الأم، حسب الحال، وفي القرآن الكريم تعني كلمة "اليتيم" من فقد أباه في الإنسان، أو من فقد أمه في البهائم،

1 ينظر السمين الحلبي، الدر المنصون، 84/4.

2 ينظر المصدر السابق، 85/4.

3 شهاب الدين التويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 53/7. والبيت نسبه إلى أبي حية. شعر أبي حية النميري، جمعه وحققه: الدكتور يحيى الجبوري، (دمشق: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، 1975م)، ص 148. عدد الصفحات:

4 المرض عبارة عن خروج البدن عن حد الاعتدال، والاعتدال إلى الاعوجاج والشذوذ. ينظر القرطبي، تفسير القرطبي، 316/5، والراغب الأصفهاني، المفردات، ص 419، ونظيرها في القرآن الكريم في البقرة: 184 – 196، والنور: 61.

5 نظيرها في الأحزاب: 60.

6 نظيرها في المائدة: 6.

وَيَتِيمٌ "فَعِيلٌ" من الثلاثي المجرد المعتل الفاء، ويطلق على كل منفرد أو منفردة يتيم، وكل مالا نظير له يتيم¹. وجاءت جمعاً على "فَعَالَى" فقد يطرأ على الإنسان أحياناً، وهو ما يجعله صحيحاً قريباً من العليل فيعامل معاملته لِأَنَّ به عيباً، كما بالمريض، فشبه به، وجمع جمعه حَمَلًا على المعنى². فاليتيم من المصائب التي يبتلى بها الإنسان، فشبهت بالأوجاع، والأدواء، وسمي اليتيم بذلك لثقله على كافله، ومن مرادفاتهما: "الكلل"، وجمعها: "كلول"؛ أي: الثقيل، وهو من لا ولد له ولا والد³. ومنه قوله تعالى: ﴿وَعَاثُوا آلِيكُمْ آمَوَالَهُمْ﴾ [النساء: ٢٢]، والمراد بـ "اليتامى" من فقدوا آباءهم قبل بلوغ الرشد، كما أنَّ اليتيم كل ما انفرد. ومنه قول

الشاعر: [من الطويل]

وكيد ضباع القفِّ يأكلن جثتي وكيد خراش بعد ذلك ييتم⁴

واليتامى جمع اليتيم ذكرًا كان أم أنثى، ومنه قول الشاعر: [من الرجز]

إنَّ القبور تنكح الأيامى النسوة الأرامل اليتامى⁵

وإنما جاءت في هذه الآية مرتبطة بإعطاء اليتامى حقهم اعتباراً بما كانوا عليه قبل البلوغ من باب المجاز المرسل، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ [الأنعام: ٢٦٧]

1 ينظر ابن فارس، **مقاييس اللغة**، باب الياء، 154/6، والراغب الأصفهاني، **المفردات**، كتاب الياء، ص550، وابن منظور، **لسان العرب**، مادة يتيم، والفيروز أبادي، **القاموس المحيط**، فصل الياء، باب الميم، 195/4.

2 ينظر سيبويه، **الكتاب**، 650/3، وأبو علي الفارسي، **الحجة للقراء السبعة**، تح: بدر الدين قهوي، وبشير جويجاني، (دمشق: دار المأمون للتراث، ط2، 1413هـ، 1993م) 115/2، وابن الأبار القضاعي، **التكملة لكتاب الصلة**، تح: عبد السلام الهراس، (بيروت: دار الفكر للطباعة 1415هـ، 1995م)، ص189؛ وابن منظور، **لسان العرب**، مادة يتيم.

3 ينظر السمين الحلبي، **الدّر المصون**، 269/7.

4 إميل بديع يعقوب، **المعجم المفصل في الشواهد الشعرية**، 155/7. وينسب البيت إلى أبي خراش. أبو سعيد السيرافي، **شرح كتاب سيبويه**، تح: أحمد حسن مهدي، علي سيد علي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2008م)، 236/5.

5 أحمد بن أبي طاهر بن طيفور، **بلاغات النساء، صححه: أحمد الألفي**، (القاهرة: مطبعة مدرسة والده عباس الأول، 1326هـ، 1908م)، ص105.

[١٥٢]، والأصل في ذلك يعصر العنب¹، وقد وافق المفسرون² السمين الحلبي في الآية السابقة من أنَّ المقصود باليتيم من فقد والده، وأنَّ القرآن حين نهي عن الاقتراب من ماله حتى يبلغ أشده، وهذا دليل على أن اليتيم عيب يلحق الإنسان، وهو عدم وجود الولي، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ﴾ [البقرة: ٨٣] أفادت لفظة "اليتامى" من مات أبوه إلى أن يبلغ الحلم.

الصيغة الثانية: صيغة فعل:

يرى أئمة التفسير أنَّ هذه الصيغة تأتي من "فَعَلَ" اللازم الذي يدل على الأدواء الباطنية جسمية كانت أم خَلْقِيَّة، نحو: "وَجَع، تَعِب، مَغَص، ضَجِر، شَرَس، بَطِر" وما يشبهها، كالحزن والاعتماد، نحو: "حَزَن، كَمَد، حَرَب"³ أو ما يضادها كالسرور، والزينة، نحو: "فَرَح، طَرِب، رَضِيَ، فُطِن، لَبِق، سَلِس"⁴. وتعتبر هذه الصيغة من الصيغ المشتركة بين الصفة المشبهة، وصيغ المبالغة، وقد وضع النُّحاة فروقاً لها من حيث البناء، ومن حيث الدلالة، لكنها لم تكن واضحة عندهم، فاضطربت آراؤهم، وشواهدهم،

1 ينظر السمين الحلبي، الدر المنصون، 465/1.

2 ينظر أبو علي الطبرسي، مجمع البيان، 285/1 - 287، ومحمد جواد مغنية، تفسير الكاشف 140/2 - 142، ومحمد حسين الطباطبائي، تفسير الميزان، ص 183 - 184، وناصر مكارم الشيرازي، تفسير الأمثل، 234/1 - 235.

3 ينظر سيبويه، الكتاب، 16/4 - 37، وابن قتيبة، أدب الكاتب، ص 577 - 576، وابن سيده، المخصص، 140/24، والطائي الجبائي، شرح الشافية، 143/1 - 144، والجاربردي، مجموعة الشافية من علمي الصرف والخط، تج: محمد عبد السلام شاهين، (بيروت: عالم الكتب، د.ت)، 24/2، و مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، (بيروت: المكتبة العصرية، 1415هـ، 1994م)، 192/1، وصلاح الدين الزعبلوي، مسالك القول في النقد اللغوي، (بيروت: الشركة المتحدة للنشر والتوزيع، 1984)، ص 254.

4 ينظر عودة الله منيع القيسي، العربية الفصحى، ص 77 - 81 - 84.

وذلك بسبب صعوبة الفصل بين "فَعَلَ" التي هي للمبالغة، والتي هي للصفة المشبهة¹. ومن أمثلتها في القرآن الكريم:

1- مَلِك:

تعني مالِكًا أو حاكمًا أو سيدًا أو مَلِيكًا، وجميعها تستخدم للدلالة على الشخص الذي يمتلك السلطة والسيادة على شيء ما سواء كان مملكة أو سلطة أو ممتلكات، وهي السيادة والحكم، وفي القرآن الكريم جاءت دالة على الله سبحانه وتعالى مالك الملك السموات والأرض فهي سيادة الله وسلطته الكاملة على الكون

لهذه الصيغة عشرة أوجه دلالية، هي: "القدرة، الغناء والثروة، الإمارة، النبوة، الضبط، الخزانة، العهد، العلم، استئذان الملائكة، مَلِكُ اليمين، الفضيلة والمنزلة"، وهي من الثلاثي المجرد الصحيح السالم، مَلِكُ الشيء يَمْلِكُهُ - مَلِكًا - مَلِكًا - مَلِكًا - مَلِكًا - مَلِكًا - مَلِكًا؛ أي: احتواه قادرًا على الاستبداد به فهو: "مَالِك - وَمَلِيك - مَلِك"². والمَلِك صفة مشتركة بين العبد وربّه، فإذا وصف بها العبد فهو المتصرف بالأمر والنهي في الجهور ولذلك يختصّ بسياسة التّاطقين، ولهذا يقال: ملك النَّاس، ولا يقال ملك الأشياء³، وإذا وصف بها الله تعالى، فتعني الذي يستغني عن كل الموجودات سواء في ذاته أم في صفاته،

¹ ولعله يكون السبب الذي جعل الغلاييني، يقرر بأنّ صيغ المبالغة ترجع عند التحقيق إلى معنى الصيغة المشبهة، لأنّ الإكثار من الفعل يجعله، كالصفة الراسخة في النفس. ينظر مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، 198/1.

² ينظر الفيروز أبادي، القاموس المحيط، فصل الميم باب الكاف، 330/3.

³ ينظر، الراغب الأصفهاني، المفردات، كتاب الميم، ص 472.

فيما لا يُستغنى عنه في شيء منها في ذاته ولا في صفاته، ولا في وجوده، ولا في بقائه، وهذا هو الملك المطلق¹.

والذي أراه، أنَّها صفة مشبهة من متعدٍ، وصارت الاسمية غالبية فيها بمعنى أنَّها صيغة تشترك مع صيغ أخرى "كفعيل، وفاعل" حيث يتجسد هذا في كلمة "ملك" تقول: "ملك - مَلِك - مَالِك"².

وذكر ابن خالويه أنَّها قرئت "فَعِل" و"فاعل" بحذف الفاعل وإثباتها فمن حذفها جعل الملك أخص من المالك، وأمدح، ومن أثبتتها جعل الملك داخلا، ووجب المالك والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ﴾ [آل عمران: ٢٦]. ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، فقد أفادت لفظة "أَمْلِكُ" معنى القدرة، أي لا أَقْدِرُ، ونحوه كثير³.

وذكر السمين الحلبي أنَّ "الملك" صفه لله عزَّ وجل، ومنه قوله تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]؛ أي: مالك الإنس والجن والطير⁴، ومنه قول الشاعر: [من الكامل]

سبحان من عنت الوجوه لوجهه ملك الملوك وملك العفو⁵

1 ينظر الفارسي أبو علي، الحجة للقرءاء السبعة، 9/1، ومحمد راتب النابلسي، موسوعة له الأسماء الحسنی، 41/1، وما بعدها، وينظر محمد عبد الخالق عزيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، (القاهرة: دار الحديث، د.ت)، 61/4.

2 ينظر المصدر نفسه، 61/4.

3 نظيرها في يونس: 49، والرعد: 16، والإسراء: 56، والعنكبوت: 17، وسبأ: 42 وفاطر: 13، والزمر: 43، والجن: 21، والفرقان: 3.

4 ينظر السمين الحلبي، الدرر المصون. 49/1

5 حسين بن محمد المهدي، صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، (القاهرة: وزارة الثقافة، 2009م)، 370/1. وينسب إلى الفرزدق. أبو هلال العسكري، معجم الفروق اللغوية، تح: الشيخ بيت الله بيات، (قم: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين بـ «قم»، ط1، 1412هـ)، ص450.

الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ

والملك يكون من القوة والشدة. وقد وافق المفسرون السمين الحلبي في قوله تعالى: ﴿يَقُومُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾ [المائدة: ٢٠]، فـ "مُلُوكًا" جاءت هنا بمعنى الغنى والثروة. وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ [البقرة: ٢٤٧]، أفادت لفظة "مَلِكًا" معنى الإمارة؛ أي: بعثه أميرًا عليكم، ونحوه كثير¹، وفي قوله تعالى: ﴿وَعَاقِلُهُ اللَّهُ الْمُلْكُ وَالْحِكْمَةُ﴾ [البقرة: ٢٥١]، أفادت لفظة "الْمُلْكُ" معنى النبوة والملك بعينه²، وفي قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا مَلِكُونَ﴾ [يس: ٧١] أفادت لفظة "مالكون" معنى الضَّب؛ أي: ضابطون لها، وفي قوله تعالى: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحديد: ٢] أفادت لفظة "مُلْكُ" معنى الخزانة³، ونحوها كثير⁴، وفي قوله تعالى: ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا﴾ [طه: ٨٧]، أفادت لفظة "بِمَلِكِنَا" معنى العهد والعلم؛ أي: بعهدنا وعلمنا⁵، وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان: ٢٠]، أفادت لفظة "مُلْكًا" معنى استئذان الملائكة عليهم⁶، وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: ٣٦]، أفادت لفظة "أَيْمَانُكُمْ" معنى ملك اليمين⁷، وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ

1 نظيرها في البقرة: 246، والمائدة: 20، والنمل: 34، ويوسف: 101.

2 روي المعنى الأول عن مجاهد، والثاني عن الزجاج، ينظر القرطبي، تفسير القرطبي، 55/4.

3 الخزانة اسم الموضع الذي يخزن فيه الشيء، وفي تنزيل العزيز: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾ والخزانة مفرد جمعها خزائن، ينظر ابن منظور، لسان العرب، مادة "خَزَنَ"، 1154/2.

4 نظيرها في البقرة: 107، والمائدة: 40 - 120، والأعراف: 158، والتوبة: 116، والإسراء: 111، والفرقان: 2، والزمر: 4، والشورى: 49، والزخرف: 85، والبروج: 9، وآل عمران: 189، والجاثية: 27، والنور: 41، والفتح: 14.

5 اختلف في قراءة "بِمَلِكِنَا" فقرأها نافع، وعاصم، وأبو جعفر بفتح الميم، وقرأها حمزة والكسائي وخلف العاشر بضمها، وقرأها الباقر بالكسر، ينظر شهاب الدين البتاء، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، تحقيق: أنس مهرة، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط 3، 1527هـ، 2006 م)، ص 306.

6 نزول الملائكة، وهو قول السدي، والكلبي، ومقاتل، وينظر القرطبي، تفسير القرطبي، 144/19، وينظر الفخر الرازي تفسير الماوردي، 281/8.

7 في الشرع: ما ملكه الإنسان من العبيد أو الإماء أو غيرها ملكًا شرعيًا، وليس لملك العبد أو الأمة أن يتصرف فيها بجواه أو رأيه المحض، بل بما شرعه الله.

رَبِّ أَغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ أفادت لفظة "مُلْكًا"

معنى الفضيلة والمنزلة في قصة سليمان بن داوود.

الصِّيْغَةُ الثَّالِثَةُ: صِيْغَةُ فَعَلْ:

ذهب العلماء إلى أنَّ هذه الصيغة أكثر ما تكون في المصادر¹، ووردت في القرآن الكريم في تسعة وعشرين موضعًا. وسنقف هنا عند مفردة "كَهَلًا".

تدلُّ كلمة "كهل" على مرحلة معينة من العمر وهي مرحلة النضج والكبر والانتقال من مرحلة الشباب إلى مرحلة النَّضْجِ الجسدي والعقلي. وهي على وزن "فَعْل" جاءت على غير قياس، وأصلها من المزيد "اكتهل"؛ فلم يقولوا "كَهَل" ²، والصيغة شبيهة بفقير وشديد، فالأولى من افتقر والثانية من اشتدَّ، وتجمع الكلمة جمع تصحيح على كَهْلُون، وجمع تكسير على كُهُُول، وكِهَال، وكُهْلَان، وكُهْل، والأنثى منها كَهْلَةٌ ³.

وقد اختلف المفسرون في السنوات التي يصير بها الإنسان كهلاً، على ثلاثة أقوال:

أ- من بلغت سنه بين الثلاثين والخمسين.

ب- من جاوز الشباب، ولم يصل سن الشيخوخة.

ج- من خطَّه الشيب ما بين ثلاثة وأربعين إلى الستين.

1 ينظر سيبويه، الكتاب، ص 4 - 15 - 45، وابن قتيبة، أدب الكاتب، ص 646، المبرد، المقتضب، 122/2-127، وابن جني، المنصف، 178/1، وابن سيده، المخصص، 132/14، وابن عيش، شرح المفصل، 3/6، والطائي الجباني، شرح الشافية، 156/1.

2 إلا أنَّه جاء في الحديث: "هل في أهل من كاهل؟" ويروى من كاهل: أي من دخل حد الكهولة، وقد تزوج، وحكى أبو زيد كاهل الرجل: أي تزوج، ينظر اللسان مادة "كَهَل"، 3947/5.

3 ذهب الطاهر بن عاشور إلى أنَّه لا يقال للأنثى "كهلة" وإنما يقال "شهلة" بالشين، ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، 247/3.

وذكر السمين الحلبي: الولد في بطن أمه يسمّى "جنيناً" ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ [النَّجْم: ٣٢]، وهو ما اجتني في الرحم، وبعد ولادته يسمّى "صبياً"، وإذا ما فُطِمَ يسمّى "غلاماً" إلى وصله السبع، ثم يسمّى يافعاً إلى أن يبلغ العشر من عمره، وما بين العشرة وخمسة عشر يسمّى "حزوراً"، وعندما يصل إلى الخمس والعشرين يسمّى "قمداً"، وفي الثلاثين من عمره يسمّى "عنطنطاً"، ومنه قول الشاعر: [من الطّويل]

وبالجعد حتى صار جعداً شمردلاً إذا قام ساوى غارب الفحل غاربه¹
وفي الأربعين يسمّى "حملاً" حتى يصل إلى الخمسين يسمّى "كَهْلاً"، ثُمَّ "شَيْخاً" إذا ما وصل الثمانين من عمره، وبعد ذلك يسمّى "هَم" ²، ومنها قوله تعالى: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي اللَّهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عِمْرَان: ٤٦] أفادت لفظة "كَهْلاً" في هذه الآية معنى المعجز³.

الصِّيْغَةُ الرَّابِعَةُ: صِيْغَةُ فِعْلٍ:

إذا نظرنا إلى علاقة هذه الصيغة بأفعالها وجدناها تأتي من جميع الأبواب ما عدا "فَعِل - يَفْعِل" إذ هو أقل الأبواب شيوعاً، لذا لم يجعله سيبويه من أبواب الفعل الرئيسة⁴. وذهب إلى أنَّ الفتح في هذه الأفعال جيّدٌ، وهو أقيس، فتكون حينئذ من باب "فَعِل - يَفْعِل"، وروي عن الفارابي قوله: "والمكسور العين في الماضي والمستقبل ليس الأبواب لقلته، لأنَّه ليس منه شيء إلا وقد تجوز فيه لغة أخرى، فهو لا يتفرد بمذهب تَفَرَّدَ غيره"⁵. ويرى ابن خالويه أنَّ ورودها من "فَعِل - يَفْعِل" شاذٌّ؛ إذ لم يخصَّ منها إلا "سَحَر"⁶.

1 السَّمين الحلبي، الدُّرُ الْمَصُون، 160/3.

2 ينظر السمين الحلبي، الدُّرُ الْمَصُون، 160/3.

3 ينظر المصدر السابق، 161/3 - 162.

4 وهي عنده أربعة "فَعِل - يَفْعِل" و"فَعَلَ - يَفْعُل" و"فَعُل - يَفْعُل" ينظر سيبويه، الكتاب، 38/4.

5 ينظر د. وسميَّة عبد المحسن المنصور، قسم اللغة العربية - كلية الآداب، جامعة الكويت، أبنية المصدر في الشعر الجاهلي، ص 115.

6 المصدر السابق، ص 181.

ويبدو أنَّها متطوِّرة عن "فِعِل"، وهي قليلة في الاستخدام سواء في الأسماء أم في الصفات، وقد خصَّ سيبويه منها "إِيل"¹. وتفترض النظرية التاريخية أنَّ الصيغ المتحركة كلِّما توغلت في القِدَم قلَّ استخدامها لذا يمكن أن تكون "فِعِل" متطوِّرة عن "فِعِل" سَلَبَتْ حركتها فصارت "فِعْل"²، وذهب العلايلي إلى أنَّ "فِعْل" له خصوصيته الدلالة على المحدود، وعلى الضئيل الناعم. تقول: "نِصْل" للنصل الذي لا يترك دقيق الشعر، وتسمَّى به الحِلَاقَة تحت الصِّفَر، و"نِعَم" للناعم جدًّا، ويسمَّى به المسحوق³. ومن أمثلتها في القرآن الكريم:

1- أُنْدَادًا:

هي على وزن "أفعال" جمع تكسير لـ "نَدَّ" وهو مثل الشيء الذي يُضادُّه في أموره ويُنادُّه⁴. وذكر السمين الحلبي في قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، أنَّ لفظة "أُنْدَادًا" أفادت في هذه الآية معنى الشرود عن الملة وإشراك إليه آخر مع الله، وهم يعلمون أنَّه الخالق⁵، وإلى ذلك ذهب شيخه أبو حيان⁶، ومنه قول جرير: [من الوافر]

أَتَيْمًا تجعلون إليَّ نَدًّا وهل تيمُّ لذي حسْبٍ نَدِيدُ⁷

فَنَدُّ، ونَدِيدٌ، ونَدِيَّةٌ جاءت على المبالغة. ومنه قول لبيد:

لكيما يكون السَّنْدَرِيُّ نَدِيدَتِي وأجعل أقوامًا عُمومًا عَماعِمًا⁸

1 ينظر سيبويه، الكتاب، 244/4

2 ينظر وسميَّة عبد المنعم منصور، أبنية المصدر في الشعر الجاهلي، ص 182.

3 ينظر أسعد أحمد علي العلايلي، تهذيب المقدمة اللغوية، (بيروت: دار السؤال للطباعة والنشر، 1406هـ، 1985م)، ص 216.

4 ابن منظور، لسان العرب، مادة "ندد"، 4382/6.

5 ينظر السمين الحلبي، الدر المنصون، 155/4.

6 ينظر أبو حيان، البحر المحيط، ج 1، ص 239 - 240.

7 البغدادي، خزانة الأدب، 27/3.

8 لبيد بن ربيعة العامري، ديوان لبيد، اعتنى به: حمدو طماس، (بيروت: ددار المعرفة، ط1، 1425هـ، 2004م)، ص 127.

والنُّدُّ - كما يرى السمين الحلبي - بمعنى المثل من غير عموم ولا خصوص¹، ومنه قول حسان بن

ثابت: [من الوافر]

أتهجوه ولست له بند؟ فشركما لخيركما الفداء²

وذكر النُّدُّ: النظير والضد، وقد استند على ذلك بقول العرب: ليس لله نُدُّ ولا ضِدُّ³

الصِّيْغَةُ الْخَامِسَةُ: صِيْغَةُ فُعْلٍ:

ترتبط هذه الصيغة، بغض النظر عن كونها اسمًا، أو صفة - بجميع أبواب الفعل باستثناء باب "فَعِلَ" -
- يَفْعَلُ"، وذهب بروكلمان إلى أنَّها ناشئة عن صيغة "فُعْلٌ" ولكون "فُعْلٌ" قليلة الشيوع في العربية خلافًا
للُّغات السامية كالعبرية مثلاً⁴ فإنَّها كثير ما تخفَّف على "فُعْلٌ"، وترتبط هذه الصيغة مع صيغ "فَعْلٌ"
و"فَعَلٌ" و"فَعَلَ"، وبخاصة فيما يكون فعلها من "فَعَلَ يَفْعَلُ" كما تشترك مع صيغة "فَعَالٌ"⁵.

ويربط النحاة هذه الصفة بمعانٍ متعددة تتعلق بقيم جمالية، كالدَّلالة على الحسن والقبح، كما تتعلَّق
بالقيِّم السلوكية كالدَّلالة على صفات مكتسبة كالبخل والبغض والحمق والخبث، وبقيم نفسية كالدَّلالة على
البؤس والحزن والأسى والذل، كما تتعلَّق بالدَّلالة على الأدواء وأضدادها كالبرء والجرح والسقم والقرح،
والدَّلالة على المسافات كالقرب والبعد⁶، وتجمع جمعًا قياسيًّا على أفعال إذا دلَّت على اسم أو صفة، نحو:

1 ينظر السمين الحلبي، الدُّر المصون، 156/4.

2 البغدادي، خزنة الأدب، 232/9.

3 ينظر السمين الحلبي، الدُّر المصون، 156/4 - 157.

4 ينظر وسميَّة عبد المنعم منصور، أبنية المصدر، 194.

5 ينظر ابن قتيبة، أدب الكاتب، ص 529 - 530 - 531.

6 ينظر سيبويه، الكتاب، 6/4 - 28 - 33، والمبرد، المقتضب، 125/2؛ وابن سيده، المخصص، 128/14 - 131، وابن يعيش،

شرح المفصل، 45/2، وشرح التصريح، 74/2.

"جُنْدٌ - أَجْنَادٌ" "عُشٌّ - أَعْشَاشٌ"، و"مُرٌّ - أَمْرَارٌ" "حُرٌّ - أَخْرَارٌ"¹ وجاءت في الاستعمال القرآني جمعاً للأوزان الآتية: "فَعِيلٌ - فَعَلٌ" و"فَعْلَةٌ - فَعُلٌ". ومنه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرُّ بِالْحُرِّ﴾ [البقرة: ١٧٨] وقد ذكر السمين الحلبي: الحُرُّ، صفة على "فَعُلٌ" جمعها "أفعال"، ومؤنثها حُرَّةٌ، وجمعها حرائر، وهي التخلص من القيود والعبودية، يقال: حرَّ الغلام يُحرِّرُ حُرِّيَّةً²، وفي الآية السابقة أفادت لفظة "الحُرُّ" معنى التَّخلص من العبودية والرقِّ، وجاءت بمعنى القصاص وهو من التنظيمات الاجتماعية³، وقد اتَّفَق المفسرون مع ما ذهب إليه⁴.

الصِّيْغَةُ السَّادِسَةُ: صِيْغَةُ فَعَلٍ:

ذكر الصرفيون أنَّ هذه الصيغة تأتي اسماً، وصفة، وهي مطردة في الفعل اللازم "فَعِلٌ - يَفْعُلُ" سواء أكان صحيحاً أم معطلاً⁵ هذا إذا كانت اسماً فإن كانت صفة فأثما تأتي من "فَعُلٌ" مضموم العين⁶، وتختصُّ صيغة فَعَلٌ بالدلالة على الاتِّصاف بالمادة وعلى ما هو مثل النابض، كرجع⁷، وعلى المرض الملازم كالعور⁸، وترتبط هذه الصيغة في عمومها بمعانٍ متعددة ذكرها العلماء، كالفراغ والأمراض، والحالات النفسية،

1 ينظر سيبويه، الكتاب، 576/3-577؛ والطائي الجبائي، شرح الشافعية، 16/2-18، وابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، 456/2-455/2، وجلال الدين السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، 174/2-175، وابن منظور، لسان العرب، مادة "حَرَزَ"، 829/2.

2 ينظر السمين الحلبي، الدر المصون، 252/2.

3 ينظر المصدر السابق، 252/2-253.

4 ينظر الزمخشري، الكشاف، 331/1، والقرطبي، تفسير القرطبي المجلد 1، 244/2، وأبو الفداء، تفسير ابن كثير 368/1-370، وأبو حيان، البحر الحيط، 13/1-15، وسيد قطب، الطلال، 164/1-165.

5 ينظر سيبويه، الكتاب، 17/4، وابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، 123/2، وجمال الدين ابن هشام، أوضح المسالك في ألفية ابن مالك، 283/3، وخالد بن عبد الله الأزهرى، شرح التَّصريح على التَّوضيح، 73/2.

6 ينظر الطائي الجبائي، شرح الشافعية، 148/1؛ وابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، 36/2، والجرجاوي، شرح التَّصريح على التَّوضيح، 78/1، وجمال الدين ابن هشام، أوضح المسالك في ألفية ابن مالك، 240/3-243.

7 أي المال الكثير الموزع على النَّاس.

8 ينظر العاليلي، تهذيب المقدمة اللغوية، ص 209.

والصفات السلوكية والحركة والانتقال والألوان وغير ذلك. وتشتبك مع صيغة "فَعَلَ - فَعُلَ - فَعِلَ - فَعِلَ" - فَعُلَ - فَعُلَ¹.

وقد ورد هذا البناء في القرآن الكريم في ستة عشر موضعاً، ومن أمثلتها في القرآن الكريم:

1- رَغَدًا:

الرغد ما تيسر من النعم. واللفظة مشتقة على وزن "فَعَلَ" من الثلاثي المجرد الصحيح السالم، رَغَدَ العيش يرغد رَغَدًا بمعنى طاب واتسع، وأرغد القوم: أخصبوا وصاروا في سعة من العيش الهنيء²، وتأني من باب "فَعِلَ - يَفْعِلُ - فَعُلَ - يَفْعُلُ". تقول: رَغِدَ العيش، ورَغُدَ العيش، بكسر العين وضمها³. وقرأ الجمهور قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فكلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ [البقرة: ٥٨] بفتح العين أي "رَغَدًا" وقرأ النخعي⁴ بتسكينها أي "رَغْدًا"⁵. وذكر السمين الحلبي: الرغد: الواسع الهنيء⁶، و"رَغْدًا" بمعنى ما طاب واتسع من العيش⁷.

تتغير دلالة هذه اللفظة تبعاً للسياق والاستخدام المحدد في كل حالة، وبشكل عام تدل على النعيم والراحة والاستمتاع بالأمر المادية والروحية.

1 ينظر ابن قتيبة، أدب الكاتب، ص 526 - 536.

2 ينظر ابن منظور، لسان العرب، مادة: "رغد"، 1680/3. وأبو حيان، القاموس المحيط، فصل الرّاء باب الدّال، 305/1-306، وابن فارس مقاييس اللغة، باب الرّاء والغين، 417/2، وابن قتيبة، غريب القرآن، ص 46، والزحخشري الكشاف، 272/1؛ وأبو حيان البحر المحيط، 309/1.

3 ينظر ابن منظور، لسان العرب، مادة: "رغد"، 1680/3. والفيروز أبادي، القاموس المحيط، فصل الرّاء باب الدّال، 305/1، والقرطبي، تفسير القرطبي، مجلد 1، 300/1.

4 ينظر المصدر السابق، مج 1، 303/1.

5 ينظر أبو حيان، البحر المحيط، 309/1، والقرطبي، تفسير القرطبي، مج 1، 303/1.

6 ينظر السمين الحلبي، الدر المنصون، 281/1.

7 ينظر المصدر السابق، 387/5.

2- وَسَطٌ:

تعني الجزء الأوسط أو المكان الوسطي بين الأمور، وفي القرآن الكريم تأتي هذه اللفظة في العديد من الآيات، وبأوجه مختلفة.

فسرت في القرآن الكريم على وجهين وهي: "العدل، الوسط بعينه" وهي من الثلاثي المجرد المعتل الفاء وَسَطٌ، يَسِطُ، سِطَةً، ووساطة ووسط بضم العين من باب "فَعَلَ-يُفْعَلُ"، كما تأتي من باب "فَعَّلَ يَفْعُلُ"، والوسط على مكان لما بين الطرفين، ويطلق خيار الشيء، كما يطلق المعتدل الخير¹، والعرب تمثل لخير الشيء بوسطه، كوسط الوادي، والدار والدابة²، وقد فرّق العلماء بين الوسط بتسكين السين، والوسط بفتحها، وذهبوا في ذلك مذاهب³. وقد ذكر السمين الحلبي: الوسط بفتح السين: اسم لما بين الطرفين، ويقال: الوسط خيار الشيء⁴.

وقد اتفق المفسرون مع السمين الحلبي⁵، قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، أفادت لفظة "وسطًا" معنى العدل، أي عدلاً⁶. وقال تعالى: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ [البقرة: ٢٣٨]، أفادت لفظة "الْوُسْطَى" معنى الوسط بعينه أي صلاة العصر، وهناك من قال صلاة الصبح.

1 ينظر ابن منظور، لسان العرب، مادة: "وَسَطٌ"، 4831/6. وينظر الفيروز أبادي، القاموس المحيط، فصل الواو باب الطاء، 104/2-406 وينظر القرطبي، تفسير القرطبي، مج 1، 153/1-154.

2 ينظر الراغب الأصفهاني، المفردات، كتاب الواو، ص 522-523، وينظر ابن منظور، لسان العرب، مادة: "وسط"، وينظر أبو حيان، البحر المحيط، 591/1.

3 ينظر ابن منظور، لسان العرب، مادة "وسط"، 4831/6.

4 ينظر السمين الحلبي، الدر المنصور، 151/2.

5 هذا الخلاف في تفسير ابن جرير، الطبري، 217/5-221؛ وجلال الدين السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور 293/1-305، و أبو حيان، البحر المحيط، 240/2-242، والقرطبي، تفسير القرطبي، 308/3-213، والواحدي، التفسير الوسيط، 347/1، وابن قتيبة، تفسير غريب القرآن، ص 91.

6 نظيرها في المائدة: 89.

الصِّيْغة السَّابعة: صيغة فُعَل:

ذكر العلماء أنَّ هذه الصيغة قليلة الشبوع في العربية خلافاً للغات السَّامية كالعبرية مثلاً، وهي أيضاً قليلة في الصفات، وتجمع جمع تكسير على "أفعال"، وقد جاءت جمعاً لعدة أوزان نحو: "فَعُول - فَعَل - فَعِيلَة - فَعَال - فَعِيل"، ومن أمثلتها في القرآن الكريم كلمة "جُنُب" فقد حملت سِتَّة أوجه دلالية، هي: "الطَّاعة، السَّفَر، القَلْب، البُعْد، الجُنُب بعينه، الجِهَة"، فهي "فُعَل" إمَّا من الثَّلاثي المجرد الصحيح السالم: جُنُب، يَجُنُبُ أو جَنِبَ، يَجَنُبُ. أو من الثَّلاثي المزيد: أَجَنَبَ، فهي من باب "فُعَل - يَفْعُل"، أو من باب "فُعَل - يَفْعَل"، أو من باب أَفْعَلَ - يُفْعِلُ فهو "فُعَل"؛ أي: جُنُب. وقد قِيلَ: إنَّها مصدر¹، وقيل: اسم جرى مجرى المصدر، وهو الاجتناب²، وذكر سيبويه بأنَّها صفة³. وتعني هذه الكلمة في اللغة وكتب المعاجم الجزء الجاني أو الموقع المجاور أو الزمان القريب من شيء معين. وفي القرآن الكريم لها دلالات مختلفة.

ورأى السمين الحلبي أنَّ المراد بالجُنُب: الجهة والناحية⁴، يقال هو في جنب فلان وجانبه، ومنه قول

الراجز: النَّاسُ جَنبُ وَالْأَمِيرُ جَنبُ⁵.

وقال الآخر: [من الطَّويل]

أني جنب بكر قطعني ملامةً لعمرى لقد كانت ملامتها بيا⁶

1 ينظر ابن منظور لسان العرب، مادة: "جَنَبَ"، 694/1. وابن عاشور، التحرير والتنوير، 50/5 - 62.

2 ينظر الزمخشري، الكشاف، 272/1.

3 ينظر سيبويه، الكتاب، 629/3، و د. مسعود محمد زياد، قاموس الإملاء، 179/1.

4 ينظر السمين الحلبي، الدُّر المصون، 435/9.

5 إميل بديع يعقوب، المعجم المفصَّل في شواهد العربية، 101/9.

6 ينسب البيت إلى كعب بن زهير. إميل بديع يعقوب، المفصَّل في معجم الشَّواهد العربيَّة، 307/8.

وذكر: فرط في جنبه؛ أي: ترك حقه¹. ومنه قول الشاعر: [من الطويل]

أما تتقين الله في جنب عاشق له كبد حرى عليك تقطع²

ومنه قوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَحْسَرْتُنِي عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦]، فقد أفادت

لفظة "جَنْبٍ" معنى الإفراط في جنب من جوانب الله، وهي طاعة الله³. ولعل المراد هنا بـ "جنب" الله حق

الله. وقد اتفق المفسرون وعلماء أصول الدين مع السمين الحلبي، قال تعالى: ﴿وَالْجَارِ الْجُنْبِ وَالصَّاحِبِ

بِالْجُنْبِ﴾ [النساء: ٣٦]، أفادت لفظة "الجَنْبِ" معنى السَّفَر، أي الرفيق في السفر، وقيل المرأة في البيت⁴،

والمعنى الذي يظهر هو أنَّ المراد بـ "الجَنْبِ" الملاصق بيته بيتك، والمراد بـ "الجَنْبِ" المرافق لك في السَّفَر. وفي

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ﴾ [الإشراء: ٨٣] أفادت لفظة "بجانبه" معنى القلب؛

أي: تباعد قلبه عن الإيمان⁵، وفي قوله تعالى: ﴿فَبَصَّرْتُ بِهِ عَنْ جُنْبٍ﴾ [القصاص: ١١]، أفادت لفظة "جُنْبٍ"

معنى البُعْد؛ أي: عن بعدٍ، ومنه الجار الجنب⁶، ومنه الجنابة، وفي قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ

الْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: ١٦] أفادت لفظة "جنوبهم" معنى الجنب بعينه⁷، ويقال لها: الحدود، وفي قوله تعالى: ﴿مَا

كُنْتُ بِجَانِبِ الْعَرَبِيِّ إِذْ قَضَيْتَ إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ﴾ [القصاص: ٤٤]، أفادت لفظة "بجانب" معنى الجِهَة⁸.

1 إميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في شواهد العربية، 213/8.

2 إميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في شواهد العربية، 309/4. وينسب البيت إلى كثير عزة.

3 ينظر المصدر السابق، 435/9.

4 أي الزوجة. وقال الطبري: إن المراد الصاحب إلى الجنب؛ ليشمل الرفيق في السَّفَر، والمرأة، والمنقطع إلى الرجل الذي يلازمه رجاء نفعه.

ينظر ابن جرير، تفسير الطبري 344/8.

5 ينظر ابن قتيبة، غريب القرآن، ص315، والقرطبي، تفسير القرطبي، 32/10، والزحشري الكشاف 642/1.

6 النساء: 36، جار الجنب؛ هو الذي جاورك من قوم آخرين، ليس من أهل الدار، ولا من أهل النسب، ينظر أبو القاسم محمود بن جار

الله الزحشري، أساس البلاغة، مادة "ج.ن.ب"، 101/1. وابن قتيبة، غريب القرآن، ص 95 – 96، أي الغريب وينظر الزحشري،

الكشاف 642/1، والقرطبي، تفسير القرطبي، 183/5، الجنابة: البعد. ينظر ابن منظور لسان العرب، مادة "ج. ن. ب"، 694/1.

7 أي ترتفع وتنبو عن الفرش، ابن قتيبة، غريب القرآن، ص80، والزحشري، الكشاف 178/2؛ والقرطبي تفسير القرطبي، 19/14.

8 نظيرها في القصص: 46، ومريم: 52، وطه: 80، والقصص 29.

الصيغة الثامنة: صيغة أفعل:

تأتي هذه الصيغة اسمًا، وصفة، فما جاء صفة يدل على لون مثل: "أبيض - أسود"، ويكون من باب "فعل - يَفْعَل" ¹، أو عيب نحو: "أجرب، أنكر، أعور" ²، أو على تفضيل نحو: "أحسن، أجمل، أكبر"، أو على تعجُّب نحو: "ما أكرم فلانًا!". كل هذا يؤكد ما قاله القدماء: إنَّ أغلب ما جاء على وزن "أَفْعَل" صفات لمصارعة الصفة للفعل وقربها منه ³، وقد ينقل ما كان في الأصل على "أَفْعَل" صفة إلى الاسمية نحو: "أجدل، أخيل، أفعى، أدهم، أرقم" ⁴. ومن خصائص هذه الصيغة الدلالة على التفضيل مطلقًا، حتى وإن كانت اسمًا نلاحظ فيها مضاعفة الوصف ⁵.

ذكرت هذه الصيغة في القرآن الكريم في سبعة عشر موضعًا، وكثرت هذه الصيغة على وزن "فُعَل" كصُمُّ بَكْم غُلُق"، وقد ذكر العلماء أنَّ "أفعل" إذا كانت صفة فلائها تكسر قياسًا على "فُعَل" ⁶، كما يأتي هذا البناء في الاستعمال القرآني جمعًا لـ "فَعِيل" من المضنَّف "فَعَلَة" و"فُعَل" و"فَاعِل" و"فَعْلَاء" ⁷. وسنقتصر على ذكر مثال واحد على هذا الوزن، وهو كلمة "غُلْفٌ".

تُصاغ هذا الكلمة على وزن "فُعَل" من الثلاثي المجرد الصحيح السالم: غَلَف - يَغْلِفُ - غُلْفًا؛ أي: أدخل شيئًا ما في غلاف. من البابين الأوَّل والثاني: "فَعَل - يَفْعَل" و"فَعَل - يَفْعِل" المتعدي، وهي

1 ينظر سيبويه، الكتاب، 25/4، وأشار إلى أنَّ هناك من الألوان ما جاء على "فَعَل" كجَوْن، وورد، وعلى "فَعِيل" كخفيف، وقالوا أخصف، وهو أفيس، وسيبويه، الكتاب، 26/4.

2 ينظر سيبويه، الكتاب، 26/4 - 27.

3 ينظر سيبويه، الكتاب، 197/3، وينظر ابن جني، المنصف، 272/1 - 273.

4 ينظر الزمخشري، الكتاب، 200/3 - 201، الأخيل من معانيها: وطائر أخضر على جناحيه لمعة تخالف لونه، والأدهم: الأسود والأرقم من الحيَّات الذي فيه سواد وبياض.

5 ينظر العاليلي، تهذيب المقدمة اللغوية، ص 222.

6 ينظر سيبويه، الكتاب، 644/3، والطائي الجباني، شرح الشافية، 160/2، والجرجاوي، شرح التصريح، 304/2.

7 ينظر فخر الدين قباوة، علم الصرف، ص 159، وعبد الخالق عظيمه، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، 365/4 - 366.

إِذَا جَمَعَ "أغلف"، كقولهم: سيف أغلف؛ أي: هو في غمدٍ. ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ^١ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٨٨]، حيث أفادت لفظة "غُلْفٌ" معنى الغطاء؛ أي قلوبهم: مغشاة بأغطية فلا تعي ما تقول¹.

وذكر السمين الحلبي في الآية السابقة وجهين: الأول أن تكون جمع "أغلف" كأحمر وحمُر، وأصفر وصُفُر. بمعنى قلوبهم خلقت مغشاة لا يصل إليها الحق، في محل استعارة من الأغلف الذي لم يحتن، والدليل على ذلك سياق الآية في قوله تعالى: ﴿بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٨٨]، فقد ادَّعُوا أَنَّ قُلُوبَهُمْ مَمْلُوءَةٌ بِالْعِلْمِ وَلَا يَحْتَاجُونَ إِلَى عِلْمٍ أُخْرَى²، والثاني أن تكون جمع غلاف، ويكون في هذه الحالة أصل اللام الضم، والمعنى على هذه القراءة أن قلوبهم أوعية للعلم لا تحتاج إلى علوم أخرى، والتغليف كالغشاء في المعنى³.

غُلْف: هي كلمة عربية قديمة غير مألوفة في الكتب العربية الحديثة، ويكثر استخدامها في النصوص التاريخية والأدبية القديمة والشعر، وهي تشير إلى كل ما هو مغلق أو مغطى بطبقة خارجية.

1 أي قلوبنا صم لا تفقه شيئاً، ولا تعي ما تقول، كأنها مغطاة، فهم كانوا يقصدون بأن قلوبهم أوعية للعلم، تنبيهاً منهم على أنهم في غنى عن تعليمه. ينظر الراغب الأصفهاني، المفردات كتاب الغين ص 384؛ وابن منظور، لسان العرب، مادة: "غلف"، 3282/5. والقرطبي، تفسير القرطبي، مج 1، 25/2، وأبو حيان، البحر المحيط، 465/1 – 468.

2 ينظر السمين الحلبي، الدرر المصون، 500/1.

3 ينظر المصدر السابق، 501/1.

الصِّيْغَةُ التَّاسِعَةُ: صِيْغَةُ فَعِّلَ:

ذهب سيبويه إلى أنَّ هذه الصيغة لا تأتي إِلَّا من المعتل نحو: "سَيِّد، جَيِّد، مَيِّت"، ولم يأتِ في الكلام العربي "فَعِّلْ"، ولا "فَيَّعِلْ"، ولا "فَيَّعِلْ" في غير المعتل¹، إِلَّا ما شذَّ في الصحيح²، نحو: "صَيَّقِلْ"³. ووردت هذه الصيغة في القرآن الكريم في سبعين موضعاً، والذي نلاحظه في الأمثلة القرآنية أنَّها جاءت كلها من المعتل وقد أشار العلماء إلى أنَّ صيغة "فَعِّلْ" لا تأتي إِلَّا من المعتل، وقد تأتي من اللازم، وتشمل المفرد بنوعيه وجمع التصحيح، وجمع التكسير، والنكرة، والمعرفة، وقد تضمنت الأبواب: "فَعَّلَ - يَفْعُلْ" و"فَعِلَ - يَفْعِلْ" و"فَعَلَ - يَفْعَلْ"، واختصت هذه الصيغة بالدلالة على العموم أو الخصوص، فالسياق هو الذي يحدد دلالتها. ومن أمثلتها في القرآن الكريم:

1- طَيِّبَات:

فُسِّرَت في القرآن الكريم على ثمانية أوجه دلالية وهي: "الحلال، الحُنَّ والسَّلَوَى، الطَّعَام الطَّيِّب، اللباس، الجماع، اللَّحُوم والشُّحُوم" وكل ذي ظُفْرِ، الذبائح، الحلال من الغنائم، يوم بدر، الرِّزْق الطَّيِّب، الكلام الحسن". فهي جمع تصحيح لـ "طَيَّب" على وزن "فَعِّلَ" من الثلاثي المجرد المعتل اليائي: طاب - يطيب - طيباً - وطيبة - تطيابا - طاباً " صار طَيِّباً، ولَدَّ، وَزَكَّيًّا"⁴.

1 ينظر سيبويه، الكتاب، 266/4 - 365.

2 ينظر أبو البركات الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، (بيروت: المكتبة العصرية، ط1، 1424هـ، 2003م)، 408/2، وأبو حيان، البحر المحيط، 216/1، وجمال الدين السيوطي، المزهرة، 12/2، وعبد الخالق عزيمة دراسات لأسلوب القرآن الكريم، 83/4.

3 اسم إمراة.

4 ينظر الفيروز أبادي، القاموس المحيط، فصل الطاء، باب الباء، 102/1

وقد اختلف المفسرون في المقصود من الطَّيِّبَات: أهو المال عمومًا، أم الذهب والفضة، أم مال التِّجَارَة، أم التمر أم كل ما كان حلالًا¹. ولهذا تصنّف دلالة الطَّيِّبَات في سياق الآيات التي وردت فيها إلى ما يلي:

أ- ما قصد به الطعام أو المال عمومًا سواء أكان مذكى أو منفقًا أو متطوعًا به².

ب- ما قصد به الطهارة عمومًا³.

والظاهر من الآيات القرآنية أنَّها تدل على العموم، فتشمل حلال المال، وصالح الأعمال، وجيّد الناس وصحيح العقائد، والطيب النافع جيد العاقبة، ولو قلّ، وعكسها الخبيث⁴.

وقد ذكر السمين الحلبي أنَّ المقصود بـ "الطَّيِّبَات" ما طاب من العيش، ومنه قوله تعالى: ﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الرَّؤْم: ٧٣]؛ أي: صلحتم لدخول الجنة، بعد غفران الله لكم الذنوب. ومنه قول العرب طاب لي الأمر؛ أي: فارقتني مكارهه⁵، ومنه أيضًا قول الشاعر: [من الوافر]

تَجَرَّت الجبابر بعد حجر وطاب لها الخوزنق والسدير⁶

وذكر أصل الطيب كل ما تستلذه الحواس، ومنه قوله تعالى: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾

[البقرة: ٥٧]، ويؤكد هذا المعنى السياق في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ

1 ينظر أبو حيان، البحر المحيط، 329/2 - 330.

2 كما في البقرة: 57 - 162 - 172 - 207، والنساء: 2 - 160، والمائدة: 4 - 5 - 87 - 88.

3 ينظر محمد بن نصر بن المؤزّي، اختلاف العلماء في حكمة "الصعيد الطيب"، تح: د. محمد طاهر حكيم، (الرياض: أضواء السلف، ط1، 1430هـ، 2000م)، أبو حيان، البحر المحيط، 270/3 تتمثل في الآية 43 من النساء، والآية 6 من المائدة.

4 ينظر أبو حيان، البحر المحيط، 30/4.

5 ينظر السمين الحلبي، الدر المصون، 234/2.

6 شهاب الدين التّويزي، نهاية الأرب في فنون الأدب، 340/20. وينسب البيت إلى صعصعة بن صوحان. محمد بن سعد بن منيع الزهري، كتاب الطبقات الكبير، تح: علي محمد عمر، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط1، 1421هـ، 2001م)، 340/8.

الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م

مِنْ الرِّزْقِ ﴿[الأعراف: ٣٢]، وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾ [المائدة: ٤٤]، أي: الذبائح¹، وقوله تعالى: ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٦]؛ أي: الغنائم بأنواعها، وهذا على مذهب السنة أما المعتزلة فالطَّيِّبَاتِ عندهم الحلال سواء كان كلامًا أم فعلًا، واحتجوا لذلك بقوله تعالى: ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ﴾ [التور: ٢٦]، والمراد به الأزواج الطَّيِّبَاتِ للرجال الطَّيِّبِينَ، وفي الحديث: التَّمَسَّ عَلَيَّ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ ما يُلْتَمَسُ مِنَ الْمَيِّتِ، فلم يجده، فقال: بأبي أنت، طُبَّتْ حَيَّا، وطُبَّتْ مَيِّتًا²، وقوله تعالى: ﴿وَعَاثُوا آلِيَنَاصِي أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾ [النساء: ٢٩]؛ أي: الأعمال السيئة بالصالحة³، وقد كانوا يعمدون إلى رذالة التَّمَر وغيره، فيتصدقون به وييقون لأنفسهم الطَّيِّب. ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَسْكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّتِ عَدْنٍ﴾ [التوبة: ٧٢]، والمراد: مساكن مطهرة تختلف عن مساكن الدنيا التي تتعرض للخراب وسَطُو العدو وغيره، ومنه قوله تعالى: ﴿بَلَدٌ طَيِّبٌ وَرَبُّ غَفُورٌ﴾ [سبأ: ١٥]، وقوله تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ وَيَأْذِنُ رَبِّي﴾ [الأعراف: ٥٨]؛ أي: كريم المنبت⁴.

والطَّيِّبَات: كلُّ ما يتعلق بأمور العبادة والعقائد، ومنه قوله تعالى: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النساء: ٤٣]؛ أي: طاهرًا لا نجاسة فيه، ومنه سمو الاستنجاء استطابة، وهو الطهارة⁵. وفي الحديث: "نهى أن يستطيب الرجل بيمينه"⁶؛ أي يستنجي.

1 ينظر المصدر السابق، 489/5.

2 ضياء الدين المقدسي، الأحاديث المختارة مما لم يخرجها البخاري ومسلم، تح: عبد الملك بن عبد الله بن دهبش، (بيروت: دار خضر، ط3، 1420هـ)، ص 476.

3 وقيل كانوا يأخذون الشاة الهزيلة ويضعونها في مال اليتيم يأخذون بدلها السمينة.

4 ينظر السمين الحلبي، الدرر المصون، 599/2.

5 ينظر المصدر السابق، 151/4.

6 محمد ناصر الدين الألباني، صحيح سنن ابن ماجه، (الكويت: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط1، 1407هـ)، ص 276.

وقد اتفق المفسرون مع السمين الحلبي أن "طيبات" في قوله تعالى: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ٥٧] أفادت معنى الحلال من الحرث والأنعام، وفي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا﴾ [المائدة: ٨٧] معنى الحلال من الطعام الطيب واللباس، والجماع¹، ونحوه²، وأن "الطيبات" في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبْوَءَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [يونس: ٩٣]، أفادت معنى المن والسلوى³، ونحوه⁴، وفي قوله تعالى: ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، معنى الشحوم واللحوم، وكل ذي ظفر، ونحوه⁵، وفي قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتِ﴾ [المائدة: ٤]، معنى الذبائح، وفي قوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [الإسراء: ٧٠]، معنى الرزق الطيب بعينه؛ أي: جميع رزق بني آدم⁶، وفي قوله تعالى: ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ [الثور: ٢٦]، معنى الحسن من الرجال والنساء. وأفادت لفظة "طيباً" في قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ [الأنفال: ٦٩]، معنى الحلال من غنيمة يوم بدر.

2- المَيِّت:

1 نزلت في جماعة من أصحاب النبي ﷺ - منهم عثمان بن مضعون، وعلي بن أبي طالب، ففي رواية السيدي إنهم كانوا عشرة، ينظر السيوطي، أسباب النزول، ص 76، وينظر القرطبي، تفسير القرطبي، 260/6، وينظر ابن جرير، تفسير الطبري، 517/10، وجلال الدين السيوطي، الدر المنثور، 208/2.

2 نظيرها في المؤمنون: 51.

3 الطيبات: الحلالان المن والسلوى، وقد اختلفت المفسرون في معنى المن والسلوى، فقال بعض المفسرين: المن الترنجبين بتشديد الراء وتسكين النون، ذكره التحاس، ويقال الطرنجبين - بالطاء، وهو طلل يقع من السماء، وهو ندى شبيه بالعسل جامد متحبب، ينظر المفردات ابن البيطار، وهو كتاب جامع لمفردات الأدوية والأغذية، ذكر فيه أسماء الأدوية والأغذية من نبات وحيوان وجماد ويعد هذا الكتاب من أنفس الكتب العربية وأشهرها ذكر فيه أسماء الأدوية والأغذية من نبات وحيوان وجماد حسب ترتيب حروفها الهجائية وهو موسوعة في الصيدلة تحتوي على وصف مفصلة لأكثر من 400 نوع من الأعشاب والأطعمة، والعقاقير الطبية، أما السلوى: فهو طير يشبه الشقاني، وهناك من قال السمانى بعين، قال الضحاك، قال ابن عطية، السلوى: طير بإجماع المفسرين، ينظر القرطبي تفسير القرطبي 404/1 - 407، وهامشه.

4 نظيرها في البقرة: 57، والأعراف: 87.

5 نظيرها في الأنعام: 146، والنساء: 160.

6 ينظر القرطبي، تفسير القرطبي، 294/10، وذكر مقاتل السمن والعسل والزبد والتمر والحلوى.

المَيِّتُ ضِدُّ الْحَيِّ، وهو من فارقت روحه جسده، غير أنَّ السِّبَاق قد يغيَّر من دلالتها الأصليَّة فيجعلها تحمل مدلولات مختلفة، وفي القرآن الكريم حملت خمسة أوجه دلالية، هي: "النطفة، الضلالة، قلة النبات، ذهاب الروح عقوبة، ذهاب الروح والأجل".

والكلمة على وزن "فَعِيل" من الثلاثي المجرَّد المعتلِّ العينِ الأجوفِ الواوِيّ: "مات - يموت - موتاً"؛ أي: فارق الحياة.

ومن الشُّواهد على هذه المعاني ما ذكره السمين الحلبي واختلف القُراء¹ في قراءتها، قوله تعالى: ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ [آل عمران: ٢٧]، فبعض القُراء قرؤوها مخففة من غير تاء التأنيث، وأيضاً لفظة "الميتة" في قوله تعالى: ﴿وَعَايَةُ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا﴾ [يس: ٣٣] قرؤوها مخففة، وشدَّ بعضهم². أمَّا الأخوان، وحفص عن عاصم، فقد وافقوا ابن كثير، ومن معه في قوله تعالى: ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، وقوله تعالى: ﴿أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢]، ووافقوا نافع فيما بقي، فجمعوا بين اللغتين تأكيداً على أنَّ كلا القراءتين صحيح³، واستدلوا

على ذلك بقول الشاعر: [من الكامل]

ليس	من	مات	فاستراح	بميت	إنَّما	الميت	ميت	الأحياء
وإنَّما	الميت	من	يعيش	كثيلاً	كاسفاً	بale	قليل	الرخاء ⁴

1 وهم كثير وأبو عمرو وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم.

2 ينظر السمين الحلبي، الدر المصون، 103/3.

3 ينظر المصدر السابق، 103/3.

4 البغدادي، خزنة الأدب، 9583. والبيتان من قصيدة منسوبة إلى عديِّ بن الرِّعَاء الغسَّاني. وعبد الملك بن قريب الأصمعي، الأصمعيَّات، تج: أحمد محمد شاكر - عبد السلام محمد هارون، (مصر: دار المعارف، ط7، 1993م)، ص152.

وأما قوله تعالى ¹: ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ [إبراهيم: ١٧] فقرأها الكل بالتشديد

على إرادة معنى مما لم يمت، وخفف بعضهم على إرادة معنى من وقع به الموت، ومنه قوله تعالى: ﴿أَوْ مَن

كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢] حيث دلت لفظة "مَيِّتًا" على الكفر مجازاً².

والميت يدل على الثبوت والاستقرار، والمائت على الحدوث، فيقال لمن سيموت: ميت ومائت،

ولمن مات: ميت فقط لاستقرار الصفة وثبوتها³، ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ

بِمَيِّتٍ﴾ [إبراهيم: ١٧] وقول الشاعر: [من الوافر]

إذا ما مات ميت من تميم فسرك أن يعيش فجئ بزاد⁴

ولفظة الميت قد يوصف بها حيوان، كما في قوله تعالى: ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتِ

مِنَ الْحَيِّ﴾ [آل عمران: ٢٧] أو جماد كقوله تعالى: ﴿فَسَقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأُحْيَيْنَاهُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [فاطر: ١٩]

، وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ [الأعراف: ٥٧] أو توصف بها نكرة أم معرفة.

وقد أفادت كلمة "الميت" في قوله تعالى: ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾ [آل

إمran: ٢٧]، حال النطفة قبل انتقالها⁵. وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ

مَن يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢]، أفادت لفظة "الأموات" معنى الضال، وتعني في الآية

المؤمن والكافر⁶. وأفادت لفظة "مَيِّتٍ" في قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ [الأعراف:

1 نظيرها في الأنعام: 139، والزخرف: 11، والأنعام: 145.

2 ينظر المصدر السابق، 104/3 – 105.

3 ينظر المصدر السابق، 325/8.

4 المبرد، الكامل في اللغة والأدب، 139/1. والجمحي، طبقات فحول الشعراء، 167/1. ونسبه إلى يزيد بن الصعق.

5 نظيرها في البقرة: 28، وغافر: 11، والروم: 19.

6 نظيرها في الأنعام: 36-155، والنمل: 88.

وبحدود بحثي اتضح أنَّ صيغة "فَعَال" هي الصيغة الواحدة التي تَنْتُج عنها أسماء أعيان، وأسماء معانٍ، وصفاتٌ، ويظهر ذلك في الصيغ التي تكاثرت فروعها، ومنها هذه الصيغة، وهو ما يمكن تسميته بظاهرة تناسل الصيغ¹.

وقد ورد هذا البناء في القرآن الكريم في سبعة عشر موضعًا، وتُشتقُّ هذه الصيغة من الصحيح والمعتل واللازم وتشمل المفرد، والنَّكِرَة والمعرفة، وتتضمن الأبواب "فَعَلَ - يَفْعِل" و"فَعَلَ - يَفْعَل" و"فَعَلَ - يَفْعُل"، ومنها ما انتقل من الوصفية إلى الاسمية، كالحلال والحرام. ولشيوع هذه الصيغة في العربية فقد تتبع النحاة المعاني التي تؤديها في السياق ووجدوا أغلبها ينحصر في دالتين.

1- الحسن أو القبح.

2- انتهاء الزمان.²

وما أُخْصِي من أبنية هذه الصيغة جاء دالًّا إمَّا على الحسن، وإمَّا على القبح، فالحرام من الحرمة، وهي عادة تدل على حُبِّ الشيء، أمَّا الحلال فيدل على حسن، لكنه حكمي غير ظاهر، وهو الطيبة وكذلك "عَوَان"³، فدلالته على الوسطية، والنصف في السِّين حسن؛ إذ خيرُ الأمور أوسطها. ومن أمثلتها في القرآن الكريم:

1- عَوَانٌ:

1 ينظر عودةُ الله منيع القَيْسِي، العربية الفصحى مرونتها - وعقلايتها، وأسباب خلودها، دار البداية، ص 87.

2 ينظر وسميةُ عبد المحسن المنصور، أبنية المصدر، ص 116.

3 اختلفوا في معناها فقليل: هي التي تنجب بعد بطنها البكر، وقيل: هي النصف التي بين المسنة والبكر، ينظر الراغب الأصفهاني المفردات، كتاب العين، ص 355، وينظر ابن منظور، لسان العرب، مادة "عَوْن"، 3179/4. وينظر أبو حيان، البحر المحيط، 412/1.

فهـي "فَعَال" من الثَّلَاثِي المجرّد المعتل العين الأجوف الواوي، تقول: عانت البقرة - تعون - عؤُونًا، إذا صارت عؤَانًا¹ وتجمع على "عُون"، وهو القياس في المعتل من "فَعَال"، وكذلك نوار، وجواد². وذكر السمين الحلبي: العوان: النِّصْف، وهو التوسط بين السَّيْنين، وهو أقوى ما يكون وأحسنه³، والعوان هي التي ولدت مرة بعد الأخرى، ومنه قول زهير: [من الكامل]

إذا لحقت حرب عوان مضرة ضروس تهر الناس أنيابها عصل⁴

والعوان: الذل والخضوع، ومنه قوله تعالى: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ [طه: ١١١]؛ أي: ذلت وخضعت، ومنها العناة، جمع: عان، وهو السجين والأسير⁵، ومنه قول أمية بن أبي الصلت: [من الكامل]
ملك على عرش السماء مُهَيِّمٌ لعزته تعنو الوجوه وتسجد⁶

1 ينظر ابن منظور، لسان العرب، مادة "عون"، 3179/4.

2 ينظر سيبويه، الكتاب، 638/3، وينظر الراغب الأصفهاني، المفردات، كتاب العين ص 354 - 355، وينظر أبو حيان، البحر المحيط، 412/1.

3 ينظر السمين الحلبي، الدر المنصون، 421/1 .

4 إميل بديع يعقوب، المفصل في معجم الشواهد العربية، 473/12.

5 ينظر السمين الحلبي، الدر المنصون، 108/8.

6 أبو زيد القرشي، جمهرة أشعار العرب، ص 25.

الصيغة الحادية عشرة: صيغة فُعَلَى:

ذكر الصرفيون أنَّ هذه الصيغة تأتي اسمًا، وصفةً، فمن الاسم نحو: البُهْمَى¹ والحُمَى، والرُّؤْيَا، والشُّورى، والرُّجْعَى. ومن الصِّفة نحو: حُبْلَى، أُنْثَى²، وهي صفة ممنوعة من الصرف³. وقد سُمِّيت "فُعَلَى" من باب "أَفْعَل - يُفْعِل" كـ "أَفْتَى - فُتِّيَا" و "أَعْدَى، عُدْوَى" و "أَبْقَاه، بُقِّيَا"⁴.

وتختص هذه الصيغة بالدلالة على الاشتمال والاحتواء في حالتي الاسمية والوصفية⁵، وقد وردت في ثلاثة عشر موضعًا من القرآن الكريم، فجاءت نكرة ومعرفة، وتشمل المفرد والمثنى والجمع. ومثال ذلك لفظة "أُنْثَى".

فسُيّرت هذه الصيغة في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه دلالية وهي: "البنات، الإناث من الأنعام، الأصنام".

وردت هذه الصيغة جمع تكسير على "فِعَال" جمع "فُعَلَى" من الثلاثي المجرد الصحيح المهموز الفاء فهو من باب "فَعْلَ - يُفْعَل" مأخوذ من أُنْثَ الحديد يُأْنْثُ، أُنْثَ، أي؛ لَانَ، فهو أُنْثٌ⁶. وذهب ابن الإعرابي إلى أنَّ المرأة سُمِّيت أُنْثَى من البلد الأنثى، وهو اللين، والمرأة أَلين من الرجل، ومن كان لِينًا في أمره سُمِّيَ أُنْثَى مَخْنَثًا⁷. وذكر السمين الحلبي: الأُنْثَى: ما تقابل الذكر من جميع المخلوقات الحيَّة، باعتبار الفرج،

1 ذكر أبو علي الفارسي أنَّ سيبويه زعم أنَّ بعضهم قال بحماة، قال ليس ذلك بالمعروف، ينظر ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، تح: عبد السلام الهراس، (بيروت: دار الفكر للطباعة، سنة النشر: 1415هـ، 1995م)، ص 99، وذكر ابن جني أنَّها شاذة. ينظر المنصف، 36/1

2 ينظر الكتاب، 250/4؛ والتكملة، ص 99؛ وابن جني، المنصف، 36/1، وابن عصفور، المتع الكبير في التصريف، 89/1.

3 ينظر سيبويه، الكتاب، 206/3 - 210.

4 ينظر سيبويه، الكتاب، 40/4، ووسميَّة عبد المحسن المنصور، أبنية المصدر، ص 239.

5 ينظر العلايلي، تهذيب المقدمة اللغوية، ص 213.

6 ينظر مجموعة من المؤلفين، المعجم الوسيط، (القاهرة: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، د.ت)، مادة: "أُنْثَ"، 29/1.

7 ينظر ابن منظور، لسان العرب، مادة "أُنْثَ"، 146/1. وابن فارس، مقاييس اللغة، باب همزة والنون وما يثلاثهما، 144/1، وأبو حيان، البحر المحيط، 368/1.

فكل ما له فَرْجٌ فهو مؤنَّثٌ حقيقيٌّ، أمَّا ما ليس له فَرْجٌ فيسمى مؤنَّثٌ غير حقيقيٍّ، وإنما عاملته العرب معاملة المؤنَّث، كالشمس، والبدر، ولما كان الذكر أقوى من الأنثى جعلوا الضعيف لها، فقالوا: سيف ذكر، أي حاد قاطع، وسيف أنثى، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنْتَا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾ [النساء: ١١٧] أي اللات، والعزة والمنات ويقول الشاعر: [من الوافر]

فيعلمه بأنَّ العقل عندي جراز لا أفل ولا أنيث¹

وأرض أنيث: سهلة حسنة النبت كالأنثى لسهولة ما يخرج منها²، وقد اتَّفَق المفسرون مع السمين الحلبي، فالأنثى في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [التخل: ٥٨] بمعنى البنت التي هي ضد الذكر³، والأنثيين في قوله تعالى: ﴿عَالِدَ كَارِئٍ حَرَمَ أُمِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ [الأنعام: ١٤٤] الإناث من الأنعام، و"إناثًا" في قوله تعالى: ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنْتَا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾ [النساء: ١١٧]، تعني الأصنام والأوثان⁴، ونحوه⁵.

1 إميل بديع يعقوب، المفصل في معجم الشواهد العربية، 564/1.

2 أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسى، المحكم والمحيط الأعظم، تح: عبد الحميد هندواوي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1421هـ، 2000م)، 182/10.

الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م

3 ينظر القرطبي، تفسير القرطبي، 111/10، أي إذا أُخبر أحدهم بولادة البنت..... "ولا يريد بالسواد الذي هو ضد البياض، وإنما هو كناية عن غَمَّةٍ بالحزن، ينظر الزمخشري، الكشاف، 437/1، ومجد الدين الفيروز أبادي، تنوير المقباس في تفسير ابن عباس، ص171.

4 يعني: "اللات، والعزى، ومناة" ينظر ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن، ص135؛ وابن جرير، تفسير الطبري، 208/9، والفرء، معاني القرآن، 288/1، الإناث كل شيء لا روح فيه من خشب بالية وحجر.

5 نظيرها في الزخرف: 19.

الصيغة الثانية عشرة: فعلاء:

ذكر الصرفيون أنَّ هذه الصيغة تأتي اسمًا وصفةً، فمن الاسم: "طَرَفَاء، حَلَفَاء، قَصَبَاء"، ومن الصفة: "خَضْرَاء، صَفْرَاء، سَوْدَاء، حَمْرَاء"¹. وهي صيغة مزيدة بحرفين بعد اللام والألف والهمزة، مؤنث "أَفْعَل" ممنوعة من الصرف لأنَّ كل "فَعْلَاء - فُعْلَى" في الكلام لا ينصرف². وتأتي للدلالة على الصفة المشبهة إذا كانت مؤنثة لأفعل الدالة على العيب نحو: "أعور - عوراء" و"أخرس - خرساء" أو على اللون نحو: "أحمر - حمراء" و"أزرق - زرقاء".

وهي صيغة قياسية فيما كان من الحلي، والعيوب الظاهرة، كالسواد والبياض، والعور، والعمى، والصلع³، وتختص بالدلالة على مكان يوجد فيه الشيء على معنى التمييز، وعلى كثرة الشيء وتعددته في غير انفصال نحو: "جرجاء" للمكان الذي تكثر فيه الغابات، وصنعاء للمكان الذي تكثر من الصناعة. ومثالها كلمة "صَفْرَاء".

كلمة صفراء تستخدم للإشارة إلى اللون الأصفر، وجاءت في القرآن الكريم وصفًا للبقرة التي ذبحها بنو إسرائيل "صفراء" لوها.

صفراء هي "فَعْلَاء" اشتقت إمَّا من الثلاثي المزيد بحرفين "أصفر - يَصْفُرُ - اصفرارًا" فهو أصفر، وهي صفراء، إمَّا من الثلاثي المزيد بثلاثة أحرف: "أصفار - يصفار - اصفرار" فهو أصفر، وهي صفرة⁴.

1 ينظر سيبويه، الكتاب، 257/1، وابن عصفور، المتع الكبير في التصريف، 122/1؛ وابن جني، المزهر في علوم اللغة، 17/2.

2 ينظر سيبويه، الكتاب، 206/3.

3 ينظر الطائي الجباني، شرح الشافية، 144/1، والعليلي، تهذيب المقدمة اللغوية، 208/2.

4 ينظر الفراهيدي، العين، 114/7، وابن قتيبة، أدب الكاتب، ص 578 - 579، وابن منظور، لسان العرب، مادة: "صَفَر"،

2459/4. وينظر أبو حيان، القاموس المحيط، باب الرء، فصل الصاد، 72/2.

ذكر السمين الحلبي، في قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا﴾ [البقرة: ٦٩] صفراء¹، تأنيث الأصفر، صفة، وهي لون من الألوان يدل على الفقوع والسرور، ومنه قوله تعالى: ﴿كَسَّرُ النَّظِيرِينَ﴾ [البقرة: ٦٩] فهي جملة في محل رفع صفة لبقرة، ويجوز أن تكون خبراً عن لونها ولا يستعمل إلا في الإبل²، كقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُ جِمَلَتٌ صُفْرٌ﴾ [المزملات: ٣٣] وقول الشاعر:

تلك خيلي منه وتلك ركابي هن صفر أولادها كالزبيب³

الصيغة الثالثة عشرة: فَعْلَان:

ذهب الصرفيون إلى أنَّ هذه الصيغة تأتي اسماً، وصفة، فالاسم نحو: سَعْدَانٌ وَضَمْرَانٌ⁴، والصفة، نحو: عَطْشَانٌ، شَبْعَانٌ، رَيَّانٌ، غَضْبَانٌ⁵. وتبنى قياساً من "فَعِل" اللازم إذا دلت على خلو أو امتلاء أو حرارة باطنية نحو: العطش، الجوع، الغضب، اللفه، الري، الشبع⁶. يقول سيبويه: "أما ما كان من الجوع والعطش فإنه أكثر ما تبنى الأسماء فيه على وزن "فَعْلَان". ويكون المصدر منه على وزن "فَعْل"، والفعل منه على وزن "فَعِل - يَفْعَل"، نحو: عَطِشَ، يَعْطِشُ، عَطْشًا، وهو عَطْشَانٌ، وهي ممنوعة من الصرف لأنَّ

1 ارتبطت الصيغة في سياق الآية بالدلالة على اللون، قال ابن فارس: "الصاد، والفاء، والزاء" ستة أوجه، فالأصل الأول لون من الألوان.... الصفرة في اللون، وذهب الجمهور إلى أنَّ المقصود بالصفراء في الآية اللون المعروف، إلا أنَّ أبا عبيدة والحسن ذهباً إلى أنَّ ما يعنيه القرآن بالصفرة هي السواد، وذهب ابن قتيبة إلى أنَّ الصفرة المقصود بها السواد، وتكون في الإبل لا في البقر، ويقال: بعير أصفر أي أسود، وذلك أنَّ السواد من الإبل يبيثها سوادها صفرة. ينظر ابن فارس، مقاييس اللغة، باب الصاد والفاء، 294/3 وينظر ابن قتيبة، غريب القرآن، ص 53.

2 ينظر السمين الحلبي، الدرر المصون، 425/1.

3 أبو بكر الأنباري، شرح القصائد الجاهليات السبع الطوال، ص 230.

4 نباتان.

5 ينظر سيبويه، الكتاب، 21/4، وينظر ابن عصفور، الممتع الكبير في التصريف، 122/1، وينظر الطائي الجبائي، شرح الشافية، 148/1 - 149، وينظر ابن جني، المزهري في علوم اللغة، 17/2.

6 ينظر سيبويه، الكتاب، 21/4 - 22، وينظر ابن عصفور، الممتع الكبير في التصريف، 22/1، وينظر الطائي الجبائي، شرح الشافية، 148/1 - 149، وينظر ابن جني، المزهري في علوم اللغة، 17/2.

مؤنثها "فَعْلَى"¹. وتؤدي اللاحقة "ان" التي تنتهي بها الصيغة دورًا هامًا في العربية، فزيادة على وجودها في الصفات هي موجودة في بعض المصادر "كالخفقان والعرقان والشكران والجوعان والليان"، وفي جموع التكسير نحو: "إخوان، فرسان"².

كما تأتي أيضًا في اللغة الانفعالية، فقد استخدمت في التكبير، والتصغير والتحقيق، فمن الأول وجودها في الأسماء التي تميّز ذكر الحيوان عن أنثاه نحو: "أفْعُوَان³، عُقْرُبَان⁴، ضُبْعَان⁵. ومن الثاني نحو: أَتْبَحَان⁶، وَأَلْعَبَان⁷.

وقد وردت هذه الصيغة في القرآن الكريم في أربعة عشر موضعًا، وجاءت هذه الأمثلة من اللازم والمتعدي والصحيح والمعتل، وشملت المفرد والمذكر وجمع التكسير كما شملت بابي "فَعَلَ - يَفْعُل" و"فَعِلَ - يَفْعَل"، ومن أمثلتها في القرآن الكريم:

1- سُكَّارَى:

السكر أو الثمالة ذهاب العقل بسبب تناول المشروبات الكحولية أو المخدرات، كما جاءت في كتب اللغة والمعاجم. أما في القرآن الكريم فاتخذت دلالات مختلفة بينها السكر بمعناه المباشر.

1 ينظر سيبويه، الكتاب، 205/3، 216، 217، وابن قتيبة، أدب الكاتب، ص 621، وابن يعيش، شرح المفصل، 66/1 - 67.

2 ينظر ابن سيده، المخصص، 133/4، وعودة الله منيع القيسي، العربية الفصحى، ص 117.

3 ذكر الأفعى.

4 ذكر العقرب.

5 ذكر الضبع.

6 عجين فاسد حامض.

7 لاعب.

فسيّرت هذه الصيغة في القرآن الكريم في ستة أوجه دلالية وهي: "الْغَفْلَةُ، الْحَيْرَةُ، السَّخَرُ، النَّزْعُ،

الطَّعْمُ¹، الْغَطَاءُ"². وسكاري على وزن "فُعَالِي" جمع فَعْلَان من الثلاثي المجرد الصحيح السالم: "سَكِرَ

يَسْكُرُ سَكْرًا، وَسُكْرَانًا، فهو ساكر وسكران ومؤنثه سَكْرَةٌ، وسَكْرَى وسَكْرَانَةٌ"³. وهذه الأخيرة لغة بني

أسد، ذكر ذلك الجوهري وهي من باب "فَعِل - يَفْعَل" وتجمع على سُكَارِي، وسَكَارِي، وسَكْرَى، وذكر

سيبويه أنَّ "فَعْلَان" إذا كان صفة، ومؤنثه "فَعْلَى" فإنه يكسر على "فِعَال" بحذف الزيادة التي في آخره،

نحو: "عَجَلَان - عَجَال" و"عَطْشَان - عِطَاش"، وقد يكسر على "فَعَالِي" وهو أقل من "فِعَال". وذلك نحو:

سكران - وسكاري⁴. وفُعَالِي من الأبنية النَّادِرَة في القرآن الكريم إذ لم ترد إلَّا في أربعة جموع تتمثل في:

"أُسَارَى، سُكَارِي، كُسَالَى، فُرَادَى". وقرئت بأكثر من وجه، فقرأ الجمهور سُكَارِي، على وزن "فُعَالِي"

وقرأها آخرون بالفتح "سَكَارِي" على وزن فَعَالِي⁵، وقرأها النخعي "سَكْرَى" على وزن "فَعْلَى"⁶.

وذكر السمين الحلبي، السكر: بفتح وسكون الكاف حبس الماء، وبكسر السين كل موضع

مسدود، وبضم السين وسكون الكاف السد، أي ما يفصل بين الشيئين⁷، واستند على ذلك بقول الشاعر:

[من الهزج]

فما زلنا على السكر نداوي السكر بالسكر⁸

1المسكر.

2الغطاء على العقل.

3 ينظر ابن منظور، لسان العرب، مادة "سكر"، 2047/3.

4 ذكر ابن منظور أنه لا أحد قرأ "سَكَارِي" بفتح السين، وذهب إلى أنها لغة لا تجوز القراءة بها، ينظر لسان العرب، مادة "سكر"، 2047/3.

5 ينظر الطائي الجبائي، شرح الشافية، 286/2.

6 ينظر أبو حيان، البحر المحيط، 266/3.

7 ينظر السمين الحلبي، الدرر المصون، 589/3.

8 أبو منصور الثعالبي، خاص الخاص، تح: حسن الأمين، (بيروت: دار مكتبة الحياة، د.ت)، ص165. ولم يعثر له على قائل.

وبفتحتها: ما يسكر به من المشروب وغيره وهو إزالة العقل بمسكر أو عشق وغيره، وقد استدل

على ذلك بقول الشاعر: [من الكامل]

سكران سكر هوى وسكر مدامة أنى يفيق فتى به سكران¹

وذكر أصل السكر، الدلالة على الانسداد²، ووافق المفسرون السمين الحلي من أن "سكره" في

قوله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ١٧٢]، تعني الغفلة. والمعنى: أي في غفلتهم³ يترددون،

و"سكاري" في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ﴾ [الحج: ٢]، تعني الحيرة؛ أي: حيارى

من الشراب، ولكن الحقيقة أنها أهوال القيامة⁴، وقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ

سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣]، بمعنى الغطاء على العقل وهو السكر المعروف؛ أي: نشاوى

من الشراب⁵. و"سكرت" في قوله تعالى: ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا﴾ [الحجر: ١٥]، بمعنى سُحِرَتْ

وَأُخِذَتْ⁶. ويقال: سُكِّرَتْ بالتخفيف: سُحِرَتْ⁷، و"سكره" في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ

1 شهاب الدين النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 109/7. وينسب البيت إلى ديك الجن. أبو القاسم النيسابوري، عقلاء الجانين، تح: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1405هـ، 1985م)، ص 17.

الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

2 ينظر السمين الحلي، الدر المنصور، 589/3.

3 الغفلة: عدم إدراك الشيء مع وجود ما يقتضيه. ينظر أبو البقاء الكفوي، كليات أبي البقاء، ص 206.

4 "وترى الناس سُكَارَىٰ وما هم بسكرى"، بغير ألف وهي قراءة حمزة والكسائي، وقرأ الباقر: "سُكَارَىٰ" وهما لغتان لجمع سكران نحو: كَسَلَى - كَسَالَى. ينظر القرطبي، تفسير القرطبي، 12/5.

5 نشى الرجل من الشراب سَكِرَ. ينظر الفيروز أبادي، تنوير المقباس، 225/1، وابن منظور، لسان العرب، مادة "نشا"، 4433/6. والقرطبي، تفسير القرطبي، 205/5.

6 هذا قول قتادة. ينظر القرطبي، تفسير القرطبي، 8/10.

7 قال النحاس: المعروف من قراءة مجاهد والحسن "سكرت" بالتخفيف قال الحسن: أي سُحِرَتْ، والقرطبي، تفسير القرطبي 9/10؛ ومحمد بن غُزَيْر السجستاني، غريب القرآن، تح: محمد أديب عبد الواحد جبران، (سورية: دار قتيبة، ط1، 1416هـ، 1995م)، ص 183، وَسَدَّتْ أَبْصَارُنَا، من قولهم: سكرت النهر إذا سدته، ويقال: هو من سكر الشراب.

بِالْحَقِّ [ق: ١٩] بمعنى التَّزَعُّع عند الموت بالحق¹، و"سَكْرًا" في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ [التَّحْل: ٦٧] بمعنى كل ما هو مسكر، ويقال طُعْمًا².

نستطيع القول: إنَّ الكلمة أخذت بعدًا دلاليًا حقيقيًا ومجازيًا، وتعددت هذه الدلالات بتعدد المباني، وإنَّ كان الجذر واحدًا، وهذا ما يفسّر القاعدة: الاختلاف في المبنى يدل على الاختلاف في المعنى.

الصِّيْغَةُ الرَّابِعَةُ عَشْرَةَ: صِيْغَةُ فَعُولٍ:

تأتي "فَعُول" على أربعة أضرب: الاسم، والمصدر، والصفة، والصفة المشبهة. وأكثر ما تجيء للمبالغة؛ فالأصل في "فعول" إيقاع الفعل على جهة التكرير، والمبالغة.

وقد اجتهد العلماء في وضع ضوابط يفرقون بها بين الصفتين، وكما اختلفوا في الصيغة اختلفوا في الدلالة، بالرغم من التقارب الكبير، فإذا كانت المبالغة دلّت على التّكثير كما يقولون، فإنّ ذلك يعني تكرير الفعل مرّة بعد أخرى واستمراره، وهو ما يؤدي إلى الثبوت، بمعنى أنّ الإكثار من الفعل يجعله كالصفة المشبهة³، حينئذ تصير الصيغتان ضربًا واحدًا. وكثيرًا ما يتعدّد التفريق بينهما في بعض الأمثلة إلّا بالرجوع إلى سياق الكلام أو إلى الأعمال النحوي في التراكيب.

1 أي اختلاط العقل لشدة الموت. ينظر السجستاني، غريب القرآن ص 178، والقرطبي، تفسير القرطبي، 12/17؛ وأبو بقاء الكفوي، كليات أبي البقاء، ص 211.

2 روي المعنى الأول عن ابن مسعود، وابن عمر، وأبي رزين، والضحاك، والحسن، ومجاهد، وابن أبي ليلة والكلبي، وغيرهم قالوا: البتكر: ما حرمه الله من ثمرتيها، وقال أهل اللغة السكراسم للخمر، وما يسكر، ينظر السجستاني، غريب القرآن، ص 175، وحكى المعنى الثاني: عن أبي عبيدة، ذكر الرّجّاج: قول أبي عبيدة هذا لا يعرف، وأهل التفسير على خلافه، والقرطبي، تفسير القرطبي، 201/5.

3 ينظر مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، 198/1.

وفي الأساليب الفصيحة كلمات كثيرة تدل على المبالغة أشربت معنى الصفة المشبهة على جهة النطق. وقد أحصينا عددًا من أمثلة هذه الصيغة، وبالرغم من كل الأمثلة جاءت من المتعدي، وأغلبها بمعنى "المفعول"، فإنَّ السياق يبين أنَّها تفيد ثبوت الصفة ودوامها، مما يرجح كونها صفات مشبهة.

وقد ورد في كلام العرب صيغ سماعية تؤدِّي ما يؤديه اسم المفعول، وليست على وزنه، بل هي نائبة عنه في الدلالة على الذات، ولهذه الصيغة في القرآن الكريم تسعون موضعًا. ومن أمثلتها:

1- رَسُول:

الرسول من يتابع أخبار الذي بعثه، أُخِذَتْ من قولهم: "جاءت الإبل رَسَلًا"؛ أي: متتابعة، والرَّسَل بفتح الراء والسين: القطيع من كل شيء. والرَّسَل: اللبن الكثير المتتابع الدرر¹. وهي على وزن "فَعُول"، وتتنوع دلالاتها، فيراد بها الرسول من الأنبياء، أو من الملائكة، أو بمعنى الرسالة.

وسُمِّي الرسول رسولًا، إمَّا من الرِّسَل والرِّسَلَة، بكسر، فسكون— وهو الفرق والتؤدة، لأنَّه يتابع الأخبار عن الله عزَّ وجل، ويدعو إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة. وإمَّا لأنَّه ذو "رسول"؛ أي: ذو "رسالة" إلى النَّاس. فالكلمة تقال تارةً للقول المتحمَّل، وتارةً لمَحْمَل القول والرسالة². والفعل أَرْسَلَ يقع على الذوات والمعاني وعلى العاقل وغيره، وقد يأتي لازمًا كقولك: أَرْسَلَ الْقَوْمُ؛ أي: كثر رَسُلُهم، وصار لهم اللبن من مواشيهم، ولم يرد الفعل في القرآن الكريم إلَّا مزيدًا بالهمزة، وهو يغني عن مجرده لعدم وجوده في هذا المعنى³.

1 ينظر الفراهيدي، العين، 241/7، وابن منظور، لسان العرب، مادة: "رسل"، 1643/3. والفيروز أبادي، القاموس المحيط، مادة "رسل"، ص 1005.

2 ينظر الراغب الأصفهاني، المفردات، كتاب الراء، ص 195.

3 ينظر أبنية الأفعال ص 247

ذكر السمين الحلبي، الرسول: الانبعاث والإرسال، ومنه ناقة رسالة: أي سهلة الانقياد¹، ومنه قول

كعب: [من البسيط]

أُمت سعاد بأرض لا يبلغها إلا العتاق النجيبات المراسيل²

والرسول: الرفق والمهل³، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا﴾ [الزمر: ١٥]، وقول الشاعر:

[من الطويل]

لقد كذب الواشون ما نُحِثُّ عندهم بليلى ولا أرسلتهم برسول⁴

والرسول على رُسل، ويراد بهم الملائكة⁵، ومنه قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ

رُسُلُنَا﴾ [الأنعام: ٦١]، والرسول: الأنبياء عليهم السلام⁶، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ

حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٢٤]. والإرسال: قد يكون من التخيير لا الاختيار، ومن ذلك

إرسال المطر والريح، كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾ [الزمر: ٤٦]، وقوله تعالى:

﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا﴾ [الأنعام: ٦١]، وقد يكون الإرسال اختياراً⁷، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا

الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تُوْزُّهُمْ أَزْأًا﴾ [مريم: ٨٣]، والإرسال يعني التابع، كما في الحديث: "أَنَّ الرَّسُولَ

أَوْصَى أَنْ يَصْلُوا عَلَيْهِ أَرْسَالًا بِغَيْرِ إِمَامٍ"⁸؛ أي: أفواجاً متتابعةً. وقد اعتمد السمين الحلبي في تفسيره على

1 ينظر السمين الحلبي، الدرر المصون، 299/10.

2 أبو زيد القرشي، جمهرة أشعار العرب، ص 634.

3 ينظر المصدر السابق، 311/8.

4 البغدادي، خزانة الأدب، 278/10. ينسب إلى كثير عزة.

5 ينظر السمين الحلبي، الدرر المصون، 526/10.

6 ينظر المصدر السابق، 415/3.

7 المصدر السابق 515/9.

8 ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تح: محب الدين الخطيب، (القاهرة: المكتبة السلفية، ط 3، 1407هـ)،

427/5.

رأي شيخه أبي حيان، فقد ذكر في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ [البقرة: ١٧١]، أفادت أنَّ لفظ "رَسُولٌ" أريد به النَّبيُّ محمد ﷺ، لأنَّ الكلام في هذه الآية مع اليهود¹.

2- حُمُولَةٌ:

فسيّرت في القرآن الكريم على ثمانية أوجه دلالية وهي: "القبُول، الإِركاب، الإِمساك، الأثقال على الدَّوَابِ وتَسْخِيرُهَا، الإنفاق، الإِلزام، الحُمْلُ بِعَيْنِهِ، الحَبْلُ". وهي على وزن "فَعُولَةٌ" من الثلاثي المجرد الصحيح السالم: حَمَلَ الشيء على ظهره يَحْمِلُهُ حَمْلًا وَحُمْلَانًا من باب "فعل يَفْعِلُ" وحمل الأوزار تشبيه بحمل الأثقال، وحملت المرأة حَبَلَت، والحمل - بفتح الحاء ما تحمل الإناث في بطونها، والحاملات وقُرًا السُحُب التي تحمل الأمطار، والحُمُولَةُ الدواب الكبيرة الصالحة للحمل² ويبدو أنَّ التاء التي لحقت الكلمة جاءت للمبالغة في الوصف، فقد روي عن الأخفش أنَّهم قالوا فَرُوْقَةٌ³ ومَلُولَةٌ⁴ وحُمُولَةٌ، بالتاء حين أرادوا التكثير⁵.

فحمولة صيغة مبالغة أُنْزِلَتْ منزلة الصفة المشبهة، ثُمَّ جرت مجرى الأسماء، فصارت تطلق على كل ما اخْتُمِلَ عليه الحي من بعير أو حمار أو غير ذلك، وسواء كانت عليها أثقال أم لم تكن⁶. والحمولة تعني

1 ينظر أبو حيان التوحيدي، البحر المحيط، 438/1.

2 ينظر الفراهيدي، العين، 240/3 - 242، وابن منظور، لسان العرب، مادة: "حَمَلَ"، 1678/4. وأبو حيان، البحر المحيط، فصل الحاء باب اللام، 372/3، وآراء العلماء في معنى الحُمُولَةِ، الفراء، معاني القرآن، 359/5، وابن قتيبة غريب القرآن، ص 162؛ وابن سيده المخصص 138/16 - 139، والزنجشيري، الكشف، 56/2، وأبو حيان، البحر المحيط، 241/4، وابن عاشور، التحرير والتنوير، 125/6.

3 من الفرق وهو الخوف.

4 من الملل.

5 ينظر ابن سيده، المخصص، 103/16 - 139.

6 يقال للإبل بأنقالها "الحُمُولُ" على وزن "فُعُول" ، والفراهيدي، العين، 242/3.

-وفق رأي السمين الحلبي- ما أطاق الحمل عليه من الإبل، ويطلق على صغارها الفرش، والحمولة كبار الأنعام كالإبل والغنم والبقر، والفرش: صغارها¹ ومنه قوله تعالى: ﴿ثَمَنِيَّةٌ أَرْوَجُ مِّنَ الضَّأْنِ أَثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعَزِ أَثْنَيْنِ﴾ [الأنعام: ١٤٣].

وقد اتفق المفسرون مع السمين الحلبي، حيث ذهبوا إلى أنَّ الحمل في قال تعالى: ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾ [الأحزاب: ٧٢]، يعني القبول؛ أي: قبل حملها. وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَعَا أَلْمَاءُ حَمَلَتَكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة: ١١]، يعني الإركاب على السُّفُن، ونحوه كثير². وفي قوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ﴾ [الحاقة: ١٧] معنى الإمساك؛ أي: يمسك عرش ربكم، وفي قوله تعالى: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ﴾ [النحل: ٧] تسخير الدواب لهم تَسِيرُونَ أَثْقَالَكُمْ عَلَيْهَا، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ [التوبة: ٩٢] معنى المؤونة والتنفقة³، وفي قوله تعالى: ﴿لَتَحْمِلَ خَطَايَكُمْ﴾ [العنكبوت: ١٢]، معنى الإلزام؛ أي: نلزم خطاياكم، ونحوه⁴.

وخلاصة القول فإن كلمة "حمولة" في القرآن الكريم تستخدم للإشارة إلى ما يتحمُّ حملة أو نقله كما تظهر في سياقات متعددة تشمل الأحمال البدنية والمسؤوليات الروحية.

1 ينظر السمين الحلبي، الدر المنصون، 190/5.

2 نظيرها في القمر: 13، والإسراء: 70.

3 ينظر الزمخشري، أساس البلاغة، مادة "م. و. ن" مانه — يَمُونُهُ "قام بكفاية أمره، والفيروز أبادي، تنوير المقباس، 217/1، أي لتحملهم إلى الجهاد بالنفقة.

4 الحِمْلُ ما حُمِلَ، والجمع أحمال، ينظر ابن منظور، لسان العرب، مادة "حمل"، 1001/2. والحمل ما كان على الظهر أو على الرأس؛ والسجستاني، غريب القرآن، ص 111.

المبحث الخامس: أفعال التفضيل

هو اسم مبني على " أَفْعَلْ " للدلالة على شيئين اشتركا في صفة، وزاد أحدهما على الآخر، سواء أكانت هذه الزيادة تفضيلاً نحو: " أجمل، أحسن - أعظم " أو تنقيصاً نحو: " أرذل، أقبح " ¹. وقد جاء منه ثلاث صيغ مجردة من الهمزة، نحو: " خبر، شرّ، حبّ " حذفت همزتها لكثرة الاستعمال ²، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ وَلَآئِمَةً مُّؤْمِنَةً حَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢١]، ونحوه ³. وجاءت في بعض القراءات بإثبات الهمزة، فقد قرأ قتادة، وأبو قلابة، وأبو حيوة قوله تعالى: ﴿سَيَعْلَمُونَ عَذَابَ مَنْ الْكُذَّابُ الْأَشْرُ﴾ [القمر: ٢٦]، بفتح الشين، وتشديد الراء ⁴. وقد وضع الصرفيون شروطاً لصياغة أفعال التفضيل هي نفسها التي يجب توفرها في الفعل الذي يصاغ منه صيغتا التعجب " ما أفعله! وأفعل به! " ⁵، فيما وضع العلماء حوالي تسعة شروط لصياغة أفعال التفضيل، وهي كالآتي:

- 1- أن يكون له فعل؛ أي: لا يصح أن يبنى من وصف أو اسم لا فعل له، ولهذا عُذَّ بِنَاوُهُ من وصف لا فعل شاذاً نحو قولهم: هو " أَقْمَنُ " أي أحمق، و " أَلْصُّ " من شظاظ ⁶.

1 ينظر الطائي الجباني، شرح الشافية، 212/2، وخالد الأزهرى، شرح التصريح، 100/2؛ وابن عقيل، حاشية الحضري، 73/2، أحمد بن محمد الحملاوي، تح: نصر الله عبد الرحمن نصر الله، شذا العرف في فن الصرف، (الرياض: مكتبة الرشد، د.ت)، ص78، ود. خديجة الحديثي، أبنية الصرف في كتاب سيبويه، ص 284، وعباس حسن، النحو الوافي، (دار المعارف، ط15، 395/3).

2 ينظر جلال الدين السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، 16/2، والأزهرى، شرح التصريح، 101/2، ومحمد بن علي الصبان، حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، 43/3، وأحمد بن محمد الحملاوي، شذا العرف، ص 79.

3 نظيرها في الأنفال: 22.

4 ينظر الأزهرى، شرح التصريح، 101/2، وابن عقيل، حاشية الحضري، 73/2.

5 ينظر سيبويه، الكتاب، 97/4، وابن يعيش، شرح المفصل، 91/6.

6 شظاظ رجل من بني ضبة يضرب به المثل في اللصوصية، يقال أسرق من شظاظ، وألص من شظاظ، ينظر جمال الدين ابن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، 286/3 - 287، الأزهرى، شرح التصريح، 101/2.

كما شَدَّ بناؤه من اسم عين نحو قولهم: "أَخْنَكُ الشَّاتَيْنِ، وَأَخْنَكُ الْبَعِيرَيْنِ" أي أكلهما، وهو أفرس من غيره، وآبَلُ من خُنَيْفُ الحَنَاتِمِ¹ وإِبِلُ الناس كلهم، وأرعى الناس كلهم².

2- أن يكون من فعل ثلاثي، بمعنى أَنَّهُ لا يبنى من غير الثلاثي³.

3- أن يكون متصرفاً: أي لا يصاغ من الجامد، نحو: "نِعَمَ، بَيْسَ، وَعَسَى، وَلَيْسَ".

4- أن يكون تاماً فلا يصاغ من النَّاقِصِ، نحو: كان وأخواتها، غير أن قوماً على ما حكاه

السيوطي عن ابن الأنباري من أنهم قد جوزوا التعجب من النَّاقِصِ⁴.

5- أن يكون قابلاً للتفاضل والتفاوت نحو: "كَرَمَ، شَرَفَ" فلا يصاغ مما لا يقبل ذلك، نحو:

"مات وفني"، فلا يقال: فلان أَمُوتَ من فلان، أو أَفْنَى منه.

6- أن يكون مَبْنِيّاً للمعلوم، نحو: "قَدَرَ، عَدَلَ، عَظُمَ"، فلا يصاغ من المبني للمجهول نحو:

"جُنَّ وَضُرِبَ" إِلَّا أَنَّ ابن مالك جَوَّزَ ذلك⁵.

7- أن يكون مثبتاً، فلا يصاغ من منفي سواء أكان المنفي لازماً أم غير لازم، نحو: ما عاج

بالدواء، أي ما انتفع به.

8- ألا يكون من "أفعل - فعلاء"، نحو: عَوَرَ فهو أَعْوَرُ، وهي عَوْرَاءٌ، وَعَرَجَ، فهو أَعْرَجٌ وهي

عَرْجَاءٌ⁶.

¹الحناتم: سحائب سود.

² ينظر سيبويه، الكتاب، 100/4، وابن يعيش، المفصل، 94/6، والطائي الجياني، شرح الشافية، 212/1.

³ ينظر ابن يعيش، شرح المفصل، 91/6.

⁴ ينظر جلال الدين السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، 166/2.

⁵ ينظر محمد بن عبد الله، ابن جمال الدين الجياني، أبو عبد الله جمال الدين، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تح: كامل بركات، (دمشق:

دار الكتاب العربي، سنة النشر 1387هـ، 1967م)، ص 33، وابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، 175/2 وجلال الدين

السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، 166/2، وأبو العرفان، حاشية الصبان، 33/3، وابن مالك، حاشية الحضري، 73/2.

⁶ ينظر سيبويه، الكتاب، 98/4، والمبرد، المقتضب، 182/4، وابن يعيش، شرح المفصل، 91/6، والطائي الجياني شرح الشافية الكافية،

213/2، والأزهري، شرح التصريح، 92/2.

9- ألا يستغنى عنه بمرادفه، نحو: قال من القائلة، وشكّر، وقَعَدَ، وجَلَسَ، فإنّهم لا يقولون:

"ما أشكره وأقعدّه وأجلسه"، ولا تخلو أفعال التفضيل من أحد الثلاثة:

أ- أن يكون مجرداً من "أل" والإضافة.

ب- أن يكون مقترناً بـ "ال".

ج- أن يكون مضافاً.

وقد وردت هذه الصيغة في القرآن الكريم في مئة وواحد وثمانين موضعاً، ومن هذا الجانب نقسم

صيغ أفعال التفضيل إلى ستّ مجموعات، كالآتي:

1- المجرد من أل والإضافة.

2- المحلّى بأل.

3- المضاف إلى معرفة أو نكرة.

4- المذكور فيه "من" الجارة للمفضول.

5- الخالي من "من" الجارة للمفضول.

6- ما جاء فيه أفعال التفضيل من غير بابه.

وسندرس في هذا الفصل من كل مجموعة عينة.

أولاً: أفعال التفضيل المجردة من "ال" و"الإضافة"

وردت أفعال التفضيل في هذه المجموعة في مئة وخمسة مواضع، ومن أمثلتها في القرآن الكريم:

1- أَشَدُّ:

دلت هذه اللفظة على القوة والعلم والشدة ومنها في السياق القرآني في سورة البقرة آية 247، أن

الله اصطفى داوود عليه السلام وزاده بسطة في العلم والقوة.

فبُيِّنَت الشِدَّةُ والشَّدِيدُ، والأشَدُّ على سِتَّةِ أَوْجِهٍ دلالية وهي: "أَدْوَمُ، أَغْلَظُ، أَشْرُ، أَقْوَى، أَعْدَى،

الأَشَدُّ: الحُلُمُ". وصيغة "أَفْعَل" من الصحيح المضعف: "شَدَّ - يُشَدُّ - شَدًّا" إذا قوي، وتحتمل عين

المضارعة الضَّمَّ والكَسْرَ، ومعناها كل ما أحكم وأوثق فقد شَدَّ، وشَدَّده: قَوَّاه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا

مُلْكَهُ وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٠]، وقوله تعالى: ﴿أَشْدُدْ بِهِ أَزْرِيَ﴾ [طه: ٣١]، وقوله تعالى:

﴿إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَخْنَبْتُمْهُمْ فَشُدُّوا لَوْنًا﴾ [مُحَمَّد: ٤].

تشير الشدة في هذه الآيات إلى الصلابة والجلادة، وهي نقيض اللين، وتكون في الجواهر والأعراض،

وفي قوى النفس، وفي العذاب. والشديد: القوي الشجاع، والأشد: اكتمال العقل والبلوغ¹. ذكر ابن فارس:

الشين والدال أصل واحد يدل على القوَّة في الشيء، وفروعه ترجع إليه²، وقد استعمل القرآن الكريم "أَشَدَّ"

مع كَلِمَتَي "فَسَوَّهٌ وَحُبًّا"، وهما ممَّا يمكن بناء أفعل التفضيل من فعليهما³. ورأى السمين الحلبي أنَّ الأشدَّ

كل ما هو قويٌّ صارم، سواء كان في خير أم شر، ومنه قوله تعالى⁴: ﴿وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾

[البقرة: ٦٠]، فالعشي والعيث: أشدُّ الفساد، ومنها الخشية فهي أشد الخوف، وهي خوف يلحقه تعظيم المخوف

منه⁵، ومنها الجزع، ويعني اضطراب شديد مع الفزع. ومنه ناقة هلوعة: شديدة قويَّة سريعة السير. ومنها

1 ينظر ابن منظور، لسان العرب، مادة: "شَدَّ"، وينظر الراغب الأصفهاني، المفردات، كتاب الشين، ص 256.

2 ينظر ابن فارس، مقاييس اللغة، باب ما جاء من كلام العرب، 179/3.

3 كما في الأحقاف: 15، والأنعام: 152، والإسراء: 35.

4 نظيرها في الأعراف: 74، والشعراء: 183، وهود: 85، والعنكبوت: 36.

5 ينظر السمين الحلبي، الدرر الحصون، 388/1.

التَّضَاهِي بالناس ففي الحديث: "أشدُّ الناس عذابًا يوم القيامة الذين يضاهئون خلق الله هم المصورون"¹، ومنها الجدال، فهي مصدر من جادل، والجدال أشدُّ الخصام. ومنه قول الشاعر: [من الرجز]

قد أركب الآلة بعد الآلة وأترك العاجز بالجدالة²

والأجل: الصقر، لشدته، ومنه قتل الحبل فيصبح شديد محكم³، ومنها في الخير قوله تعالى ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ ثَبَاتًا﴾ [النساء: ٦٦]؛ أي: أشدَّاء في تحصيل العلم، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ [النساء: ٨٤]؛ أي: أشدُّ عذابًا يمنع الآخرين من الوقوع في الذنوب⁴.

وقد وافق المفسرون السمين الحلبي في دلالة هذه اللفظة، ففي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾ [البقرة: ٨٥]، تعني "أشدَّ" أدوم العذاب، ونحوه⁵، وفي قوله تعالى: ﴿أَشَدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، أفادت لفظة "أشدَّاء" معنى غلظاء؛ أي: غلظاء على الكفار، وفي قوله تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٩١]، أفادت لفظة "أشدَّ" معنى أشر، وفي قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [نصت: ١٥]، جاءت بمعنى أقوى قوة، وفي قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: ٨٢]، جاءت "أشدَّ" بمعنى أعدى عداوة، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ عَاتَيْنَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [يوسف: ٢٢]، أفادت لفظة "أشدُّه" بضم الشين وفتح الدال معنى الخُلْم⁶، ونحوه⁷.

1 البخاري، صحيح البخاري، رقم 5954. ينظر المصدر السابق، 327/2

2 ابن قتيبة، أدب الكاتب، ص 55. وينسب البيت إلى الأعشى.

3 ينظر المصدر السابق، 328/2.

4 ينظر السمين الحلبي، الدر المنصون، 222/4

5 نظيرها في البقرة: 165.

6 ذكر زيد بن أسلم، ومالك بن أنس، ومجاهد، وقتادة: الأشدُّ: ثلاث وثلاثون سنة، ينظر القرطبي، تفسير القرطبي، 162/9، والسجستاني، غريب القرآن، ص 16.

7 نظيرها في القصص: 14.

2- أدنى:

تأتي هذه اللفظة على وزن "أَفْعَل" من الثلاثي المجرد المعتل، الناقص الواوي: "دنا، يدنو، دُنُوًا، ودناوة"، بمعنى قرب. وقد جاء مجرّدًا ومزیدًا للدلالة على القرب، فمن المجرد قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ [التّج: ٨]، أي قَرَّبَ، ومن المزيد قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلٌّ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩]، بمعنى يقربن، والظاهر أنّ هذه الكلمة صيغة تفضيل، ويحتمل أن تكون صفة مشبهة¹. وقد اختلف العلماء في بنائها ودلالاتها على ثلاثة أقوال:

- أ- يرى الزجاج أنّها تفيد معنى القرب، والأصل فيها "أَدْنُو" من الدُّنُوِ قلبت واوها ألف لتحركها وانفتاح ما قبلها².
- ب- يرى الأخفش أنّ الدناءة بمعنى الصغير، حُفِّفت همزتها، أصلها: "أَدْنَأ" من دَنَا يَدْنَأُ، دَنَاةٌ³.
- ج- قيل إنّها بمعنى الرديء أصلها: أَدُونُ من الشيء، والدُّون هو الرديء، وأكثر مجيء هذه الكلمة دالة على القرب⁴.

وذكر العكبري أنّ الألف في "أدنى" منقلبة عن واو، لأنّه من دنا، يدنو إذا قَرَّبَ، ولها معنيان:

- أ- ما تقَرَّبَ قيمته بخساسة، ويسهل تحصيله.
- ب- أن يكون بمعنى القريب منكم لكونه في الدنيا.⁵

1 ينظر أحمد بن محمد الخراط، معجم مفردات اللغة، (دار العلم، سنة النشر 1409هـ، 1989م)، ص 111

2 ينظر أبو إسحاق الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، تح: عبد الجليل شلبي، (بيروت: 1988م)، 143/3.

3 ينظر المحلي، الدر المنصور، 395/3.

4 ينظر الزمخشري، الكشاف، 404-497؛ والقرطبي، تفسير القرطبي، مج 2، 104/3، وأبو حيان، البحر الحيط، وينظر المحلي، جلال الدين، تفسير الجلالين، ص 165.

5 ينظر عبد السلام محمد هارون، قواعد الإملاء، 39/1.

وذكر السمين الحلبي في تفسير "أدنى" ثلاثة أقوال:

أ- أصل أدنو من الدنو؛ أي: القرب، فلبت واووها ألفاً بسبب تحركها وانفتاح ما قبلها. من هنا يكون الدنو على معنيين: إمّا بمعنى أقرب لقلّة قيمته وخساسته، أو بمعنى أقرب في الدنيا بخلاف الذي هو خير، فبالصبر عليه يحصل نفعه في الآخرة¹.

ب- أصله من دنأ يدنأ دناءة، وهي كل شيء خسيس.

ج- أصله من أدون من الشيء، أي بمعنى الرداءة².

فالدنو كل ما هو قريب سهل التناول، ففي قوله تعالى: ﴿مِنَ النَّحْلِ مِمَّنْ طَلَعَهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ﴾ [الأنعام: ٩٩]؛ دانية بمعنى سهلة قريبة التناول متدلّية لثقلها بالثمر، وفي قوله تعالى: ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرّحمن: ٥٤]، أدانٍ بمعنى قريب التناول، وفي قوله تعالى: ﴿فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ سَيِّئَاتُ بَنِي إِدْرِيسَ﴾ [الرّوم: ٣]، أدنى تعني أقربها إلى بلاد العرب، وهي أرض الشام، وفي قوله تعالى: ﴿يُذْنِبِينَ عَلَىٰ يَهْنَّ مِنْ جَلْبِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩]، يراى بـ"أدنى" أقرب إلى معرفتهنّ فيؤذين³، وقد يراى بها الأصغر فقد قُوبلت بالأكبر أو الأقل ويقابل بالأكثر، وهذه هي الآيات ودلالة "أدنى" فيها:

الآية	موضع الآية	دلالة "أدنى"
﴿وَلَا أَدْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾	[المجادلة: ٧]	يراد بها الأرذل فتقابل بالخير ⁴

1 ينظر السمين الحلبي، الدر المنصون، 394/1.

2 المصدر السابق، 385/1.

3 ينظر المصدر السابق، 142/9، 530/10.

4 المصدر السابق، 142/9.

	[البقرة: ٦١]	﴿قَالَ أَتَشْتَبِدُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾
وافق المفسرون السمين الحلبي في أنَّ معنى "أَدْنَىٰ" في هذه الآية أجدر ¹ ؛ أي: أجدر ألا تشكوا ونحوه ² .	[البقرة: ٢٨٢]	﴿ذَٰلِكُمْ أَفْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا﴾
الأقرب ³ ، ونحوه ⁴	[السجدة: ٢١]	﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾
أَقَلَّ ⁵ أي أَقَلَّ من ثُلُثَي اللَّيْلِ، ونحوه ⁶ .	[المزمل: ٢٠]	﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾

تستخدم كلمة أدنى في القرآن الكريم في سياقات متعددة وفي كل السياقات تدل هذه اللفظة على معنى الأقل، مثل أقل قيمة، وأقل أهمية، وأقل رتبة، وأقل مسؤولية. ومثالها في القرآن الكريم قوله تعالى في سورة النساء: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَمِينِ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثَلِيٍّ وَتِلْكَ أَرْبَعٌ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ [النساء: ٣]

- 1 ينظر عبد الرحمن بن الجوزي، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، تح: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1404هـ، 1989م)، ص6، وأبو هلال العسكري، الوجوه والنظائر، حققه وعلق عليه: محمد عثمان، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 1428هـ، 2007م)، عن مقاتل، ص31.
- 2 نظيرها في النساء: 3، والمائدة: 108، والأحزاب: 51، ينظر ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن، ص119، وينظر الزمخشري، الكشاف، 159، وتوجيه القرآن للمقرئ، ص256.
- 3 العذاب الأدنى: هو الجوع في الدنيا، والعذاب الأكبر: النار في الآخرة.
- 4 نظيرها في النجم: 9.
- 5 ينظر أبو هلال العسكري، الوجوه والنظائر عن مقاتل، ص31، والجوزي، الوجوه والنواظر، ص6.
- 6 نظيرها في المجادلة: 7.

3- أَقْسَطُ:

فُسِّرَت هذه الصيغة في القرآن الكريم على وجهين من الدلالة وهي: "الْعَدْلُ، الْمَيْلُ وَالْجَوْرُ"، وهي على وزن "أَفْعَلُ" من الثلاثي المجرد الصحيح السالم، قَسَطَ، يَقْسِطُ، قِسْطًا، من باب "فَعَلَ - يَفْعِلُ" إذا عَدَلَ. ويقال: قَسَطَ فلان قِسْطًا بكسر القاف عَدَلَ وقسط، قَسَطًا بفتحها "جَارَ وانحرف عن الحق" فهو قاسط، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الحج: ١٥]. وأقسط: عدل. يقال: فلان مقسط في حكمه؛ أي: عادل، وقَسَطَ الشيء جعله أقساطًا؛ أي: أجزاء¹، وقال تعالى²: ﴿لَا يَنْهَكُكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الْمُتَّحَنَةِ: ٨]، وقيل هو من قُسط بضم القاف، وقيل من القِسْط بكسر القاف: العدل، وهو مصدرٌ لا فعل له، وليس من الإقساط؛ لأنَّ الإفعال لا يبنى منه أفعل³.

وقد ذكر السمين الحلبي أنَّ أقسط بمعنى عدل، ولا تأتي من قسط، لأن قَسَطَ بمعنى جار، فالهمزة للسلب، ويجوز أن تكون من قاسط على طريق النَّسَب؛ أي: ذي قسط، وقد أخذ في ذلك برأي ابن عطية في تفسيره، وهو مصدر، فهو ليس من الإقساط لأن أفعل لا يبنى من الأفعال⁴.

وذهب، القسط أن يأخذ قسط غيره، وهذا يعتبر جور، والإقساط أن يعطي قسط غيره وهذا إنصاف وقد استند على ذلك برأي الراغب الأصفهاني، ولذلك يقال قسط إذا جار، وأقسط إذا عدل⁵ وقد وافق المفسرون السمين الحلبي ففي، قوله تعالى: ﴿وَأَقْسِطُوا^ط إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩]،

1 ينظر الراغب الأصفهاني، المفردات، كتاب القاف، ص 403، وينظر ابن منظور لسان العرب، مادة "قَسَطَ"، 3626/5.

2 الممتحنة: 8، والحجرات: 9.

3 ينظر أبو حيان، البحر المحيط، 366/2.

4 ينظر السمين الحلبي، الدر المنصون، 670/2.

5 ينظر المصدر السابق، 671/2.

أفادت لفظة " وأقسطوا " معنى العدل أي أعدلوا إِنَّ الله يحب العادلين¹. وعلى العموم فإن هذه اللفظة تدلُّ على العدل والإنصاف والتعامل الصالح بين البشر.

ثانيًا: المحلى بأل:

وردت أفعل التفضيل في هذه المجموعة في خمسة وأربعين موضعًا ومن أمثلتها في القرآن الكريم:

1- الوُسْطَى:

تدل هذه اللفظة على الشيء الذي يكون بين شيئين آخرين، أو الذي يكون في المركز بين شيئين، وجاءت في كتب المعاجم دالة على الوسطية والتوازن، وقد جاءت في القرآن الكريم في سياقات متعددة، منها قوله تعالى في سورة البقرة ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣] فكلمة "وسطًا" في هذه الآية تشير إلى أهمية أن يكون المسلمون أمة وُسْطَى في معاملاتهم، كما جاءت في سياقات أخرى في القرآن الكريم تستخدم للدلالة على مفهوم التوازن والأعتدال في الحياة والدين.

فهو "فُعْلَى" مؤنث الأوسط من الثلاثي المجرد المعتل المثال الواوي "وسط، يَسِطُ، سِطَّة من باب "فَعِل - يَفْعُل" وقيل: وُسْط². والوسْط مكان النصف من الطرفين، ووسْط القوم: صاروا في الوسط.

1 ينظر القرطبي، تفسير القرطبي، 316/16؛ وابن قتيبة، تفسير غريب القرآن، ص 119؛ وأبو بكر الأنباري، الأضداد، ص 48، وأبو عبيدة معمر بن المثنى، مجاز القرآن، 167، وابن منظور، لسان العرب، مادة، "قسط"، 3626/5. والطبري، تفسير الطبري، 72/1، والراغب الأصفهاني، المفردات، ص 403. وفيه أقسط الرجل إذا عدل، وقسط إذا جار، ونحوه في كليات أبي البقاء، ص 292.

2 ينظر ابن منظور، لسان العرب، مادة "وسط"، 4831/6.

والوسط بالسكون ظُرف بمعنى "بين"، والوسط المعتدل من كل شيء أو العدل الخَيْر، ويقال شيء وسط؛ أي: بين الجيد والرديء. ويقال: هو من وسط قومه؛ أي: أخيرهم وأوسطهم؛ أي: أعدلهم وأرجحهم عقلاً¹. وذكر ابن فارس: "الوا والسين والطاء" بناء صحيح يدل على العدل والنصف، وأعدل الشيء أوسطه ووسطه². وقيل سميت الوسطى؛ لأنها توسّطت الصلوات أو لأنها الفضلى، فقد ذكر المفسرون أقوالاً متعدّدة في أيّ الصلوات عناها القرآن³.

وذكر السمين الحلبي: الوسطى: على "فُعْلَى" ومعناها التّفضيل، فهي مؤنثة مفردة الأوسط، وهي من الوسط بمعنى الخير، كقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، هذا الجعل المنفرد بنوعه هو اختصاصكم بالهداية، بدليل سياق الآية: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]؛ أي فكما جعلنا القبلة وسط الأرض جعلناكم أمة وسطاً⁴ وليست من الوسط بمعنى التوسّط بين شيئين؛ لأن "فعلى" معناها التّفضيل؛ ولا يبنى للتّفضيل إلا ما يقبل الزيادة والنقص. والوسط هنا بمعنى العدل والخيار، خلاف المتوسط الذي يكون بين الشيئين؛ فإنه يبنى منه أفعل التّفضيل. وفي قوله تعالى: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ [البقرة: ٢٣٨]، أفادت "الوسطى" ذكر الخاص بعد العام⁵، وهي صلاة العصر، ومنهم من قال صلاة الصبح⁶.

1 ينظر المصدر السابق، مادة "وسط"، 4831/6. وينظر ابن منظور، المفردات، كتاب الواو، ص 522، وينظر ابن فارس، مقاييس اللغة، باب الواو والسين، 108/6.

2 ينظر المصدر السابق، 108/6.

3 ينظر الزنجشيري، الكشاف، 375/1-376، وينظر القرطبي، تفسير القرطبي، 209/3-212، وينظر أبو حيان البحر المحيط، 249/2-250، وينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، 467/1.

4 ينظر السمين الحلبي، الدر المصون، 151/2.

5 ينظر المصدر السابق، 499/2.

6 ينظر ابن جرير، تفسير الطبري، 217/5-221، وينظر جلال الدين السيوطي، الدر المنثور، 293/2-305، وينظر أبو حيان، البحر المحيط، 241/2-242، وينظر القرطبي، تفسير القرطبي، 208/3-213، وينظر الواحدي، الوسيط، 357/1، وينظر ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن، ص 91.

ويطلق الوسط على القوي، ومنه المثنى (السَّاعد)؛ أي: الوسط وهو أقوى ما في الحيوان¹، والوسط بالتحريك يطلق على ما بين الطرفين، وعلى خيار الأشياء، لأن الأوساط محمية بالأطراف²، ومنها وسط الوادي باعتباره خير وأفضل موضع³.

ثالثاً: المضاف إلى المعرفة:

وردت أفعل التفضيل مضافة إلى المعرفة في ستة وعشرين موضعاً، ومن أمثلتها في القرآن الكريم:

أ - أَكْثَرُ:

تأتي على وزن "أَفْعَل"، وتشقُّ من الثلاثي المجرد الصحيح السالم: كَثَرَ الشيء، يكثر إذا ازداد حسياً أو معنوياً من "فَعَلَ يَفْعُل" نقيض القلة، وأكثر: الشيء، وكثره: جعله كثيراً، وَأَكْثَرَ الرَّجُلُ: ازداد ماله، وتكاثر القوم تفاخروا بكثرة العدد وتكاثر الشيء، واستكثره: رآه كثيراً، والكثرة: نماء العدد، والكوثر: العديد الكثير أو الخير العظيم، أو نهر في الجنة، والتكاثر: المكاثرة والمباهاة بكثرة العدد⁴.

والفعل "كَثُرَ" إذا كان مزيداً بالهمزة يأتي في القرآن للدلالة على الكثرة المعنوية نحو قوله تعالى:

﴿فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾ [الفجر: ١٢]، ونحوه⁵ وإذا كان مزيداً بالتضعيف يأتي للدلالة على الكثرة الحسيّة⁶.

ومن قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرْتُمْ﴾ [الأعراف: ٨٦].

1 ينظر السمين الحلبي، الدر المنصور، 525/5.

2 ينظر المصدر السابق، 151/2.

3 ينظر المصدر السابق، 151/2 - 152.

4 ينظر ابن منظور، لسان العرب، مادة "كثُر"، 2828/38/5. وابن فارس، مقاييس اللغة، باب الثاء، 160/5، والراغب الأصفهاني المفردات، كتاب الكاف، ص 426؛ وإسماعيل محمد إبراهيم، معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، (القاهرة: دار الفكر العربي، 1388هـ، 1968م)، مادة: "كثُر"، 3828/5.

5 نظيرها في هود: 32.

6 ينظر نجات عبد العظيم الكوفي، أبنية الأفعال، ص 185.

وفي أغلب آيات القرآن الكريم دلت هذه الصيغة على كمية العدد، وغالبًا ما تكون مضمومة، إمّا بعدم الشكر، أو بعدم الإيمان، وإمّا بالجهل أو بالعنف أو عدم العقل. وقد ذكر السمين الحلبي الكثرة: كل ما زاد من الشيء حَسَبًا كان أو معنويًا ومنها كثير، كالعفاء وهو ما كثر من الوبر والشعر، وقد يستعار لغيرهما، واستدل على ذلك بقول زهير بن أبي سلمى: [من الوافر]

تَحْمَلُ أَهْلَهَا عَنْهَا، فَبَانُوا عَلَى آثَارٍ مِنْ ذَهَبِ الْعَفَاءِ¹
وعفا الشعر كَثُرَ. ويقال: أَعَالَ فلانٌ؛ أي: كثر عياله². ومنه قول الشاعر: [من الكامل]

وما يَدْرِي الْفَقِيرَ مَتَى غَنَاهُ وَمَا يَدْرِي الْغَنِيَّ مَتَى يَعْجِلُ³
ومنها المعنُ، وهي من معن الشيء معانة أي كثر⁴، وهو من معن الماء أي، كثر وجرى⁵

ب- أَكْبَارُ:

تدل هذه اللفظة في كتب اللغة والمعاجم على معنى الشيوخ أو الأشخاص الكبار في السن والذين تجاوزوا سنَّ الشَّباب، أمّا في القرآن الكريم فغالبًا ما تستخدم هذه اللفظة للدلالة على القوم الذين رفضوا رُسُلَ الله وعصوا الأوامر الإلهية؛ أي تحمل معنى الكبرياء والتَّكبر، والرفض للإيمان، وهي ترتبط بالقصص والأمثلة التي تحذر من هذا الأمر، وفُسِّرَت في القرآن الكريم على ثمانية أوجه دلالية، هي: "شديد، كبير في السن، كبير في الرَّأي، كثير، عظيم، الكبرياء، ثَقِيل، طويل".

1 شهب الدين النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 74/5.

2 ينظر المصدر السابق، 40/11.

3 أبو زيد القرشي، جهرة أشعار العرب، ص 27. وينسب إلى أحيحة بن الجلاح.

الطبعة: الأولى، ٢٠٠٨ م

4 ينظر المصدر السابق، 348/8.

5 ينظر المصدر السابق، 348/8.

فهي "أَفَاعِلٌ" من الثلاثي المجرد الصحيح السالم: "كَبُرَ - يَكْبُرُ؛ أي: عَظُمَ. من باب "فَعُلَ - يَفْعُلُ"، ويقال: كبر الأمر؛ أي: صار كبيراً، وكَبُرَ عليه الأمر، شَقَّ عليه وثقل، وكَبُرَ الرجل من باب "فَعِلَ - يَفْعَلُ": طَعَنَ فِي السِّنِّ، فهو كبير. والكبير من أسماء الله الحسنى، ومعناه العظيم ذو الكبرياء، والأكابر والكبراء: العظماء والوجهاء والأشراف¹. وقد خصَّ الله سبحانه وتعالى "الأكابر" هنا دون سواهم؛ لأنهم أقدر من غيرهم على التَّحَايِلِ والمكر، والفساد لرئاستهم، وكثرة أرزاقهم، والسيطرة على الضعفاء والمحتاجين. وسنن الله في الأرض أن جعل أتباع الرسل الضعفاء كما قال تعالى: ﴿قَالُوا أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذُلُونَ﴾ [الشُّعَرَاءُ: ١١١]، وجعل فُسَّاقَهُمْ أَكْبَارَهُمْ.

فقد ذكر السمين الحلبي أنَّ المراد بـ "أكابر" في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾ [الأنعام: ١٢٣]، رؤساءها على سبيل الإستدراج، والذي يؤكد ذلك السياق قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ [الإسراء: ١٦]، وقوله تعالى حكاية عن فرعون: ﴿قَالَ ءَامَنْتُمْ لَّهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ [طه: ٧١]؛ أي: رئيسكم الذي يرأس صناعتكم. وقد اتَّفَقَ المفسرون² مع السمين الحلبي على لفظة "كبيراً" في قوله تعالى: ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٦٠] تعني شديداً، ونحوه³ وفي قوله تعالى: ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القصص: ٢٣]، تعني السِّن، ونحوه⁴. وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾ [يوسف: ٨٠] تعني الكبير في الرأي والعلم ونحوه⁵، وفي قوله تعالى:

1 ينظر ابن منظور، لسان العرب، مادة "كبر"، 3134/4. وابن فارس، مقاييس اللغة، باب الكاف، والباء، 153/5 - 154، والراغب الأصفهاني، المفردات، كتاب الكاف، ص 420، وإسماعيل محمد إبراهيم، معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، "كَبُرَ".
2 ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، 50/8، وأبو المظفر السمعاني، تفسير السمعاني، 141/2، وجلال الدين السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، 353/3، ومكي بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية، 174/3.
3 نظيرها في الإسراء: 4، والفرقان: 19. ينظر القرطبي، تفسير القرطبي، 12/13.
4 نظيرها في يوسف: 78، والبقرة: 266.
5 نظيرها في طه: 71، والشعراء: 49.

﴿وَلَا تَسْمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا﴾ [البقرة: ٢٨٢] قليلاً أو كثيراً، ونحوه¹، وفي قوله تعالى: ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩]، تعني العظيم. وفي قوله تعالى: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ [الملك: ٩]، أفادت لفظة "كَبِيرٌ" تعني الطويل؛ أي: في شقاءٍ طويل. ونحوه في القرآن الكريم كثير²، وأما قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحج: ٣٧]، فقد أفادت لفظة "الكبرياء" معنى الملك والسلطان، ونحوه³، وقال تعالى: ﴿إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكَّرِ بِتَائِتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ [يونس: ٧٨]، أفادت لفظة "كَبُرَ" معنى ثَقُلَ أي ثَقُلَ عليكم، ونحوه⁴.

رابعاً: المضاف إلى النكرة:

وردت أفعال التفضيل مضافة إلى النكرة في خمس مواضع منها:

1- أوّل:

تشير هذه اللفظة إلى دلالة البداية، وكل شيء يحتل المكان الأول في الترتيب والتسلسل، وجاءت في القرآن الكريم دالة على البدايات وهي من صفات الله عزّوجل. هذا يعني أنه هو البداية الأولى للكل والذي لا يوجد قبله شيء. ومثالها قوله تعالى في سورة الحديد: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]، كما تستخدم هذه اللفظة للإشارة إلى البدايات الزمنية والأحداث الأولى في التاريخ الإسلامي والقصص القرآنية.

1 نظيرها في التوبة: 121.

2 نظيرها في النساء: 34، والحج: 62، ولقمان: 30، وسبأ: 23، وغافر: 12.

3 نظيرها في يونس: 78.

4 نظيرها في الأنعام: 35.

فَسَبَّرت هذه الصيغة في القرآن الكريم على أربعة أوجه دلالية وهي: "أَوَّلُ مَنْ كَفَرَ - أَوَّلُ مَنْ

آمَنَ - أَوَّلُ مَنْ عَرَفَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُرَى فِي الدُّنْيَا، أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ".

وقيل: إنَّها من الأسماء التي لا فعل لها¹. يقال: أَوَّلُ الكلام تأويلاً؛ أي: فسَّره، ورجع به إلى أصله.

وتأويل الأحاديث يراود به في القرآن تفسير الأحلام، وآل الرجل أهله وعياله، وأتباعه، ولا تستعمل كلمة

"آل" إلا لمن لهم شأنٌ وشرف. والأوَّل: ضد الآخر، ومؤنثه الأولى، وجمعه الأوَّلون كما أن "الأوَّل" من أسماء

الله الحسنى وهو الذي لا يسبقه في الوجود شيءٌ؛ أي: الأزلي. وتستعمل "أَوَّل" استعمالين:

أ- أن يجري مجرى الأسماء، فيكون مصروفًا.

ب- أن يجري مجرى أفعل التفضيل فيستعمل على ثلاثة أوجه:

1- أن يأتي بعده "من" مذكورة أو مقدرة.

2- أن يأتي بالألف واللام.

3- أن يأتي بالإضافة².

ومن أمثلتها في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ [البقرة: ٤١]، فـ"أَوَّل" تعني

أَوَّلُ مَنْ كَفَرَ بالنبي من يهود المدينة³، وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِ﴾ [الزخرف:

1 ينظر ابن عصفور، الممتع الكبير في التصريف، 566/2.

2 ينظر محمد بن يزيد المبرد، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة، (بيروت: عالم الكتب، د.ت)، 245/3، وينظر أبو حيان، البحر المحيط، 326/1.

3 ينظر جلال الدين السيوطي، الدر المنثور 64/1، وينظر ابن جرير، تفسير الطبري، 563/1، وينظر الزمخشري، الكشاف 46/1، وينظر الواحدي، الوسيط، 92/1.

[٢٨١]، أفادت لفظة "أَوَّل" معنى أَوَّل من آمن بالله من أهل مكة، أي أَوَّل الموحدين¹، وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ سُبْحَنكَ ثُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] معنى المصدقين بأنَّ الله تعالى لا يُرى في الدنيا، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشُّعراء: ٥١]، معنى السابقين المؤمنين من بني إسرائيل².

2- خَيْرٌ:

تشير هذه اللفظة إلى الأفضليَّة في الشَّيء، أو الأشخاص، أو سواهم، وفُسِّرَت في القرآن الكريم على ثمانية أوجه دلالية، هي: "المال، الإيمان، الإسلام، أفضل، العافية، الأجر- الطعام، الظَّفَر في القتال".

وهي على وزن "أفعل" من الثلاثي المجرد المعتل الأجوف: "خار- يخير، خيرة، وخيرٌ" تقول: خار الشيء على غيره فضله، وخار خيراً: صار ذا خير، والخير: ضد الشر، وهو النعم والمال الكثير، وهو أيضاً صلاح الحال، وكل ما يرغب فيه عموماً "كالعقل، والعدل والفضل"³.

ورأى السمين الحلبي أنَّ الخير كلُّ عملٍ نافعٍ يرغبه الإنسان كالعقل والعدل والنفع والفضل، وهو نوعان: مطلق يرغبه كل البشر بجميع أحواله، كقوله ﷺ: (لا خير بخير بعده نار، ولا شر بشر بعده الجنة)⁴، والثاني مقيد وهو الذي يكون خير للواحد وشراً لآخر، كالمال، فإنَّه خير لمن عمل فيه صالحاً، وشر

1 أي إن كنتم تزعمون أنَّ للرحمن ولداً فإنَّ أول من يعبد على أنَّه واحد لا ولد له. ينظر السجستاني، غريب القرآن، ص 27، وينظر ابن قتيبة الدينوري، تحقيق: تأويل مشكل القرآن، تح: إبراهيم شمس الدين، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، ص 198، وينظر القرطبي، تفسير القرطبي، 119/16، وينظر جلال الدين السيوطي، الدر المنثور، 24/4، وينظر أبو حيان، البحر المحيط، 28/8.

2 جاءت هذه الآية في قصَّة السَّحرة، ينظر ابن جرير، مختصر في تفسير الطبري، 4، وينظر الفيروز أبادي، تنوير المقباس، ص 230، وينظر الزمخشري، الكشاف، 109/2.

3 ينظر الفيروز أبادي، القاموس المحيط، فصل الحاء، باب الرءاء، 26/2.

4 ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، تح: محمَّد عبد الكريم التَّمري، (بيروت: دار الكتب العلميَّة، 1418هـ، 1998م)، 4857/1.

لمن جمعه بالحرام، وقد استند على ذلك بقول العرب: إِنَّ الرجل يكسب مالا فيدخل به النار، فيرثه ولده فيعمل به خيرا، فيدخل الجنة، ومنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ [التَّغَابُنِ: ٩] • لذلك سَمَّاهُ الله عزَّوجلَّ خيرا، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [الْعَادِيَّاتِ: ٨]، أي المال ومنه قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْأَقْرَبِينَ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البَقَرَةِ: ١٨٠] أي ترك مالا كثيرا¹.

ويدخل في معاني "الخير" لفظ الخيل، ومنه قوله تعالى: ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢]؛ أي: حب المال والذي منه الخيل التي كانت سببا في تأخر زيد عن صلاة العصر حَتَّى غابت الشمس، فأمر بضرب الخيل بالسيوف غضبا لله عزَّوجلَّ، فسَمَّاهُ رسول الله ﷺ، زيد الخير، ومنه قوله: "الخيال معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة"²، ومن معانيه ما يتَّصف به الإنسان من أخلاق حميدة وصفات فضيلة³، ومنه قوله تعالى: ﴿عَسَى رَبُّهُوَ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ﴾ [التَّحْرِيمِ: ٥]؛ أي: يبدله بأزواجٍ في زمانهنَّ خيرٌ من أزواجه، كما في قوله تعالى: ﴿عَسَى رَبُّهُوَ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَنَاطَاتٍ تَلْبِسَاتٍ عِلْبَاتٍ سَوِيحَاتٍ ثِيَابَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾ [التَّحْرِيمِ: ٥] ومن معانيه الثَّواب، ومنه قوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ [البَقَرَةِ: ١٠٦] وذلك إمَّا بالتخفيف ما كان ثَقِيْلًا أو بكثرة الثَّواب، وإن كان أثقل كصوم رمضان⁴، ومن معانيه الدلالة على الأفضليَّة، كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [البَقَرَةِ: ١٩٧]، أي أفضل الزاد، ومن معانيه والقوة وحسن الدين، كقوله تعالى: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ [التَّوْر: ٣٣]؛ أي: أقوياء

1 ينظر السمين الحلبي، الدُّرُ المصون، 545/1.

2 ينظر المصدر السابق، 350/10.

3 ينظر المصدر السابق، 77/11.

4 ينظر السمين الحلبي، الدُّرُ المصون، 167/4.

في اكتساب المال، وحسن الدين¹. ومن معانيه المال²، كقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾ [البقرة: ١٨٠]، ونحوه كثير³. ومن معانيه الإيمان، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال: ٢٣]؛ أي: لو عَلِمَ الله فيهم إيمانًا لأسمعهم الإيمان⁴، ونحوه في القرآن الكريم⁵، والإسلام، كقوله تعالى: ﴿مَنَّاغٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ﴾ [ق: ٢٥]؛ أي: منَّاغٍ للإسلام⁶، ونحوه في القرآن الكريم⁷، ومن معانيه العافية⁸، كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ [يونس: ١٠٧]، ونحوه⁹، والأجر، كقوله تعالى: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّنْ شَعْتِيرٍ اللَّهُ لَكُم فِيهَا خَيْرٌ﴾ [الحج: ٣٦]؛ أي: لكم في البدن¹⁰، والطعام¹¹، كقوله تعالى: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤]، والظفر والغنيمة، والظعن في القتال¹²، كقوله تعالى: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا﴾ [الأحزاب: ٢٥].

- 1 ينظر المصدر السابق، 503/3.
- 2 ينظر المقرئ، توجيه القرآن - الورقة: 251، وأبي البقاء الكفوي، الكليات، ص 170، والواحد، الوسيط، 259/1.
- 3 نظيرها في البقرة: 158 - 215 - 272 - 273، وآل عمران: 180، والأعراف: 118، والأحزاب: 19، والتغابن: 16، والمزمل: 20، والنور: 33، وص: 32.
- 4 ينظر المقرئ، توجيه القرآن - الورقة 251، وأبي البقاء الكفوي، الكليات، ص 175.
- 5 نظيرها في الأنفال: 31، وهود: 105.
- 6 نزلت في الوليد بن المغيرة منع ابن أخيه أن يُسلم، فهو أول من خلع نعليه لدخول الكعبة في الجاهلية، فخلع الناس نعالهم في الإسلام..... وأول من حرَّم الخمر على نفسه في الجاهلية، وأول من قطع في السرقة في الجاهلية، فقطع الرسول ﷺ في الإسلام. ينظر القرطبي، تفسير القرطبي، 113/20، وابن قتيبة الدينوري، المعارف، تح: ثروت عكاشة، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 2، 1992م)، ص 551 - 552.
- 7 نظيرها في البقرة: 105، والقلم: 12.
- 8 ينظر المقرئ، توجيه القرآن - الورقة 251، وأبي البقاء الكفوي، الكليات، ص 174؛ والواحد، الوسيط، 259/1.
- 9 نظيرها في الأنعام: 17.
- 10 البدن: جمع بدنة؛ وهي الناقة المسمنة التي تساق للنحر والنذر، وهو ما جُعِلَ في الأضحية للنحر، وأشبه ذلك، فإن كان للنحر على كل حال فهو جزور. ينظر السجستاني، غريب القرآن، ص 63؛ وابن منظور، لسان العرب، مادة: "ب.د.ن"، 232/1. وابن جرير، تفسير الطبري، 116/17.
- 11 ينظر المقرئ، توجيه القرآن - ورقة 251، وأبي البقاء الكفوي، الكليات، ص 174، والواحد، الوسيط، 259/1.
- 12 ينظر المقرئ، توجيه القرآن - ورقة 251؛ وأبي البقاء الكفوي، الكليات، ص 175.

خامساً: المذكور فيه "من" الجارة للمفعول:

وردت "من" الجارة للمفعول في ثمانية، وعشرين موضعاً منها:

1- أَظْلَمُ:

تستخدم هذه اللفظة في القرآن الكريم للتحذير من الظلم والإجرام والمعاصي التي حذرنا الله من ارتكابها، وشدد على أهمية العدالة والإنصاف، وقد حملت أربعة أوجه دلالية، هي: "الشَّرْكُ، فِعْلُ الدَّنْبِ من غَيْرِ شِرْكٍ، القَاتِلُ، النَّقْصُ".

وهذه الصيغة على وزن "أَفْعَلُ" من الثلاثي المجرد الصحيح السالم: "ظَلَمَ - يَظْلِمُ - ظُلْمًا بفتح الظاء وضمها".

ومنه المَظْلَمَةُ: وضع الشيء في غير موضعه من باب: "فعل - يَفْعِلُ" تقول: ظلم فلان حقّه: غَصبه أو نَقَصَه إيّاه، أو جار عليه، وظلم به: كفر به، والظالم: من يفعل الظلم، والظلام والظلوم: كثير الظلم، وأظلم الليل: اسودَّ، ودخل الرجل في الظلام: ذهب نوره¹. ورأى السمين الحلبي أنّ "أَظْلَمَ" من الظلم وهو التعدي والافتراء، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾، والمعنى: لا أحد أظلم منه، بدلالة النفي في "مَنْ" الاستفهامية، ويؤكد ذلك أنّ هذه الصيغة تكررت في القرآن الكريم في أكثر من موضع منها في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الأنعام: ٢١]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ﴾ [السجدة: ٢٢]، وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾ [الزمر: ٣٢]، ففي كل آية دلّت لفظة "أظلم" أن المذكور فيها لا يكون أحدًا أظلم منه². وأظلم الليل: عمى سواده³، ومنها أغطش الليل على لغة أنمار

1 ينظر ابن منظور، لسان العرب، مادة: "ظلم"، 2759/4. وينظر ابن فارس، مقاييس اللغة، باب الظاء واللام، 468/3 - 469.

2 ينظر السمين الحلبي، الدر المنصون، 77/2.

3 ينظر المصدر السابق، 578/ 10.

وأشعر، وأصلها رجل أغطش؛ أي: أعمش، والتغاطش: التَّعامي¹، ومنها وقب الليل؛ أي: أظلم، كقول الشاعر²:

وقب العذاب عليهم فكأنهم لحقتهم نار السموم فأحصدوا

والغاسق: الليل إذا عَتَمَ وشدة ظلمته³، واستدل على ذلك بقول الشاعر⁴: [من البسيط]

يا طيف هند لقد أبقيت لي أرقا إذ جئنا طارقا والليل قد غسقا

أي اعتكر وشدت ظلمته⁵، وقد اتَّفَق المفسرون مع السمين الحلبي، فيما ذهب إليه من أنَّ كلمة "ظلم" تعني في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]، الشُّرك⁶، ونحوه⁷ وكلمة "ظلم" في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ [الطلاق: ٨]، فعل الذنب من غير الشرك⁸، ونحوه⁹، وكلمة "مظلوماً" في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا﴾ [الأنعام: ٣٣]، ظلم الناس بالقتل بغير حق ونحوه¹⁰، والفعل "تظلم" في قوله تعالى: ﴿كَلَّا الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أَكْلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا﴾ [الكهف: ٣٣]، النَّقْص؛ أي: لم تنقص من شيئاً¹¹، ونحوه¹².

1 ينظر المصدر السابق، 10/ 679.

2 ينظر المصدر السابق، 11/ 158. ومحمد بن علي الشَّوكاني، فتح القدير، 5/ 639. ولم ينسبه إلى قائله.

3 ينظر المصدر السابق، 11/ 159.

4 لم أعثر له على قائل. وقد ذكره القرطبي في تفسيره، 20/ 256، والماوردي في تفسيره، 6/ 375. والبيت في مسائل نافع بن أزرق من تفسير ابن عباس، ص 255. ورواه منسوباً إلى زهير بن أبي سلمى بـ "فأخذوا" بدلاً من فأحصدوا.

5 ينظر المصدر السابق، 11/ 159.

6 ينظر الراغب الأصفهاني، المفردات، ص 316.

7 نظيرها في لقمان: 13.

8 ينظر المقرئ، توجيه القرآن - ورقة 261.

9 نظيرها في البقرة: 231، وفاطر: 32.

10 نظيرها في النساء: 10-30.

11 ينظر المقرئ، توجيه القرآن - الورقة 161.

12 نظيرها في الأنبياء: 47، ومريم: 60.

2- أَقْرَبُ:

تشير هذه اللفظة في كتب اللغة والمعاجم إلى دلالة القرب أو البعد في المسافة أو الزمان، وتستخدم في القرآن الكريم في عدة سياقات أغلبها تدل على القرب الروحي والقرب من الله والتوجه إليه بالدعاء والطاعة، وقد جاءت على أربعة عشر وَجْهًا دلاليًا، وهي: "الجماع، الإجابة، مُدانة المدَّة، الأصب، اللَّيْن، القُرابة، صخرة في البيت المقدس، قبل الموت الكرامة، القربان، الأكل، الدُّخول الكائن "

والكلمة مشتقة من الثلاثي المجرد الصحيح السالم: "قَرَبَ - يَقْرُبُ - قُرْبًا - وقُرْبَانًا - وقَرِيبًا " تقول: قرب الرجل وقرب منه: دنا، فهو من باب: "فَعَلَ - يَفْعَلُ"، وقرب زوجته: باشرها، وقَرَبَهُ: أدناه، وقَرَّبَ قربانًا: قَدَّمَ ذبيحة ليتقَرَّبَ بها إلى الله، والقُرْبَةُ: القرابة أو النسب وتجمع على قُرَبَات، وذوو القربى: الأقارب، والقريب: الداني في المكان والزمان أو النسبة أو الخطوة أو الرعاية والقدرة، والقارب: طالب الماء. وذكر السمين الحلبي أنَّ المراد بـ "القرب" التقرب من الأشياء حتى نكاد نلمسها، ومنه تَقَرَّبَ العبد إلى ربه، وذلك بطاعته وامتنال أوامره واجتناب نواهيه¹، ومنه الحديث القدسي: "إِذَا تَقَرَّبَ عَبْدِي مِنِّي شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَإِذَا تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا"².

ويستعمل القرب في الزمان، كقوله تعالى: ﴿أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١]، وفي المكان كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٩]، ويدلُّ على النَّسب كقوله

1 ينظر السمين الحلبي، الدر المنصون، 23/10.

2 صحيح مسلم، 2067/4.

تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ [الْمَائِدَة: ١٠٦]، وعلى المنزلة¹ في قوله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ [الْمُطَفِّفِينَ: ٢٨]، وعلى القدرة في قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]².

وقد اتفق المفسرون مع السمين الحلبي في أنَّ النهي عن القرب في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ﴾ [البَقَرَة: ٢٢٢]، يعني النهي عن الجماع؛ أي: لا تجمعوهُنَّ، والقرب في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البَقَرَة: ١٨٦]، بمعنى الإجابة؛ أي: مجيب لهم، وقوله: ﴿لَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ [هُود: ٦٤]، بمعنى مدانة المدة، ونحوه³، وقوله: ﴿وَأَسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [ق: ٤١]، بمعنى صخرة بيت المقدس؛ أي: من الصخرة، وقوله: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ [الْيَسَاء: ١٧]، بمعنى قبل الموت؛ أي: من قبل الموت والمعاناة، ولا تقبل التوبة بعد المعاناة⁴، وقوله: ﴿أَوْ تَحُلْ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ [الرَّعْد: ٣١]، بمعنى المجاورة⁵. وأقرب في قوله تعالى: ﴿لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ [الكَهْف: ٢٤]، بمعنى الأصوب، ومقرَّبة في قوله تعالى: ﴿يَتِيْمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ [البَلَد: ١٥]، بمعنى القريب⁶، وأقربهم في قوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةَ الَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي﴾ [الْمَائِدَة: ٨٢]، بمعنى أليَنهم، وقربناه في قوله تعالى:

1 نظيرها في الواقعة 11 – 88.

2 ينظر السمين الحلبي، الدر المنصون، 572/5.

3 نظيرها في الأنبياء: 1 _ 97، والقمر: 1.

4 ذكر أبو مجلز، وهو لاحق بن حميد بن سعيد بن السُّدُوسِي البصري الأعور، والضحاك، وعكرمة، وابن زيد وغيرهم: ذكروا قبل المعاناة للملائكة والسوق، وأن يغلب المرء على نفسه، والسوق: النزاع، كأن روحه تساق لتخرج من بدنه. ذكر ابن عَبَّاس، والبَيْهَقِيُّ، معناه قبل الموت. ينظر القرطبي، تفسير القرطبي، 52/5، وابن جرير، تفسير الطبري، 93/3، وجلال الدين السيوطي، الدر المنثور، 135/2، وأبو فداء، تفسير ابن كثير 463/1.

5 ذكر مجاهد، وعكرمة، وقتادة: أوْجَلْ أنت يا محمد قريبًا من دراهم، ينظر القرطبي، تفسير القرطبي، 322/9، وابن جرير، مختصر من تفسير الطبري، 331/1.

6 نظيرها في الشورى: 23، والنساء: 36، والبقرة: 83، والبلد: 16.

﴿وَنَدَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [مَرْيَم: ٥٢]، بمعنى الكرامة؛ أي: كلمناه من قريب إكرامًا

له.



الفصل الثالث: الدلالة المعجمية لصيغ (الإفراد - التثنية - الجمع)

المبحث الأول: الدلالة المعجمية لصيغ الإفراد

أولاً: دلالة صيغ الإفراد:

سيقف الباحث في هذا المبحث على مجموعة من الصيغ والأوزان، ويذكر أمثالا أو عدداً من الأمثلة عن كل صيغة من الصيغ، ويبين دلالاتها مع الشواهد المناسبة لها، ورأي السمين الحلبي في الآية التي هي شاهد على الفكرة، ورأي علماء آخرين.

الصيغة الأولى: فَعَلَ:

صيغة "فَعَلَ" تأتي مصدراً، وتأني صفة مشبهة، وهي وزن مشتق من اللازم والمتعدي. ومن أمثلتها كلمة "سَمِعَ"¹ الدالة على المصدر من الفعل المتعدي "سَمِعَ - يَسْمَعُ"، وهي إحدى حواس الإنسان، ومقدمة على البصر، وقد حملت في القرآن الكريم دلالتين وهما: "سمع القلب - وسمع الأذن".

وقد ذكر السمين الحلبي: السمع حاسة من الحواس الخمس، وهو قوة حسية تدركها الأذن، ومنها: "أزاً"، والأز والأزيز، والهز، والاستفزاز: أشقاء. وهي التهييج وشدة الإزعاج. والأز: شدة الصوت، ومنه: "أز الرجل أزاً وأزيراً؛ أي: غلا واشتد غليانه حتى سمع له صوت²". وذكر من مرادفاتهما: "الوجيس" وهو صوت يعتري النفس أثناء فزعها، أي: يجس وجساً ووجوساً ووجيساً، ويوجس ويجس، بمعنى يسمع³.

ومن أمثلتها في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَرِهِمْ غِشَاوَةً﴾ [البقرة: ٧]، وقوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ﴾ [هود: ٢٠]؛ أي: لم يطيقوا سماع الإيمان بالقلب،

1 قوة في الأذن يدرك بها الأصوات، وهي من سمع - سمعاً، ينظر أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، تح: وداد القاضي، (بيروت: دار صادر، ط1، 1408هـ، 1988م)، 275/3.

2 ينظر السمين الحلبي، الدرر المصون، 541/7.

3 المصدر السابق، 354/6.

فقد ذكر الأخفش: الختم لا يقع على الأبصار، وإنما على قلوبهم، لأن ذلك كان لعصيانهم الله¹، وذكر ابن عاشور: "ليس الختم على القلوب والأسماع ولا الغشاوة على الأبصار هنا حقيقة بل جارٍ على طريقة المجاز بأن جعل قلوبهم -أي عقولهم- في عدم نفوذ الإيمان والحق"²، ونظيرها في قوله تعالى: ﴿كَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ [الكهف: ١٠١].

أما سمع الأذنين في الآية: ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢]، فقد جاءت لفظة دالة على المفرد، وإذا ما قارنّا بسياق الآية قبلها وما بعدها نجد أنها هي فقط جاءت على صيغة الإفراد هذا الأمر، وللمفسرين فيه عدة أقوال، وهي:

1- السمع مصدر، والمصادر لا تجمع³.

2- لفظة "السمع" جاءت على صيغة الإفراد إلا أن المراد بها الجمع⁴.

والذي أراه أن صيغة الإفراد هي الأرجح في هذه الآيات الكريمة، بدليل القرينة العلمية فقد أثبت علم التشريح أن المركز الحسي السمع في المخ يمدّه عصب دماغي واحد، أما الحس البصري فإنه يتركز على أربعة أعصاب⁵، إلى جانب هذا فإن إفراد السمع يرجع إلى حقيقة الإدراك عند الإنسان، فمدركات السمع شيء واحد وهو الصوت⁶، فالإنسان عند سماعه أي شيء يكون متساوياً، وإنما التفاوت في التفكير

1 ينظر الأخفش، كتاب معاني القرآن 36/1.

2 ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، 254/1.

3 ينظر أحمد بن محمد الحمالوي، شذا العرف، ص73.

4 ينظر جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، 28/1.

5 ينظر حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة، ص90.

6 ينظر القرطبي، تفسير القرطبي، 2/1، والزرکشي، البرهان في علوم القرآن، 19/4، وشهاب الدين الألوسي، روح المعاني، 135/1.

والتدبير¹، أمّا القلوب والأبصار، فمدركاتها كثيرة ومختلفة²، وهي مرتبطة بالإدراك ولكل عقل حظه من الإدراك³.

والخلاصة أن لهذه اللفظة دلالات متعددة في اللغة العربية تعني القدرة على الاستماع أو السماع، ويمكن استخدامها للإشارة إلى القدرة الفيزيولوجية على استقبال الأصوات، وأيضاً تستخدم للدلالة على الاستماع بفهم وانتباه، أمّا في القرآن الكريم والمعاجم، فيكون لها معانٍ إضافية واستخدامات مختلفة اعتماداً على السياق.

الصِّيْغَةُ الثَّانِي: فَعَلَ:

ومن أمثلتها في القرآن:

أ - أَحَد:

كلمة أحد لها دلالات متعددة في اللغة والقرآن الكريم معاً، فهي تشير إلى العدد، وتعني الواحد أو يمكن أن تستخدم للتأكيد على الفرادى، وقد اسْتُخْدِمَتْ بشكل خاص في سورة الإخلاص: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝﴾ [الإخلاص: ١ - ٤] • حيث دلّت على وحدانية الله، وعدم وجود شريك أو نظير له. والأحد هو الواحد الوتر الذي لا شبيه له، ولا نظير ولا صاحبة، ولا ولد ولا شريك، وأصل "أحد" وحَد، قلبت الواو همزة، واستدلوا على ذلك بقول النابغة: [من البسيط]

1 ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، 256/1.

2 ينظر الألوسي، روح المعاني، 135/1، ومحمد رشيد رضا، تفسير المنار، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب 1990م)، 145/1.

3 ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، 256/1، والقرطبي، تفسير القرطبي، 289/1، والزركشي، البرهان في علوم القرآن، 19/4.

كَأَنَّ رَحْلِي وَقَدْ زَالَ النَّهَارُ بِنَا بذي الجليل عَلَى مُسْتَأْنِسٍ وَحْدٍ¹

وللكلمة ثمانية أوجه دلالية وهي: (الله، النبي، بلال، تميم، زيد بن حارثة، أحد من الخلق،

دقيانوس، ساقى الملك)

1- الله:

قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ [البَلَد: ٥]، أفادت لفظة "أحد" في هذه الآية الكريمة

معنى الله تعالى²، وقد اتفق المفسرون في معنى كلمة "أحد" في القرآن الكريم، فذكر أبو جعفر أنَّ هذه الآية

نزلت في رجل من بني جُمَحٍ، كان يدعى أبا الأشدَّينِ، وكان شديدًا فقال الله تعالى: أَيْحَسِبُ هَذَا الْقَوِيُّ
يَجْلِدُهُ وَقُوَّتُهُ، أَنْ لَنْ يَقْهَرَهُ أَحَدٌ وَيَغْلِبَهُ، فَاللَّهُ غَالِبُهُ وَقَاهِرُهُ³.

2- النبي:

ومن أمثلتها في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا﴾ [الحَشْر: ١١]، أفادت لفظة

"أحد" في هذه الآية معنى النبي ﷺ، فقد قالوا المنافقون: لا نطيع فيكم محمدًا، بدليل قوله تعالى: ﴿إِذْ

تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ﴾ [آل عِمْرَان: ١٥٣]، يعني النبي ﷺ، فقد ذكر أبو المظفر: أي لا نطيع محمدًا
فيكم⁴.

1 ينظر القرطبي، تفسير القرطبي، 244/20. التَّابِعَةُ، ديوانه، ص 17.

2 ينظر ابن جرير، تفسير الطبري، 589/12، وابن مسعود البغوي، تفسير البغوي، 389/4.

3 ينظر ابن جرير، تفسير الطبري، 412/24، ومكي بن أبي طالب، كتاب الهداية إلى بلوغ النهاية، 8276/12، وأبو مظفر السمعاني، تفسير السمعاني، 227/6.

4 ينظر مظفر السمعاني، تفسير السمعاني، 404/5.

مؤذن الرسول ﷺ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾ [الليل: ١٩] • والمراد بـ "أحد" بلال، وعنده: أي عند أبي بكر حين أعتقه أبو بكر رضي الله عنهما. وذكر أبو جعفر الطبري: نزلت هذه الآية في أبي بكر بعثته من أعتق، فقد أعتق ناسًا لم يلتمس منهم جزاء ولا شكورًا، فهم ستة أوسبعة، منهم بلال، وعامر بن فُهَيْرَة²، وذكر شمس الدين القرطبي: في قوله تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ﴾ هو بلال، فكان لا يتصدق ليُجَازَى على نعمة، وإنما يتبغي وجه ربه الأعلى، واستدل على ذلك بسبب نزول هذه الآية الكريمة، فقد ذكر عن عطاء والضحاك عن ابن عباس: عذَّب المشركون بلالًا، وكان ينادي قائلاً: أَحَدٌ أَحَدٌ، فمرَّ به النبي ﷺ فقال: أَحَدٌ - يعني الله جلَّ علاه - ينجيك، ثم قال لأبي بكر: يا أبا بكر إنَّ بلالًا يُعَذَّبُ في الله، فعرف أبو بكر الذي يريد الرسول ﷺ، فذهب إلى منزله، وأخذ رطلًا من الذهب، وذهب به إلى أمية بن خلف، فقال له أتبيعني بلالًا؟ فقال: نعم، فاشتراه، فأعتقه، فقال المشركون: ما أعتقه أبو بكر إلا ليد كانت له عنده، فنزلت، قوله تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ﴾؛ أي عند أبي بكر من نعمة³، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ [الليل: ٤]، وقد اختلف المفسرون في توضيح الكيفية التي اشترى بها أبو بكر بلالًا⁴.

4- تملیخا:

1 ينظر ابن جرير، تفسير الطبري، 620/12، مسعود البغوي، تفسير البغوي، 496/4 - 497، وأبو الفداء، تفسير كثير 520/4 - 521.

2 ينظر ابن جرير، تفسير الطبري، 479/24 - 480.

3 ينظر القرطبي، تفسير القرطبي، 88/20، ومسعود البغوي، تفسير البغوي، 264/5، وابن عاشور، التحرير والتنوير 391/30.

4 اشترى أبو بكر من أمية وأبي بن خلف بلالًا، ببردٍ وعشر أواقٍ، وذكر أنَّ أمية بن خلف قال لأبي بكر حين قال له أبو بكر: أتبيعني؟ فقال نعم، أبيعك بِنِسْطَاسٍ، وكان نِسْطَاسٌ عبدًا لأبي بكر، صاحب عشرة آلاف دينار وغُلَمَانٍ وجوارٍ ومواشي، ينظر القرطبي، تفسير القرطبي، 98/20.

وهو أحد فتية أهل الكهف¹. ومن أمثلتها في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ [الكهف: ١٩]، أفادت لفظة "أحدكم" في هذه الآية معنى: تلميخاً²، واستدل السمين الحلبي على ذلك بسبب نزول هذه الآية الكريمة. يقول تعالى ذكره: كما أرقدنا هؤلاء الفتية في الكهف، فحفظناهم، وحفظنا أجسامهم من البلاء، وثيابهم من العفن، كذلك بعثناهم من رقدتهم، لنعرفهم عظيم سلطاننا وعجيب فعلنا في خلقنا، إذا تبينوا طول الزمان عليهم وهم بغيثهم حين رقدوا، وقوله تعالى: ﴿لَيْتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ﴾ فقال تعالى: ﴿فابعثوا أحداً﴾ -أي: تلميخاً- إلى مدينتكم التي خرجوا منها هرباً³.

5- زيد بن حارثة: ⁴

ومن أمثلتها في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، أفادت لفظة "أحد" في هذه الآية الكريمة معنى: زيد بن حارثة، فقد ذكر الماوردي في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ يعني زيد بن حارثة، فإنَّ المشركين قالوا: إنَّ محمداً تزوج امرأة ابنه، فأكذبهم الله بقوله: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ﴾؛ أي: لم يكن أباً لزيد⁵، وذكر القرطبي: لما تزوج محمد ﷺ زينب بنت جحش قال الناس: تزوج امرأة ابنه فنزلت الآية. وتعني ليس بابنه حتى تحرم عليه خليلته، ولكنه أبو أمته في التبجيل والتعظيم، فذهب الله بهذه الآية إلى ما وقع في نفوس المنافقين

1 قصة أصحاب الكهف وعددهم، وأسمائهم، واسم كلهم، واسم كهفهم، واسم ملكهم، واسم مدينتهم، ينظر سيد هاشم البحراني، البرهان في تفسير القرآن، (إيران: مؤسسة، متبعت اسمعيلين، 1980م)، 260/3.

2 ينظر ابن جرير، تفسير الطبري، 203/1، ومسعود البغوي، تفسير البغوي، 155/3.

3 وينظر مكي بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية، والماوردي، تفسير الماوردي، وتفسير البسيط.

4 ينظر ابن جرير تفسير الطبري، 305/10، وجلال الدين السيوطي، الدر المنثور، 385/5.

5 ينظر الماوردي، تفسير تفسير الماوردي، 408/4، وأبو بركات النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، 34/3، وعبد الله الطيبي فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب - حاشية الطيبي علي الكشاف، 440/12.

وغيرهم ليعلموا أنَّ محمدًا ﷺ لم يكن أبًا أحد من الرجال المعاصرين له في الحقيقة، ولم يقصد أنَّ النبي ﷺ لم يكن له ولد¹، واستدلوا على ذلك بقوله ﷺ: "يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب"²، فقد اتفق السمين الحلبي مع المفسرين في الرأي في أنَّ لفظة "أحد" إشارة إلى زيد بن حارثة، فنفي الولادة والتنبيه على التبني لا يجري مجرى النبوة الحقيقية، وذلك حين قالوا: كيف تزوج امرأة زيد وقد تبناه³.

6- أحد من الخلق:

وهم الملائكة والإنس والجن⁴، ومن أمثلتها في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]، وقوله تعالى: ﴿لَا كَيْفًا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ [الكهف: ٣٨].

9 - دقيانوس:

ومن أمثلتها في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١٩]، فقد أفادت لفظة "أحد" معنى: دقيانوس⁵، والذي يدل على ذلك قصة الرواية التي نزلت بها هذه الآية، وقد اتفق المفسرون⁶ على دلالة هذه اللفظة، فرأى الطبري أنَّ المعنى: لا يُعْلِمَنَّ بِكُمْ أَحَدًا من الناس. وذكر محمد المنتصر: عندما أرسل أصحاب الكهف تلميخا إلى المدينة ليحضر لهم الطعام طلبوا منه أن يكون لطيفًا، حتى لا يكشف عن حقيقته ولا يُعرَفَ، فيؤخذ إلى دقيانوس، فيؤذيهم ويعيدهم إلى دينه، فعندما نزل بهذه العملة التي مرَّ عليها قرون وصورة دقيانوس عليها، فلم يخطر ببال صاحب الدكان إلَّا أنَّ هذا الفتى وقع على كنز،

1 ينظر القرطبي، تفسير القرطبي، 197/14.

2 ينظر أبو حيان، البحر المحيط، 343/2. والحديث في صحيح البخاري، برقم 2645.

3 ينظر الحلبي، الدر المصون، 52/1.

4 ينظر ابن جرير، تفسير الطبري 299/8، وجلال السيوطي، الدر المنثور، 458/4 - 463.

5 ينظر تفسير ابن جرير 197/8 - 202، وجلال الدين السيوطي، الدر المنثور، 388/4.

6 ينظر الفراء، تفسير كتاب معاني القرآن وإعرابه، 275/3، والماوردي، تفسير الماوردي، 293/3، والقرطبي تفسير القرطبي، 374/10، وأبو بركات النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، 292/2، ومسعود البغوي، تفسير البغوي، 159/5.

فقال له: أين وجدت هذا الكنز؟ فقال: ما وجدت كنزاً، وما علاقة هذه العملة بما تقول، فاجتمع الناس على هذا الفتى، فأخذ يبكي من الهلع، وخاف أن يقتل، وأن يجبر على الوثنية فذكر الله في كتابه العزيز قولهم: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾¹.

10- ساقى الملك:

ومن أمثلتها في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرْثِيَّ أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ [يوسف: ٣٦]، وقد أفادت لفظة "أحدهما" في هذه الآية الكريمة معنى: ساقى الملك².

وقد اتفق السمين الحلبي مع المفسرين³ في تأويل هذه الآيات الكريمة، ولكنه فَرَّقَ ما بين واحد وأحد في المعنى فذكر الواحد يدخله العدد والجمع والاثنان، وأحد لا يدخله ذلك. يقال: الله أحد، ولا يقال واحد، ولا زيد أحد، فهذه الخصوصية لله تعالى لا شريك له⁴ والذي يؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿لَا يُعَذِّبُ﴾ وقوله: ﴿لَا يُوثِقُ﴾ قرأها الكسائي مبنيين للمفعول، وقرأها الباقون مبنيين للفاعل، والأرشد قراءة الكسائي، فقد أسند الفعل فيها إلى "أحد" وحذف الفاعل للعلم به وهو الله عز وجل، أو الرِّبَانِيَّة المتولُّون العذاب بأمر من الله⁵، ومنها في السياق القرآني، قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَاسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتُكَ﴾ [هود: ٨١]، فاللفظة "أحد" في المعنى للوط عليه السلام؛ إذ التقدير: لا تدع أحداً يلتفت، كقولك لخادمك: "لا يقيم أحداً" هنا النَّهْي لأحد، وهو الخادم؛ أي: "لا

1 ينظر محمد المنتصر بالله بن محمد الزمزمي الكتاني الإدريسي، تفسير القرآن الكريم، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، 15/4.

2 وهو مالك بن الريان، ينظر ابن جرير، تفسير الطبري، 213/7، وتفسير جلال الدين السيوطي، الدر المنثور، 36/4.

3 ينظر الفراء، تفسير كتاب معاني القرآن وإعرابه، 275/3، والماوردي، تفسير الماوردي، 275/3، والقرطبي، 374/10، والنسفي، 292/2، مسعود البغوي، تفسير البغوي، 159/5.

4 ينظر الحلبي، الدر المصون، 150/11.

5 ينظر المصدر السابق، 792/10.

تدع أحداً يقوم، فالمعنى في هذه الآية الكريمة: لا تدع أحداً يلتفت إلا امرأتك فدعها تلتفت، وهي من باب الاستثناء نحو: لا تدع أحداً يقوم إلا زيداً¹. وكأنَّ المعنى: ليمض الجميع في طريقه ولا يحقُّ لهم أن يلتفتا خلْفَهُم إلا زوجتك فيحق لها ان تلتفت خلْفَها.

الصِّغَةُ الثالثة: فِعْلٌ:

ومن أمثلتها في القرآن الكريم كلمة "طِفْلٌ"، وقد وردت في القرآن الكريم أربع مرَّات²، ثلاث منها مفرد، وواحدة جمع، وتعني في القرآن الكريم "مرحلة معينة من الحياة". وذكر السمين الحلبي أنَّ الطِّفْلَ: مفرد، ومثنَّاه: طِفْلَان، وجمعه: أطفال. ويطلق على المرحلة العمرية من الفطام إلى البلوغ³، ومنه قوله تعالى: ﴿إِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَعِذُوا﴾ [النور: ٥٩]. وذكر الطِّفْلُ بالفتح: هو كلُّ شيء ناعم. ومنه يقال للمرأة: طفلة⁴، ومنه قول الشاعر: [من الكامل]

ولقد لهوْتُ بطِفْلةٍ مَيْالَةٍ بلهَاءٍ تُطْلِعُنِي عَلَى أسْرَارِهَا⁵

وذكر الطِّفْلُ بفتح العَيْنِ والفاء، وهو وقتٌ لما بعد العصر، ومنه قول العرب: طَفَلَتِ الشمس؛ أي: مالت إلى الغروب⁶. وقد اتَّفَق المفسرون مع السمين الحلبي، فقد ذكر أبو بكر الجزائري في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [غافر: ٦٧]؛ أي: أصلُكم وهو أبوكم آدمٌ من تراب، ثُمَّ خَلَقَكُمْ من نطفة؛ أي: ماءٍ

1 ينظر المصدر السابق، 366/6.

2 ينظر د. عبد الرحمن بن محمد الحجيلي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، (المدينة المنورة: (السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط1، د.ت)، ص427.

3 ينظر السمين الحلبي، الدُّرُ المصون، 233/8.

4 ينظر المصدر السابق، 233/8.

5 إميل بديع يعقوب، المفصَّل في معجم الشُّواهد العربيَّة، 406/3. يُنسب البيت إلى التَّمَر بن تولب. وهو في غريب الحديث لابن قتيبة، 331/1.

6 ينظر المصدر السابق، 233/8.

الرجل وماء المرأة، ثمَّ علقة، ثم مضغة، ثمَّ إن شاء الله جعلها طفلاً، وإن لم يشأ خَلَقَهَا أَسْقَطَهَا من الرحم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ [الحج: ٥]؛ أي: نُقِرُّ تلك المضغة المُخَلَّقة في الأرحام إلى أجل مُسمًى، وهو ميعاد ولادة الولد، ونخرجكم طفلاً؛ أي: أطفال صغار لا عِلْمَ لكم، ولا حلم. ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ﴾ [غافر: ٦٧]؛ أي: تمام النِّماء¹، ففي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ [الحج: ٥]، وقوله تعالى: ﴿أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ [التور: ٣١]؛ وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ [غافر: ٦٧]؛ فقد جاءت صيغة طفل في هذه الآيات السابقة على صيغة الأفراد إلّا أنَّها صفة لجمع، وللمفسرين في ذلك تأويلات منها:

1- إنَّ الطفل مصدرٌ، لذلك وُجِدَ².

2- لفظةُ الطفل تدلُّ على الجنس³.

والذي أراه أنَّ لفظة الطفل في آية الحج، وآية غافر دلَّت على الأفراد، والدليل على ذلك سياق الآية الكريمة ففي سورة غافر قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لَتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لَتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يَتُوفَّى مِنْ قَبْلٍ وَلَتَبْلُغُوا أَجْلاً مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [غافر: ٦٧] فالملاحظ أنَّ لفظة "طفل" لم تدلَّ على قيمة عددية، بل على حالة أو مرحلة في حياة الإنسان، فالمقام مقام تصغير، وتحقير لشأن الإنسان، وأمره مناسبة ذكر المفرد لقلته عن

1 ينظر جابر بن موسى الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ومعه حاشية فخر الخير، (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ط5، 1424هـ، 2003م)، 4/454.

2 ينظر ابن جرير، تفسير الطبري، 464/16، والبيضاوي، تفسير البيضاوي، 114/4، وابن جزي الكلبي الغرناطي التسهيل لعلوم التنزيل، 35/3؛ وأبو سعود العمادي، إرشاد العقل السليم، 96/4، وشهاب الدين الألوسي، روح المعاني، 145/18 - 146، والشنقيطي، أضواء البيان، 4/272.

3 ينظر الزمخشري، الكشاف، 146/3، وفخر الدين الرازي، تفسير الكبير، 282 - 9/23، والبيضاوي، تفسير البيضاوي، 114/14.

الجماعة¹، كما أنَّ العرب كانوا يستخدمون كلمة طفل للدلالة على المفرد والجمع²، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا﴾ [النور: ٥٩] فسياق الآية يتكلم على مرحلة الرجولة والكبر³.

طفل: تستخدم كلمة "طِفْلٌ" في اللغة العربية للدلالة على الإنسان الصغير في العمر والذي لم يبلغ سن الرشد، وفي القرآن الكريم تظهر كلمة طفل بشكل عام في العديد من الآيات التي تتحدث عن الأطفال كجزء من الخلق والنسل، وقد تتغير الدِّقَّة في دلالتها باختلاف المصادر والسياق.

الصِّيْغَةُ الرَّابِعَةُ: فَعُولٌ:

ومن أمثلتها في القرآن الكريم:

أ - رسول:

الرسول من "رَسَلَ" والراء والسين واللام: أصل واحدٌ مطَّردٌ يدلُّ على الانبعاث والامتداد⁴، وتحمل الكلمة في اللغة معنيين اثنين، كما جاء في لسان العرب: الرسول: اسم من أرسلت، وكذلك الرسالة⁵. وقد جاءت هذه اللفظة في القرآن الكريم على خمسة أوجه دلالية وهي: "النَّبِيُّ المرسل، الرسول النَّبِيُّ، جبريل، الملائكة المكلفون بمهام محددة، الرسالة، القرآن".

1 ينظر أبو الفتح عثمان بن جني، المحتسب، تح: محمد عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1419 هـ، 1998م)، 207/2.

2 ينظر فاضل صالح السامرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، (القاهرة: العاتك لصناعة الكتاب، ط1، بغداد: ط2، 1427هـ، 2006م)، ص 91.

3 ينظر أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، ص93.

4 ينظر ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة رسل، 322/2.

5 ينظر ابن منظور، لسان العرب مادة رسل، 1645/3.

وردت هذه الصيغة في القرآن الكريم مفردة ومثنى، ومنه قوله تعالى: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾

[طه: ٤٧]، فقد ذكر محمد علي الصابوني أنَّ موسى وأخاه هارون عليهما السلام عندما وقفا على باب فرعون

يلتمسان الإذنَّ عليه، وهما يقولان: إِنَّا رَسُولَا رَبِّ الْعَالَمِينَ فَأَذْنُوا بِنَا هَذَا الرَّجُلَ، مَكْنَا سَتَيْنِ يَغْدُوَانِ وَيُرُوْحَانِ

لَا يَعْلَمُ بِهِمَا وَلَا يَجْتَرِي أَحَدٌ عَلَيَّ أَنْ يُخْبِرَهُ بِشَأْنِهِمَا¹، بدليل قوله تعالى حكاية عنهما: ﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا

نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾ [طه: ٤٥] ؛ أي: أَنْ يَدْبِرَ لِهَمَا عَقُوبَةً أَوْ يَعْتَدِي عَلَيْهِمَا فَيُعَاقِبُهُمَا، وهما

لَا يَسْتَحِقَانِ مِنْهُ ذَلِكَ. ويستمر الخطاب الألهيَّ ردًّا على ما طلبه موسى وهارون: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي

مَعَكُمْ أَصَمُّ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦] ؛ أي: لَا تَخَافَا مِنْهُ فَإِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ كَلَامَكُمْ وَكَلَامَهُ، وأرى مكانكما

ومكانه لَا يَخْفَى عَلَيَّ مِنْ أَمْرِكُمْ شَيْءٌ، واعلما أَنَّ أَمْرَهُ بِيَدِي فَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَتَكَلَّمَ أَوْ يَتَنَفَّسَ أَوْ يَبْطِشَ إِلَّا

بِإِذْنِي²، ولذلك طلب إليهما: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦] والمفسِّرون من

إفراد "رسول" في آية الشعراء، وتننيتهما في آية طه على ثلاثة تأويلات³ وهي:

1- لفظة رسول مصدر، والإفراد والتثنية فيها متفق عليه.

2- القرآن الكريم اكتفى بواحدةٍ منها؛ فالكلام في الآيتين الكريمتين على هارون وموسى.

3- كل واحد منهما رسولٌ من ربِّ العالمين.

أمَّا السياق القرآني فيدلُّ على أَنَّ لفظة "رسول" في الآيتين الكريمتين جاءت على حقيقتها، ففي

سورة الشعراء المقصود بالرسول موسى عليه السلام، دون هارون، والدليل على ذلك قوله تعالى في سياق

1 ينظر تفسير ابن كثير، ج 5 ص 261.

2 ينظر محمد علي الصابوني، مختصر تفسير ابن كثير، (بيروت: دار القرآن الكريم، ط 7، 1402هـ، 1981م)، 482/2.

3 ينظر البغوي، معالم التنزيل، 382/3، والصابوني، التبيان في علوم القرآن، 162/2؛ وابن جزي الكلي، التسهيل لعلوم التنزيل، 84/3، والشوكاني، فتح القدير، 96/4.

الآية الكريمة: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ [الشُّعْرَاء: ١٢]، فالكلام صادر من موسى وحده¹، والآية تدل على الأفراد² أمّا في سورة طه فالمقصود بالرسول: "موسى وهارون"، والدليل على ذلك قوله تعالى في سياق الآية الكريمة: ﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾ [٤٣] أَدْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٤٤﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لِّعَلَّهُ يَنْذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴿٤٥﴾ [طه: ٤٤ - ٤٥] فالخطاب في هذه الآيات الكريمة لموسى وهارون، ثم قال تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَقْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطَّغَى ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٥ - ٤٦] فالخوف صادر من كليهما³، والآية دالة على الاثنين⁴.

الصيغة الخامسة: فعيل:

ومن أمثلتها في القرآن الكريم كلمة "النَّبِيُّ"، وهو المخبر، وهو من النبأ "الخبر"، وهو ما اشتق من النبوة؛ أي ما ارتفع من الأرض، وهذه دلالة على أَنَّ الأنبياء أشرف الخلق وأرفعهم منزلة⁵، وقد اختلف العلماء في التفريق بين النبي والرسول ومذهب الجمهور أَنَّ الرسولَ أخصُّ من النبي، فكل رسول نبي، وليس كل نبيٍّ رسولاً⁶، وذكر السمين الحلبي أَنَّ المراد بالنبي في قوله تعالى: ﴿يَنَاءِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ [الطَّلَاق: ١]، الناس عموماً، والدليل على ذلك سياق الآية الكريمة، فجاءت خبر كان، أي: كونوا مُبَيِّنِينَ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا﴾⁷. وهو يخالف رأي الجمهور، فقد ذكر الطبري أَنَّ النَّبِيَّ في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ [الحج: ١٢]

1 ينظر أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، ص 96، وينظر الإعجاز البياني في العدول النحوي السياقي في القرآن الكريم، ص 241

2 ينظر فاضل صالح السامرائي، أستاذ بكلية الآداب - جامعة بغداد، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، العاتك لصناعة الكتاب ص 88.

3 ينظر حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، ص 96، وهتاري عبد الله علي، الإعجاز البياني في العدول النحوي السياقي في القرآن الكريم، دار الكتاب الثقافى، 2008، ص 241.

4 ينظر فاضل صالح السامرائي، بلاغة الكلمة، ص 88.

5 ينظر عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف، التوحيد للناشئة والمبتدئين، ص 69.

6 ينظر عمر الأشقر، الرسل والرسالات، ص 14.

7 ينظر الحلبي، الدر المصون، 45/9.

[٥٢] هو محمد ﷺ، والدليل على ذلك السياق الخارجي للآية، وهو سبب النزول، فبينما الرسول ﷺ، وهو يصلي، نزلت عليه قصة آلهة العرب، فأخذ يتلوها، فسمعه المشركون فقالوا: إِنَّا نَسْمَعُهُ يَذْكُرُ آلِهَتَنَا بِخَيْرٍ، فدنوا منه، فبينما هو يتلوها، وهو يقول: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ۖ وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخَرَىٰ﴾ [النجم: ١٩ - ٢٠] ألقى الشيطان: إِنَّ تِلْكَ الْغُرَانِيقُ الْعَلَىٰ مِنْهَا الشَّفَاعَةُ تَرْجَىٰ، فجعل يتلوها، فنزل جبرائيل عليه السلام فنسخها، ثم نزلت هذه الآية¹، وخالف مكي بن أبي طالب ما ذهب إليه الطبري في هذه الآية، ورأى أَنَّ النبي هو المرسل، وَأَنَّ المرسل نبي، لَأَنَّهُ أَوْجِبَ فِي الْآيَةِ لِلنَّبِيِّ الرِّسَالَةَ، وَلَأَنَّ مَعْنَى نَبِيٍّ: أَنْبَأَ عَنِ اللَّهِ، وَمَعْنَى أَنْبَأَ عَنِ اللَّهِ هُوَ أَخْبَرَ عَنْهُ بِمَا أَرْسَلَهُ بِهِ، فَالنَّبِيُّ رَسُولٌ، وَالرَّسُولُ نَبِيٌّ فِي رَأْيِهِ²، فيما ذكر النسفي أَنَّ هذه الآية ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ﴾ دليلٌ بَيِّنٌ عَلَى ثُبُوتِ التَّغَايُرِ بَيْنَ الرَّسُولِ وَالنَّبِيِّ، وَاسْتَدْلَّ عَلَى ذَلِكَ بِالرَّوَايَةِ الَّتِي تَقُولُ سُئِلَ الرَّسُولُ ﷺ عَنِ الْأَنْبِيَاءِ، فَقَالَ: مِائَةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا، فَقِيلَ كَمْ الرُّسُلُ مِنْهُمْ؟ فَقَالَ: ثَلَاثُمِائَةٌ وَثَلَاثَةٌ عَشْرٌ³.

وذكر السمين الحلبي في موضع آخر من تفسيره لتوضيح الدلالة المعجمية للفظه "النبي"، النبي: فعيل بمعنى فاعل؛ أي: منبئٌ عن الله برسالته، ويجوز أن تكون بمعنى مفعول، أي: إِنَّهُ مُنْبَأٌ مِنَ اللَّهِ بِأَمْرِهِ وَنَوَاهِيهِ، وَاسْتَدْلَّ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِ الْعَرَبِ بِجَمْعِهِ عَلَى نُبَاءٍ⁴. وقد تأتي لفظة النبي دالة على الطريق، وذلك أَنَّ النبي طريق الله إلى خلقه، به يتوصلون إلى معرفة خالقهم⁵.

1 ينظر ابن جرير، تفسير الطبري، 666/8.

2 ينظر مكي بن أبي طالب، كتاب الهداية إلى بلوغ النهاية، 4913/7.

3 ينظر أبو بركات النسفي، تفسير النسفي، 447/2.

4 ينظر المصدر نفسه، 400/1.

5 ينظر المصدر نفسه، 402/1.

وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ [الطَّلَاق: ١]، جاءت لفظة " النبي " في هذه الآية الكريمة دالة على الأفراد، والذي يدل على ذلك حرف النداء فيها، وفيه قولان:

أ- النداء خاص بالنبي ﷺ، ولا يدخل غيره معه في هذا النداء ¹.

ب- النداء شامل للنبي ﷺ، وأمته ².

والسياق القرآني يؤكد لنا يدعم الاحتمالين، فالاحتمال الأول تؤكد القرينة الخارجية للآية المتمثلة في سبب النزول، فقد نزلت الآية عندما طلق النبي ﷺ حفصة رضي الله عنها³، أمّا الاحتمال الآخر فالذي يرجحه القرائن اللفظية في الآية الكريمة وهي: " طلقتم - أحصوا - اتقوا " فالضمائر في هذه الآية الكريمة جاءت على صيغة الجمع، وهذا يعني أنّ الخطاب موجه لكل الأزواج⁴، وقد ذكر الزمخشري: " خصّ النبي ﷺ بالنداء وعمّ الخطاب؛ لأنّ النبي ﷺ إمام أمته وقودتهم، كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم: يا فلان افعلوا كيت وكيت؛ إظهاراً لتقدّمه، واعتباراً لترؤسه، وأنّه مدرّة⁵ قومه ولسانهم، والذي يصدر عن رأيه ولا يستبثون بأمر دونه، فكان هو وحده في حكم كلّهم، وساداً مسدّ جميعهم " ⁶.

1 ينظر الزمخشري، الكشف، 554/4، وأبو السعود العمادي، إرشاد العقل السليم، 260/8، ومحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، فتح القدير، 240/5؛ والشنقيطي، أضواء البيان، 208/8 - 209.

2 ينظر نصر بن محمد السمرقندي، تفسير السمرقندي، تح: محمود مطرجي، (بيروت: دار الفكر، د.ت)، 437/3، وابن عطية الأندلسي الحاربي، المحرر الوجيز، 322/5، وفخر الدين الرازي، التفسير الكبير 27/30.

3 ينظر الواحدي، أسباب النزول، ص 456، وأبو حيان، البحر المحيط، 288/8، وجلال الدين السيوطي، الدر المنثور 189/8، ورهتاري عبد الله علي، الإعجاز البياني في العُدول النحوي السياقي في القرآن الكريم، ص 238.

4 ينظر أبو بكر الإشبيلي، أحكام القرآن، 273/3، وابن عاشور، التحرير والتنوير، 294/28.

5 المدّة: القرية، والمعنى هو بمثابة القرية لقومه. وهذا معنى غريب بعض الشيء.

6 الزمخشري، الكشف، 544/4.

المبحث الثاني: الدلالة المعجمية لصيغ التنثية

صيغ المثني في القرآن الكريم:

الاسم المثني: هو ما دلَّ على اثنين او اثنتين بزيادة ألف ونون أو ياء ونون في آخر الاسم المفرد¹.

وفي القرآن الكريم ورد الاسم المثني في صيغ رصرية مختلفة.

الصيغة الأولى: فَعَلَ:

ومن أمثلتها في القرآن الكريم كلمة "خَصِمَ"، والمثنى منه خَصِمَان، وتعني الشخص الذي يكون في موقف معارض أو منافس، وهو مصدر خصمته، أي: نازعته، ويقال خاصمته وخصمته مخاصمة وخصامًا، ومنه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَصَّصَ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، فقد أُسْتُعْمِلَ هذا اللفظ للواحد والجمع، والمثنى، وأصل المخاصمة: أن يتعلق كل واحد بخصم الآخر²، وروي في الحديث: "نسيته في خصم فراشي" أي: في جانبه، قالت له أم سلمة: أراك ساهم الوجه، أمن علة؟ قال: "لا ولكن السبعة الدنانير التي أتينا بها أمس نسيته في خصم الفراش، فبت ولم أقسمها"³، والخصيم: الكثير المخاصمة، كقوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ [التخل: ٤]، والخصم: المختص بالخصومة. قال تعالى: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨]⁴.

1 ينظر أحمد بن محمد الحملاوي، شذا العرف، ص73، وجمال الدين ابن هشام، أوضح المسالك، 50/1.

2 ينظر ابن منظور، لسان العرب، مادة: "خَصِمَ"، 1176/2.

3 أخرجه ابن قتيبة، ينظر، ابن قتيبة الدينوري، غريب الحديث، تح: عبد الجبوري، (بغداد: مطبعة العاني، ط1، 1397هـ)، 329/1.

4 ينظر ابن منظور، لسان العرب، مادة "خَصِمَ"، 1176/2.

وقد ذُكرَ في القرآن ما يحمل معنى الاختلاف بلفظ: خصم، وفي ذلك ذكر ابن فارس: إنَّ لهذه اللفظة أصليين، أحدهما المنازعة، والثانية جانب وعاء¹، وقد ذكر الراغب الأصفهاني أنَّ الأصل الثاني هو الأساس، ومنه أخذت المخاصمة فقد ذكر: "وأصل المخاصمة أن يتعلَّق كل واحد بخصم الآخر؛ أي: جانبه، وأن يجذب كل واحد خصمَ الجوالق من جانب"².

والمخاصمة: منازعة المخالفة بين اثنين على وجه الغلظة³، ويقال في الاشتقاقات: "خاصمته مُحَاصِمَةً وَخِصَامًا، والاسم: الخصومة"⁴، وتأني الخصومة اسمًا من التخاصم والاختصام⁵، والخصم اسمٌ معروف يستوي فيه الجمع والمؤنث⁶، وذكر صاحب كتاب الجمهرة: "الْخَصْمُ: الفاعل، والخصيم: المفعول به"⁷.

وقد ذُكرَ الجذر "خ ص م" في القرآن الكريم ثماني عشرة مرَّة، جاءت كُلُّها على وجهين دلاليين، وهما: **الاختلاف والتنازع**، وما يهمننا هنا ما جاء منها على صيغة "فَعَلَ"؛ فقد ذكر السمين الحلبي في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [التَّحْلُ: ٤]؛ أي: شديد الخصومة وكثيرها والخصومة: المنازعة، وأصلها من خصم الآخر وهو ناحيته وجانبه، واستدل على ذلك بقول سهل بن حنيف يوم صفين: "هذا أمر لا يسدُّ منه خصمٌ إلَّا انفتح علينا منه خصمٌ آخر؛ أي: جانب. والخصم يقع للواحد الذكر ولضديهما، تقول:

1 ينظر: ابن فارس، **مقاييس اللغة**، 187/2، وجار الله الزخشي، **أساس البلاغة**، تح: محمد باسل عيون السود، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1419هـ، 1998م)، 251/1.

2 ينظر الراغب الأصفهاني، **مفردات الفاظ القرآن**، ص150.

3 أبو هلال الحسين عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، **الفروق اللغوية**، حققه وعلق عليه محمد إبراهيم سليم، (القاهرة: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، د.ت)، ص488.

4 أبو نصر الجوهري، **الصحاح**، 1912/5.

5 ابن منظور، **لسان العرب**، 187/4.

6 أبو نصر الجوهري، **الصحاح**، 1912/5.

7 أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، **جمهرة اللغة**، 246/1.

رجل خصم، ورجال خصوم، وامرأة خصم، لأنه في الأصل مصدر¹، ورأى في قوله تعالى: ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ أَخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾ [الحج: ١٩]، ﴿ هَذَا خَصْمَانِ ﴾ إيجاب توحيدهما، فمن ثناه وجمعه حمله على الصفات والأسماء، والدليل على ذلك قوله تعالى في سياق الآية: ﴿ اخْتَصَمُوا ﴾ إنما جُمِعَ حملاً على المعنى لأنَّ كلَّ خَصْمٍ "فريق" وكل فريق تحته أشخاص والخصم صفةٌ وُصِفَ بها الفوج أو الفريق، فكأنه قيل: هذان فوجان أو فريقان مختصمان، وقوله تعالى: ﴿ هَذَانِ ﴾ للفظ، و﴿ اخْتَصَمُوا ﴾ للمعنى، ومنه قوله تعالى: ﴿ مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ عَائِفًا ﴾ [تَحْمَد: ١٦]، ولو قيل: هؤلاء خصمان أو اختصما جاز أن يُراد: المؤمنون، والكافرون². ورأى وورد هذا اللفظ في القرآن الكريم على صيغة المثنى في قوله تعالى: فقد جاءت لفظة "خصمان" في هذه الآية الكريمة، وهي مثنى لاحقة بصيغة جمع، وهي "اختصموا". هذا الأمر جعل بعض المفسرين يرون أنَّ صيغة المثنى تدلُّ على الجمع، وخالفهم آخرون في الرأي³.

والذي أراه أنَّ لفظة "خصمان" تدل على المثنى، والدليل على ذلك سياق الآية الكريمة. قال تعالى في سياق الآية نفسها: ﴿ قَالَتَيْنِ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ نِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴾ [الحج: ١٩] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ [الحج: ٢٣] فالسياق القرآني يتحدث عن فرقتين متقاتلتين والآيات جاءت دالة على مصير كل من الخصمين، المؤمنين والكفار⁴.

1 ينظر الحلبي، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، 507/1.

2 ينظر السمين الحلبي، الدرر المصون، 248/8-249-622، 366/9.

3 ينظر الفراء، معاني القرآن، 320/2، الزمخشري، الكشاف، 150/3، وحسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ص 99-100.

4 ينظر المصدر السابق، ص 99 - 100.

أمّا الدليل الثاني فهو سبب النزول؛ إذ يروى أنّ الآية الكريمة نزلت في الذين برزوا يوم بدر، وهم علي بن أبي طالب عليه السلام، وحمزة وعبيدة رضي الله عنهما، حيث برزوا لعتبة وشيبة والوليد بن ربيعة¹. فالآية الكريمة تتحدث عن خصمين، هما: المؤمنون والكفار، والذي أراه أنّ هذه القرائن اللفظية تدل على أنّ المراد بصيغة المثني، الجمع أيضاً؛ لأنّ المؤمنين والكفار على الرغم من أنّهم طائفتان إلا أنّ في كل طائفة عدداً كبيراً من الأشخاص، وهذا دليل على الجمع، كما أنّ مجيء لفظة "اختصموا" تدل على الجمع، لأنّه ليس المقصود بها رجالان، بل عدد من الناس²، لأنّ كل خصم يضم طائفة³، والطائفة تفيد الجمع؛ فالسياق القرآني لم يرجح صيغة على أخرى، بل جاء مرجحاً لكليهما.

إنّ كلمة خصم تستعمل في سياقات متعددة، سواء كانت قانونية أم تجارية أم رياضية، وغيرها. أما في كتب المعاجم والقرآن فتدل على الشخص الذي يقف ضد الآخر في سياق منافس أو نزاع، وقد تتغير دلالتها حسب السياق.

الصيغة الثاني: فعلة:

ومن أمثلتها في القرآن الكريم كلمة "دعوة"⁴، والدعوة في اللغة والمعاجم تدل على الطلب أو دعوة شخص للمشاركة في شيء أو الانضمام إلى فعالية أو حدث والمشاركة في شيء ما، أمّا في القرآن الكريم فتدل كلمة "دعوة" على الدعوة إلى الله كدعوة الأنبياء، أو دعوة إلى الحق والخير ومن أمثلتها في

1 ينظر محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري تح: جماعة من العلماء، (مصر: المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق، 1311هـ)، 1458/4، والواحد، أسباب النزول، 317/1، وابن عطية الأندلسي المحاربي، المحرر الوجيز، 113/4، والقرطبي، تفسير القرطبي، 340/14، وابن جزي الغرناطي، التسهيل لعلوم التنزيل، 38/3.

2 ينظر الفراء، معاني القرآن، 32/2.

3 ينظر حسن منديل العكيلي، الإعجاز القرآني في أسلوب العدول عن النظام التركيبي النحوي والبلاغي، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2009)، ص98، وينظر شهاب الدين الألوسي، روح المعاني، 133/17.

4 الدعاء: التقرب إلى الله تعالى، وهي من دعا - يدعو - دعاء - دعوى، والدعاء، كالدعاء، لكن النداء لا يضم إلى الاسم، أمّا الدعاء لا يقال إلا إذا جاء معه الاسم، وقد يستعمل كل واحد منها موضع الآخر. ينظر أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، 601-600/2.

القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦] فتظهر هنا كلمة "دعوة" في سياق الدعاء إلى الله والاقتراب منه، وتأتي على سبعة أوجه دلالية، وهي: "القول، العبادة، النداء، الاستغاثة، الاستفهام، السؤال، العذاب".

جاء الدعاء في القرآن الكريم بمعنى: القول¹، ففي قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ دَعْوُهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنًا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الأعراف: ٥]، أريد بالدعوى القول، وفي قوله تعالى: ﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوُهُمْ﴾ [الأنبياء: ١٥] أريد بها الويل.

واتفق السمين الحلبي مع المفسرين في الرأي في تفسير دلالة لفظة "دعوة" في القرآن الكريم، لكنه أضاف بعض الدلالات التي لم يشر إليها غيره من المفسرين. فقد ذكر الدعاء، كالنداء إلا أن النداء يقال مع "يا" و"أي"، وإن لم يذكر معها اسم، أما الدعاء فلا يقال إلا معه اسم المدعو، نحو: يا فلان، وقد يقع كل منهما موقع الآخر. والدعاء هو السؤال، والاستعانة، ومنه قوله تعالى: ﴿دَعُوا اللَّهَ﴾؛ أي: سألوهم حوائجهم، واستعانوا عليها، ومنها قوله تعالى: ﴿صَلِّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٦٧]؛ أي: إذا جاءهم مصيبة لا ينطقون إلا باسمه، ولم يخطر ببالهم غيره مما كانوا يعبدونه في الرخاء من الأصنام.

والدعوى: بمعنى الإِدعاء، وتكون بمعنى الدعاء، قال تعالى: ﴿وَعَاخِرُ دَعْوُهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠] والدعاء بمعنى العذاب. والدعاء: العبادة، ومنه قوله تعالى: ﴿لَنْ تَدْعُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا﴾ [الكهف: ١٤]؛ أي: لن نعبد، ونحوا في القرآن الكريم².

1 ينظر محمد البغوي، تفسير البغوي، 148/2.

2 نظيرها في غافر: 60، ومريم: 48، والأحزاب: 4.

والدعوة: بالكسر مختصة بإدعاء النسب، وهي الحالة التي عليها الإنسان من الدعوى، والدعوة بالفتح بمعنى الدعاء والسؤال، والدعوة بالضمّ الوليمة والأدعاء، أي يدعي شيئاً له، واستدل على ذلك بقول الشاعر: [من البسيط]

إِنَّا بَنِي تَهْمِيلٍ لَا نَدْعِي لِأَبٍ عَنْهُ وَلَا هُوَ بِالْأَنْبَاءِ يُشِيرُنَا¹

والدعوة: الأذان، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فُصِّلَتْ: ٣٣].²

وقد اتفق البغوي مع المفسرين³ في تفسير هذه اللفظة، فقد ذكر في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾ [الأنعام: ٧١]، إفادة لفظية "أدعوا" معنى العبادة؛ أي: أنعبد من دون الله ما لا ينفعنا، ولا يضرنا⁴، ونحوها في القرآن الكريم كثير⁵.

وجاءت هذه اللفظة أيضاً بمعنى النداء⁶ قال تعالى: ﴿قَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرْ﴾ [القمر: ١٠] أي: فنادى ربه أَنِّي مَغْلُوبٌ ﴿فَأَنْتَصِرْ﴾، أمّا في قوله تعالى: ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣]، فبمعنى استغيثوا⁷، وجاء الدعاء أيضاً بمعنى الاستفهام في قوله تعالى لموسى: ﴿قَالُوا

1 ينسب البيت إلى بشامة بن حزن النهشلي. ابن طباطبا، عيار الشعر، تح: عبد العزيز بن ناصر المانع، (القاهرة: مكتبة الخانجي، د.ت)، ص 104. وهو فس الشعر والشعراء، 623/2.

2 ينظر السمين الحلبي، الدر المصون، 16/16 - 17.

3 ينظر ابن جرير، تفسير الطبري، 33/15، وينظر شهاب الدين الألوسي، روح المعاني، 294/4، وينظر أبو مظفر السمعاني تفسير السمعاني، 276/3، وينظر محمد البغوي، تفسير البغوي، 205/1، وينظر القرطبي، تفسير القرطبي، 314/8، وينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، 23/9.

4 ينظر محمد البغوي، تفسير البغوي، 106/2.

5 نظيرها في القصص: 88، والفرقان: 77.

6 نظيرها في القمر: 6، والروم: 52، وفاطر: 14.

7 نظيرها في يونس: 38، وغافر: 26.

أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ ﴿البَقَرَةُ: 68-69-70﴾؛ أي: استفهم لنا ربكم وسله¹، وجاء الدعاء بمعنى السؤال²، وجاءت بمعنى العذاب في قوله تعالى: ﴿كَأَلَّا إِنَّهَا لَأُظِلَّ ۖ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى ۖ تَدْعُوا مَن أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ۖ﴾ [المَعَارِج: ١٥ - ١٧]؛ أي: تُعَذِّبُ³، وذكر ثعلب: دعاك الله؛ أي: أَمَاتَكَ اللهُ، وذكر النضر عن الخليل، قال إعرابي لآخر: دعاك الله؛ أي: عذبك الله.

وقد جاءت لفظة (دعوة) في صيغة المثني في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوهُ عَنِ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ۝﴾ [يُونُس: ٨٨ - ٨٩] الدعاء في هذه الآية الكريمة صدر من موسى عليه السلام، إِلَّا أَنَّ إجابته كانت لموسى وهارون عليهما السلام، فالآية تحمل الإفراد والتثنية، والذي أراه دلالة صيغة التثنية، بدليل سياق الآية الكريمة، ففي قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا﴾ هذه اللفظة دَلَّتْ على أَنَّ الدعاء صادر من كليهما⁴، وكما قوله تعالى: ﴿فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ﴾ دَلَّتْ هاتان اللفظتان على أَنَّ الخطاب موجه لكليهما، كما أُثِرَ على الصحابة بأنَّ موسى كان يدعو وهارون كان يُؤمِّنُ على دعائه، لأنَّ المؤمن على الدعاء كالداعي⁵.

1 نظيرها في الكهف 52، ولأعراف: 134، والزخرف: 49، وغافر: 49 - 60.

2 ينظر ابن جرير، الطبري، 382/1.

3 قاله المبرد.

4 ينظر ابن عطية، المحرر الوجيز، 3/140، وينظر القرطبي، تفسير القرطبي، 11/24، وينظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم، 4/172، وينظر الشوكاني، فتح القدير، ص 469.

5 ينظر الطوسي، التبيان، 10/30، وينظر الزمخشري، الكشاف، 2/348، وينظر فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، 2/122 وينظر ابن جرير، تفسير الطبري، 12/89، وينظر جلال الدين السيوطي، الدر المنثور، 4/385.

المبحث الثالث: الدلالة المعجمية لصيغ الجمع

دلالة صيغ الجمع:

الجمع: هو ضم شيء إلى أكثر منه¹، وهو كل ما يدل على أكثر من اثنين²، وهو على قسمين: فالأول جمع الصحيح أو السلامة: ويشمل المذكر السالم، والمؤنث السالم، وهو ما سلمت حروف بنائه³. وينقسم والثاني جمع التكسير:

أولاً: دلالة صيغ جمع الصحيح أو السلامة في القرآن الكريم:

يتناول البحث ثلاث صيغ، ولكل صيغة مثلاً يبين من خلاله الدلالة اللغوية، وأثر السياق في تحديد هذه الدلالة كما عرضها السمين الحلبي.

الصيغة الأولى: فاعل:

ومن أمثلتها في القرآن الكريم كلمة "خالد"، خالد: في كتب اللغة والمعاجم تدل لفظة "خالد" على معنى الباقي أو الدائم، وفي القرآن الكريم يظهر هذا اللفظ في عدة آيات، وقد يشير إلى البقاء والدوام ومن أمثلة ذلك قوله تعالى في سورة الملك ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ٦ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ ۖ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ٨﴾ [الملك: ٥ - ٨] فتشير هذه الآية إلى عذاب الحجيم الذي هو دائم وباقٍ حيث جاءت بمعنى "الدوام" مرّة، وبمعنى "البقاء" أخرى، وأصل الكلمة اسم علم مذكر، جاء بصيغة اسم الفاعل من خَلَدَ؛ أي: دام،

1 ينظر أبو البقاء الكفوي، الكليات، 332/1، وينظر ابن يعيش، شرح المفصل، 2/5.

2 ينظر أحمد بن محمد الحملاوي، شذا العرف، ص73.

3 ينظر أبو بكر ابن السراج، الأصول في النحو، 46/2.

وهو صفة مشبهة لاسم الفاعل، ومعناه الدائم والباقي. والخالد: من خُلِقَ ليدوم، ويخلد وهو الشخص الذي تأخر مشيبه¹.

وقد جاءت هذه اللفظة في القرآن الكريم بصيغتي الإفراد والجمع في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ١٣﴾ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ١٤﴾ [النساء: ١٣ - ١٤]. ذكر المفسرون أنَّ الجمع والإفراد في هذه الآية الكريمة يتبعان المعنى واللفظ² والذي أراه السياق القرآني هو من يحدد معنى كل لفظة جاءت في سياق الآية، فالآية الأولى تتكلم على الإنسان الطائع لله ورسوله، وجزاء هذا الطائع الدخول إلى الجنة، والخلود فيها، وجاءت لفظة الخلود دالة على الجمع لسببين وهما:

1- الخلود بصفة الجمع أجلب للمؤمن الطائع³؛ إذ الجنة دار البقاء، وهي المكان الوحيد الذي فيه كلُّ سُبُل الراحة، ولا يكون فيه الإنسان وحيداً، فالمؤمن مؤتَمِّنٌ مع رفاقه في الجنة⁴.

2- الآية الكريمة تتحدَّث عن أهل الطاعة، وهم أهل شفاعة يشفعون لغيرهم مثل الشهداء فيدخلون معهم الجنة⁵؛ ولهذا جاءت صيغة الجمع مناسبة لمقامها.

1 ينظر Cef. fr. nominis. ”مؤرشف من الأصل في 8 نوفمبر 2020.

2 ينظر عبد الله بن أحمد بن علي الزيد، مختصر تفسير البغوي، (الرياض: دار السلام للنشر والتوزيع، ط1، 1416هـ)، 120/1، والبيضاوي، أنوار التنزيل، 159/2.

3 ينظر عبد الحميد أحمد يوسف هندواوي، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم "دراسة نظرية تطبيقية"، (بيروت: المكتبة العصرية، ط1، د.ت)، ص111 - 112)، أبو السعود، إرشاد العقل السليم، 154/2.

4 ينظر عبد الحميد الهنداوي، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، ص112.

5 ينظر شهاب الدين الألوسي، روح المعاني، 233/4.

أما الآية الثانية فتتكلم على العصاة الذين عصوا الله ورسوله، بأنَّ جزاءهم الخلود في النَّار بصفة الأفراد، لأنَّ في ذلك استجلاباً للوحشة، فعذاب الكافر ليس بالنار وحدها، وإنما بالوحدة أيضاً¹، والمقام مقام عذاب².

أما السمين الحلبي فقد اتفق مع المفسرين في الرأي فرأى أنَّ الخلود يعني الدوام والبقاء سواء في الجنة أم في النار، ومنه قوله تعالى: ﴿كَمَنْ هُوَ خَلِيدٌ فِي النَّارِ﴾ [مُحَمَّد: ١٥] فقد جاءت خالد في هذه الآية الكريمة خبراً، وتقدير الكلام: "أمثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد"؛ فالخلود هنا دلَّت على الاستقرار وهي حال من الجنة³. ورأى الزجاج أنَّ المراد بـ "الخلود" هنا الدوام والبقاء؛ أي: أضمن كان على بينة من ربه وأُعطي هذه الأشياء، كمن زُيِّن له سوء عمله، وهو خالد في النار⁴ وذكر ابن كثير أنَّ المراد بها في قوله تعالى: ﴿جَنَّتْ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾ [طه: ٧٦] الإقامة، وهي بدل من الدَّرَجَاتِ الْعُلَى تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها: أي ماكثين أبداً ذلك جزاء من طهر نفسه من الدُّنْس والخبث والشرك، وَعَبَدَ اللَّهَ وحده، وَاتَّبَعَ المرسلين⁵.

الصِّيْغَةُ الثَّانِيَّةُ: مُفْعَلٌ:

ومن أمثلتها كلمة "مُرْسَل"، وهي من المبني للمجهول أُرْسِلَ يُرْسَلُ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [التَّمَلُّ: ٣٥ - ٣٧].

1 ينظر فاضل صالح السامرائي، التعبير القرآني، ص45.

2 ينظر شهاب الدين الألوسي، روح المعاني، 233/4، وعبد الحميد الهنداوي، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم ص112.

3 ينظر الحلبي، الدر المصون، 691/9 - 694.

4 ينظر الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، 10/5.

5 ينظر أبو الفداء، تفسير ابن كثير، 269/5 - 270.

تدل هذه اللفظة في اللغة والمعاجم على الشخص أو الكائن الذي يرسل إلى جهة ما للقيام بأمر ما، ويمكن أن تستخدم للإشارة إلى الفاعل الذي تمّ تكليفه بإرسال رسالة أو بعث رسالة إلى شخص ما، كما يشير المصطلح إلى الفاعل الذي تمّ اختياره ليقوم بمهمة الإرسال، أمّا في القرآن الكريم يدل هذا المصطلح على الأنبياء والرسل الذين تمّ اختيارهم وإرسالهم من قبل الله لتوجيه الرسالة الإلهية إلى البشر.

لقد سبق الحديث عن الدلالة المعجمية للفظه رسول وأرسل، فكلاهما تعطي نفس الدلالة مع "مرسل" ولكن ما سنتحدث عنه هنا ماذا تحمل هذه اللفظة عند المفسرين من حيث الأفراد والجمع فمنهم من المفسرين من قالوا بدلالة الأفراد، واستندوا على ذلك بقوله تعالى في سياق الآية الكريمة: ﴿أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾ فيروا أنّ المراد في هذه الآية رسول واحد، وهو الذي أرسلته بلقيس للنبي سليمان عليه السلام¹.

والذي أراه أنّ قول سليمان عليه السلام لرسول بلقيس لا يؤكد دلالة الأفراد، لأنّ المقصود بقوله تعالى: ﴿أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾ هو رئيس وفد بلقيس، وجاء الخطاب بصيغة الأفراد، لأنّه رئيسهم الذي يمثلون أوامره، فالخطاب الموجه كان للوفد كله، وقد ذكر الطبري في ذلك: "هذا نظير ما قد بينّا من إظهار العرب الخبر في أمر كان من واحد على وجه الخبر عن جماعة، إذا لم يقصد قصد الخبر عن شخص واحد بعينه ويشار إليه بعينه فسُمّي في الخبر"².

أمّا صيغة الجمع، فهي القريبة إلى الصحة، لأنّها الأقرب إلى السياق وذلك لوجود قرينتين تؤكدان دلالة الجمع وهما:

1 ينظر معاني القرآن للفراء، 293/2، وابن جرير، تفسير الطبري، 57/18، وأبو حيان، البحر المحيط، 71/7، وحسن منديل العكيلي، الإعجاز القرآني في أسلوب العدول عن النظام التركيبي النحوي والبلاغي، ص101.

2 ابن جرير، تفسير الطبري، 57/18.

1- في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَتُمِدُّونَ بِمَالٍ﴾ [التِّل: ٣٦]¹، فالخطاب في هذه الآية الكريمة موجه

بصيغة الجمع، والمقصود به الرسول ﷺ ومن معه².

2- القراءات القرآنية، فقد قرأها عبد الله بن مسعود: ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنَ﴾ [التِّل: ٣٦] بالجمع³.

الصِّيْغَةُ الثَّالِثَةُ: فعلة:

ومن أمثلتها في القرآن الكريم كلمة "آية"، التي جاءت في ستة أوجه دلالية، هي: "العلامة، آي

القرآن، المعجزات، العبرة، الكتاب، الأمر والنهي". ومنه قوله تعالى: ﴿مِنْ عَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ

ثُرَابٍ﴾ [الرُّوم: ٢٠]، فقد أفادت لفظة "آياته" في هذه الآية معنى العلامة⁴ ونحوها في القرآن الكريم كثير⁵، أمَّا

في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ عَايَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ [آل عِمْرَان: ٧] • فدلت على معنى آي

القرآن⁶، وفي قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا

بِهَذَا فِي عَابَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ [الْقَصص: ٣٦]، دلت على معنى المعجزات⁷، وفي قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ

وَأُمَّهُ عَايَةً﴾ [الْمُؤْمِنُونَ: ٥٠]، دلت على معنى العبرة، وفي قوله تعالى: ﴿يَسْمَعُ عَايَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ﴾ [الْحَاجَّةِ:

٨]، دلت على معنى الكتاب، كما ذكر الطبري⁸؛ أي: كتابي يتلى عليكم، وفي قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ

اللَّهُ لَكُمْ عَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الْبَقَرَة: ٢٤٢]، دلت -وفق الطبري أيضًا- على أوامره ونواهي، ونحوه في

1 ينظر فريد بن عبد العزيز الزامل السليم، الخلاف التصريفي وأثره الدلالي في القرآن الكريم، (جامعة القصيم: دار الن الجوزي، د.ت)، ص227.

2 ينظر البيضاوي، أنوار التنزيل، 267/4.

3 ينظر عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، (دار سعد الدين، للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت)، مجلد 1، 517/6.

4 رواه ابن جرير، ينظر الطبري، 460/9، عن ابن عباس ذكر: الآية علم، وابن مسعود البغوي، تفسير البغوي، 393/3.

5 نظيرها في الروم: 25، والنحل: 12 - 79، والشعراء: 128، والأنعام: 158.

6 ينظر ابن جرير، تفسير الطبري، 171/3.

7 ينظر مسعود البغوي، تفسير البغوي، 215/3.

8 ينظر ابن جرير، تفسير الطبري، 254/11، ومسعود البغوي، تفسير البغوي، 157/4.

القرآن الكريم كثير¹. وأمّا قوله تعالى: ﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾ [طه: ٤٢]، فذكر المفسرون أنه قد يراد بـ "آياتي" التثنية والجمع، فالتثنية لأنه قصد بها آيتي "اليد والعصا"²، أمّا الجمع فلائنه قُصِدَ بها الآيات التسع³.

والذي أراه دلالة التثنية هي الأقرب لسياق الآية والدليل على ذلك ما يلي:

1- لم يذكر أنّ موسى عليه السلام أُوتِيَ آية إلا بعد مجيء فرعون، إذ التمس منه آية⁴، والدليل على ذلك قوله تعالى على لسان فرعون: ﴿قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِیْنَ﴾ [١٦] فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظَرِیْنَ ﴿١٨﴾ [الأعراف: ١٠٦ - ١٠٨].

2- أمّا دلالة التثنية فيرجحها قوله تعالى: ﴿أَسْأَلُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمَمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذٰنِكَ بُرْهٰنَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَٓئِهِۦ إِنَّهُمْ كَانُوْا قَوْمًا فَٰسِقِیْنَ﴾ [القصص: ٣٢] فقوله تعالى: ﴿فَذٰنِكَ بُرْهٰنَانِ﴾ دليل واضح على أنّ المراد بآيات اليد والعصا التثنية⁵، أمّا مجيء لفظة "آيات" على صيغة الجمع يرجع ذلك إلى وجود آيات في كلتا الآيتين، فانقلاب العصا حيواناً آية، وخروجها على شكل ثعبان آية أخرى، وسرعة حركة هذا الثعبان آية ثالثة، وجعل اليد

1 نظيرها في البقرة: 151، وآل عمران: 13، والقمر: 2، وسبأ: 15، والأعراف: 73 وآل عمران: 44-97، والمائدة: 14، ويوسف: 7، والبقرة: 259، والأنعام: 4 وفصلت: 53.

2 ينظر مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل بن سليمان، تح: عبد الله محمود شحاته، (بيروت: دار إحياء التراث، ط1، 1423هـ)، 330/2، وينظر فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، 50/22 وينظر سراج الدين الحبلي، الباب في علوم الكتاب، 247/3، وينظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم، 17/6، وينظر أبو العباس الفاسي، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تح: أحمد عبد الله القرشي رسلان، د. حسن عباس زكي، (لقاهرة: ط1، 1419هـ)، 402/4، وينظر صفوة التفسير، 182/2.

3 ينظر الشوكاني، فتح القدير، 366/3، وينظر شهاب الدين الألوسي، روح المعاني، 194/16، وينظر أبو حفص النعماني الباب في علوم الكتاب، 247/13.

4 ينظر الفخر الرازي، التفسير الكبير، 50/22، وينظر أبو حفص النعماني، الباب في علوم الكتاب، 50/22.

5 ينظر أبو حيان، البحر المحيط، ج6 ص230، وينظر شهاب الدين الألوسي، روح المعاني، 194/6.

بيضاء من غير سوء آية رابعة، وإدخالها في فمه من غير أن تضُرَّه آية خامسة¹. أمَّا السمين، فقد ذكر:

الآية: العلامة..، ومنها قول: النابغة الذبياني: [من الطويل]

تَوَهَّمْتُ آيَاتِهَا فَعَرَفْتُهَا لِسْتَةِ أَعْوَامٍ وَذَا الْعَامِ سَابِعٍ²

وسُمِّيَتْ آية القرآن " آية " لأنها علامة لانفصال ما قبلها عمّا بعدها. وقيل: سُمِّيَتْ بذلك لأنها

تَجَمُّعُ حُرُوفًا من القرآن، وقد أخذ السمين الحلبي بقرأت القراء، فقد أجاز الصيغتين، صيغة الإفراد، حيث

قرأ بها الإخوان وابن كثير وأبو بكر؛ لأنَّ غالب ما جاء في القرآن على الإفراد، وقال بالجمع على قراءة

الباقون " آيات "؛ لأنَّ بعده ﴿قُلْ إِنَّمَا أَلْأَيْتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٠٩] بالجمع إجماعًا والرسم محتمل له³،

وذكر: أنَّ الآيات إحدى عشرة منها اثنتان: اليد والعصا. والتَّسْعُ: الفلق والطُّوفان والجراد⁴ والقمل⁵

والضفادع⁶ والدَّم والطَّمْسَةُ والجَدْبُ في بواديهم والثَّقْصَانُ في مزارعهم⁷، وقوله تعالى: ﴿آيَاتٍ﴾ جاءت

منصوبة على الحال نت تلك الأشياء السابق ذكرها، أي: أرسلنا عليهم هذه الأشياء حال كونها علاماتٍ

مميّزة بعضها من بعض⁸.

1 ينظر البحر المحيط، 230/6، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم، 176/6، وأبو عباس الصوفي، البحر المديد، 402/4، وشهاب الدين الألوسي، روح المعاني، 194/16.

2 النَّابِغَةُ الذَّبْيَانِي، ديوانه، ص 30.

3 ينظر الحلبي، الدر المصون، 23/9 – 24.

4 جمع جرادة، الذَّكَرُ والأنثى فيه سواء. يقال جرادة ذكر، وجرادة أنثى، كمنلة وحمّامة قال أهل اللغة: وهو مشتق من الجرّد، قالوا والاشتقاق في أسماء الأجناس قليل جدًا يقال: أرض جرّاء أي: ملساء، وثوب جرّد: إذ ذهب زُيْرُهُ.

5 القمل: القِرْدَان، وقيل: دوابٌ تشبهها أصغر منها. وقيل: هي السُّوس الذي يخرج من الحنطة. وقيل: نوع من الجراد أصغر منه وقيل: الحُمْنَان الواحدة حُمْنَانة نوع من القِرْدَان. وقيل: هو القُمَّل المعروف الذي يكون في بدن الإنسان وثيابه، وقيل: القمل: البراغيث وقيل الجعلان.

6 جمع ضِفْدَع بزنة دَرَم، ويجوز كسر داله، فيصير بزنة زَرْج وقد تُبَدَّل عين جمعه ياء، ومنها قول الشاعر:

وَمَنْهَلٍ لَيْسَ لَهُ حَوَازِقُ..... وَلِضَفَادِي جَمَّةٌ نَقَانِقُ.

وشدَّ جمعه أيضًا على ضِفْدَعَان، والضِفْدَع مؤنث، وعلى هذا يفرق بين مذكّره ومؤنثه بالوصف. فيقال: ضفدع ذكر، وطفدع أنثى، كما يقال في الملتبس بتاء التأنيث، نحو: حمّامة وجرادة ونملة.

7 المصدر نفسه، 579/8.

8 ينظر السمين الحلبي، الدر المصون، 434/5.

وذكر: يجوز أن يراد بآيات: مقام إبراهيم ومن دخله، لأنَّ الاثنين نوع من الجمع كالثلاثة والأربعة، ثُمَّ مقام إبراهيم وإن كان مفردًا لفظًا إِلَّا أَنَّهُ يشتمل على آيات كثيرة، لأنَّ القدمين في الصخرة الصَّماء آية وغوصهما فيها على الكعبين آية، ولأنَّ بعض الصخرة دون بعض آية، وإبقائه على مَرِّ الزمان وحفظه من الأعداء آية، واستمراره دون آيات سائر الأنبياء عدا محمد ﷺ وعلى سائرهم آية، وذكر أيضًا من باب الطَّيِّ، وهو أن يُذكر جمعٌ ثم يؤتى ببعضه، على ذِكر باقيه لغرض المتكلم، ويسمَّى طَيًّا واستدل على ذلك بقول جرير: [من البسيط]

صَارَتْ خُنَيْفَةً أَثَلَاثًا فَثَلَّثُهُمُ مِنَ الْعَبِيدِ وَثَلَّثَ مِنْ مَوَالِيهَا¹
ومن الحديث أيضًا قوله ﷺ: "حُبِّ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلَاث: الطَّيِّبُ وَالنِّسَاءُ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ"؛ لأنها ليست من دنياهم، إنما هي من الأمور الأخروية، وفائدة الطَّيِّ التَّكْثِيرُ، كأنَّه تعالى لما ذكر جملة "آيات" قال: ﴿وَكثِيرٌ سَوَاهُمَا﴾².

وذكر جواز أن تكون "آيات" إشارة إلى الكتب السالفة، وتنكير القرآن للتفخيم³. ونبيّن أنَّ لفظة "آية" في اللغة العربية تحمل العديد من الدلالات في مختلف السياقات، ويمكن تحديدها بناءً على السياق الذي تستخدم فيه، فعادةً ما تعني العلامة البارزة، وقد تستخدم للدلالة على شيء يميز أو يظهر بشكل خاص، كما تستخدم للدلالة على المواقف البارزة الغير عادية. وبشكل عام، يجدر بكلمة "آية" أن تُفهم بناءً على السياق الذي تكون فيه سواء كان ذلك في اللغة العامة أم في سياق ديني أم عملي.

1 جرير، ديوان جرير، المكتبة الشَّاملة، ص 677.

2 ينظر المصدر نفسه، 319/3.

3 ينظر المصدر نفسه، 137/7.

ثانيًا: جمع التكسير

وهو كل جمع تغير فيه نظمه وبنائه، وهو للعاقل والغير العاقل¹، ويُسمّى هذا الجمع بجمع التكسير، لأنه على التشبيه بتكسير الآنية، وهو إزالة التثام أجزائها، فلمّا أُزيل نظم الواحد في هذا الجمع سُمّي جمع تكسير².

وينقسم هذا هذا الجمع إلى جمع القلّة وهو ما يدل على ثلاثة فما فوق³، وأوزانه أربعة، وهي: "أفْعُل، أفْعَال، أفْعَلَة، فِعْلَة"⁴، ويشاركه في الدلالة على القلة جمعا التصحيح⁵. وجمع الكثرة، وهو ما دلّ على ما فوق العشرة⁶، وأوزانه كثيرة تصل إلى ثلاثة وعشرين وزناً⁷.

ثانيًا: دلالة صيغ جمع التكسير في القرآن الكريم:

في هذه الصيغة أسماء مجموعة جمع قلّة، وأخرى جمع كثرة، ولكل قسم صيغ خاصّة؛ فمن الأولى ما جاء على وزن "أفْعُل، أفْعَلَة، أفْعَال". ومن الثانية ما جاء على وزن "فَعْل، فَعْلَة، فَعُول، فِعْلَان، فَعَالِل، مَفَاعِلَة، فَعَالِل"، ولكل صيغة مثال أو أكثر.

1- صيغ جمع القلة:

الصيغة الأولى: أفْعُل:

ومن أمثلتها في القرآن الكريم كلمة "أَنْعُم"، وتعني الإحسان والعطاء بشكل كبير، وتستخدم للدلالة على النعم والخيرات والعطاء السخي والبركات التي يتمتع بها الإنسان، وتظهر في القرآن الكريم للدلالة على

1 ينظر أبو الفتح عثمان بن جني، **اللمع في العربية**، تح: فائز فارس، (الكويت: دار الكتب الثقافية، د.ت)، ص27.

2 ينظر أبو البركات الأنباري، **أسرار العربية**، (لبنان: دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط1، 1420هـ، 1999م)، ص76.

3 ينظر ابن عقيل، **شرح ابن عقيل**، 4/114.

4 ينظر سيبويه، **الكتاب**، 3/490، والطائي الجبائي، **شرح الشافية الكافية**، 1/1810؛ وجلال الدين السيوطي، **معجم الهوامع**، 3/38.

5 ينظر الطائي الجبائي، **شرح الشافية الكافية**، 1/1810.

6 ينظر ابن مالك، **شرح ابن عقيل**، 4/114، وجلال الدين السيوطي، **معجم الهوامع**، 3/308.

7 ينظر المصدر السابق، 3/308، وأحمد بن محمد الحملاوي، **شذا العرف**، ص79.

النعم الإلهية والرحمة التي يتلقاها الإنسان من الله. ولها عشرة دلالية من جهة المفرد "نعمة"، والجمع "أنعم"، وهي: "المنة، دين الله وكتابه، محمد ﷺ، الثواب، الغنى والمال، النبوة، الرحمة، الإحسان، سعة المعيشة، العتق".

وللسّمين الحلبي رأي في تبيان دلالة اللفظة "أنعم"، فقد ذكر: النعمة: الحالة الحسنة وبناء النعمة كبناء الحالة التي يكون عليها الإنسان كالجلسة والركبة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَنِعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَلَکَیْنِ﴾ [الدُّحَان: ٢٧]، وقوله تعالى: ﴿وَدَرَنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِيَ النَّعْمَةِ وَمَهَلْهُمْ قَلِيلًا﴾ [الْمُرَجَل: ١١].

والنعمة: التنعيم، وبنائها بناء المنة من الفعل، والنعمة، والتعنى مقابل البؤس، وهي في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ [الْمَائِدَة: ١١] بمعنى الإنعام التي نعمها الله عليكم ذلك الوقت¹. والنعمة: المسرة، وقد فسروا قوله تعالى: ﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [البَقَرَة: ٢١١]، بالدين والإسلام، لأَکْمَا أعظم النعم².

وذكر الطبري أنّ لفظه "نعمة" في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [الْأَحْزَاب: ٩] أي: المنّة³، منة الله عليكم⁴، وأنها في قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الْفَاتِحَة: ٧]، بمعنى النبوة⁵، وفي قوله تعالى: ﴿فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً﴾ [الحُجُرَات: ٨]، بمعنى الرحمة، وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا

1 ينظر المصدر السابق، 333/3، 219/4، 71/7.

2 ينظر المصدر السابق، 199/4 – 200.

3 ينظر ابن جرير، تفسير الطبري، 287/1.

4 نظيرها في فاطر: 3، والمائدة: 7، والبقرة: 40 – 47 – 122.

5 ينظر ابن جرير، تفسير الطبري، 625/13.

لَا أَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ﴿[الزُّلُم: ١٩]﴾ بمعنى الإحسان الذي يجزى عليه ¹، وفي قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ [الفجر: ١٥] • بمعنى التوسعة في المعيشة؛ أي: وسَّع عليه معيشتَه ²، وفي قوله تعالى: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٧]، بمعنى العتق ³، وهو بعثق زيد بن الحارثة. وذكر البغوي ⁴ أنَّها في قوله تعالى: ﴿مَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [البقرة: ٢١١]، بمعنى دين الله وكتابه ⁵، وذكر أبو جعفر أنَّها في قوله تعالى: ﴿فَكَفَرْتُ بِأَنْعُمِ اللَّهِ﴾ [التخل: ١١٢] أي محمد ﷺ ⁶، وقوله: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ [آل عمران: ١٧١] بمعنى الثواب؛ أي: بثواب من الله تعالى وفضل، وذكر الزمخشري أنَّها في قوله تعالى: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِيَ اللَّعْمَةِ وَمَهْلُهُمْ قَلِيلًا﴾ [المزمل: ١١]، بمعنى المال ⁷ والغنى.

وقد وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم دالة على القلة كما في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [التخل: ١١٢]، وقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [شكراً] لَا تُنْعِمُهُ أَجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿[التخل: ١٢٠ - ١٢١]﴾ فهي هنا دالة على القلة؛

1 ينظر المصدر السابق، 619/12.

2 ينظر ابن جرير، تفسير الطبري، 572/13.

3 ينظر المصدر نفسه، 302/10.

4 ينظر أبو محمد الغوي، تفسير البغوي، 184/1.

5 نظيرها في إبراهيم: 28، وآل عمران: 103.

6 ينظر ابن جرير، تفسير الطبري، 629/7.

7 ينظر الزمخشري، الكشاف، 276/4.

فالآية الأولى تتكلم على قرية، والقرية تضم عدد محدوداً من البشر، والعدد المحدود من البشر يقابله العدد المحدود من النعم¹، فقد كانت هذه القرية تتمتع بعدد من الخيرات والنعم، كالاطمئنان وسهولة العيش. أمّا في الآية الثانية فالحديث فيها كان عن سيدنا إبراهيم عليه السلام، وفيها مدح له؛ فهو شاكّر نِعَمَ الله القليلة²، والآيتان تتكلمان على عدد محدود من البشر مقابل عدد محدود من النعم.

الصِّيْغَةُ الثَّانِيَّةُ: أَفْعَلَةٌ:

ومن أمثلتها في القرآن الكريم:

أ - أَذْلَةٌ:

تعني الذل والمهانة، كما تستخدم للدلالة على حالة من الضعف أو الاستضعاف عند تجاهل الإنسان فضل الله وتوجيهاته، وقد فسّرت الذل والأذلة³ في القرآن الكريم في سبعة أوجه دلالية، وهي: "القلة، اللين السهل، التواضع، الجزية، التسخير، الغُلُّ، الطاعة، الكآبة".

ذكر السمين الحلبي أنّ كلمة "أذلة"⁴ في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ تدلُّ على القلة، والدليل على ذلك سبب النزول هو غزوة بدر⁵. وهذا الرأي يتفق معه كثيرٌ من المفسّرين، بينهم الطبري، والبغوي، والزّحشرى، والقرطبي، ويؤيّد هذا الرّأي سياقُ الآية؛ حيث جاءت لخطاب المؤمنين،

1 ينظر أحمد مختار عمر، دراسات لغوية في القرآن الكريم وقراءاته، وعالم الكتب، 2001 م، ص205.

2 ينظر شهاب الدين الألوسي، روح المعاني، 242/14.

3 الذل والأذلة والدلالة والمذلة: ضدّ العز، ذلٌّ يذلّ فهو ذليل، والجمع: أذلاء، وذلال، وذُلّال، وقيل: الذل - بالضم: ما كان عن قهر والذل - بالكسر: ما كان بعد صعب من غير قهر، يقال: ذلّ يذلّ ذلاً فهو ذلول، والجمع: ذلل، وأذلة. ينظر أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، 17/3.

4 ينظر الحلبي، الدرّ المصون، 383/3، 310-309/4، 108/8 - 504.

5 بدر: اسم ماء بين مكة والمدينة سُمّي بذلك لصفائه كالبدر، وقيل لاستدارته، وقيل: باسم صاحبه، وهو بدر بن كلداء، وقيل: هو اسم وادي، وقيل: اسم بئر.

والمؤمنون كثر، إِلَّا أَنَّ الخطاب جاء بصيغة القلة "أَذَلَّةٌ"، والدليل على ذلك قوله تعالى في سياق الآية: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۖ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٢] فالخطاب في هذه الآية موجه إلى طائفتين من المؤمنين، وهم بنو حارث من الأوس، وبنو سلمة من الخزرج¹، والطائفتان بالنسبة لعدد المشركين قليل، كما أَنَّ الآية نزلت في غزوة بدر، فسمَّى الله المؤمنين أذلة؛ لقلة عددهم وعدَّتْهم، وضعف حالهم فكان عددهم لا يتجاوز ثلاث مئة وبضعة عشر رجلاً، في حين كان المشركين ما بين التسعمئة إلى الألف². وذكر البغوي أنَّها في قوله تعالى: ﴿يَنَاقِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ۖ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤] بمعنى متواضعين على المؤمنين.

الصَّيْغَةُ الثَّلَاثَةُ: أَفْعَالٌ:

ومن أمثلتها في القرآن الكريم كلمة "أضعاف"، وتعني تكرار الشيء على صورته وهي التضاعف أو الزيادة في الكمية، وتأتي في القرآن الكريم في العديد من الآيات للتأكيد على النعم والبركات التي يمن بها الله على الإنسان. ولها وجهان دلاليان، هما: "العذاب، المضاعفة"، وقد ذكر السمين الحلبي أَنَّ لفظة "أضعاف" في قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ ۖ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۗ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ ۚ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥] هي "جمع" "ضعف"، والضَّعْفُ مثل قَدْرَيْنِ متساويين أو

1 ينظر البغوي، معالم التنزيل، 34/7، والزحشري، الكشف 438/1، والقرطبي، تفسير القرطبي، 285/5.

2 ينظر أبو حيان، البحر المحيط، 51/3، البغوي، معالم التنزيل، 347/1، وابن جرير، تفسير الطبري 16/6؛ والفخر الرازي، التفسير الكبير، 182/8.

ثلاثة¹. ورأى أنها في قوله تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٠] تدلُّ على الكثرة، وعَلَّل ذلك بوجود الصِّفة "مضاعفة"².

وذهب الرازي إلى أنَّ أفضل الأقوال في تفسير قدر هذه الأضعاف هو ما ورد في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١] وهذا يشير إلى أنَّه قد يراد به دلالة القلة، ودلالة الكثرة، وإن كان دلالة الكثرة هي الأرجح بدليل أن الآيتين في الإنفاق³، والذي أراه دلالة الكثرة الأرجح لتوضيح دلالة اللفظة والذي يؤكد ذلك سياق الآية الكريمة، فاللفظة "كثيرة" تنفي الاحتمال الأول لأنَّ الكلام على مضاعفة الأجر⁴، كما أنَّ المعنى اللغوي للأضعاف هو أن يزداد الشيء على أصله⁵، كما أثر عن السُّدِّي في تفسيره للأضعاف ذكر: "كثيرة لا يعلم كنهها إلَّا الله"⁶.

2- صيغ جمع الكثرة:

الصِّغَةُ الْأُولَى: فُعِلَ:

ومن أمثلتها في القرآن الكريم كلمة "نُهِيَ"، وتعني "العقل أو العقول"، ومنه قوله تعالى: ﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى﴾ [طه: ٥٤] فقد ذكر السمين الحلبي أنَّها جمع نُهية: وهو العقل: لأنه ينهي صاحبه عن ارتكاب القبيح، ولأنَّه ينتهي إلى رأيه واختياراته، والنهي الزجر عن الشيء، وهو طلب

1 السَّمين الحلبي، الدر المصون، 511/2.

2 السَّمين الحلبي، الدر المصون، 393/3.

3 ينظر فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، 143/6.

4 ينظر ابن جرير، تفسير الطبري، 431/4.

5 ينظر ابن فارس، مقاييس اللغة، 361/2، وينظر الفراهيدي، العين، 282/1.

6 فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، 143/6، ابن جزى الغرناطي، التسهيل لعلوم التنزيل، 78/1، الزمخشري، الكشاف، 319/1.

ترك المنهي عنه¹. والمراد بها أصحاب العقول، وتحتل الأفراد والجمع²، فمن قال بالأفراد يرون أنَّ المقصود بها النهمية، وهي العقل³، لقول ابن عباس: "الذوي العقول"⁴، والذي أرجحه الرأي القائل بالجمع، حيث يؤكد ذلك سياق الآية الكريمة، فقد كان الخطاب في بداية الآية خطاب لجمع في قوله تعالى: ﴿كُلُوا وَارْعَوْا﴾⁵، ثُمَّ جاءت لفظة ﴿الآيَاتِ﴾ في سياق الآية دالة على معنى اختلاف الألوان والأطعمة، وهذا الاختلاف من شأن الله عز وجل، إذ لا يعلمها إلا العقلاء⁶.

الصيغة الثانية: فُعِلَ:

ومن أمثلتها في القرآن الكريم كلمة "رُسِلَ"، وقد مضى القول فيها، غير أننا هنا سنوضح معناها الدلالي العددي، وقد ذكر السمين الحلبي في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ [الأنعام: ٦١] وقوله تعالى: ﴿قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾ [هود: ٨١] أنها تدلُّ في هاتين الآيتين على الجمع، وهم الملائكة، وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ ءَايَةُ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [المائدة: ٣٢] وقوله تعالى: ﴿يَنَازِلُهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١]، وهم جماعة الأنبياء، وذكر الرسول وصفوة أصحابه، فجمعهم معه تغليباً، كقولهم: الخبيون والمهالبة في خبيب وذوي بطانته.⁷

1 السمين الحلبي، 226/4.

2 ينظر الفراء، معاني القرآن وإعرابه، 359/3؛ وفخر الدين الرازي، التفسير الكبير، 61/22، الفراء، معاني القرآن، 181/2.

3 ينظر أبو حيان، البحر المحیط، 234/6.

4 أبو السعود، إرشاد العقل السليم، 33/6.

5 ينظر شهاب الدين الألوسي، روح المعاني، 207/16.

6 ينظر المصدر السابق، 207/16.

7 ينظر السمين الحلبي، 91/2.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۝﴾

[المؤمنون: ٥١]، فيرى المفسرون أنَّ لفظة "رسل" تحتل ثلاثة أوجه¹:

1- النبي ﷺ.

2- عيسى عليه السلام.

3- الرسل جميعًا.

والذي أراه بُعد الرأي الأول والثاني عن الدلالة، لأنَّ الرسل بُعثوا في أزمنة متفرقة²، فكيف يخاطب الواحد منهم بصيغة الجمع؟ هذا يؤكد أنَّ الوجه الثالث هو الأقرب لدلالة سياق الآية، فقد ذكرت السورة الكريمة الرسل واحدًا تلو الآخر، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّبِعُونَ اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝﴾ [المؤمنون: ٢٣] وقال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝﴾ [المؤمنون: ٢٤]، ونحوها كثير³، فالسياق دلَّ على مجموعة من الرسل.

وقد روي عن أمِّ عبد الله أخت شداد بن أوس: "أُتِيَ بعثت إلى الرسول ﷺ بقدح من اللبن في شدة الحر عند فطره، وهو صائم، فردَّه الرسول إليها وقال: من أين لك هذا؟ فقالت: من شاة لي، ثمَّ ردَّه وقال: من أين لك هذه الشاة؟ فقالت: اشتريتها بمالي، فأخذه ثمَّ إنَّها جاءت به وقالت: يا رسول الله لمَّ رددته؟

1 ينظر ابن عطية، الخروالوجيز، 146/4، وفخر الدين الرازي، التفسير الكبير، 91/23، والبغوي، معالم التنزيل، 310/3.

2 ينظر ابن جزي الغرناطي، التسهيل لعلوم التنزيل، 52/3.

3 نظيرها في المؤمنون: 44 - 45 - 50

فقال: بذلك أُمِرَت الرسل أن لا يأكلوا إِلَّا طَيِّبًا، ولا يعلموا إِلَّا صَالِحًا¹، فكل رسول وصَّى في زمانه بأكل الطيبات وعمل الصالحات².

الصِّيْغَةُ الثَّالِثَةُ: فُعُول:

ومن أمثلتها في القرآن الكريم:

أ- "قروء":

جمع قراء - بضم القاف وفتحها- ويراد بها حيض المرأة وطهرها منه، والأصل فيه الانتقال من الطهر إلى الحيض، وهو براءة الرحم من الزوج السابق، وهو يحصل بثلاثة حيضات كما يحصل بثلاثة أطهار؛ فيندر دوام الحيض إلى آخر الحمل³.

وذكر السمين الحلبي: الْقَرُءُ: أصله الوقت المعتاد تَرُدُّدُهُ، ومنها: قَرُءُ النجم لوقت طلوعه، وأُفُوله، ويقال: "أَقْرَأُ النجم" أي: طالع وبان أو أَقْل، والقروء: هبوب الريح: قَرُوءُها وقَارِئُها. وأصل القراء: الخروج من طهر إلى حيض أو عكسه، وقَرُءُ المرأة لوقت حيضها وطهرها، ومنها: أَقْرَأْتُ، أي: حاضت أو طَهَّرْتُ، وَأَقْرَأْتُ أي: صارت ذات حيض، والقَرُءُ: الحيض مع الطهر، وما بين الحيضتين، وأصله الجمع، ومنه قَرَأْتُ الماء في الحوض: جَمَعْتُهُ، ومنه قرأ القرآن. وتقرأ بالضم "قُرء" والفتح "قَرء"، وكلاهما بمعنى واحد، وهي جمع كثرة⁴. ومنه قوله تعالى: ﴿الْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، ذكر الأزهري: أن لفظة

1 فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، 91/23، تفسير أبو الفداء، ابن كثير، 248/3، جلال الدين السيوطي، الدر المنثور، 112/6.

2 ينظر أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، 1411هـ، 1990م)، ص 140، وينظر الزنجشيري، الكشف، 192/3، وينظر أبو عجيبة، البحر المديد 31/5.

3 خليفة القلموني، تفسير المنار، 294/2.

4 ينظر الحلبي، الدر المصون، 439/2-440-441-442.

قروء في هذه الآية دلّت على جمع القلة¹، وذكر الزمخشري استُعْمِلَتْ لفظة "القروء" في هذه الآية توسعاً في اللغة، فهي أكثر استعمالاً من الإقراء لذلك استعملت في الآية الكريمة²، وذكر الدكتور محمد أبو موسى: لفظة "القروء" جاءت في هذه الآية دالة على الكثرة، والدليل على ذلك سياق الآية الكريمة، فالخطاب في الآية موجه إلى المطلقات، فلكل مطلقة عدّة، فجمع الكثرة جاء تمييزاً للعدد ثلاثة³.

ب - قلوب:

جمع قلب، وتأني للدلالة على "العقل، الرأي، القلب بعينه الذي في الصدر". وذكر السمين الحلبي: القلب: العقل والفهم، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ [ق: ٣٧]، وقلب كل شيء: خالصه، وأصل القلب من التقلب، كقول الهذلي: [من الطويل]

وَمَا سُمِّيَ الْإِنْسَانُ إِلَّا لِإِنْسِهِ وَلَا الْقَلْبُ إِلَّا أَنَّهُ يَتَقَلَّبُ⁴

قلب الشيء: تصريفه وصرفه عن وجهه، كقلب الثوب، وقلب الإنسان، وسُمِّيَ به لكثرة تقلبه⁵.

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ [ق: ٣٧] فقد ذكر الطبري دلالة لفظة قلب في هذه الآية الكريمة على معنى العقل، أي: من كان له عقل⁶، وذكر البغوي في قوله تعالى: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ [الحشر: ١٤]، أَنَّ "قلوبهم" تعني الرأي، أي آراؤهم شتّى⁷، وذكر الطبري في قوله تعالى: ﴿فَاتَّهَا

1 ينظر خالد الأزهرى، شرح التصريح على التوضيح، 52/2.

2 ينظر الزمخشري، الكشاف، 300/1، وفخر الدين الرازي، التفسير الكبير، 75/6، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم، 25/1.

3 ينظر شهاب الدين الألوسي، روح المعاني، 133/2.

4 سلمة العوتي، الإبانة في اللغة العربية، تح: مجموعة من الأساتذة، (مسقط: وزارة التراث القومي والثقافة، ط1، 1420هـ، 1999م)، 206/1.

5 ينظر السمين الحلبي، 330/3 - 331.

6 ينظر ابن جرير، تفسير الطبري، 432/11 - 433.

7 ينظر أبو محمد البغوي، تفسير البغوي، 322/4.

لَا تَعْمَى الْأَبْصَرُ وَلَكِنَّ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ [الحج: ٤٦]، أنها تعني القلب بعينه الذي في الصدر¹.

ومن أمثلتها في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التَّحْرِيم: ٣ - ٤]، فقد ذكر فخر الدين الرازي: جاءت لفظة "قلوب" في هذه الآية الكريمة على صيغة الجمع إلا أن المراد بها المثني، والدليل على ذلك سياق الآية الكريمة فالفطنتين "تتوبا - وتظاهرا" تدلان على المثني²، كما أن سبب النزول يرجح دلالة التثنية، فقد نزلت هذه الآية في عائشة وحفصة رضي الله عنهما، وهي خطاب لهما³.

وقد جاءت لفظة "القلوب" على صيغة الجمع في مواضع من القرآن الكريم، فقد ذكر الفراء: "إنما أُختير الجمع على التثنية لأنَّ أكثر ما تكون عليه الجوارح اثنين في الإنسان: اليدين والرجلين والعينين، فلما جرى أكثره على ذلك ذهب بالواحد منه إذا أضيف إلى اثنين مذهب التثنية"⁴.

ظهرت هذه الكلمة في السياق القرآني للتأكيد على أهمية حالة القلب كمركز الإيمان والروحانية، فيتحدث القرآن عن تطهير القلوب وتوجيهها نحو الخير والتقوى كجزء من الرحمة الإلهية والتوجيه الديني.

1 ينظر ابن جرير، تفسير الطبري، 171/9.

2 ينظر فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، 40/30.

3 ينظر ابن العربي، أحكام القرآن، 552/3، والواحدي، أسباب النزول، 461/1، وفخر الدين الرازي، التفسير الكبير، 40/30.

4 الفراء، معاني القرآن، 307/1.

الصِّيْغَةُ الرَّابِعَةُ: فِعْلَانِ:

ومن أمثلتها في القرآن الكريم كلمة "فَتَيَان"، حيث تشير في كتب اللغة والمعاجم إلى الشباب الذين لم يتجاوزوا سن المراهقة، أمّا في القرآن الكريم فعادةً ما تشير إلى الخدم الصالحين والمخلصين الذين يخدمون في الجنة.

وذكر السمين الحلبي في قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ﴾ [يُوسُف: ٣٦]، الفتى: الطريُّ من الشبان والأُنثى فتاه: هي بين الفتاء. ويجمع الفتى على فتية وفتيان، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ لِفَتَيْنِهِ أَجْعَلُوا بِضَعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ﴾ [يُوسُف: ٦٢]، ولفتيانه، وجمع الفتاة فتيات، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنَّ أَرْدَنَ تَحَصُّنًا﴾ [النُّور: ٣٣]، ويعبر عن الفتى والفتاة عن العبد والأمة، وفتيانه هم مماليكه وخدمه¹، و﴿لِفَتَيَانِهِ﴾، هنا يراد بها "جمع كثرة". والفتية: جمع قلّة، فالتكثير بالنسبة إلى المأمورين، والقلّة بالنسبة إلى المتناولين، وفتى يجمع على فتيان وفتية".²

وهذا ما هذب إليه الطّبري من أنّها في الآية الكريمة تدل على الكثرة؛ لأنّ الرحال في الآية تدلّ على الكثرة، وهي جمع رحل والقليل منه أرحل³، فجاءت "فتيان" بلفظ الكثرة؛ ليناسب جمع الكثرة في رحالهم⁴، كما جاءت الآية الكريمة في سياق الحديث عن قصة سيدنا يوسف عليه السلام إذ أمر فتياه؛ أي: الذين يعملون لديه أن يضعوا البضاعة في رحل إخوته، وهم عمّال صاحب العمل وعادةً ما يكونون أكثر من عشرة⁵، كما قرئت هذه اللفظة بصيغتين: "فتيان - فتية"؛ فالأولى على الكثرة، وهي قراءة حمزة

1 ينظر السمين الحلبي، 200/3 – 201.

2 ينظر المصدر السابق، 517/6.

3 ينظر ابن جرير، تفسير الطبري، 227/13.

4 ينظر البيضاوي، أنوار التنزيل، 297/3، وشهاب الدين الألوسي، روح المعاني، 10/13.

5 ينظر د. محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، (دار النشر للجامعات، ط1، 1432هـ، 2011م)، ص 92.

والكسائي، والثانية باعتبار القلة وهي قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر على صيغة القلة في قوله تعالى: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ﴾ [الكهف: 50]، فالفتية في هذه الآية الكريمة هم أصحاب الكهف، وقد ذكر القرآن الكريم عددهم في قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف: ٢٢] • فعدد أصحاب الكهف محدود¹، لدى اسْتُعْمِلَتْ صيغة القلة للدلالة على قلتهم²، أما لفظة "فتيان" فجاءت على صيغة الكثرة، إذ لم يحدد القرآن عددهم فهذا دليل على الكثرة.

دلالة اللفظة تختلف باختلاف السياق والزمان، والتفسير الصحيح لهذه الألفاظ يتوقف على السياق الذي جاء فيه هذا المصطلح.

الصِّيْغَةُ الْخَامِسَةُ: فَعَالِل:

ومن أمثلتها في القرآن الكريم كلمة "سَنَابِلٌ"، وتدلُّ في كتب اللغة والمعاجم والقرآن على الأذنان الصغيرة التي تظهر على سيقان الحبوب مثل القمح والشعير، وقد جاءت في القرآن الكريم في عدة مواضع، وكانت تستخدم في سياق الأموال والزرع، ومن أمثلتها قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِمُ﴾ [البقرة: ٢٦١] فجاءت دالة على الكثرة والزيادة التي تأتي وراء الإنفاق في سبيل الله، فَشُبِّهَتْ بنمو الحبوب والسنابل في ذلك وذكر السمين الحلبي في قوله: ﴿وَسَبْعٌ سُنْبُلَاتٍ خُضِرَ وَأُخِرَ يَابَسَتِ﴾ [يوسف: ٤٣] • جاءت

1 ينظر أحمد مختار عمر، دراسات لغوية في القرآن الكريم وقراءاته، ص206.

2 ينظر أبو حيان، البحر المحيط، 99/6، وابن عاشور، التحرير والتنوير، 206/15.

كان المراد بها في الآية الكريمة الكثرة، بدليل قوله تعالى: ﴿فِي كُلِّ سُنْبِلَةٍ مِئَةٌ حَبَّةٌ﴾، فالعدد سبعة ليس هو المراد، لأنَّ ذكر مئة حبة يدل على أنَّ العدد قد يصل إلى السبعمئة¹، وهذا كثير، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ هذا دليل واضح على أنَّ السياق سياق كثرة². وقد مرَّ حديثٌ عن هذا في الكلام على كلمة "أضعاف".

الصِّيْغَةُ السَّادِسَةُ: مَفَاعِلَةٌ:

ومن أمثلتها في القرآن الكريم كلمة "مَلَائِكَةٌ"، ومنه قوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾ [آل عمران: ٣٩]، فقد أفاد السمين الحلبي أنَّها تدلُّ على الجمع، ومنه قوله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١]، أي ملائكة يتعاقبون عليه في الحفظ، ومنه قوله ﷺ: (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار³) وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْصِيكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، لأنَّ من جعل الله له ملائكة حفظة فقد عصمه وعقبه⁴. واللَّاظلة كثيرة الورد في القرآن الكريم؛ فقد وردت معرفة بـ "ال" في أكثر من خمسين موضعًا، ومن دون "ال" في أكثر من خمسة وستين موضعًا.

ودلالاتها قطعية؛ إذ لا تحتمل معيَّ آخر غير المعنى الذي وضعت لأجله، والذي وردت في سياقه؛ فهي تعني الكائنات الروحية والسياسية التي تؤدي وظائف معينة بأمر من الله، وهي مخلوقات خالقة ومخلوقة من نور.

1 ينظر دراسات لغوية في القرآن الكريم وقرآنته، ص 211.

2 ينظر الزمخشري، الكشاف، 338/1، والبيضاوي، أنوار التنزيل، 565/1، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم، 257/1، وشهاب الدين الألوسي، روح المعاني، 23/3.

3 البخاري، صحيح البخاري، باب فضل العلم، 115/1.

4 ينظر السمين الحلبي، الدر المنصون، 101/3.

وتفيد اللفظة معنى "الإفراد والجمع"، فقد ذكر بعض من المفسرين المراد بها جبريل عليه السلام وحده، ويرى آخرون أنَّ المنادى مجموعة من الملائكة¹، ودلالته على الجمع -بحسب السياق- أقرب، فقد ذكر الله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ﴾ دَلَّ الفعل هنا على الجمع، وجائز فيه التأنيث، فقد ذكر مكِّي القيسي: "وحجة من قرأ بالتاء أنَّه أنث لتأنيث الجماعة التي بعدها في قوله تعالى: ﴿الملائكة﴾، والجماعة ممن يُعقل في التكثير، ويجرى في التأنيث مجرى ما لا يعقل تقول هي الرجال، وهي الجذوع...، ويقوي ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ﴾ [آل عمران: ٤٢]، وقد ذُكر في موضع آخر فقال تعالى: ﴿وَالْمَلَكُ يُسَبِّحُ بِحَمْدِ رَبِّهِ﴾ [الأنعام: ٩٣]، وهذا إجماع².

وقد بعث الله سبحانه وتعالى الملائكة إلى قوم لوط وإبراهيم عليهما السلام³، لذا من الأنسب أن يكون قد بعث ملائكة إلى زكريا أيضاً. وفي قوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٣٩]؛ بشرت الملائكة زكريا وزوجته ببشارة عظيمة (ميلاد يحيى)، وهذه البشارة جاءت في وقت كادا يفقدان الأمل من الإنجاب⁴، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ [آل عمران: ٤٠] فحالة زكريا وزوجته تتطلب عدداً من المبشرين، كما أنَّ لفظة "ملائكة" في الأصل جمع، وعَلَّ الطبري ذلك بأنَّه "لا يجوز أن يحمل تأويل القرآن إلَّا على الأظهر الأكثر من الكلام المستعمل في لسان العرب دون الأقل ما وجد إلى ذلك سبيلاً، ولم تضطر

1 ينظر البغوي، معالم التنزيل، 298/1، وابن عطية المحرر الوجيز، 428/1، وعبد الرحمن بن الجوزي، زاد المسير في علوم التفسير، تح: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 1422هـ)، 381/1 وأبو حيان التوحيدى، البحر الحيط، 464/2.

2 الكشف عن وجوه القراءات السبع، 341/1 - 343.

3 ينظر أبو حيان التوحيدى، البحر الحيط، 464/2، وفريد بن عبد العزيز الزامل، الخلاف التصريفي وأثره الدلالي في القرآن الكريم، ص221.

4 ينظر الواحدى، التفسير الوسيط، 126/3.

الحاجة إلى صرف ذلك إلى أنه بمعنى واحد، فيحتاج له إلى طلب المخرج بالخفي من الكلام والمعاني¹ فدلالة الجمع هي الأرجح لمقام الآية.

الصيغة السابعة: فعائل:

ومن أمثلتها في القرآن الكريم كلمة "خَطَايَا"، وهي جمع خطيئة، وقد جاءت في كتب اللغة والمعاجم والقرآن دالة على الأخطاء والذنوب. والخطيئة والخطء - كما يرى السمين الحلبي - الإثم، وهي ضد الصواب، وفيها لغتان القصر والمد، والخطأ: العدول عن الجهة، وهذه اللفظة مشتركة ومتردة بين معانٍ، فيجب على من يتحرى الحقائق أن يتأملها. فخطايا ليس جمعاً لخطيئة بالهمزة، وإنما جمعاً لخطيئة مثل هديّة وهدايا، وذكر لو جمعت "خطيئة" لقلنا: "خطاء" فقد قرئ: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ﴾ و﴿خَطِيئَتِكُمْ﴾ بالجمع والتوحيد². ووردت هذه اللفظة دال على الكثرة في قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَكُمْ﴾ [البقرة: ٥٨] وعلى القلة في قوله تعالى ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٦١] فالذي يحدّد معنى هذه اللفظة في هاتين الآيتين الكريمتين السياق القرآني، ففي الآية الأولى أُسْنِدَ الفعل إلى الله تعالى، فقال: ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ لذا جاءت الخطايا جمع كثرة، لأنّ غفرانها أليق بجوده وكرمه، أمّا في الآية الثانية، فجاء الفعل مبنياً للمجهول لذا جاءت الخطيئات على القلة³.

1 ابن جرير، تفسير الطبري، 272/13.

2 السمين الحلبي، الدر المصون، 378/1.

3 ينظر أبو القاسم برهان الدين الكرمانى، أسرار التكرار في القرآن المسمى، البرهان في توجيه متشابه القرآن، تح: عبد القادر أحمد عطا، ص298، وفخر الدين الرازي، التفسير الكبير 86/3، وفاضل صالح السامرائي، معاني الأبنية في العربية ص 39، وأحمد مختار عمر، دراسات لغوية في القرآن الكريم وقراءاته، ص212، وهتاري عبد الله علي، الإعجاز البلاغي لتحولات النظم القرآني، ص191.

كما أنَّ سورة البقرة جاءت في معرض ذكر نعمه سبحانه وتعالى. قال تعالى: ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ٥٧﴾ [البقرة: ٤٧]، ومن نعمه غفران الذنوب الكثيرة.

أما آية الأعراف، فالسياق موجه إلى موسى: ﴿قَالُوا يَمُوسَى أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، فجاءت الخطيئات بصيغة القلة، ولعل مجيء الخطايا بكلتا الصيغتين إشارة منه سبحانه وتعالى إلى أنَّ هذه الذنوب سواء كانت قليلة أم كثيرة، فهي مغفورة¹.

كما ذكرت كتب المعاجم والقواميس، الخطيئة: هو الذنب أو ما تعمد منه، أمَّا الخطأ فما لم يتعمد وجمعه خطايا²، ففي الأعراف دلَّت هذه اللفظة على التعمد والإصرار على الذنب. قال تعالى في السياق السابق للآية: ﴿وَمِن قَوْم مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩]، ثم ذكر الله تعالى قوله: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَكُمْ﴾ [البقرة: ٥٨]، ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٦٢]، حيث أخرج المؤمنين وعاقب الظالمين منهم لهذا جاءت عقوبة بعضهم باستعمال جمع القلة "خطيئات"، أمَّا في سورة البقرة، فالكلام على عامة بني إسرائيل سواء الذين تعمدوا الذنوب أم لم يتعمدوها لذا جاء التعبير عنهم بالكثرة.

1 ينظر شهاب الدين الألوسي، روح المعاني، 79/9، وأحمد مختار عمر، دراسات لغوية في القرآن الكريم وقراءاته، ص212.

2 ينظر هتاري عبد الله علي، الإعجاز البلاغي لتحولات النظم القرآني، ص191.

الخاتمة

إنّ ممّا يميّز الكلام القرآنيّ هو تنوّع الدلالة في مفرداته بحسب المستويات اللغوية، وينظم هذه المعاني "النظام المعجمي"؛ فللدلالة المعجمية دورٌ كبيرٌ في حمل ألفاظ القرآن الكريم معنًى دون غيره، وذلك من خلال ارتباطها مع سياقاتها، فللكلمة خارج السياق معانٍ كثيرة في الأصل، فإذا ما انتظمت في سياق معين وأخذت موقعها في الجملة حملت دلالة مختلفة خاصّة بها، ومرتبطة بهذه السياق.

وقد توصّلت الدراسة إلى جملة من النتائج والتوصيات، أبرزها:

- 1- أهمية السياق في بيان الدلالة المعجمية لللفظة القرآنية، وذلك من خلال علاقة هذه اللفظة بما قبلها أو بعدها في السياق أو من حيث القرائن الموجودة في سياق الآية الكريمة كقرينة سبب النزول أو كقرينة المعنى أو كالقرينة اللفظية. والسياق هو الذي يتحكم في تحديد معاني الألفاظ وفق ما يقتضيه حال المخاطبين والظروف المحيطة بهم، فالحدث الكلامي يتطلب أطرافاً وظروفاً.
- 2- كانت للسّمين الحلبي آراء واضحة ودقيقة على المستوى الصّرفي والنّحوي والبلاغي.
- 3- كان للجانب المعجمي أثر كبير في تفسير ألفاظ الصيغ في القرآن الكريم.
- 4- انفرد السّمين الحلبي بآراء عن غيره من المفسّرين.
- 5- تفسير الدرّ المصون من أعمق كتب التفسير وأكثرها غزارة في النحو والصرف، ولا نجانب الصواب إذا قلنا: إنّ تفسيره يضاهي كتب إعراب القرآن كإعراب القرآن للنحاس والزجاج والكسائي.
- 6- تفسير الدرّ المصون كتاب حافلٌ بالاعتراضات والمناقشات، ومصدرٌ مهمٌّ من مصادر الإثراء اللغويّ لما حواه من دراسة معمّقة للكلمات خارج وداخل سياقاتها.
- 7- اعتمد السّمين الحلبيّ على أدلّة الصناعة من سماع وقياس، وأكثر من الاستشهاد بالقرآن

والشّعر.

- 8- اتّبع السّمين الحلبي منهجًا محدّدًا في دراسة معاني الكلمات، وهو العودة إلى معناها الأصلي، ومن ثمّ ربطها بالمعنى الذي جاءت به في السياق القرآني.
- 9- اعتمد السمين الحلبي على الأصل في عرض الصرفيّة، وكان يركّز على السماع والقياس فيما يتعلّق بأبنية الأسماء.
- 10- إنّ للدلالة المعجمية أثرًا واضحًا في توسع معاني دلالات صيغ المصدر.
- 11- سعت هذه الدراسة إلى إظهار دلالة الألفاظ في المعنى من خلال كتب المفسرين وربطها بآراء السمين الحلبي.
- 12- الدلالة المعجميّة هي المعنى المركزي أو المتبادر لللفظ عند أهل اللّغة، ولكن هذه الدلالة تتغير بتغير السياق، وهو ما تشير إليه المعاجم أحيانًا من خلال بعض الأمثلة التي أوضحناها خلال البحث، وتهمله في أكثر الأحيان لأنّ السياقات لا نهائية ولا يمكن الإحاطة بها.
- 13- حظيت الدلالة المعجمية لصيغ المصدر وصيغ المشتقات بأنواعها في القرآن الكريم بمساحة واسعة، وقد تنوعت وتشكلت بكل دلالاتها ولاسيما دلالاتها المعجمية.
- ويوصي البحث بما يأتي:
- 1- إظهار مزيد من العناية بالدراسات ذات الصلة بعلم الدلالة خاصة.
- 2- إجراء دراسات تطبيقية على تفسير السمين الحلبي من الجوانب كافة (البلاغية-الصرفية-النحوية- المعجميّة).

المصادر والمراجع

- إبراهيم إسحاق الحربي أبو إسحاق، غريب الحديث، تح: سليمان إبراهيم محمد العابد، (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ط1، 1405هـ).
- الأثير، مجد الدين، النهاية في غريب الحديث والأثر، تح: رضوان مأمون، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1432هـ، 2011م).
- أحمد بن الحسين البيهقي، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت).
الخلافيات بين الإمامين الشافعي وأبي حنيفة وأصحابه، تح: فريق البحث العلمي بشركة الروضة، (القاهرة: الروضة للنشر والتوزيع، ط1، 1436هـ).
- ابن أحمد، محمد بن يوسف، شرح التسهيل، تح: أ. د: علي محمد فاخر، وآخرون، (القاهرة: دار السلام، ط1، 1428هـ).
- الأزهرى، خالد بن عبد الله، شرح التصريح على التوضيح، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1412هـ، 2000م).
- الأستراباذي، الرضي، شرح الشافية لابن الحاجب، تح: محمد نور الحسن، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1395هـ، 1975م).
- أبو إسحاق، الكشف والبيان في تفسير القرآن، تح: الإمام أبي محمد بن عاشور، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1 1422هـ، 2002م).
- الأسدي، موفق الدين، شرح المفصل، تح: الدكتور: إميل بديع يعقوب، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1422هـ، 2001م).

- الإشبيلي، ابن عصفور، الممتع الكبير في التصريف تح: فخر الدين قباوة، (حلب: المكتبة العربية، 1970م).
- الإشبيلي، أبو بكر، العواصم من القواصم، تح: محب الدين خطيب - محمود مهدي الأستانبولي، (بيروت: دار الجيل، ط2، 1407هـ، 1987م).
- الأشموني، علي بن محمد، شرح الأشموني، (بيروت: دار الكتاب العلمية، ط1، سنة 1429هـ، 1998م).
- الأصبهاني، الراغب، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، (بيروت: دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط1، 1420هـ).
- الأصبهاني، محمد بن عمر، المجموع المغيث في غريب القرآن والحديث، تح: عبد الكريم العزباوي، (مكة المكرمة: جامعة أم القرى. مركز البحث العلمي، وإحياء التراث الإسلامي ط1، 1408هـ).
- الأصفهاني، الراغب، المفردات في غريب القرآن، تح: صفوان عدنان الداودي، (بيروت: دار القلم، دمشق: الدار الشامية، ط1، 1412هـ).
- الأصفهاني، الراغب، تفسير الراغب الأصفهاني، تح: د. محمد عبد العزيز بسيوني، (طنطا: كلية الآداب جامعة طنطا، ط1، 1420هـ، 1999م).
- الألباني، محمد ناصر الدين، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، (بيروت: المكتب الإسلامي، الأولى، 1399هـ).
- الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح سنن ابن ماجه، (الكويت: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط1، 1407هـ).

- الألماني برجشتراسر، التّطور النحوي للغة العربية، تصحيح د. رمضان عبد التّوّاب، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط2 1414هـ، 1994م).
- الألوسي، شهاب الدين، روح المعاني، تح: علي عبد الباري عطية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ).
- الأنباري، أبو البركات، أسرار العربية، (لبنان: دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط1، 1420هـ، 1999م).
- الأنباري، أبو البركات، الأضداد، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت: المكتبة العصرية، 1407هـ، 1987م).
- الأنباري، أبو البركات، الإنصاف في مسائل الخلاف، (بيروت: المكتبة العصرية، ط1، 1424هـ، 2003م).
- الأنباري، أبو البركات، الزاهر في معاني كلمات النَّاس، تح: حاتم صالح الضامن، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1412هـ، 1992م).
- الأنباري، أبو البركات، شرح القصائد السَّبع الطوال الجاهليَّات، تح: عبد السلام هارون، (القاهرة: دار المعارف، ط5، د.ت).
- الأنباري، محمد بن القاسم، الزاهر في معاني كلمات النَّاس، تح: د. حاتم صالح الضامن، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1412هـ، 1992م).
- الأندلسي، ابن عطية، المحرر الوجيز، تح: عبد السَّلام عبد الشَّافي محمد، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1422هـ).
- الأندلسي، أبو حيان، البحر المحيط، تح: صدقي محمد جميل، (بيروت: دار الفكر، ط1، 1420هـ).

- البحراني، سيد هاشم، البرهان في تفسير القرآن، (إيران: مؤسسة، متبعت اسمعيلين، 1980م).
- البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري تح: جماعة من العلماء، (مصر: المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق، 1311هـ).
- البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تح: د. مصطفى ديب البغا، (بيروت: دار ابن كثير، دمشق: دار اليمامة، ط 5، 1414هـ، 1993م).
- بدري، كمال إبراهيم، الزمن في النحو العربي، (الرياض: دار مية للنشر والتوزيع، ط 1، 1404هـ).
- البستي، أبو الفتح، ديوان أبي الفتح البستي، تح: دريَّة الخطيب، ولطفي الصَّغَّال، (دمشق: مجمع اللغة العربية، 1410هـ، 1989م).
- ابن بشكوال، أبو القاسم، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، عن بنشره وصححه وراجع أصله: السيد عزت العطار الحسيني، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط 2، 1374هـ، 1955م).
- البغدادي، إسماعيل باشا، هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، (إستانبول: وكالة المعارف الجلييلة، 1951م).
- البغدادي، عبد القادر، خزانة الأدب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط 4، 1418هـ، 1997م).
- بلعرج، لقاسم، لغة القرآن الكريم "دراسة لسانية للمشتقات"، (الجزائر: دار العلوم للنشر والتوزيع، د.ت).
- البنَّاء، شهاب الدين، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، تحقيق: أنس مهرة، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط 3، 1527هـ، 2006م).

- البندنجي، أبو بشر، **التقفيه في اللغة**، تح: د. خليل إبراهيم العطية، (الجمهورية العراقية: وزارة الأوقاف إحياء التراث الإسلامي، ط14، بغداد: مطبعة العاني، 1976م).
- البيضاوي، **تفسير البيضاوي**، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1418 هـ).
- البيهقي، أحمد بن الحسين، **الخلافيات بين الإمامين الشافعي وأبي حنيفة وأصحابه**، تح: فريق البحث العلمي بشركة الروضة، (القاهرة: الروضة للنشر والتوزيع، ط1، 1436هـ).
- البيهقي، أحمد بن الحسين، **السنن الكبرى**، (بيروت: دار المعرفة، د.ط، 1413).
- الترمذي، محمد بن عيسى، **سنن الترمذي**، تح: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، (مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط2، 1395هـ/1975م).
- التميمي، عويسيان، **موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة**، (مصر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، د.ت).
- التتوخي، القاضي، **القوافي**، تح: عوني عبد الرؤوف، (القاهرة، مكتبة الخانجي، ط2، 1978م).
- التهانوي، محمد بن علي، **موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، تح: علي دحروج، (بيروت: مكتبة لبنان، ط1، د.ت).
- التوحيددي، أبو حيان، **البصائر والذخائر**، تح: وداد القاضي، (بيروت: دار صادر، ط1، 1408هـ، 1988م).
- ثابت، فتحي علم الدين، **أثر السياق في مبنى التركيب ودلالته**، "دراسة نصية من القرآن الكريم"، (حلب: دار الفرقان، 1994م).
- الثعالبي، أبو منصور، **خاص الخاص**، تح: حسن الأمين، (بيروت: دار مكتبة الحياة، د.ت).

- الثعلبي، أبو إسحاق، الكشف والبيان في تفسير القرآن، تح: عدد من الباحثين، (جدة: دار التفسير، ط1، 1436هـ، 2015م).
- الجاربردي، مجموعة الشافية من علمي الصرف والخط، تح: محمد عبد السلام شاهين، (بيروت: عالم الكتب، د.ت).
- جبل، محمد حسن حسن، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، (القاهرة: مكتبة الآداب، ط1، 2010 م).
- جبل، محمد حسن حسن، المعنى اللغوي دراسة عربية مؤصلة نظرياً وتطبيقياً، (القاهرة: مكتبة الآداب، ط1، 1426هـ، 2005م).
- الجبوري، عبد الرحيم، طبقات الشافعية، (بغداد: رئاسة ديوان الأوقاف، 1390هـ، 1970م).
- الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تح: د. محمد رضوان الداية، ود. فايز الداية، (دمشق: مكتبة سعد الدين، ط2، 1407هـ، 1987م).
- الجرجاني، علي الشريف، التعريفات، تحقيق وضبط، وتصحيح جماعة من العلماء بإشراف الناشر، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1403هـ).
- الجزائري، أبو بكر، أسير التفاسير لكلام العلي الكبير "ومعه حاشية نهر الخير"، (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ط5، 1424هـ، 2003م).
- الجزائري، جابر بن موسى، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ومعه حاشية نهر الخير، (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ط5، 1424هـ، 2003م).
- الجزري، شمس الدين، غاية النهاية في طبقات القراء، (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ط1، د.ت).

- أبو جعفر الطحاوي، أحكام القرآن، تح: د. سعد الدين أونال، (إسطنبول: مركز البحوث الإسلامية، 1418هـ، 1998م).
- ابن جني، أبو الفتح، الخصائص، تح: محمد علي النجار، (بيروت: عالم الكتب، ط1، 1983م).
- ابن جني، أبو الفتح، اللمع في العربية، تح: فائز فارس، (الكويت: دار الكتب الثقافية، د.ت).
- ابن جني، أبو الفتح، المحتسب، تح: محمد عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1419هـ، 1998م).
- ابن جني، أبو الفتح، المنصف، (بيروت: دار إحياء التراث القديم، ط1، 1373هـ، 1954م).
- ابن الجوزي، عبد الرحمن، زاد المسير في علوم التفسير، تح: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 1422هـ).
- ابن الجوزي، عبد الرحمن، جامع المسانيد، تح: د. علي حسين البوّاب، (الرياض، مكتبة الرُّشد، ط1، 1426هـ، 2005م).
- الجوزية، ابن القيم، التّبيان في أقسام القرآن، تح: حامد الفقي، (بيروت: دار المعرفة، د.ت).
- الجوزية، ابن القيم، تفسير القرآن الكريم، تح: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ط1، 1410هـ).
- الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح، تح: أحمد عبد الغفور عطا، (بيروت: دار العلم للملايين، ط4، 1407هـ، 1987م).
- الجياني، جمال الدين، شرح الشافية، تح: عبد المنعم أحمد هريدي، (مكة المكرمة: جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ط1، 1402هـ، 1982م).

- ابن الحاجب، شرح الرضي على الكافية، تح: صالح عبد العظيم الشاعر، (القاهرة: مكتبة الأداب، ط1، 2010م).
- حبلى، محمد يوسف، البحث الدلالي عند الأصوليين، (بيروت: مكتبة عالم الكتب، ط1، 1411هـ، 1991م).
- حجازي، محمود فهمي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، (القاهرة: مكتبة غريب الفجالة، 1993م).
- الحجيلي، عبد الرحمن بن محمد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، (المدينة المنورة: (السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط1، د.ت).
- الحجيلي، عبد الرحمن، معجم ألفاظ القرآن الكريم، (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط1، د.ت).
- الحديثي، خديجة، أبنية الصرف في كتاب سيبويه، (مصر: مكتبة النهضة، 2017م).
- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، تح: محمد عبد الكريم النّمرى، (بيروت: دار الكتب العلميّة، 1418هـ، 1998م).
- الحريري، القاسم بن علي، دُرّة الغَوَاصِ فِي أَوْهَامِ الحَوَاصِ، تح: عرفات مطرجي، (بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ط1، 1418هـ، 1998م).
- حسّان، تَمّام، اللغة العربية معناها ومبناها، (بيروت: عالم الكتب، ط6، 2009).
- حسّان، تَمّام، قرينة السياق، (القاهرة: كلية دار العلوم "مطبعة عبيد للكتاب"، 1413هـ، 1993م).
- الحلبي، السمين، الدُّرُ المصون، تح: د. أحمد محمد الحُرَّاط، (دمشق: دار القلم، د.ت).
- الحلبي، السمين، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تح: محمد باسل عيون السود، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1996م).

- الحلبي، ينظر محمد بن يوسف، شرح التسهيل المسمى "تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد" دراسة وتحقيق: أ. د. علي محمد فاخر وآخرون، (القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1428هـ).
- الحملاوي، أحمد بن محمد، شذا العرف في فن الصرف، تح: نصر الله عبد الرحمن نصر الله، (الرياض: مكتبة الرشد، د.ت).
- حموش، مأمون، التفسير المأمون على منهج التنزيل، تدقيق: أحمد راتب حموش، (المؤلف، ط1، 1428هـ، 2007م).
- الحميري، نشوان بن سعيد، شمس العلوم، تح: د. حسين بن عبد الله العمري، ود. يوسف محمد عبد الله، (بيروت: دار الفكر المعاصر، ودمشق: دار الفكر، ط1، 1420 هـ، 1999م).
- ابن حنبل، أحمد، المسند، تح: شعيب الأرناؤوط وآخرون، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ).
- الحنبلي، ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: محمود الأرناؤوط، (دمشق: دار ابن كثير، ط1، 1406 هـ، 1986 م).
- الحنبلي، سراج الدين، اللباب في علوم الكتاب، تح: الشيخ عادل عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1419 - 1998م).
- الحنبلي، عبد الرحمن بن رجب، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، تح: طارق عوض الله محمد، (الدَّمام: دار ابن الجوزي ط1، 1417هـ).
- حيدر، غريد عوض، سياق الحال في الدرس الدلالي "تحليل وتطبيق"، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ط1، د.ت).

- حيدر، فريد عوض، سياق الحال في الدرس الدلالي "تحليل وتطبيق"، (مصر: مكتبة النهضة المصرية، 1998م).
- الخازن، علاء الدين، لباب التأويل في معاني التنزيل، تح: محمد علي شاهين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1 1415هـ).
- ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، تح: د. عبد العال سالم مكرم، (بيروت: دار الشروق، ط 4، 1401هـ)، ط 4، 1401هـ).
- الخراط، أحمد بن محمد، معجم مفردات اللغة، (دار العلم، سنة النشر 1409هـ، 1989م).
- الخطيب، عبد اللطيف، معجم القراءات، (دار سعد الدين، للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت).
- خليفة، حاجي، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1941م).
- خليل، د. حلمي، الكلمة "دراسة لغوية معجمية"، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1998م).
- الدامغاني، عبد الله، الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز، تح: عربي عبد الحميد علي، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت).
- الداني، عثمان بن سعيد، التيسير في القراءات السبع، تح: أوتو تريزل، (بيروت: دار الكتب العربي، ط 2، 1404هـ، 1984م).
- الداني، عثمان بن سعيد، الفرق بين الضاد والطاء في كتاب الله عز وجل وفي المشهور من الكلام، تحقيق: حاتم صالح الضامن، (دمشق: دار البشائر، ط 1، 1428 هـ، 2007م).
- ابن داود، صحيح سنن أبي داود، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، (الكويت: مكتب التربية العربي لدول الخليج، الأولى، 1409هـ).

- ابن دُرُسْتَوَيْه، **تصحیح الفصحی وشرحہ**، (القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، عام النشر، 1419هـ، 1998م).
- درویش، محیی الدین، **إعراب القرآن وبیانه**، (بیروت: دار الیمامة، دمشق: دار ابن کثیر، ط4، 1415هـ).
- ابن درید، أبو بکر، **الاشتقاق**، تح: عبد السلام محمد هارون، (بیروت: دار الجیل، ط1، 1411هـ، 1991م).
- ابن درید، أبو بکر، **جمهرة اللغة**، تح: رمزي منیر بعلبکی، (بیروت: دار العلم للملایین، ط1، 1987م).
- الدمیاطی، أحمد بن محمد، **إتحاف فضلاء البشر فی القراءات الأربعة عشر**، تح: أنس مهرة، (بیروت: دار الکتب العلمیة، ط3 – 2006م).
- الدینوری، ابن قتیبة، **أدب الکاتب**، تح: محمد الدالی، (بیروت: مؤسسة الرسالة، د.ت).
- الدینوری، ابن قتیبة، **المعارف**، تح: ثروت عکاشة، (القاهرة: هیئة المصریة العامة للکتاب، ط2، 1992م).
- الدینوری، ابن قتیبة، **تأویل مشکل القرآن**، تح: إبراهیم شمس الدین، (بیروت: دار الکتب العلمیة، د.ت).
- الدینوری، ابن قتیبة، **تفسیر غریب القرآن**، تح: أحمد صقر، (القاهرة: دار الکتب، 1398هـ، 1978م).
- الدینوری، ابن قتیبة، **غریب الحدیث**، تح: عبد الجبوری، (بغداد: مطبعة العانی، ط1، 1397هـ).

- الدينوري، ابن قتيبة، غريب القرآن، تح: أحمد صقر، (القاهرة: دار الكتب العلمية، الطبعة المصرية، 1398هـ، 1978م).
- الذبياني، النَّابغة، ديوانه، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة: دار المعارف، د.ت)، ص
- الذهبي، شمس الدين، المعجم المختص بالحدثين، تح: محمد الحبيب الهيلة، (الطائف: مكتبة الصديق، ط1، 1408هـ - 1988م).
- الذهبي، شمس الدين، سير أعلام النبلاء، (القاهرة: دار الحديث، 1427هـ، 2000م).
- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، المهذب في اختصار السنن الكبرى للبيهقي، تح: ياسر إبراهيم محمد، (الرياض: دار الوطن، الأولى، 1422هـ).
- الرازي، أبو بكر، مختار الصحاح، تح: يوسف الشيخ محمد، (بيروت: الدار النموذجية، صيدا: المكتبة العصرية، ط5، 1420هـ، 1999م).
- الرازي، أبو بكر، نموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل تح: د. عبد الرحمن المطرودي، (الرياض: دار الكتب المملكة السعودية، ط1، 1413هـ، 1992م).
- الرازي، عبد الرحمن بن محمد، تفسير القرآن العظيم، تح: أسعد محمد الطيب، (السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز، 1419هـ).
- الرازي، فخر الدين، التفسير الكبير، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط3، 1420هـ).
- رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب 1990م).
- الزَّجاج، أبو إسحاق، فعلت وأفعلت، تح: د. رمضان عبد التَّواب، د. صبيح التميمي، (مصر: مكتبة الثقافة الدينية، 1415هـ، 1995م).

- الزَّجَّاج، أبو إسحاق، معاني القرآن وإعراجه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلي، (بيروت: عالم الكتب، ط 1، 1408هـ - 1988م).
- الزحيلي، وهبة، تفسير الوسيط، (دمشق: دار الفكر، ط 1، 1422هـ).
- أبو زرعة، عبد الرحمن بن محمد، حجة القراءات، تح: سعيد الأفغاني، (بيروت: دار الرسالة، د.ت).
- الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، (دار احياء الكتب العربية، ط 1، 1376هـ، 1957م).
- الزمخشري، جار الله، الكشاف، (بيروت: دارالكتاب العربي، ط 3، 1407هـ).
- الزيد، عبد الله بن أحمد بن علي، مختصر تفسير البغوي، (الرياض: دار السلام للنشر والتوزيع، ط 1، 1416هـ).
- الزيلعي، جمال الدين، تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف، تح: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، (الرياض: دار ابن خزيمة، ط 1، 1414هـ).
- الزيلعي، عبد الله بن يوسف، تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف، تح: سلطان فهد الطبيشي، (الرياض: دار ابن خزيمة، الأولى، 1441هـ).
- الزهري، محمد بن سعد بن منيع، كتاب الطبقات الكبير، تح: علي محمد عمر، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط 1، 1421هـ، 2001م).
- السامرائي، فاضل صالح، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، (القاهرة: العاتك لصناعة الكتاب، ط 1، بغداد: ط 2، 1427هـ، 2006م).
- السامرائي، فاضل صالح، معاني الأبنية في العربية، (الأردن: دار عمار، 2017م).

- السجستاني، محمد بن عُزير، غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب، تح: محمد أديب عبد الواحد جمران، (سورية: دار قتيبة، ط1416، 1995م).
- ابن السراج، أبو بكر، الأصول في النحو، تح: عبد الحسين الفتلي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، د.ت).
- السعدي، عبد الرحمن، تفسير السعدي، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1430 هـ، 2000م).
- السعران، د. محمود، علم اللغة "مقدمة للقارئ العربي"، (بيروت: دار النهضة العربية، د.ت).
- أبو سعود أزهير، الفصحى في دقائق اللغة، (القاهرة: دار المعارف، ط2، د.ت).
- أبو السعود، تفسير أبي السعود، (بيروت: دار إحياء التراث العلمي، د.ت).
- ابن سلاّم، يحيى، التصارييف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسماؤه، وتصرفت معانيه، تح: هند شليبي، (تونس: الشركة التونسية، 1979م).
- ابن أبي سلمى، زهير ديوانه، شرحه: حمدو طمّاس، (بيروت: دار المعرفة، د.ت)، ص 43.
- السليم، فريد بن عبد العزيز الزامل، الخلاف التصريفي وأثره الدلالي في القرآن الكريم، (جامعة القصيم: دار الن الجوزي، د.ت).
- ابن سليمان، مقاتل، تفسير مقاتل بن سليمان، تح: عبد الله محمود شحاته، (بيروت: دار إحياء التراث، ط1، 1423هـ).
- السمرقندي، نصر بن محمد، تفسير السمرقندي، تح: محمود مطرجي، (بيروت: دار الفكر، د.ت).
- السمعاني، أبو المظفر، تفسير السمعاني، تح: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس، (الرياض: دار الوطن، ط1، 1418هـ، 1979م).

- السمعاني، منصور، الاصطلاح في الخلاف بين الإمامين الشافعي، وأبي حنيفة، تح: د. نايف بن نافع العمري، (القاهرة: دار المنار، ط 1، 1413هـ، 1992م).
- سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط 3، 1408هـ، 1988م).
- ابن سيده، علي بن إسماعيل، المخصّص، تح: خليل إبراهيم جفال، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت).
- السيرافي، أبو سعيد، شرح كتاب سيبويه، تح: أحمد حسن مهدي، علي سيد علي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، 2008م).
- السيواسي، كمال الدين، فتح القدير، (دمشق: دار الفكر، د.ت).
- السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ، 1974م).
- السيوطي، جلال الدين، الدر المنثور، (بيروت: دار الفكر، د.ت).
- السيوطي، جلال الدين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تح: فؤاد علي منصور، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، 1418هـ، 1998م).
- السيوطي، جلال الدين، تفسير الجلالين، (القاهرة: دار الحديث، ط 1، د.ت).
- السيوطي، جلال الدين، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، (مصر: دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط 1، 1387هـ، 1967م).
- السيوطي، جلال الدين، طبقات المفسرين، تحقيق: علي محمد عمر، (القاهرة: مكتبة وهبة، ط 1، 1396هـ).

- السيوطي، جلال الدين، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، تح: محمد إبراهيم عبادة، (القاهرة: مكتبة الأداب، ط1، 1424 هـ، 2004م).
- السيوطي، جلال الدين، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تح: عبد الحميد الهنداوي، (القاهرة: المكتبة التوفيقية، د.ت).
- شحاته، محمد عبد الوهاب، المصدر الصناعي في العربية، (القاهرة: دار غريب، 1993م).
- شحادة، علي عاصم، المعاني الوظيفية لصيغة الكلمة في التركيب "دراسة في الدلالة"، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج 35، العدد 3، 2008.
- الشنقيطي، محمد الأمين، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (بيروت: دار الفكر، 1415هـ، 1995م).
- الشنقيطي، محمد الأمين، العذب الثمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، تح: خالد بن عثمان، (مكة المكرمة: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ط3 1426هـ).
- الشهري، د. عبد الرحمن، الإعجاز القرآني في أسلوب العدول عن النظام التركيبي النحوي والبلاغي، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت).
- الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، (بيروت: دار ابن كثير، ط1، 1414هـ).
- الصالح، آيات إسماعيل، التأثير والتأثير بين التأويل النحوي والمعنى في تفسير البحر المحيط لأبي حيان، (سورية: رسالة ماجستير، جامعة حلب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، 2014م).
- الصالح، صبحي، دراسات في فقه اللغة، (بيروت: دار العلم للملايين، 2009م).
- الصبان، محمد بن علي، حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت).

- الصباني، أبو العرفان محمد بن علي، حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1417هـ، 1997م).
- الصفدي، صلاح الدين، أعيان العصر وأعوان النصر، تح: د. علي أبو زيد؛ ود. نبيل أبو عشمه؛ د. موعود محمد ود. محمود سالم محمد؛ وقدم له مازن عبد القادر المبارك، (بيروت: دار الفكر المعاصر، ودمشق: دار الفكر، ط1، 1418هـ، 1998م).
- الصقلي، ابن القطّاع، كتاب الأفعال، (بيروت: عالم الكتب ط1، 1403هـ، 1983م).
- ابن ضرار، الشَّماخ، ديوانه، تح: صلاح الدين الهادي، (القاهرة: دار المعارف، د.ت)، ص 288.
- الطبري، محمد بن جرير، تفسير الطبري، تح: أحمد محمد شاكر، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ، 2000م).
- طبل، حسن، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، (القاهرة: دار الفكر العربي، 1418هـ، 1998م).
- الطرابلسي، أبو إسحاق، كناية المتحفظ، ونهاية المتلفظ في اللغة العربية، تح: السائح علي حسين، (طرابلس الجماهيرية الليبية: دار إقرأ، د.ت).
- طرفة بن العبد، ديوان طرفة بن العبد، تح: مهدي محمد ناصر الدين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط3، 1423هـ، 2002م).
- طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، (القاهرة: دار نهضة مصر، ط1، د.ت).
- الطيبي، شرف الدين، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، تح: إياد محمد الفوج، (دبي: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم)، ط1، 1434هـ، 2013م).

- طيفور، أحمد بن أبي طاهر، بلاغات النساء، صحّحه: أحمد الألفي، (القاهرة: مطبعة مدرسة والده عباس الأول، 1326هـ، 1908م).
- عاشور، الطاهر، التحرير والتنوير، (تونس: الدار التونسية للنشر، 1984م).
- العامري، ليبد بن ربيعة، ديوان لببد، اعتنى به: حمدو طماس، (بيروت: دار المعرفة، ط1، 1425هـ، 2004م).
- العاني، عبد القادر، بيان المعاني، (دمشق: مطبعة الترقى ط1 1382هـ 1965م).
- عباس، عبد الله، غريب القرآن "مسائل نافع بن الأزرق ص239.
- العباس، محمد، الأمثال المولدة، (أبو ظبي: المجمع الثقافي، 1424هـ).
- عبد السلام، عز الدين، تفسير القرآن "مختصر تفسير الماوردي"، تح: د. عبد الله بن إبراهيم الوهبي، (بيروت: دار ابن حزم، ط1، 1416هـ، 1996م).
- عبد اللطيف، محمد حماسة، النحو والدلالة "مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي"، (القاهرة: دار غريب، ط1، 1973م).
- العبود، جاسم محمد عبد، مصطلحات الدلالة العربية في ضوء علم اللغة الحديث، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1428هـ، 2007م).
- العثيمين، محمد بن صالح تفسير القرآن الكريم "سبأ"، (المملكة العربية السعودية: مؤسسة الشيخ محمد صالح العثيمين الخيرية، ط1، 1436هـ).
- ابن عزوز، د. زبدة، دراسة المشتقات العربية وآثارها البلاغية في المعلقات العشرة الجاهلية، (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1989م).

- العسقلاني، ابن حجر، الدرر الكامنه في أعيان المائة الثامنة، (الهند: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، ط2، 1392 هـ، 1972 م).
- العسقلاني، ابن حجر، تهذيب التهذيب، (الهند: مطبعة دائرة المعارف النظامية، ط1، 1326 م).
- العسكري، أبو هلال، معجم الفروق اللغوية، تح: الشيخ بيت الله بيات، (بيروت: مؤسسة النشر الإسلامي، ط1، 1412 هـ).
- عضيمة، محمد عبد الخالق، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، (القاهرة: دار الحديث، د.ت).
- ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، (القاهرة: دار التراث، ط 20، 1400 هـ، 1980 م).
- عكاشة، محمود، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة "دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية"، (القاهرة: دار النشر للجامعات، ط 1، 2005 م).
- العكبري، أبو البقاء، إتحاف الخثيث بإعراب ما يشكل من ألفاظ الحديث، تح: وحيد عبد السلام بالي، ومحمد زكي عبد الديم، (مصر: دار ابن رجب، ط1، 1418 هـ، 1998 م).
- العكيلي، حسن منديل، الإعجاز القرآني في أسلوب العدول عن النظام التركيبي النحوي والبلاغي، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2009).
- العلايلي، أحمد سعد، تهذيب المقدمة اللغوية، (دمشق: دار السؤال، ط3، 1406 هـ، 1985 م).
- علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (بيروت: دار الساقى، ط 4، 1422 هـ، 2001 م).
- العوتي، سلمة، الإبانة في اللغة العربية، تح: مجموعة من الأساتذة، (مسقط: وزارة التراث القومي والثقافة، ط1، 1420 هـ، 1999 م)،

- العيني، بدر الدين، المقاصد النحوية في شرح الشواهد الكبرى، تح: أ. د. محمد علي فاخر، وأ. د. السعداني، أحمد محمد توفيق وفاخر، عبد العزيز محمد (القاهرة: دار السلام، ط1، 1431هـ، 2010م).
- الغزالي، أبو حامد، المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، تح: بسّام عبد الوهاب الجابي، الجفان والجابي - (قبرص، ط1، 1407هـ، 1987م).
- الغلاييني، مصطفى، جامع الدروس العربية، (بيروت: المكتبة العصرية، 1415هـ، 1994م).
- الفارابي، معجم ديوان الأدب، تح: د. إبراهيم أنيس، (القاهرة: مؤسسة دار الشعب، 1424هـ، 2003م).
- ابن فارس، أحمد، الصحاحي في فقه اللغة العربية، (بيروت: منشورات محمد علي بيضون، ط1، 1418هـ، 1997م).
- ابن فارس، أحمد، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، (دمشق: دار الفكر، 1499هـ، 1979م).
- الفارسي، أبو علي، الإيضاح العضدي، تح: حسن الشاذلي فهود، (السعودية: كلية الآداب جامعة الرياض، ط1 1389هـ).
- الفارسي، أبو علي، الحجة للقراء السبعة تح: بدر الدين قهوي، وبشير جويجايي، (دمشق: دار المأمون للتراث، ط2، 1413هـ، 1993م).
- الفاسي، أبو العباس، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تح: أحمد عبد الله القرشي رسلان، د. حسن عباس زكي، (لغاهرة: ط1، 1419هـ).

- الفراء، أبو بكر، معاني القرآن تح: أحمد يوسف النجاشي ومحمد علي النجار، وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، (القاهرة: دار المصرية للتأليف والترجمة، ط1، د.ت).
- ابن الفراء، الحسين، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تح: عبد الرزاق المهدي، - (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1420هـ).
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، الجمل في النحو، تح: د. فخر الدين قباوة، ط5، 1416 - 1995 م).
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، تح: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، د.ت).
- الفيروز آبادي، مجد الدين، القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط8، 1426هـ، 2005م).
- الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، (بيروت: مكتبة لبنان، 1987م).
- القالي، أبو علي، الأمالي، عني بوضعها: محمد عبد الجواز الأصمعي، (القاهرة: دار الكتب المصريّة، ط2، 1344هـ، 1926م).
- القرشي، أبو زيد، جمهرة أشعار العرب، تح: محمد علي البجادي، (القاهرة: دار نهضة مصر، د.ت)
- القرطبي، أبو عبد الله، تفسير القرطبي، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 2006م).
- القضاعي، ابن الأثير، التكملة لكتاب الصلة، تح: عبد السلام الهراس، (بيروت: دار الفكر للطباعة، 1415هـ، 1995م).
- قطب، سيد، في ظلال القرآن، (بيروت: دار الشروق، د.ت).

- القطيعي، ابن شمائل، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، (بيروت: دار الجيل، ط1، 1412هـ).
- القنّوجي، محمد صديق خان، فتح البيان في مقاصد القرآن، عني بطبعه وقَدّم له وراجعته: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، (بيروت: المكتبة العصرية، 1412هـ، 1992م).
- ابن القوطية، الأفعال لابن القوطية، تح: معلي فوده، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط2، 1943م).
- القيرواني، أبو محمد مكي، الهداية إلى بلوغ النهاية، تح: مجموعة رسائل جامعة بكلية الدراسات العليا، والبحث العلمي جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة، (الشارقة: كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ط1، 1429هـ، 2008م).
- القيس، امرؤ، ديوان امرئ القيس، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، (بيروت: دار المعرفة، ط2، 1425هـ، 2004م).
- الكرمانى، برهان الدين، غرائب التفسير وعجائب التأويل، (الرياض: دار القبلية للثقافة الإسلامية، جدة مؤسسة علوم القرآن، د.ت).
- الكفوي، أبو البقاء، الكليات، تح: عدنان درويش محمد المصري، (بيروت: مؤسسة الرسالة، د.ت).
- الكفوي، أيوب بن موسى، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تح: عدنان درويش، ومحمد المصري، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1423هـ، 2002م).
- ابن كلثوم، عمرو، ديوانه، تح: إميل يعقوب، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط2، 1416هـ، 1996م).
- الكواري، كاملة، تفسير غريب القرآن، (بيروت: دار بن حزم، ط1، 2008م).

- لاشين، عبد الفتاح، من أسرار التعبير في القرآن صفاء الكلمة، (دار المريخ للنشر، 1403هـ، 1983م).
- الماتريدي، أبو منصور، تفسير الماتريدي، تح: د. مجدي باسلوم، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1425هـ، 2005م).
- ابن مالك، ذكر معاني أبنية الأسماء، تح: عبد الإله نبهان، (القاهرة: مجلة معهد المخطوطات العربية، 1989م).
- الماوردي، علي بن محمد، تفسير الماوردي، تح: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت).
- المبرد، محمد بن يزيد، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة، (بيروت: عالم الكتب، د.ت).
- مجموعة من الباحثين، الموسوعة التاريخية، إشراف الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف، موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net.
- مجموعة من المؤلفين، المعجم الوسيط، (القاهرة: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، د.ت).
- محمد علي الصابوني، مختصر تفسير ابن كثير، (بيروت: دار القرآن الكريم، ط7، 1402هـ، 1981م).
- محمد علي طه الدرر، تفسير القرآن الكريم وإعرابه، دمشق: دار ابن كثير، ط1، 1430هـ، 2009م).
- مرتضى الزبيدي، تاج العروس، تح: عبد المنعم خليل إبراهيم، وكريم سيد محمد محمود، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1428هـ، 2007م).
- المرسي، علي بن إسماعيل بن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، تح: عبد الحميد هندواوي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1421هـ، 2000م).

- المرؤزي، محمد بن نصر، اختلاف العلماء في حكمة "الصعيد الطيب"، تح: د. محمد طاهر حكيم، (الرياض: أضواء السلف، ط1، 1430هـ، 2000م).
- مسعود، جبران، الرائد، (بيروت: دار العلم للملايين، ط7، 1992م).
- المطيري، عبد المحسن بن زيد، دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر، (القاهرة: رسالة دكتوراه، كلية دار العلوم)، قسم الشريعة الإسلامية، (بيروت: دار البشائر الإسلامية، ط1 1427هـ
- معمر ابن المثنى، أبو عبيدة، مجاز القرآن، تح: محمد فؤاد سزكين، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط1 1381هـ).
- المقدسي، ضياء الدين، الأحاديث المختارة مما لم يخرجها البخاري ومسلم، تح: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، (بيروت: دار خضر، ط3، 1420هـ).
- المقدسي، مجيز الدين، فتح الرحمن في تفسير القرآن، تح: نور الدين طالب، (دار النوادر لإصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، 1430هـ، 2009م).
- المكي، أبو الطيب، ذيل التقييد في رواية السنن والأسانيد، تح: كمال يوسف الحوت، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1410هـ، 1990م).
- منصور، سمية عبد المحسن، أبنية المصدر في الشعر الجاهلي، (الكويت: جامعة الكويت، كلية الآداب، قسم اللغة العربية ط1، 1984م).
- ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، (القاهرة: دار المعارف، د.ت).

- منقور، عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، (دمشق: اتحاد كتاب العرب، 2001م).
- المهدي، حسين بن محمد، صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، (القاهرة: وزارة الثقافة، 2009م).
- الموسى، نهاد، نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، (عمان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1981م).
- نجيب، محمد سمير، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1405هـ، 1985م).
- النسفي، أبو البركات، كشف الأسرار، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1406هـ، 1986م).
- النسفي، أبو البركات، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، حققه وخرّج أحاديثه: يوسف علي بديوي، (بيروت: دار الكلم الطيب، ط1، 1419، 1989م).
- النويري، شهاب الدين، نهاية الأرب في فنون الأدب، (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ط1، 1423هـ).
- النيسابوري، الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، تح: مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1411هـ، 1990م).
- النيسابوري، أبو القاسم، عقلاء المجانين، تح: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1405هـ، 1985م).
- النيسابوري، محمود بن أبي الحسن، إيجاز البيان عن معاني القرآن، تح: د. حنيف بن حسن القاسمي، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1415هـ).

- النيسابوري، نظام الدين، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1416هـ).
- ابن الهائم، شهاب الدين، التبيان في تفسير غريب القرآن تح: د. ضاحي عبد القادر محمد، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1423هـ).
- الهراسي، الكيا، أحكام القرآن، تح: موسى محمد علي، وعزة عبد عطية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 1405).
- الهروي، أحمد بن محمد، الغريبين في القرآن والحديث، تح: أحمد فريد المزيدي، قدّم له وراجعته: أ. د. فتحي حجازي، (السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز، ط1، 1419هـ، 1999م).
- ابن هشام، جمال الدين، أوضح المسالك في ألفية ابن مالك، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، (بيروت: دار الفكر، د.ت).
- ابن هشام، جمال الدين، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تحقيق: عبد الغني الدقر، (سورية: الشركة المتحدة للتوزيع، د.ت).
- ابن هشام، جمال الدين، شرح قطر الندى وبل الصدى، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، (القاهرة: ط11، 1338هـ، 276/1).
- ابن هشام، جمال الدين، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: مازن مبارك، محمد علي حمد الله، (دمشق: دار الفكر، ط6، 1985م).
- هندأوي، عبد الحميد أحمد يوسف، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم "دراسة نظرية تطبيقية"، (بيروت: المكتبة العصرية، ط1، د.ت).

- الواحدي، علي بن أحمد، التفسير البسيط، (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1، 1430هـ).
- الواحدي، علي بن أحمد، الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط، وتركبي مصطفى، (بيروت: دار إحياء التراث، ط1، 1420 هـ، 2000م).
- الواحدي، علي بن أحمد، فقه اللغة، (القاهرة: دار نخضة مصر للطباعة والنشر، د.ت).
- وهبة، مجدي والمهندس، كامل، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، (بيروت: مكتبة لبنان، ط2، 1984م).
- يعقوب، إميل بديع، المعجم المفصل في شواهد العربية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1417هـ، 1996م).
- ابن يعيش محمد بن علي، شرح المفصل لابن يعيش، قَدَّمَ له الدكتور: إميل بديع يعقوب، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1422هـ، 2001م).
- اليمني، ابن الأحنف، البستان في إعراب مشكلات القرآن - من الأنبياء إلى آخره، تح: أحمد محمد عبد الرحمن الجندي، (الرياض: مركز فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط1، 1439هـ، 2018م).

● المجالات

- أنيس، إبراهيم، دراسة في بعض صيغ اللغة، (مجلة المجمع بالقاهرة، عدد22).
- أبو السعود، دريد محمد، دلالة السياق وآثرها في الأساليب العربية، (أسيوط: مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط، العدد 7، سنة 1407هـ، 1987م).

- محمود، حقي إسماعيل، دلالة التشديد والجمع على المبالغة في قراءات حل الشاطبية لعبد الرحمن بن أبي بكر العيني، مجلّة مداد الآداب، الجامعة العراقية، ع6، 2021: 131-160.

- الرسائل العلمية:

- البستي، إسحق بن إبراهيم، تفسير إسحاق البستي "تحقيق ودراسة": عوض بن محمد بن ظافر العمري، أطروحة دكتوراه، إعداد: عثمان معلم محمود شيخ علي، (السعودية: الجامعة الإسلامية في المدينة النبوية، كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية، قسم التفسير وعلوم القرآن، 1413هـ).

- Ayat ALSALIH, **Dil Dışı Bağlamın Gramatik Tartışma Üzerindeki etkisi Zemahşerî, Râzi ve Ebû HAYYÂN üzerine bir inceleme**, (Doktora Tezi, Danışman: Prof. Dr. Ramazan KAZAN, Sosyal Bilimler Enstitüsü, Temal İslam Bilimler Süleyman Demirel Üniversitesi, 2022)

السيرة الذاتية

أكملت الباحثة دراستها الجامعية في جامعة عمر المختار في ليبيا- كلية الآداب- قسم اللغة العربية عام 2000م، وحصلت على درجة الماجستير في اللغة العربية عام 2009م- جامعة الفاتح- طرابلس، وعملت الباحثة معلمة في دولة ليبيا في التعليم المتوسط 2001 - 2002م، ثم معلمة في التعليم الثانوي 2003 - 2005 م، وانتقلت الى التدريس في معهد إعداد المعلمين بطرابلس 2006 - 2009 م، ثم مدرسة في جامعة طرابلس 2009 - 2014 م، وبدأت دراسة الدكتوراه في تركيا جامعة كارابوك قسم

العلوم الإسلامية الأساسية- اللغة العربية.

وللباحثة مقالات وابحاث منشوره منها

- الفرق بين حروف الزيادة في المعنى الفعل الثلاثي نموذجًا "بحث".
- دلالة الصيغ الفعلية وأثرها في التحليل الدلالي "مقالة".
- النظم في الإعجاز القرآني ما بين الإمام عبد القاهر الجرجاني والقاضي عبد الجبار الهمداني "رسالة ماجستير".

- الأديب سلامة موسى منهجه وحياته العلمية والشخصية "بحث".
- شرح وتفسير عشرة أحاديث من كتاب المجازات النبوية للشريف الرضي "بحث".



**SEMİN EI-HALEBÎ, NİN ED- DURRU, I-MESÛN
ADLI TEFSİRİNDE İSİMLERİN ANLAMLARI**

**2023
DOKTORA TEZİ
TEMEL İSLAM BİLİMLERİ**

Muna Emran Faraj BADR

**Tez Danışmanı
Doç. Dr. Aladdin GÜLTEKİN**